الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1 — نيابة العمادة لما بعد التدرج

كلية العلوم الإسلامية — والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

قسم أصول الدين

الآداب النبوية: أنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع

-دراسة موضوعية في الحديث النبوي الشريف-

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

-تخصص: كتاب وسنة-

إعداد الطالبة: **عتيقة عايسي**

إشراف الأستاذ الدكتور: **أحمد رحماني**

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
حسين شرفة	أستاذ محاضر(أ)	جامعة باتنة 1	رئيسا
أحمد رحماني	أستاذ التعليم العالي	كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي	مقررا
مصطفى حميداتو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	عضوا
صونيا وافق	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة قسنطينة	عضوا
سامية دردوري	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة باتنة 1	عضوا
فايزة محمدي	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة باتنة 1	عضوا

السنة الجامعية: 1436هـ-1437هـ الموافق لـ: 2015م- 2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة 1 — نيابة العمادة لما بعد التدرج

كلية العلوم الإسلامية — والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

قسم أصول الدين

الآداب النبوية: أنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع

-دراسة موضوعية في الحديث النبوي الشريف-

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

-تخصص: كتاب وسنة-

إعداد الطالبة: **عتيقة عايسي**

إشراف الأستاذ الدكتور: **أحمد رحماني**

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
حسين شرفة	أستاذ محاضر(أ)	جامعة باتنة 1	رئيسا
أحمد رحماني	أستاذ التعليم العالي	كلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي	مقررا
مصطفى حميداتو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	عضوا
صونيا وافق	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة قسنطينة	عضوا
سامية دردوري	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة باتنة 1	عضوا
فايزة محمدي	أستاذة محاضرة(أ)	جامعة باتنة 1	عضوا

السنة الجامعية: 1436هـ-1437هـ الموافق لـ: 2015م- 2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الإهداء

أهدي هذا الجهد المتواضع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إلى والديا الكريمين

حفظهما الله ورعاهما، كما أهديه إلى كل مسلم غيور على دينه، مستنا بسنة رسول الله صلى

الله عليه وسلم في كل حياته

شكر وتقدير

بداية أحمد الله تعالى الذي وفقني إلى اختيار هذا الموضوع، كما أحمده جل شأنه على توفيقي لإتمامه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ثم أشكر فضيلة الأستاذ الدكتور: أحمد رحماني على قبوله الإشراف لإنجاز هذه الدراسة، وكذا على تتبعه لما ورد فيها أول بأول، فبارك الله فيه، وجعلها الله في ميزان حسناته.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في إنجاز الأطروحة ولو بالكلمة الطيبة،وأخص بالشكر كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة 1؛ وعلى رأسهم عميد الكلية العلوم الإسلامية، وكل موظفيها القائمين على خدمة العلم الشرعي،فبارك الله في الجميع، وجزاهم عني خير جزاء.

عتيقة

هداية

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أهمية الموضوع:

لقد خص الله سبحانه وتعالى الإنسان بشرائع سماوية توجه حياته الخاصة والعامة، الروحية منها والجسدية،ومن صور هذا الاهتمام تخصيصه بآداب هامة يعيش بها في جميع مجالات حياته، فجاء هذا البحث ليعالج جوانب من هذا الموضوع، وقد تم حصره في السنة النبوية الشريفة للتحكم في مادته،وإلا فإن قيمة الموضوع تتجلى بصورة أوضح حين يكون في الكتاب والسنة ،وعليه وسم بـ:**الآداب النبوية:أنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع** -دراسة موضوعية في الحديث النبوي الشريف- وهو موضوع مهم وحساس؛كونه وثيق الصلة بحياة الإنسان الخاصة والعامة، وهو ذو أهمية خاصة وأساسية في حياة المجتمعات،لأنه يرتبط بكل مجتمع حيث يحسن ويرقى بأسلوب حياته عن حياة بقية المخلوقات؛فيحقق به البقاء لعنصره عبر أجيال متعاقبة؛تزداد قوة وثباتا في الأرض؛ كلما كان امتداد عنصر معين لفصيلة منها عبر أجيال متعاقبة ودون انقطاع بينها؛وذلك بسبب التوارث الأخلاقي الذي يزرعه الإنسان في أبنائه جيلا من بعد جيل، كونه لا ينفك عن حياته بأي حال من الأحوال،لأنه اختيار الله سبحانه وتعالى له، وقد جعل ذلك مجسدا في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهو ما عبرت عنه أمنا عائشة رضي الله عنها بعبارة مشرقة بليغة،حين سئلت عن خلقه فقالت:"**فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- كَانَ الْقُرْآنَ**"[1]،فمن أراد إذن أن يعرف المنهج العملي للإسلام بخصائصه وأركانه،فليعرفه مفصلا مجسدا في السنة النبوية الشريفة:القولية منها والفعلية والتقريرية، فهي التفسير العملي للقرآن الكريم، والتطبيق الواقعي-والمثالي أيضا- للإسلام،فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن مفسرا، والإسلام مجسدا [2]؛فأدركت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا المعنى بفقهها وبصيرتها، ومعايشتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنقلته لنا بتصوير دقيق.

---

[1]- صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين ،باب جَامِعِ صَلاَةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ.رقم الحديث:746 . ص:(250-251).

[2]-يوسف القرضاوي،كيف نتعامل مع السنة النبوية،ص:25. دار الشروق .القاهرة، ط1(1423هـ-2000م)، وط2(1423هـ-2002م). بتصرف.

هذا،وطرح موضوع الآداب ضمن المنهج الموضوعي لتفسير الحديث النبوي الشريف؛ يجعل له طابعا خاصا نظرا للمصداقية الخاصة نسبيا للأحكام المستنبطة منه وللنتائج المتوصل إليها؛ من خلال النظر في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبالإضافة إلى ذلك: الجهد والعمل والفهم البشري القديم والحديث حول الموضوع.

هذا،ومن الضروري العناية بالتصنيف الموضوعي للسنة النبوية، والاستفادة من المناهج النافعة في هذا المجال لتكون مصدرا للمعرفة الإنسانية والاجتماعية بكل أنواعها،وعدم الاقتصار على جعلها مصدرا للمعرفة الفقهية وحدها [3]، فالمنهج الموضوعي منهج مهم لفهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفق آلياته الخاصة؛ التي اجتهد كثير من العلماء في استنباطها وتقعيدها [4] ليحصل فقه الحديث النبوي الشريف؛ فيتم بذلك إسقاطه على الواقع من أجل تفسير الكثير من الظواهر الاجتماعية والأخلاقية بل والكونية، ومحاولة إيجاد حل لمشكلاتها في ضوء النص الشريف.

ففقه الحديث من أهم مقاصد علوم الحديث،وأقوى مصادر الدين الإسلامي، ولهذا كان من الضروري الاهتمام به، وربطه به، لأن المقصد الأساس من دراسة علوم الحديث هو الخروج بنتيجة فاصلة في الحكم على درجة الحديث؛ التي تسمح لنا بالتصدر لدراسة واستنباط الأحكام الشرعية الواردة فيه [5]، وتكييف العمل به وفق ما ورد فيها، لأنه "لابد للجيل الجديد أن يحسن قراءة النص في ضوء التطورات الحضارية ليتم فهم أبعاده القيمة، لاستثمارها وإعادة بناء هذه الحضارة القيمة" [6] على أصول صحيحة وقويمة فتمتد في أعماق الشعوب؛ وتنهض بهم كعباد للرحمن، وتُستغل ثمارها في توحيد الله تعالى؛ فإعادة "بناء قراءة مصادر الإسلام الثابتة:الكتاب والسنة بوعي وفهم دقيقين،ونظر إسلامي معاصر قادر على ملاحظة جميع المؤثرات، وسائر الأبعاد لاستلهام المقاصد ومعرفة الغايات، وتبين الكليات، واستنباط المنهج اللازم للاستجابة الإسلامية لتحديات المرحلة وبناء مقومات الأمة" [7]، ولا يحصل ذلك إلا إذا كان فهم النص صحيحا، وإنما "مدار الفهم الصحيح هو المنهج الصحيح" [8] الذي يقوم على قواعد علمية مدروسة ومضبوطة؛

---

[3]- طه جابر العلواني،تصدير الطبعة الأولى في كتاب: كيف نتعامل مع السنة النبوية، للقرضاوي: ص:12. بتصرف.

[4]-ينظر:يوسف القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، حمزة عبد الله الميليباري،علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، أحمد رحماني،الجديد في مناهج تفسير الحديثى الشريف وتطبيقاته.

[5]-حمزة عبد الله الميليباري، علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، ص:9. بتصرف.

[6]- أحمد عثمان رحماني،الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف وتطبيقاته.ص:13.عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد –شارع الجامعة – بجانب البنك الإسلامي. الفرع الثاني: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع. الأردن–العبدلي– عمان. ط:1، 1432هـ–2011م.

[7]-طه جابر العلواني، تصدير الطبعة الأولى في كتاب :كيف نتعامل مع السنة، للقرضاوي: ص:19–20.

[8]- أحمد رحماني،الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف وتطبيقاته.ص:13.

مستنبطة من خبرات علمية جديدة وقديمة،فتتضافر بذلك الأفكار العلمية لنسج آليات منهجية تعمل في مجموعها لتحليل النص وإعادة تركيبه، ثم استنباط مقاصده العلمية المختلفة، وتطبيقها على جميع الأصعدة: الاجتماعية منها والخلقية والسياسية منها والاجتماعية ...من خلال الدساتير الحكومية،أو المقررات التربوية،أو الأنظمة الاقتصادية؛ فيدخل بذلك النص الرباني في تقرير الكثير من الأنظمة المختلفة للمجتمعات.

وبذلك يتأكد لدينا أنه "ما يتوقف عليه فقه الحديث من قواعد وضوابط يُعد أيضا من أهم مفردات علوم الحديث وليس دخيلا" [9] عليه، لأنه المقصد الأساس من دراسة مصطلح الحديث.

إشكالية البحث:

إن هذا البحث جاء للكشف عن **أنواع الآداب النبوية،** وكذا **عن آثارها على مستوى الفرد والمجتمع،** وبذلك يحاول أن يُجيب عن تساؤلات متعددة نذكر منها:

1. ما معنى الأدب النبوي؟ وما هي مدلولاته عند مختلف العلماء؟وكذا ما معنى الأثر وما هي مدلولاته عند مختلف العلماء؟
2. ماهي أنواع الآداب النبوية التي حث النبي صلى الله عليه وسلم عليها؟ وكيف كان واقعه التطبيقي للآداب في حياته الخاصة والعامة؟
3. ماهو دور الآداب النبوية في الحياة الروحية للإنسان؟
4. ما هو دور الآداب في تكييف الإنسان مع محيطه الاجتماعي؟
5. ما مدى فاعلية الآداب النبوية في النمو والازدهار الحضاري؟
6. وكيف تكون الآداب النبوية وسيلة فاعلة للتأليف بين قلوب المسلمين وجمع شملهم بعد شتات؟
7. وماهي أهم الآثار التي تسعى الآداب النبوية لتحقيقها على مستوى الفرد وكذا على مستوى المجتمع؟

هذه بعض الإشكالات وغيرها سيحاول **هذا البحث** الإجابة عنها بإذن الله تعالى.

أهداف البحث:

1. إحاطة أمة الإسلام بالنصح والتوجيه من خلال تبليغهم بوحي الله تعالى.

---

[9]- حمزة عبد الله الميلياري، علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، ص:7.

2. إعطاء بديل إسلامي؛ للتخفيف من وطأة التقليد الأعمى للغرب من طرف الكثير من أبناء الإسلام، وخاصة في أخلاقهم الاجتماعية.
3. إحياء سنة النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الناس، ولفت الانتباه إلى ضرورة مدارستها من خاصة الناس وعامتهم؛لأنها مصدر أساسي في التشريع الإسلامي.
4. معالجة التراجع الأخلاقي والأدبي مع كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي يشهده المجتمع المسلم في الوقت الحاضر.
5. تحفيز الدارسين والباحثين في الدراسات الإسلامية؛ للاهتمام بموضوع الآداب النبوية من أجل استخراجها من النصوص الشرعية؛ وتكييفها وفق المعطيات العصرية.
6. إثراء المخزون الثقافي للمسلمين بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم.
7. إن المجتمعات البشرية ترقى بأخلاق أفرادها؛ إذا أوْلتها العناية الكافية من التوجيه والرقابة المستمرة، وتكون هي نفسها معول هدم نفسها؛ إذا أغفلت الاهتمام بجانب الأخلاق في أفرادها؛ ولهذا كان من مقاصد الإسلام إعادة صياغة سلوك الإنسان وفق المنهج الرباني؛ من أجل تحصيل مجتمع يتمتع بقيم أخلاقية عليا.
8. الأمة التي لا تبني حاضرها ومستقبلها على نظم ثابتة وقواعد أصيلة،مستمدة من التشريع الإلهي؛ما فتئت تعمل على تخريب مجتمعها بيدها،وهو ما ينذر به الواقع العالمي؛ولهذا فإن معالجة موضوع الأخلاق من خلال الوحي يجعل له قواعد أصيلة وثابتة بإذن الله تعالى.

أسباب اختيار الموضوع:

1. انتشار ظاهرة الغزو الثقافي الرهيب الذي اجتاح العالم بصفة عامة، والعالم الإسلامي بصفة خاصة، مما سبب اختلالا في شخصيات الشباب المسلم؛ وهو ما يظهر جليا في هيآتهم وتصرفاتهم، وأخلاقهم الاجتماعية ولهجاتهم...الخ.
2. التراجع الأخلاقي من أبناء أمة الإسلام عن دينهم وعن قيمهم الحضارية؛ والذي يشهده العالم بصفة عامة والمجتمع الإسلامي بصفة خاصة.

الدراسات السابقة:

إن موضوع **الآداب النبوية**: كما سبق أن ذكرنا هو موضوع مهم في حياة المجتمعات والأفراد، وأيضا واسع، ولهذا نجد اهتمام العلماء به كبير جدا خلال الأزمنة المتعاقبة على الجنس البشري، وقد عالجت كل فئة جانبا من جوانبه، لكن يبقى أن دراسة الموضوع بصيغة: **الآداب النبوية:أنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع** لم أجده –وهذا في حدود ما علمته واطلعت عليه–

هذا،ومن المعاصرين الذين قاموا بالتأليف في موضوع **الآداب** نذكر على سبيل المثال لا الحصر؛رسالة الآداب الاجتماعية في سورة النور، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، للدكتورة: صونية وافق، كما قامت بتأليف كتاب بعنوان: آداب المسلم ومعاملاته الاجتماعية في القرآن الكريم.

أهم المصادر المعتمدة:

لقد كان من أهم المصادر التي اعتمدتها في هذه الأطروحة هي المصنفات في الحديث النبوي الشريف،لأنهم كان لهم السبق في دراسة **موضوع الأدب** ،وقد تجلى ذلك من خلال مصنفاتهم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حيث ترجموا لبعض كتب المصنفات، وفي مقدمتهم الإمام البخاري؛ الذي ترجم أحد أبوابه بقوله:كتاب الأدب، ولم يكتف بذلك حيث خصه بمؤلف مستقل نظرا لأهميته؛ سماه الأدب المفرد، وأورد فيه مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن الأدب؛وقد حذا حذوه بقية المحدثين: مثل الإمام مسلم الذي رتب في صحيحه أحاديث تتحدث عن الآداب النبوية، تُرجم لها من بعده بقولهم:كتاب الآداب، وفي موضع آخر:كتاب الألفاظ من الأدب،وكذا في موضع آخر: كتاب البر والصلة والآدب، وقد خص هذه المواضع كلها بأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتحدث عن الآداب النبوية وقيمتها الاجتماعية والشرعية.

وكذا الإمام الترمذي الذي ترجم لأحد كتب مصنفه في الحديث بقوله: كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم. ونفس الأمر مع الإمام ابن ماجه في سننه حيث ترجم بقوله: كتاب الأدب، والإمام أبي داود ترجم بقوله:كتاب الأدب .

منهج البحث:

لقد اعتمدت في البحث (المنهج الموضوعي لتفسير الحديث النبوي الشريف) وهو منهج يقوم على ركائز أساسية؛ فكان منهجا استقرائيا تحليليا ثم تركيبيا،إذ بدأت باستقراء الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الآداب من كتب الحديث المختلفة، ثم قمت بتصنيفها ضمن الأبواب والفصول والمباحث والمطالب المرتبطة بها، وبعدها قمت بتحليلها وربطها بالموضوع،ثم ضبطت النتائج في خلاصات آخر كل مطلب، ثم آخر المبحث، ثم آخر الفصل.

وكل مبحث يتكون غالبا من توطئة، وقد أتعرض لنصوص من غير طويل شرح؛ تجنبا للإطالة والاستطراد في غير المقصود، ويليه صدر الموضوع الذي حللت فيه فكرة المبحث تحليلا مفصلا، ثم ختمت المبحث بخلاصة،ومن أجل ضبط الأفكار جعلت كل مبحث يتكون من مطالب تعالج الفكرة الأساسية في المبحث.

وفكرة كل مبحث تنطلق من تحليل النص أو النصوص الأساسية،التي هي واحدة من النصوص التي تم استقراؤها وتصنيفها، وقد اعتمدت في تحليل نصوص الحديث النبوي الشريف على منهج التفسير والحديث المعروفة: ومنها الاستعانة بنصوص أخرى من الحديث النبوي الشريف، وهذه النصوص المستعملة في التحليل قد لا تكون مرتبطة بموضوع الآداب، بل هي نصوص مساعدة في تحليل النصوص الأصلية وفهم معانيها، وكذا نصوص القرآن الكريم، مع أقوال المفسرين والعلماء؛خاصة منهم شراح الحديث،فضلا عن المعاجم اللغوية، والدراسات ذات العلاقة بطبيعة الفكرة.

وقد حاولت تجنب الخوض في الخلافات الفقهية –إلا النادر منها– لأن مقصد البحث تركيبي وإن كان التحليل قبله ضروريا.

وقد انتهجت في توثيق المراجع طريقة تمثلت في :ذكر اسم المؤلف وكتابه والجزء –إن وجد– ورقم الصفحة، والتحقيق –إن وجد– ودار الطباعة مع بلد النشر، ورقم الطبعة وتاريخها –إن وجدا– لكن في حالة غيابهما رمزت لذلك بـ:(د ط ت) بمعنى :(دون طباعة وتاريخ الطبع)، ولا أكرر ذكر المعلومات المتعلقة بالطباعة بعد إثباتها أول مرة؛فإذا تكرر ذكر الكتاب أذكر الجزء –إن وجد– والصفحة، وكذا لا أكرر ذكر الكتاب إذا تتابع النقل منه، ولم تفصل بينهما إحالة، وأكتفي عندها بقولي:(نفسه) أو (السابق)،وإن كانت الصفحة المنقول منها تختلف عن سابقتها ذكرتها، لكن إذا كان الكتاب له أكثر من جزء ؛ فإنني أكرر ذكر الجزء والصفحة المتغيرين، أما إذا نقلتُ فكرة من الكتاب وعبرت عنها بأسلوبي الخاص؛ فإنني أحيل عليها وأشير بعبارة: **بتصرف**.

أما بالنسبة لتخريج الأحاديث فإنني أذكر اسم المصدر والمؤلف:(مثل قولي:صحيح البخاري، صحيح مسلم، جامع الترمذي...)، ثم الكتاب وبعدها الباب الذي ورد فيه الحديث، ورقم الحديث ثم الجزء والصفحة .

كما أنني لم أترجم لأحد من الأعلام، لأن الذين ذكروا في صلب البحث من الصحابة أو الأعلام المعروفين؛كالأئمة (البخاري ومسلم،والنووي وابن حجر،والزمخشري...)، وترجمتهم معروفة في الوسط العلمي، وكذا فإن طبيعة الموضوع فرضت علي الاستطراد في البحث مما شك ل تضخما في الأطروحة.

خطة البحث :

لقد تكون موضوع **الآداب النبوية:أنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع** من **مقدمة وفصل تمهيدي، وبابين وخاتمة، وفهارس وملخصات البحث**. وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفصل التمهيدي: تعرضت فيه إلى تعريف بعض مصطلحات البحث وهو يتكون من مبحثين:

المبحث الأول: تعرضت فيه لتعريف لفظ الأدب لغة واصطلاحا،أما **المبحث الثاني**: فتعرضت فيه لتعريف الأثر لغة واصطلاحا

ثم انتقلت إلى **الباب الأول**:الذي تعرضت فيه لبعض أنواع الآداب النبوية وقد افتتحته بتوطئة، وهو يتكون من أربعة فصول؛وهي كالتالي:

الفصل الأول: وقد عنونته بالآداب مع كتاب الله تعالى،وقسمته إلى ثلاثة مباحث، **المبحث الأول**: درست فيه كيف يتم تعظيم كتاب الله تعالى، **والمبحث الثاني**: ذكرت فيه كيف يتم الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة، أما **المبحث الثالث**:فقد ذكرت فيه كيف يتم اتخاذ القرآن الكريم سلوكا عمليا.

ثم انتقلت إلى **الفصل الثاني**: الذي تحدثت فيه عن الآداب مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قسمته أيضا إلى ثلاثة مباحث، **المبحث الأول**:درست فيه طريقة تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم انتقلت إلى **المبحث الثاني**: الذي ذكرت فيه ضرورة لزوم السنة النبوية الشريفة وترك التنطع والتكلف والتشدد فيها، وبعدها وصلت إلى **المبحث الثالث**: الذي درست فيه كيفية الوصول إلى فقه سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبعدها **الفصل الثالث:** حيث درست فيه آداب الطاعات،وقد جاء تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، **المبحث الأول**:خصص لأدب الاستعانة بالله تعالى في أداء الطاعات، أما **المبحث الثاني**:فقد تناول التأدب مع الأحكام الشرعية عند أداء الطاعات،ووصلت في **المبحث الثالث**: إلى الحديث عن الاعتدال والتوسط في أداء الطاعات، وفي آخر هذا الباب وصلت إلى **الفصل الرابع**: الذي درست فيه آداب المعاملات الفردية،والذي بدوره قسم إلى ثلاث مباحث، **المبحث الأول** منها: ذكرت فيه كيفية التجمل بمكارم الأخلاق، **والمبحث الثاني**: ذكرت فيه بعض الالتزامات الاجتماعية التي من الضروري القيام بها،لأخلص في **المبحث الثالث**:إلى ضرورة السعي لتحقيق الاستقرار الاجتماعي.

وبعد ذلك درست في **الباب الثاني**: آثار الآداب النبوية في الفرد والمجتمع، وقد تم تقسيمه إلى فصلين، **الفصل الأول** :عالجت فيه آثار الآداب النبوية في الفرد، وهو بدوره قسم إلى مبحثين،**المبحث الأول** :ذكرت فيه آثار الآداب النبوية في إعداد الإنسان الرباني،و **المبحث الثاني**: ذكرت فيه آثار الآداب النبوية في تحقيق اللياقة السلوكية للفرد. **والفصل الثاني**:درست فيه آثار الآداب النبوية في المجتمع،وقد قسم إلى مبحثين، **المبحث الأول** :ذكرت فيه آثار الآداب النبوية في تحقيق الوحدة الاجتماعية، **والمبحث الثاني**:ذكرت فيه آثار الآداب النبوية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي.

وفي الأخير خلصت إلى **خاتمة** جمعت فيها أهم ما وصل إليه البحث.

ثم **فهارس**: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة،وكذا فهرست الموضوعات،وألحقت البحث بملخصات له: **بالعربية والفرنسية والانجليزية**.

وفي الختام أرجو أن يكون كل ذلك موفقا بإذن الله تعالى.

الفصل التمهيدي:
مفاهيم أساسية

الفصل التمهيدي:مفاهيم أساسية

قبل الخوض في غمار البحث –الآداب النبوية:أنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع– استلزم فصلا تمهيديا لنكشف عن معنى الكلمات الرئيسة فيه حتى ندرسه بصورة واضحة المعالم،وقد اعتمد مصطلحين هما الآداب النبوية وأثرها :فما معنى الأدب وما معنى الأثر في اللغة، وما مدلولهما الاصطلاحي عند مختلف التخصصات **العلمية**.

ومن أجل الوصول إلى ذلك جاء هذا الفصل التمهيدي مقسما إلى مبحثين:

المبحث الأول : تعريف الأدب لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : تعريف الأثر لغة واصطلاحا

المبحث الأول: تعريف الأدب لغة واصطلاحا

قبل الولوج في البحث علينا أن نميط اللثام عن معنى لفظ الأدب؛ الذي تطور معناه عبر العصور المختلفة تطورات كثيرة؛ ففي الجاهلية كان يعني الدعاء إلى المأدبة ومنه الدعوة إلى فضائل الأخلاق، وفي الإسلام كما في الجاهلية كان يدل على الخلق النبيل الكريم وأثر ذلك في الحياة العامة والخاصة، ثم أصبح اللفظ يشمل تهذيب النفس وتعليم المرء المحامد والمعارف والشعر. واستعمل في القرن التاسع للدلالة على مجمل العلوم والفنون من فلسفة ورياضة، وفلك وكيمياء وطب وأخبار وأنساب وشعر، وغير ذلك من المعارف التي تؤثر في تحسين العلاقات الاجتماعية، أما في القرن الثاني عشر فكان استخدام لفظ الأدب للدلالة على الشعر والنثر وما يتصل بهما من نحو وعلم لغة وعروض وبلاغة ونقد أدبي [10]، إذن لفظ الأدب لم يأخذ معنى واحدا عبر العصور فقد استخدم في كل عصر بحسب أغراضه البلاغية. وكما نلاحظ أن معانيه قد تبدو متباينة في ظاهرها ولكنها منبثقة من المعنى الأصلي وهو الدعوة لتستعمل بعد هذه الدعوة في مختلف ميادين الحياة من الدعوة إلى الطعام ثم الدعوة إلى الاجتماع على مكارم الأخلاق، ثم الدعوة إلى الترويض على تطوير المهارات الفردية؛ وهذه الدعوة إما أن تكون "بسلطة خارجية أو من قبل الفرد ذاته"[11]. وفيما يلي تفصيل لمعنى لفظ الأدب في اللغة والاصطلاح:

---

[10]- تأليف نخبة من الخبراء،سلسلة المعارف الشاملة ص8-9.طائلة الملاحقة الجزائية، 2000-2001م. مادة: الأدب. بتصرف

[11]-يوسف الخياط:معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص 15. قدم له عبد الله العلايلي. دار الجيل-بيروت.دار لسان العرب –بيروت- د(ط.ت).

المطلب الأول: تعريف الأدب لغة

لقد جاء لفظ الأدب في لغة العرب بعدة معان مختلفة، قد تبدو في ظاهرها متباينة لكن في حقيقتها هي امتداد للمعنى الأصلي وهو الدعوة، ثم جاء بمعنى الترويض والتهذيب، ثم جاء بمعنى المجازاة على الإساءة، ثم عمم ليعني الظرف وحسن التناول، وفيما يلي نتعرض إلى مدلول كل معنى على حدة:

1. **الأدب بمعنى الدعاء:** لقد أجمع أهل اللغة على أن الدعاء من أهم المعاني التي يفيدها لفظ الأدب: فقالوا: الأدب مصدر قولك: أدب القوم يأدِبهم، أدْبا، إذا دعاهم إلى طعامه [12]؛ ومنه اشتق لفظ الآدِب وهو الداعي إلى الطعام[13] .

قال طرفة :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدِبَ فينا ينتقر[14]

فالآدِبُ هنا هو الداعي إلى الطعام اشتق من لفظ الأَدَبُ وهو الدعاء إلى الطعام، كما اشتق اسم هذا الطعام من لفظ الأدب؛ فقيل مأدبُة ومأدبَة.

وعليه قرر علماء اللغة أن الأدب يطلق ويراد به الدعوة ثم أكدوا هذا المعنى أكثر بقولهم: والأدْبة والمأدبَة والمأدبُة كل طعام صنع لدعوة أو عرس [15] فالمأدبَة والمأدبُة قد اشتقت من لفظ الأدب الذي يعني الدعاء، فجاء اسم الطعام الذي يدعى إليه الناس مشتقا من اللفظ نفسه؛ وهو (الدعاء) قال الإمام الزبيدي: "المأدبة كما قالوا المدعاة، وقيل المأدبة من الأدب...يقال مأدَبة ومأدُبة فمن قال: مأدُبة أراد به الصنيع يصنعه الرجل فيدعو إليه الناس"[16]. قال صخر الغي يصف عقابا:

---

[12]– محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 144/1، دار صادر –بيروت– ط 1 ،1306هـ . و ابن منظور: لسان العرب المحيط 33/1، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دار دراسات العرب –بيروت– د(ط.ت) . و أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان اللسان تهذيب لسان العرب،18/1، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان–ط 1 ،1413هـ/1993م. و أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 131/1 تحقيق:اميل بديع يعقوب، محمد نبيل طريفي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان،ط 1 ، 1420هـ/1999م. و أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا اللغوي: مجمل اللغة، 90/1، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ط2، 1406هـ/1986م. و أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، 385/9، تحقيق: عبد الحميد هنداوي. منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان–ط1، 1421هـ/2000م+سلسلة المعارف الشاملة ص8. بتصرف

[13]– نفسها.

[14]–ابن منظور: لسان العرب 33/1. و الزبيدي: تاج العروس، 144/1.

[15]– ابن منظور: لسان العرب 33/1. و الزبيدي: تاج العروس، 144/1+ابن منظور: لسان اللسان، 18/1. و الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية 131/1. و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، 385/9. و ابن عباد: المحيط في اللغة، 377/9. بتصرف

[16]– الزبيدي: تاج العروس،144/1.

كأن قلوب الطير في قعر عشها نوى القسب ملقى عند بعض **المآدب**[17]

ووجه الشاهد من البيت هو قول الشاعر "**عند بعض المآدب**" وهو جمع **مأدَبة** أو **مأدُبة**.

وفي حديث ابن مسعود :" **إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم**"[18] . فالنبي صلى الله عليه وسلم شبه محتوى القرآن الكريم –الذي يتنوع بين التوحيد والقصص والشواهد الكونية والغيبيات والتشريعات المفيدة في حياة الإنسان– بالمأدبة التي يتنوع عادة أصناف الطعام فيها.

هذا، ويقال مأدَبة ومأدُبة، فمن قال مأدُبة أراد به الصنيع يصنعه الرجل فيدعو الناس إليه، شبه القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم إليه[19].

فلفظ الأدب بعد أن كان يعني الدعوة إلى الطعام للاستفادة منه؛ عمم ليشمل كل دعوة إلى ما فيه منفعة وفائدة، ومنه خصت الدعوة إلى محاسن الأخلاق بالأدب لأنه يدعو إلى ما فيه خير المرء من أخلاق فاضلة: وهوما أشار إليه كل من الإمامين المرتضى الزبيدي وابن منظور في الأدب محركة الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي به لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح[20] أي يدعوهم إلى المحامد، وأضاف المرتضى الزبيدي بقوله في هذا الصدد "أدبته تأديبا إذا عاقبته على إساءته لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب" [21]. وعليه جاء الترويض على فضائل الأخلاق ، والمعاقبة على الإساءة على أنه تأديب . فأدبه "راض أخلاقه وعاقبه على إساءته لدعائه إياه إلى حقيقة الأدب"[22].

وعليه فإن أصل معنى لفظ الأدب هو الدعوة إلى الطعام، ثم عمم هذا اللفظ ليشمل كل دعوة، وخاصة منها الدعوة إلى محاسن الأخلاق.

---

[17]– ابن منظور: لسان العرب 33/1. و الزبيدي: تاج العروس، 144/1. و الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية 131/1.

[18]–عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي السمرقندي، سنن الدارمي،كتاب فضائل القرآن،باب فضل من قرأ القرآن،رقم الحديث: 3307. 302/2. حققه وخرج أحاديثه:سيد إبراهيم، ومحمد علي محمد. ضبط أصوله وفهرسه:مصطفى الذهبي.دار الحديث:طبع ونشر وتوزيع. القاهرة. ط:1، 1420هـ-2000م. المستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة ، رقم حديث:1983 .قال الامام الذهبي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِصَالِحِ بْنِ عُمَرَ». 753/1-754. دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع. ط 1، 1417هـ-1997م.

[19]– ابن منظور: لسان العرب 33/1. و الزبيدي: تاج العروس، 144/1. بتصرف

[20]– الزبيدي: تاج العروس،144/1. و ابن منظور: لسان العرب 33/1. و ابن منظور: لسان اللسان، 18/1. بتصرف

[21]– الزبيدي: تاج العروس،144/1.

[22]– نفسه.

2. **الأدب بمعنى الاجتماع:** لقد سبق أن عرفنا أن لفظ الأدب يعني في أصله الدعوة، ومنه الدعوة إلى الطعام، وكما هو معروف أن عادة العرب عند الدعوة إلى الطعام فإنها تجمع القوم حوله، ومنه جاء شرح الزمخشري: جمع القوم على أمر ما "يأدبهم"، فنقول "آدَبهم" على الأمر جمعهم عليه "يأدِبهم" "يقال إيدب جيرانك لتشاورهم قال:

وكيف قتالي معشرا يأدبونكم على الحق أن تأشبوه بباطل"[23]

فيأدبونكم هنا بمعنى يجمعونكم على الحق ومنه جاء قول ابن عباد: "أدبت القوم على أمر كذا آدبُهم وآدُبُهم أدْبا: أي جمعتهم عليه، ومنه مأدُبة الدعوة " [24] فالمأدُبة اشتقت من الأدب، لأن القوم يجتمعون إلى الطعام عند أدب الآداب أي دعوة الداعي، "واشتقاق الأدب من ذلك، كأنه أمر أجمع عليه وعلى استحسانه " [25]، فاجتماع القوم على خصال معينة يلتزمونها ويدعون إليها تشبه اجتماع القوم إلى الطعام بعد دعوتهم من الآدب. ومنه قيل للصنيع يدعى الناس إليه ليجتمعوا حوله، مدعاة ومأدُبة[26].

هذا، وقد قيل للأدب هو "اجتماع الخصال الحميدة " [27] .فالأدب إذن يطلق على مجمل الخصال الحميدة؛ لأن القوم يجمعون على فضلها أو لأن الأدب يمثل مجمل الخصال الحميدة، وعليه فالأدب أطلق وأريد به –بعد أن كان أصله الدعوة– الاجتماع إلى الطعام، ثم عمم هذا المعنى ليشمل الاجتماع على محاسن الأخلاق، فإذا ما جمعنا بين المعنى الأول للأدب، وهو الدعوة، والمعنى الثاني للأدب وهو الاجتماع على محاسن الأقوال والأفعال.

وبذلك نخلص إلى أن الأدب: هو الدعوة إلى الاجتماع على محاسن الأقوال والأفعال، وقد يعني الخصال الحميدة في مجموعها .

3. **الأدب بمعنى الترويض[28] والتهذيب:** ولقد أطلق لفظ الأدب أيضا في لغة العرب وأريد به الترويض[29] والتهذيب، وقد قيل للبعير إذا ريض وذلل أديب مؤدَّب وقال مزاحم العقيلي :

---

[23]–جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري:أساس البلاغة، ص3. تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت –لبنان– للطباعة والنشر د(ط.ت).

[24]– اسماعيل بن عباد : المحيط في اللغة 377/9.

[25]– أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن اللغوي: مجمل اللغة. 90/1 . دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان.مؤسسة الرسالة. ط 2. 1406هـ- 1986م.

[26]– بن منظور : لسان العرب 33/1.

[27]– محمد علي بن محمد التهانوي الحنفي: كشاف اصطلاحات الفنون :77/1، وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– ط1، 1418هـ/1998م

[28]– ابن منظور: لسان العرب 33/1 . والزبيدي:تاج العروس 145/1.

وهن يصرفن النوى بين عالج ونجران تصريف الأديب المذلل[30]

فالأديب –المشتقة من الأدب– المروض من الإبل، ومنه قيل "أدَّب فلان إذا رضاه على محاسن الأخلاق والعادات"[31]، فالتأديب إذن هو الترويض والتدريب على محاسن الأخلاق: من الصدق، والعفاف، والوفاء، وفي العادات يعني التدريب على العمل للحذق فيه ومنه التدريب على الفروسية وقرض الشعر، وكتابة النثر ، بمعنى آخر الأدب عامة هو ترويض وتعليم وتطوير المهارات الخاصة بالإنسان، ومنه نقول: " أدُبَ فلان أدبا راض نفسه على المحاسن وحذق فنون الأدب" [32].

وحقيقة الأدب تقع على رياضة النفس على محاسن الأخلاق وهو ما أكده صاحب تاج العروس بقوله: وأدبته أدبا من باب ضرب علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق [33]. ثم استعمل نفس اللفظ ليدل على التعليم لأن الإنسان في حال الترويض يتعلم أخلاقا لم تسبق له فنقول: "لقد أدبت أدب أدبا حسنا وأنت أديب وأدبه أي علمه فتأدب تعلم" [34] .ومنه قيل الأدب "هو تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق " [35] .فاللفظ استعمل بداية في الترويض والتهذيب والتعليم على محاسن الأخلاق، ثم عمم استعماله ليشمل كل تدريب وتعليم يهتم بتكوين الإنسان من الناحية العلمية واللغوية فقيل:"الأدب رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي وجملة ما ينبغي لذي الصناعة أو الفن أن يتمسك به" [36] .فصار الأدب يشمل كل تهذيب للنفس وتعليم المحامد والمعارف والشعر [37] .ثم جعل اللفظ ليدل على كل تعليم يقع للإنسان من تعليم لرواية الشعر والقصص والأخبار والأنساب...وأدخل بعضهم فيه المهارات الخاصة، كالبراعة في اللعب بالشطرنج وعزف العود [38]. إذن قد خرج لفظ الأدب من الترويض ليدل على كل تعليم يتلقاه الإنسان وعليه نقول:" أدبه فتأدب: علمه، واستعمله الزجاج في الله عز وجل، فقال : هذا ما

---

[29]–يقال:"راض الدابة يروضها روضا ورياضة وطأها وذللها، أو علمها السير".ابن منظور: لسان العرب، 1265/2.

[30]– ابن منظور :لسان العرب 33/1 . و الزبيدي: تاج العروس 145/1.بتصرف

[31]–سعيد أبو جيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا،ص 17.دار الفكر .دمشق .سورية. ط2. 1408هـ–1988م. و مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص9 . الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. جمهورية مصر العربية. د. ط. ت.

[32]– مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص9.

[33]– الزبيدي: تاج العروس، 144/1 .بتصرف

[34]– نفسه.

[35]–نفسه.

[36]– مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيزص9. و سعيد أبو جيب : القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ص17 . بتصرف

[37]– مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص9. بتصرف

[38]–الموسوعة العربية الميسرة: 98/2، دار الجيل، ط2، 2001م (المحدثة) . و محمد عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف– معجم لغوي ومصطلح– ص44 . تحقيق: محمد رضوان الداية. دار الفكر المهاصر بيروت –لبنان– ط1، 1410هـ/1990م. بتصرف

أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم" [39]. فالأدب "اسم يقع على كل رياضة محمودة، فيخرج بها الإنسان إلى فضيلة من الفضائل "[40]. فالأدب هو أدب النفس والدرس [41].

وعليه نصل إلى أن الأدب هو التدريب على محاسن الأخلاق والحذق في الأمور العلمية والعملية.

4. **الأدب بمعنى الظرف وحسن التناول** :فالأدب كما سبق هو الترويض على المستحسنات في جميع المجالات[42] وبذلك يشمل كل العلوم الفكرية والإبداعية، لكن بقي المعنى الأصلي هو الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه فنقول:"الأدب حسن الأحوال في القيام والقعود وحسن الأخلاق"[43]. إذن فالأدب عندما يطلق دون تقييد يعني حسن السلوك بصفة خاصة، وحسن الخلق بصفة عامة وهو ما يؤيده قول الإمام الزبيدي: "الأدب في اللغة حسن الأخلاق وفعل المكارم"[44]. فالأدب بمعنى حسن الأخلاق قولا وفعلا وهو أخذ بمكارم الأخلاق وعليه قال العلماء : الأدب هو :" استعمال ما يحمد قولا وفعلا والأخذ بمكارم الأخلاق"[45] .

وقد شبه الإمام الزبيدي الأدب بالملكة لأنه يعصم عن الخطأ:فقال: "الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه ...والأولى بالتعبير بالملكة لأنه الصفة الراسخة للنفس، فما لم يكن كذلك لا يكون أدبا كما لا يخفى"[46] . فلشدة أثر الأدب في النفس شبهه العلماء بالملكة.

وعليه نخلص إلى أن الأدب هو حسن الأخلاق :قولا وفعلا .

5. **معاني أخرى للأدب:** لقد جاء الأدب بمعنى الدعوة،وبمعنى الاجتماع،وبمعنى الترويض والتعليم، ثم جاء بمعاني أخرى ، نذكر منها:

1-**الكثرة** : يقال جاش أدب البحر وهو كثرة مائه [47].

وأنشد : عن ثبج البحر يجيش أدبه"[48] .

---

[39]-ابن منظور:لسان العرب، 33/1 . و الزبيدي: تاج العروس 144/1 . و ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم 385/9 . بتصرف

[40]- محمد علي بن محمد التهانوي الحنفي: كشاف اصطلاحات الفنون : 77/1، و محمد عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف–معجم لغوي ومصطلح ص44 .

[41]- الزبيدي:تاج العروس 144/1 . و الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية،131/1 .

[42]-الزبيدي:تاج العروس، 144/1.

[43]-التهناوي: كشاف اصطلاحات الفنون، 71/1.

[44]-الزبيدي: تاج العروس، 144/1.

[45]-أبو جيب:، القاموس الفقهي، ص17.

[46]-الزبيدي: تاج العروس 144/1 .

[47]-ابن منظور:لسان العرب 33/1 . و الزمخشري : أساس البلاغة ص3 . و إسماعيل بن عباد : المحيط في اللغة 377/9 . و الزبيدي:تاج العروس،145/1 .

2-وقد جاء أيضا بمعنى **الأمر العجيب**[49]. وهو ما بينه كثير من علماء اللغة، فقالوا: "والأدب بمعنى العجب ، قال منظور بن حبة الأسدي ، وحبة أمة :

بمشج المشي عجول الوثب غلابة للناحيات الغلب حتى أتى أزبيها بالأدب

والأزبي السرعة والنشاط، والشمجي: الناقة السريعة " [50]، ونقول "جاء فلان بأمر أدب أي بأمر عجيب وأنشد:

سمعت من صلاصل الأشكال أدبا على لباتها الحوالى"[51]

وعليه نصل إلى أن لفظ الأدب يطلق ويراد به عدة معاني عند علماء اللغة وأهم المعاني التي يفيدها هي :

1 - **أنه يعني الدعوة** : حيث كان منطلق هذا المعنى من الدعوة إلى الطعام، ثم عمم ليشمل كل دعاء ، ومنه الدعوة إلى مكارم الأخلاق .

2 - **أنه يعني الاجتماع**:حيث أريد به بداية الاجتماع إلى طعام الدعوة؛ والذي أطلق عليه المأدَبة أو المأدُبة، ثم عمم ليشمل اجتماع الخصال الحميدة ومكارم الأخلاق في الفرد أو اجتماع القوم على فضل المستحسنات.

3 - **أنه يعني الترويض والتهذيب** : وقد أخذ من رياضة الفرس ثم استخدمت في رياضة الإنسان على محاسن الأخلاق، ثم أطلق وأريد به كل رياضة محمودة تخرج إلى فضيلة من الفضائل؛ ولكن عند إطلاقه فإنه لا يراد منه إلا الرياضة على حسن الأقوال والأفعال .

4 - ثم تطور وأريد به : اللياقة الأخلاقية :القولية والفعلية .

5 - وقد جاء بمعنى الكثرة والعجب وهما ليسا محل البحث .

---

[48] -ابن منظور: لسان العرب، 33/1 .

[49] -ابن منظور: لسان اللسان، 13/1. و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم،385/9. و ابن فارس: مجمل اللغة ،90/1. و ابن عباد:المحيط في اللغة377/9 . بتصرف

[50] - ابن منظور:لسان العرب 33/1 . و ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم 385/9. و الجوهري:تاج اللغة وصحاح العربية، 131/1-132 . والزبيدي: تاج العروس 144/1 . بتصرف

[51] - نفسها.

المطلب الثاني : تعريف الأدب اصطلاحا

إن تعريف الأدب في اصطلاح العلماء اختلف باختلاف تخصص كل فئة منهم، لكن هذا الاختلاف ليس متباينا، وإنما هو متكامل يصب في المصب الذي أورده علماء اللغة العربية، لكن المعني الذي سأوظفه –بإذن الله تعالى في البحث– هو المعنى الذي أكد عليه علماء الحديث النبوي الشريف، لأن اتجاه البحث يعنى بدراسة الآداب النبوية، والذي يسعى استقراء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يضيرنا أن نتعرض إلى تعريفات بقية العلماء للأدب،وذلك تبعا كل بحسب تخصصه،على أن يكون تعريف المحدّثين آخر التعاريف لإفراده بالدراسة والتفصيل.

1.الأدب في اصطلاح اللغويين : لقد قيد علماء اللغة معنى الأدب في الاصطلاح بما يخص علوم العرب وهي الشعر والنثر فقالوا: الأدب في اصطلاح العرب علم يحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظا أو خطا[52]، ونلاحظ ملاحظات عديدة على هذا التعريف :

أ– العلماء قرروا أن الأدب: هو علم ومن عادة العلم أن يرتكز على قواعد ثابتة ومطردة.

ب– وبواسطة هذه القواعد يحترز به عن الخطأ .

ج– هذه القواعد في مجموعها تعمل في الحماية من الخطأ في كلام العرب : أي في اللغة العربية من ناحية الصرف أو النحو أو الإملاء .وعليه : فإن لفظ الأدب في مصطلح العرب يعني الاحتراز عن الخطأ في علم الأدب .

2.الأدب عند الفقهاء : لقد حذا فقهاء الحنفية حذو اللغويين بأن عرفوا الأدب على أنه "معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ "[53]، لكن أطلقوا التعريف: فلم يجعلوا الأدب علما، وإنما أطلقوه وقالوا: "معرفة " والمعرفة يدخل فيها القواعد والضوابط العلمية كما يدخل العرف الاجتماعي والعلمي دون ارتكاز إلى قاعدة مطردة،كما أطلقوا الخطأ فقالوا "جميع أنواع الخطأ"، فهذا يتيح دخول غير كلام العرب في التعريف فالاحتراز عن الخطأ يشمل العادات كما يشمل العبادات، لكن بهذا التعريف لم يتضح المعنى الاصطلاحي للأدب عند أهل الفقه.

لكن عندما ذكروا الأدب بالإضافة بأن قالوا: أدب الصلاة مثلا؛أكدوا على أنه ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين ولم يواظب عليه:كالزيادة على الثلاث في التسبيحات في الركوع والسجود، وأيضا أضافوا القضاء للأدب بأن قالوا:أدب القاضي: فأكدوا على أنه:

---

[52]– المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، 655/2، دار المعرفة بيروت –لبنان– د(ط.ت). بتصرف

[53]– أبو جيب : القاموس الفقهي ص17 .

التزامه إلى ما ندب إليه الشرع من بسط العدل، ورفع الظلم،وترك الميل [54].وكأن العلماء: نظروا إلى تعريف الأدب ثم كان مجال التطبيق لديهم يختلف بحسب مناسبة الكلام ، فقد أكدوا أنه معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ،وطبقوا هذا الاحتراز في أدب القضاء وهو الاحتراز عن الخطأ فيه وذلك بالتزام حدود الشرع: والذي ركزوا فيه على الظلم، فجعلوا الظلم نوع الخطأ،وجعلوا بسط العدل وترك الميل عن الحق هو المعرفة التي يحترز بها القاضي في أدائه للقضاء. لكن الأئمة الحنابلة قد جعلوا أدب القاضي أعم من الأول، وذلك بإطلاقه على جميع الأخلاق التي ينبغي أن يتخلق بها القاضي [55].

وعليه فإن الأدب عند الأئمة الفقهاء هو كل معرفة يحترز بها عن جميع أنواع الخطأ في مجال معين ، كما أكدوا أن الأدب – من حيث التشريع – هو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يواظب عليه .

3– الأدب عند الأصوليين: لقد نظر أئمة الأصول إلى الأدب: على عادتهم في تحليلهم للألفاظ أنه مصدر تشريعي: حيث أكدوا أنه ما كان يفعله الرسول –صلى الله عليه وسلم– من غير أن يأمر به أمر وجوب أو ندب، ثم ضربوا مثالا على فعله صلى الله عليه وسلم وهو التوجه إلى القبلة عند الوضوء: فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر باتجاه إلى القبلة عند الوضوء لا وجوبا ولا ندبا، لكنه كان يفعل هذا الأمر متى تسنى له ذلك،ثم وضحوا هذا الفعل على أنه غير مطرد في فعله صلى الله عليه وسلم فقالوا:وهو ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة وتركه مرتين فأكثر [56] بمعنى أن العلماء اصطلحوا على الأدب في فعله على الفعل غير المواظب منه، ثم بينوا أنه دون مرتبة المستحب،وقد أطلقوا عليه أيضا اسم: المندوب الزائد[57] وتعريف المندوب الزائد هو: ما يثاب على فعله، ولا يعاقب ولا يعاتب على تركه مطلقا، ويُعد من الكماليات للمكلف، بوصفها أمورا عادية فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم بحسب الجبلة والعادة، كطريقته صلى الله عليه وسلم في الأكل والشرب، وفي المشي وفي النوم وفي غير ذلك، فمن فعل هذه المندوبات محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يثاب على ذلك لأنه دليل على حبه وفرط تعلق المكلف به[58]. فالأدب

---

[54]– أبو جيب : القاموس الفقهي ص17 . بتصرف

[55]–أبو جيب : القاموس الفقهي ص17 . بتصرف

[56]–قطب محمد سانو: معجم المصطلحات أصول الفقه ، ص 48 ، دار الفكر المعاصر بيروت –لبنان– دار الفكر دمشق –سوريا– ط 1، 2000م، إعادة: 1415هـ/2002م. بتصرف

[57]– نفسه. بتصرف

[58]– قطب محمد سانو: معجم المصطلحات أصول الفقه ، ص 451 . بتصرف

إذن عند علماء الأصول: هو عادته صلى الله عليه وسلم في حياته الخاصة :من أكل وشرب ومشي ومعاش، أي ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم مرة ويعدل عنه مرتين أو أكثر إلى غيره من الأفعال، وقد أكدوا أن في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأفعال ، ليس من سبيل أنها ندب أو واجب وإنما هي من سبيل الاقتداء به على أساس أن التخلق بأخلاقه في حله وترحاله من سبيل حبه ويمدح فاعله بنية .

وعليه فإن الأدب عند الأصوليين هي أخلاقه صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله، وفي مأكله ومشربه، والتي لم يواظب على فعلها بشكل مطرد ولا أمر بفعلها سواء أمر وجوب أو أمر ندب .

4-**الأدب عند أهل السلوك:** لقد مثل أهل السلوك الأدب بقول شيخ الزهاد أبو حامد الغزالي:"أن يكون الإنسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله؛كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه فإنه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله، متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب، ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره؛فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكائنة؛ أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس، وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات" [59] فأهل السلوك لم يخرج تعريفهم عن تعاريف السابقين، فقد أكدوا على أنها الأخلاق التي يجب أن يلتزمها الإنسان في حياته كلها، بمعنى آخر:هي كل ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ، لكن تعريفهم كان أعمق بأن تشمل هذه الأخلاق الشرعية السر والعلن فقالوا: "هو مسلك يقوم على التزام حدود الشرع ومراقبة الله كما ينبغي سرا وعلنا" [60] فجعلوا هذا الالتزام مرتكزا إلى مرجعية التشريع الإسلامي كما عدوا مراقبة الله تعالى من ضروريات هذه الأخلاق، وهو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ:" **مَا الْإِحْسَانُ قَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** "[61]، فجعلوا بلوغ درجة

---

[59]-محمد بن محمد الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين- ص:97. وبذيله:المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: زين الدين أبي الفضل العراقي. ضبط وتحقيق:أحمد عناية،وأحمد زهوة. دار الكتاب العربي،بيروت لبنان، ط1، 1425هـ-2005م.

[60] - يوسف الخياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية،ص15.

[61]- صحيح البخاري،كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن الله عنده علم الساعة، رقم الحديث 4777. ص(884-885)، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية.بيروت .لبنان. ط 5. 1428هـ/2007م. وكتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، رقم حديث:50.ص: 25، وصحيح مسلم ،كتاب الإيمان، باب الإيمان و الاسلام و الاحسان ، رقم حديث:1.(8).ص: 27.

الإحسان من الأدب ،وهو ما يتبين من قولهم الأدب صيانة النفس نفسه[62].فصيانة النفس يكون بالتزام حدود الشرع ،وهو ما يتبين من قصة حاتم الأصم الذي قدم رجله اليسرى عند دخول المسجد فتغير وجهه وخرج مذعورا وقدم رجله اليمنى، وبعدما سئل عن السبب: قال لو تركت أدبا من آداب الدين خفت أن يسلبني الله جميع ما أعطاني [63]، فالرجل ذعر من ترك أدب من آداب الشرع متمثلا في قوله تعالى :(**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**) [64] وعليه فإن أهل السلوك جعلوا هو جماع لكل خير [65]، كما جعلوه واقعا تطبيقيا في السلوك حيث قالوا: الأدب مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطابقة الحقائق [66].

إ ن الأدب عند أهل السلوك هو التعامل وفق الشرع جملة وتفصيلا، متخذين رقابة الله تعالى في كل شيء أهم هذه الآداب.

5–الأدب عند المفسرين :

لقد جاء الأدب عند المفسرين بعدة معاني مختلفة لكنها متكاملة،نتعرض فيما يلي لها حسب تفسيرهم لبعض الآيات الكريمات من الذكر الحكيم:

1. **الأدب بمعنى حسن السلوك:** ويتبين هذا المعنى من خلال تفسير قوله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**) [67] قال الإمام الزمخشري في الكشف عن أسرار الآية الكريمة: " إعادة النداء عليهم: استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وتطرية الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفترقوا ويغفلوا عن تأملهم، وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من **الأدب**؛ الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم. وذلك لأنّ في إعظام صاحب الشرع إعظام ما ورد به، ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملاً بما يحدوه عليه. وارتداعاً عما يصده عنه،

---

[62]– التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون :72/1 . بتصرف

[63]–نفسه.

[64]سورة الحج، الآية: 32

[65]– المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف،ص 44. بتصرف

[66]– التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون :72/1 . بتصرف

[67]–سورة الحجرات الآية:2.

وانتهاء إلى كل خير" [68] فالأدب هنا جاء بمعنى ضرورة التحلي بالسلوك الحسن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلهذا نرى الإمام البقاعي يعطي فهما عميقا للآيات الكريمات بقوله:" وملأ سورة محمد بتعظيمه، وختمها باسمه، ومدح أتباعه لأجله، افتتح هذه باشتراط **الأدب** معه في القول والفعل للعد من حزبه والفوز بقربه، ومدار ذلك معالي الأخلاق، وهي إما مع الله سبحانه وتعالى أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم أو مع غيرهما؛ وإن كان كل قسم لا يخلو عن لحظة الآخر، وغيرهما إما أن يكون داخلاً مع المؤمنين في رتبة الطاعة أو خارجاً عنها،وهو الفاسق، والداخل في طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضراً عندهم أو غائباً عنهم، فهذه خمسة أقسام، فصل النداء بسببها خمس مرات،كل مرة لقسم منها، وافتتح بالله لأن **الأدب** معه هو الأصل الجامع للكل"[69]، فالأدب هنا أيضا جاء بمعنى السلوك الحسن مع الخالق ورسله أو مع بقية الخلق.

كما جاء في تفسير قوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا)** [70] قال الإمام القرطبي:"لما بين أن اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الأمر بتحسين **الأدب** في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم،حتى لا يضيقوا عليه المجلس، وأمر المسلمين بالتعاطف والتآلف حتى يفسح بعضهم لبعض، حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر إليه" [71].

فالأدب هنا أيضا جاء الأمر بضرورة الأخذ بأخلاق الجلوس في حلق العلم.

وجاء أيضا في تفسير قوله تعالى:(**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [72] وقال الإمام القرطبي أيضا في تفسير هذه الآية: "أي لو انتظروا خروجك لكان أصلح في دينهم ودنياهم. وكان صلى الله عليه وسلم لا يحتجب عن الناس إلا في أوقات يشتغل

---

[68]- محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، 554/3. ومعه حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين الدين أبي الحسن الحسيني الجرجاني. ومعه كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال .لناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الاسكندري المالكي. وبآخره تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات لمحب الدين أفندي.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. د ط، 1428هـ-1429هـ /2008م.

[69]-برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور،350/18. دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. د ط ت.

[70]-سورة المجادلة،الآية:11.

[71]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 224/17.

[72]سورة الحجرات،الآية:5.

فيهما بمهمات نفسه، فكان إزعاجه في تلك الحالة من سوء **الأدب**"[73] فجعل إزعاج النبي في خلواته وعدم الصبر عليه حتى يخرج بمحض إراداته من سوء السلوك، أي سوء الأدب.

وبذلك نجد أن المفسرين حمَّلوا لفظ الأدب معنى حُسن السلوك.

2. الأدب بمعنى حسن الأقوال: وهو ما أشار إليه المفسرون أيضا عند تفسيرهم لعدة آيات كريمات،نورد بعضها:

فقد جاء في تفسير قوله تعالى:(**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**) [74]،قال الإمام الطبري في تفسير الآية الكريمة: "لين القول،من **الأدب** الحسن الجميل والخلق الكريم،وهو مما ارتضاه الله وأحبه" [75]،فالقول الحسن هو التخير من الكلام أفضله وهو من **الأدب**.

قال تعالى:(**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**) [76]. قال الإمام البقاعي في تفسير الآية الكريمة:" فإن أمره عظيم، ومخالفته استحلالاً كفر، ولا تجعلوا أيضاً دعاءكم إياه كدعاء بعضكم لبعض بمجرد الاسم، بل تأدبوا معه بالتفخيم والتبجيل والتعظيم كما سن الله بنحو: يا أيها النبي، ويا أيها الرسول،مع إظهار **الأدب** في هيئة القول والفعل بخفض الصوت والتواضع"[77]. فالمؤمنون مأمورون **بالتأدب** في مناداتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم،وكذا في كلامهم معه، تبجيلا له كحامل رسالة السماء، لأن في توقيره توقير لله تعالى، **وهذا من الأدب القولي** .

كما جاء في تفسير قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**)[78].

قال تعالى :(**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ**) . الفتى "في كلام العرب الشاب، ولما كان الخدَمة أكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على جهة حسن **الأدب**، وندبت الشريعة إلى ذلك في قول النبي

---

[73]– محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 242/16. حققه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي وخيرى سعيد.المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر، سيدنا الحسين. د ط ت،

[74]سورة البقرة :83.

[75]–محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن. 296/2، حقق وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر. راجعه وخرج أحاديثه:أحمد محمد شاكر. مكتبة ابن تيمية.القاهرة. ط 2، د ت.وينظر أيضا هذا المعنى للأدب: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن عند تفسيره الآية 53 من سورة الإسراء.

[76]سورة النور،الآية:63.

[77]– البقاعي، نظم الدرر ، 325/18.

[78]–سورة الكهف،الآية:60.

صلى الله عليه وسلم :" **وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي** "[79] فهذا ندب إلى التواضع"[80]، فلفظ الفتى جيء به **كأدب قولي** مع الخدم[81].

3. الأدب بمعنى حسن الظن:

وهو المعنى الذي جاء في تفسير قوله تعالى: **(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ)** [82] فقد فسرها الإمام الزمخشري بقوله:" ولم عدل عن الخطاب إلى الغيبة، وعن الضمير إلى الظاهر؟ قلت: ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان، دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدّق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن. وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه، أن يبني الأمر فيها على الظنّ لا على الشك . وأن يقول بملء فيه بناء على ظنّه بالمؤمن الخير :(**هذا إِفْكٌ مُّبِينٌ)** هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال. وهذا من **الأدب** الحسن الذي قل القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بأخوات"[83]،فالظن الحسن بالمؤمنين من الأدب الذي يجب أن يتمتع به كل مؤمن.

4. الأدب بمعنى الضرب حدا أو تعزيرا:

فالأدب بمعنى الضرب حدا هو ما يتبين من تفسير قوله تعالى:**(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)**[84].

لقد نص الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة "على ما يجب على الزانيين إذا شُهد بذلك عليهما على ما يأتي وأجمع العلماء على القول به،...وقال عطاء وسفيان الثوري: **يؤدبان**. وبه قال مالك وأحمد على قدر مذاهبهم في **الأدب**. قال ابن المنذر: والأكثر ممن رأيناه يرى على من وجد

---

[79]-صحيح البخاري،كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي وأمتي،رقم الحديث: 2414أو 2552.وصحيح مسلم،كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد، رقم حديث:13.(2249).ص: 819.

[80]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 11/11.

[81]- وينظر نفس المعنى في الآيات: 66 و94 من سورة الكهف عند: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.

[82]-سورة النور،الآية:12.

[83]- الزمخشري ، الكشاف، 53/3.

[84]سورة النور،الآية:2.

على هذه الحال الأدب"[85]. بمعنى الضرب حدا وهو من سبيل إعادة تعديل سلوك الإنسان الذي انحرف لدرجة القيام بالمعصية، ففرض إقامة الحد **تأديبا** أي إعادة الأدب إلى صاحبها بالقوة.

والأدب بمعنى الضرب تعزيرا : وهو الذي يتبين من قوله تعالى :(**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)**[86].

"الحكم فيه **الأدب** البليغ،كما فعله عمر بصبيغ. وقال أبو بكر الأنباري : وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشكلات في القرآن، لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالنكير وأعظم التعزير، وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب، إذ أوجد للمنافقين الملحدين في ذلك الوقت سبيلا إلى أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن عن مناهج التنزيل وحقائق التأويل"[87]، فالتعزير هنا جاء من أجل غلق باب الفتنة في القرآن على المؤمنين بشتى أنواعها، وكان تأديبا لفاعليها، حتى يتأدبوا بآداب الشرع في التعامل مع كتاب ربهم، وبذلك سمي التعزير أدبا لأنه يؤدي إلى تحصيله في نفس الشخص، ومن ثم في مجموع الأمة.

5. **الأدب بمعنى التعظيم والإجلال لله تعالى:** ويكون ذلك بإضافة الأدب حيث نقول الأدب مع الله تعالى،وهو ما تعرض له المفسرون كثيرا عند تفسيرهم للقرآن الكريم، ويتجلى **الأدب** مع الله تعالى في عدة مظاهر، منها فيما يلي:

- **الأدب بمعنى الذل والخضوع لله تعالى:**

قال الإمام البقاعي: "ولما كان الدين إنما هو **الأدب** مع الخالق والخلق ذكر المعاهد عليه من ذلك مرتباً له على الأحق فالأحق" [88]. وأضاف يقول:"كان **الأدب** وذل النفس لا يأتي إلا بخير,لأنه اللائق بالعبيد، قاد كثيراً منهم إلى السعادة الأبدية، فلذلك قال:(**وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ**)[89] أي ألقاهم ملقى الخوف من الله والشوق إلى الخضوع بين يديه، والذل لديه حين عرفوا أن ما فعله موسى عليه السلام أمر سماوي، صدق الله تعالى به موسى عليه السلام في أنه رسوله، ولم يتأخروا بعد

---

[85]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 134/12.

[86]سور آل عمران، الآية:7.

[87]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 14/4.

[88]-البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، 2/2.

[89]-سورة الأعراف،الآية:20.

ذلك أصلاً حتى كأنهم خروا من غير اختيار (**سَاجِدِينَ**)[90] شكراً لله تعالى وانسلاخاً عن الكفر ودليلاً على أقصى غايات الخضوع"[91] لله تعالى، وهو غاية الأدب معه.

- **الأدب بمعنى توحيد الله تعالى حق التوحيد:** وهو المعنى الذي استخلصه المفسرون من قوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**)[92] وقد أورده الإمام البقاعي بقوله: "وعلم من إفراده تعالى وجمع النبي صلى الله عليه وسلم مع أعلام أمته أن **الأدب** توحيد الله حتى في مجرد ذكره, وأكد البيان لدعوى الطاعة بقوله:{إن كنتم تؤمنون} أي دائمين على الإيمان بتجديده في كل أوان {بالله} أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له {واليوم الآخر} الحامل على الطاعة الحاجز عن المعصية "[93].

فالأدب هنا بمعنى توحيد الله تعالى حق التوحيد.

- **الأدب بمعنى الطاعة المطلقة والتسليم لله تعالى:**

وهو ما استشفه المفسرون من قوله تعالى :(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)[94] قال الإمام الرازي في تفسير الآية الكريمة:"**فالأدب** في الطاعة هو اتباع الأمر لا تتبع المراد فاللَّه تعالى إذ قال: أنفقوا مما رزقكم الله لا يجوز أن يقال: لِمَ لَمْ يطعمهم (الله) مما في خزائنه ؟"[95] **فالطاعة والتسليم المطلق لله تعالى عند أمره ونهيه هو أدب معه جل شأنه.**

- **الأدب مع الله تعالى في تخير ألفاظ المخاطبة له:** وقد بينه المفسرون في عدة مواضع من القرآن،مثل قوله تعالى على لسان موسى عليه الصلاة والسلام: (**أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**)[96].

---

[90]-سورة الأعراف،الآية:20.

[91]- البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، 29/8.

[92]سورة النساء،الآية:(59)

[93]- البقاعي، نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، 5 / 311.

[94]سورة: يس،الآية:47

[95]- فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي،المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب 86/26. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط1، 1401هـ-1981م.

[96]- سورة:طه،الآية: 45

فمعنى (**أَوْ أَن يَطْغَى**) أورده الإمام الزمخشري فقال:" أو يجاوز الحدّ في معاقبتنا إن لم يعاجل، بناء على ما عرفا وجرّبا من شرارته وعتوّه أَوْ أَنْ يَطْغى بالتخطي إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي، لجرأته عليك وقسوة قلبه. وفي المجيء به هكذا على الإطلاق وعلى سبيل الرمز: باب من حسن الأدب وتحاش عن التفوّه بالعظيمة" [97]، وهذا ما يتجلى أيضا في قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام:(**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**) [98]**،قال الامام ابن عاشور في** معناها"أنْ (مفسّرة) أمرتني (لأنّ الأمر فيه معنى القول دون حروفه وجملة (اعبدوا الله ربّي وربّكم) تفسيرية لِـ (أمرتني). واختير (أمرتني)،على (قلت لي) مبالغة في **الأدب"[99] مع الله تعالى في تخير اللفظ الذي يليق بالعبيد نحو معبودهم.**

وقد بين بعض المفسرون فائدة حفظ الأدب مع الله تعالى حيث قال الإمام البقاعي: "أن الأدب مع المحسن آكد،والخوف منه أحق وأوجب لئلا يقطع إحسانه ويبدل امتنانه) فاتقوا الله أي الذي له الأمر كله (وأطيعون) أي في قبولها فإن التقوى مستلزمة لطاعة الرسول" [100] .**إذن الأدب مع المعبود يساعد على حفظ النعم من الزوال ويزيد منها.**

ونخلص مما سبق إلى أن الأدب يكون مع الله تعالى ظاهرا وباطنا، في الحل وفي الترحال، فيبقى المؤمن دائما وأبدا دائم الأدب معه، وهو من إجلاله وتعظيمه بالقول والفعل،وهو ما يكسب المؤمن الانكسار والعبودية له وحده.

إن علماء التفسير جاءوا بمعاني كثيرة للأدب، لكنها تصب في نفس المقصد وهو: التحلي بالأخلاق الحسنة قولا وفعلا، ظاهرا وباطنا، ويكون ذلك مع الخالق ومع الخلق، وهو نفس المعنى المراد بالدراسة في هذا البحث.

تعريف الأدب في اصطلاح المتأخرين: لقد عرف المتأخرون **الأدب** بالإضافة فقالوا: علوم الأدب وعنوا به المعنى المجازي الذي يتعلق بالعلوم عامة، وعلوم العرب خاصة وأكدوا بأن الأدب معناه المجازي؛ يدل على جملة من المعارف التي تسمو بالذهن، والتي تبدو أكثر صلاحية في تحسين

---

[97]- الزمخشري ، الكشاف ، 538/2.

[98] -سورة المائدة،الآية:117.

[99] -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،116/7. دار سحنون للنشر والتوزيع .تونس .الطباعة :دار مصر للطباعة 1997م د . ط .

[100]- البقاعي، نظم الدرر ،409/3.

العلاقات الاجتماعية وخاصة اللغة والشعر وما يتصل بهما، وأخبار الجاهلية [101] فقد خصصوه بالكتابة في مختلف شؤون الحياة فقالوا بأنه الكلام الذي يعبر عن العقل والعاطفة [102]، وقد وسعوا في تعريفهم بأن أطلقوه على المؤلفات الباقية التي تركها مؤلفوها بعدهم فقالوا :"هو مجموعة الآثار المكتوبة التي يتجلى فيها العقل الإنساني بالإنشاء أو الفن الكتابي " [103] ويعنون بذلك علوم التاريخ والجغرافيا وعلوم الإنسان والفلسفة[104].

وعليه فإن المتأخرين عرفوا الأدب بالإضافة وخصوه بالعلوم الأدبية أي الإنتاج العقلي عامة، مدونا في كتب وحصروه في الكلام الجيد الذي يجدي لمتلقيه لذة فنية[105]، ولقد أضافوا إليه كل إنتاج إنساني تكون فيه الدقة الفنية مثل المهارة الصناعية [106]، فالأدب إذن عند المتأخرين يعرف بالإضافة مثل أدب البحث والمناظرة فقالوا: أنها مجموع القواعد التي تبين وتنظم الإنسان لإجراء المناظرة، ومعرفة شرائطها [107] كما أضافوها إلى السلوك فقالوا: أدب السلوك، وبينوا بأنها خطوط إرشادية لعلاقات الناس فيما بينهم [108]، وهو أيضا العرف المقرر المرضي الذي يسلكه الناس في حياتهم الخاصة والعامة [109] فيكون بمثابة الضابط للميول إما بسلطة خارجية أو من قبل الفرد ذاته [110]، وعليه فتعريف الأدب عندهم كان على مستويين المستوى الطبيعي والمستوى الكسبي[111]:

فالطبيعي أكدوا بأنه ما فطر عليه الإنسان من أخلاق حسنة وصفات محمودة كالكرم والحلم.

---

[101]– أحمد شنتناوي، أحمد زكي خورشيد، عبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية 1/ 532 ، يراجعها من قبل وزارة المعارف: محمد مهدي علام، د.ط، 1933م.بتصرف

[102]– حسن حسن منصور ، الموسوعة القضائية في مسائل الأحوال الشخصية ص 102 . دار الجامعة الجديدة للنشر 38 ش سوتير الأزاريطة. الإسكندرية .مصر .د ط ت. بتصرف

[103]– نخبة من الخبراء:سلسلة المعارف الشاملة، ص8 .

[104]– مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص9 . و مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، ص9 . بتصرف

[105]– دار الجبل: الموسوعة العربية الميسرة 98/2 . دار الجيل (المحدثة) ط2، 2001م. بتصرف

[106]– أحمد شنتناوي،أحمد زكي خورشيد، عبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية دائرة المعارف الإسلامية:1/ 532 . بتصرف

[107]– مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص 9. و مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص 9+ سعيد أبو جيب: القاموس الفقهي ص 17 . بتصرف

[108]–الموسوعة العربية العالمية 364/1، الناشرون مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع،ط1416،1هـ/1996م–ط2، 1419هـ/1999م. بتصرف

[109]– مجموعة من العلماء: المعجم الوسيط ص9 . و مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ص9. بتصرف.

[110]–يوسف الخياط : معجم المصطلحات العلمية والفنية. ص 15 . بتصرف

[111]– أحمد الهاشمي : جواهر الأدب ص17 . بتصرف

والكسبي ما اكتسبه بالدرس والحفظ والنظر وأشاروا إلى أنه عام صناعي تعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله وموضوعه الكلام المنظوم والمنثور من حيث بلاغته وفصاحته

هذا،وأحسب أنه اصطلح على الآداب الأخلاقية بأنها طبيعية وهي في حقيقتها كسبية، وهذا راجع إلى كون الأدب الأخلاقي يهتم بتهذيب الإنسان من الناحية النفسية والأخلاقية، وكأنهم أرجعوا ذلك إلى أصل الفطرة بأنها مجبولة على طبيعة سليمة وهو ما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم:" **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ**"[112]، فكأن المؤدب يرجع الإنسان إلى حالته الطبيعية التي فطر عليها، بعد أن فسدت إثر احتكاكه بالمحيط الاجتماعي الذي عادة ما يترك بصماته على شخصية الفرد، خاصة الأسرة التي تعنى بالطفل منذ ولادته .

وأحسب أن الإمام التهانوي قد وفق إلى حد بعيد في توضيح أبعاد الأدب وقام بإجراء مقارنة بينه وبين العلم؛ فقال: "والفرق بينه وبين التعليم أن التأديب يتعلق بالمرادات والتعليم الشرعيات، أي الأول عرفي والثاني شرعي والأول دنيوي والثاني ديني ، كما في الكرماني شرح صحيح البخاري في باب تعليم الرجل وفي التلويح في بحث الأمر: التأديب قريب من الندب، إلا أن الندب لثواب الآخرة، والتأديب لتهذيب الأخلاق وإصلاح العادات"[113] .

الأدب في اصطلاح المحدثين: لقد كان لعلماء الحديث السبق في استخدام لفظ الأدب،وقد تجلى ذلك من خلال مصنفاتهم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ترجموا لبعض كتب المصنفات، وفي مقدمتهم الإمام البخاري الذي ترجم أحد أبوابه بقوله :كتاب الأدب، ولم يكتف بذلك حيث خصه بمؤلف مستقل نظرا لأهميته؛ سماه الأدب المفرد وأورد فيه مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن الأدب.

هذا،وقد حذا حذوه بقية المحدثين: مثل الإمام مسلم الذي رتب في صحيحه أحاديث تتحدث عن الآداب النبوية، تُرجم لها من بعده بقولهم:كتاب الآداب،وفي موضع آخر:كتاب الألفاظ من الأدب،وكذا في موضع آخر: كتاب البر والصلة والآدب،وقد خص هذه المواضع كلها بأحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم تتحدث عن الآداب النبوية وقيمتها الاجتماعية والشرعية.

---

[112]- صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث 1385. ص:256. وصحيح مسلم - كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار ، رقم حديث:22.(2658).ص: 946.

[113]- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون :ص 1/ 71 .

وكذا الإمام الترمذي الذي ترجم لأحد كتب مصنفه في الحديث بقوله: كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم. ونفس الأمر مع الإمام ابن ماجه في سننه حيث ترجم بقوله: كتاب الأدب، والإمام أبي داود ترجم بقوله:كتاب الأدب .

ولمعرفة معنى لفظ الأدب عند المحدثين استلزم إيراد الأحاديث التي ورد فيها اللفظ، ثم الإطلاع على شرحها عند شراح الحديث،وفي ما يلي تفصيل ذلك:

1. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا حَتَّى حَجَّ وَحَجَجْتُ مَعَهُ وَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ فَتَبَرَّزَ ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا قَالَ وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ هُمَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الْحَدِيثَ يَسُوقُهُ قَالَ كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُمْ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِمَا حَدَثَ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْوَحْيِ أَوْ غَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ **أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ** فَصَخِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي قَالَتْ وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُرَاجِعْنَهُ وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ فَأَفْزَعَنِي ذَلِكَ وَقُلْتُ لَهَا قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكِ مِنْهُنَّ"[114]

فقوله (من أدب نساء الأنصار) أي من سيرتهن وطريقتهن المتبعة في التعامل مع أزواجهن[115] .

2. عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال: "جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا **مَأْدُبَةً** وَبَعَثَ دَاعِيًا فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنْ

---

[114]– صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، رقم الحديث 5191. ص(976-977). و كتاب المظالم والغصب، باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها ، رقم حديث:2468.ص: 446،و صحيح مسلم،كتاب الطلاق، باب في الإيلاء ، رقم حديث:34.(1479). ص: 521.

[115]– أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري. 253/9. تحقيق : عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي . مكتبة مصر .سعيد جودت السحار وشركائه ط1: 1421هـ - 2001م. بتصرف

الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلْ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ **الْمَأْدُبَةِ** فَقَالُوا أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ"[116].

فقوله: (مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة) ...والمأدبة بسكون الهمزة وضم الدال بعدها موحدة وحكى الفتح، وقال ابن التين: عن أبي عبد الملك الضم والفتح لغتان فصيحتان، وقال أبو موسى الحامض من قاله بالضم أراد الوليمة، ومن قاله بالفتح أراد أدب الله الذي أدب به عباده. قلت: فعلى هذا يتعين الضم... لأنه رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة [117]، إذن المأدبة هنا إما بضم وهو من الوليمة التي اشتق لفظها من الأدب وهو الدعوة، وإما بالفتح وهو التأديب أي التعليم، والتهذيب.

3. عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ عَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ فَذَاكَ يُؤْتَى أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ وَضِيئَةٌ **فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا** ثُمَّ أَعْتَقَهَا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ فَذَلِكَ يُؤْتَى أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ وَرَجُلٌ آمَنَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَاءَ الْكِتَابُ الْآخَرُ فَآمَنَ بِهِ فَذَلِكَ يُؤْتَى أَجْرَهُ مَرَّتَيْنِ"[118]. فصاحب تحفة الأحوذي قد جمع شتات معنى لفظ الأدب من خلال شرحه لهذا الحديث: فقال: "(فأدبها) أي علمها الخصال الحميدة : مما يتعلق بأدب الخدمة ; إذ الأدب هو:حسن الأحوال من القيام والتعود, وحسن الأخلاق . (فأحسن أدبها) وفي رواية الشيخين: "فأحسن تأديبها " و "إحسان تأديبها" هو : الاستعمال علمها الرفق واللطف"[119]، فالإمام قد شرح لفظ الأدب الوارد في الحديث على أنه:

- حسن الأحوال من القيام والتعود: بمعنى اللياقة السلوكية.

---

[116]- صحيح البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 7281. ص:1318.

[117]-ابن حجر: فتح الباري. 364/13. بتصرف

[118]- صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، رقم الحديث: 241.(154).ص: 70.

[119]-أبو العلى محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، 1/(1154-1155).قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه: رائد بن صبري بن أبي علفة. بيت الأفكار الدولية. العربية السعودية.الأردن. د ط ت.

- وحسن الأخلاق: وأحسبها الصفات النفسية التي تكون مطابقة لأمور الشرع من: عفة وكرم وحلم وصدق...
- علمها الرفق واللطف: وأحسبها الصفات الفعلية التي تصحب صاحبها عادة عندما يكون مزودا بقيم حضارية.

4. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلَاعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنْ الْحَقِّ**"[120].

والأدب هنا جاء بمعنى الترويض والتعليم: أي تعليمه إياه بالركض والجولان على نية الغزو[121].

5. كما ترجم الإمام البخاري لأحد أبواب كتاب الحدود بقوله: "بَاب مَنْ **أَدَّبَ** أَهْلَهُ أَوْ غَيْرَهُ دُونَ السُّلْطَانِ وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ وَفَعَلَهُ أَبُو سَعِيدٍ[122].

وقد شرح الإمام ابن حجر الترجمة بقوله: "أي دون إذنه له في ذلك. هذه الترجمة معقودة لبيان الخلاف هل يحتاج من وجب عليه الحد من الأرقاء إلى أن يستأذن سيده الإمام في إقامة الحد عليه، أو له أن يقيم ذلك بغير مشورة ؟"[123]، إذن شرح الإمام ابن حجر الأدب في هذه الترجمة على أنه: إقامة الحد.

6. كما ترجم الإمام البخاري لأحد أبوابه أيضا بقوله: "بَاب كَمْ التَّعْزِيرُ و **الْأَدَبُ**"[124]، وقد شرحه الإمام ابن حجر أيضا بقوله:"التعزير مصدر عزره وهو مأخوذ من العزر وهو الرد والمنع،واستعمل في الدفع عن الشخص كدفع أعدائه عنه ومنعهم من إضراره،ومنه (وآمنتم برسلي وعزرتموهم) وكدفعه عن إتيان القبيح، ومنه عزره القاضي

---

[120]- جامع، الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله، رقم الحديث 1637. ص:285. قَالَ أَبُو عِيسَى وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قال الألباني: وهو مرسل، رجاله ثقات. أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. رقم الحديث:315. 625/1. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م.

[121]- المباركفوري،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، 1464/2. وأبو عبد الرحمن شرف الحق الشهير بم حمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، عون المعبود على سنن أبي داود، ص:1063. قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه: رائد بن صبري بن أبي علفة. بيت الأفكار الدولية. العربية السعودية.الأردن. د ط ت. بتصرف

[122]- صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب من أدب غيره – ترجمة باب–ص:1242.

[123]-ابن حجر: فتح الباري: 242/12.

[124]- صحيح البخاري، كتاب كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، ، باب كم التعزير والأدب –ترجمة الباب–ص:1242.

أي أدبه لئلا يعود إلى القبيح. ويكون بالقول وبالفعل بحسب ما يليق به، والمراد بالأدب في الترجمة التأديب وعطفه على التعزير لأن التعزير يكون بسبب المعصية والتأديب أعم منه،ومنه تأديب الولد وتأديب المعلم"[125]، بمعنى التوجيه.

7. وأيضا أورد ترجمة بقوله: بَاب مَنْ رَأَى إِذَا اشْتَرَى طَعَامًا جِزَافًا أَنْ لَا يَبِيعَهُ حَتَّى يُؤْوِيَهُ إِلَى رَحْلِهِ وَ **الْأَدَبِ** فِي ذَلِكَ[126]، ففي الحديث مشروعية تأديب من يتعاطى العقود الفاسدة، وإقامة الإمام على الناس من يراعى أحوالهم في ذلك [127]، فالتأديب هنا هو الردع والزجر عن فعل المنكر.

8. كما أورد ترجمة أخرى بقوله: "بَاب إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا صَغَوْتُ وَأَصْغَيْتُ مِلْتُ لِتَصْغَى لِتَمِيلَ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَوْنٌ تَظَاهَرُونَ تَعَاوَنُونَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ أَوْصُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ **وَأَدِّبُوهُمْ**"[128]، فمعنى أوصوا أهليكم بتقوى الله أي مروهم بطاعة الله، ومعنى: أدبوهم أي انهوهم عن معصيته[129].

9. وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَأَنْ **يُؤَدِّبَ** الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ"[130]، فمعنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع) أي والله تأديب الرجل ولده تأديبا واحدا خير له من تصدقه بصاع، وإنما قلنا تأديبا واحدا ليلائم قوله خير من أن يتصدق بصاع، وإنما يكون خيرا له لأن الأول واقع في محله لا محالة، بخلاف الثاني، فإنه تحت الاحتمال، أو لأن الأول إفادة علمية حالية والثاني عملية مالية، أو لأن أثر الثاني سريع الفناء ونتيجة الأول طويلة البقاء،أو لأن الرجل بترك الأول قد يعاقب وبترك الثاني لم يعاتب، ذكره القاري. وقال المناوي: لأنه إذا أدبه صارت أفعاله من صدقاته

---

[125]-ابن حجر: فتح الباري. 246/12.

[126]- صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب من رأى ..-ترجمة الباب-ص:384.

[127]- ابن حجر، فتح الباري، 500/4. بتصرف

[128]- صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إن تتوبا إلى الله –ترجمة باب-ص:921.

[129]- ابن حجر، فتح الباري:722/8. بتصرف

[130]- جامع الترمذي،كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب ما جاء في أدب الولد، رقم الحديث1951.ص:(327-328). قال الألباني: ضعيف جدا. الألباني،سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. رقم الحديث: 1887 .362/4.

الجارية،وصدقة الصاع ينقطع ثوابها[131]، إذن الأدب هو السلوكات التي يكسبها الأب لابنه عن طريق تربيته.

10. عن أَيُّوبُ بْنُ مُوسَى عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ **أَدَبٍ** حَسَنٍ"[132]، والأدب جاء هنا بمعنى[133]:

- تعليمه حسن الأخلاق
- و توبيخه وتهديده وضربه على فعل الحسن وتجنب القبيح, فإن حسن الأدب يرفع العبد المملوك إلى رتبة الملوك .

11.كما ترجم الإمام الترمذي لأحد كتبه بقوله: كِتَاب الِاسْتِئْذَانِ **وَالْآدَابِ** عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [134] وقال الإمام ابن حجر: "والأدب استعمال ما يحمد قولا وفعلا وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذ بمكارم الأخلاق، وقيل الوقوف مع المستحسنات. وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك، وقيل إنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام سمي بذلك لأنه يدعي إليه"[135].

12.عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ:"أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُرِحَ فَآذَتْهُ الْجِرَاحَةُ فَدَبَّ إِلَى مَشَاقِصَ فَذَبَحَ بِهَا نَفْسَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ **أَدَبًا**"[136]، أي ردعا وزجرا لمن يفعل بنفسه ذلك[137].

13.وكما ترجم الإمام ابن ماجه لأحد أبواب: بقوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَاب **الْأَدَبِ**[138]، وقال الإمام السندي في شرح لفظ الأدب: "قيل الأدب حسن التناول وقيل مراعاة حد كل شيء"[139].

---

[131]– المباركفوري،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. 1638/2. بتصرف

[132]– جامع الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في أدب الولد، رقم 1952. ص:328. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَامِرِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ الْخَزَّازِ وَهُوَ عَامِرُ بْنُ صَالِحِ بْنِ رُسْتُمَ الْخَزَّازُ وَأَيُّوبُ بْنُ مُوسَى هُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي وَهَذَا عِنْدِي حَدِيثٌ مُرْسَلٌ.. قال الألباني: ضعيف .الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. رقم الحديث: 1121 .249/3.

[133]– المباركفوري،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.1639/2. بتصرف

[134]– جامع الترمذي –ترجمة كتاب–ص 442.

[135]–ابن حجر: فتح الباري.565/10.

[136] – أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، السنن ،كتاب ما جاء في الجنائز، باب في الصلاة على أهل القبلة، رقم الحديث 1526. ص:167. بيت الأفكار الدولية. بيروت. لبنان. د ط، 2004م.

[137] – أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي، شرح سنن بن ماجه للبوصيري ،232/2. حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه : خليل مامون شيحا .دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .لبنان . ط1 1416هـ - 1996م .

[138] –ابن ماجه –ترجمة كتاب–ص:393.

14.أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"قَالَ أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا **أَدَبَهُمْ**"[140]، لأن إكرامهم يزيدهم حبا للأباء، وأما الإكرام قد يفضي إلى سوء الأدب أشار بقوله وأحسنوا أدبهم، إلى أنه لا ينبغي أن يكون الإكرام إلى هذا الحد [141]، أي بمعنى أحسنوا توجيههم إلى المحامد وزجرهم عن المقابح .

وعليه نصل إلى أن الأدب قد شرحه علماء الحديث بعدة معان منها:

- استعمال ما يحمد قولا وفعلا .
- الأخذ بمكارم الأخلاق .
- الوقوف مع المستحسنات .
- هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك .
- إنه مأخوذ من المأدبة وهي الدعوة إلى الطعام،سمي بذلك لأنه يدعى إليه.
- كما أريد به إقامة الحدود
- الردع والزجر
- الأمر بالمحامد والنهي عن المقابح.
- النهي عن المعصية
- السيرة والطريقة
- التعليم والتهذيب

لقد أورد علماء الحديث معان كثيرة للأدب لكنها تدور كلها حول حسن الأخلاق: قولا وفعلا، ومنه يمكن القول بأن الأدب عندهم هو: التوجيه لأقوال الفرد وأفعاله وفق الشريعة الإسلامية وهو المقصود من هذا البحث.

وعليه نصل في هذا المبحث إلى أن الأدب أطلق وأريد به القواعد والضوابط التي تعمل في مجموعها على الحماية من الخطأ في العادات والعبادات .

---

[139] – السندي ،شرح سنن ابن ماجه:4/183.

[140] –سنن ابن ماجه ،كتاب الأدب، باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات ، رقم الحديث 3671. ص:394. قال الألباني:ضعيف جدا. الألباني:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. رقم الحديث:1649 .4/150.

[141] – السندي ،شرح سنن ابن ماجه:4/(189-190). بتصرف

المبحث الثاني : تعريف الأثر لغة واصطلاحا

بعد أن تتبعنا تعريف الأدب عند العلماء بمختلف تخصصاتهم وخرجنا بمفهوم عام حول الأدب المقصود من هذا البحث، فلنا أن نتعرض في هذا المبحث إلى تعريف الأثر من الناحية اللغوية والاصطلاحية، حتى نستطيع الولوج إلى البحث بوضوح مفرداته ويتسنى لنا الاستفادة من وفصوله.

المطلب الأول : تعريف الأثر لغة

لقد اختلف مفهوم الأثر عند علماء اللغة العربية وجاء بعدة معاني مختلفة ومتكاملة، وقد حاولت تصنيفها كما يلي :

1-الأثر بمعنى العلامة تبقى بعد العين : الأثر جمع آثار وأثور[142] مقابل للعين[143] وهو ما بقي من رسم الشيء[144] ومنه قيل لا تطلب أثرا بعد عين ، وهو مثل يضرب لمن يطلب أثر الشيء بعد فوت عينه[145] إذن الأثر هو البقية التي ترى من كل شيء [146] والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثرا [147]، ومنه قيل لما يبقى من علامات الديار آثار [148] ومنه قيل للأعلام الباقية من السابقين آثار[149]، فالأثر هو العلامة تبقى بعد الشيء[150] وهو ما بينه قوله تعالى :(**أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ**)[151] فأثارة يمكن أن تكون بمعنى علامة كما يجوز أن تحمل معنى بقية من علم [152]،

---

[142]– ابن منظور:لسان العرب 5/4. وابن فارس: مجمل اللغة 86/1 .وندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1، دار الحضارة العربية –بيروت–ط 1، 1974م.و موسى بن محمد بن المليباني الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف ص7، دار العلم للملايين بيروت –لبنان– ط3، مارس 1986م .والمعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب 495/2. بتصرف

[143]–الزبيدي:تاج العروس 3/ 6 . بتصرف

[144]– ابن منظور:لسان العرب 5/4.وابن فارس: مجمل اللغة 86/1.و ندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .وموسى بن محمد بن المليباني الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف ص7.و المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب 495/2. بتصرف

[145] – إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط ص 5، دار الدعوة استنبول –تركية– د(ط.ت).

[146]– إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة 10 / 166 . بتصرف

[147] – ابن منظور:لسان العرب 5/4.و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1.و ندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .و موسى بن محمد بن المليباني الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف ص7.و المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب 495/2. بتصرف

[148]– هادي حسن حمودى : المعجم الأصمعي ص 19 ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان– ط 1، 1418هـ/1998م. بتصرف

[149]– ابن منظور:لسان العرب 5/4.و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1.و ندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .و موسى بن محمد بن المليباني الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف ص7 .و المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب 495/2. بتصرف

[150]– يوسف الخياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية،7 /12 . بتصرف

[151]–سورة الأحقاف،الآية:4.

[152]– الزبيدي:تاج العروس 5/3 .وابن منظور:لسان العرب 7/4.و ندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .و ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم 174/10 .و ابن منظور: لسان اللسان 13/1. بتصرف

وقد أطلق على ضربة السيف، الجرح بعد البرء: أثر [153] وقد قيل للدابة عظيمة الأثر بخفها وحافرها، وكانت بينة الأثارة بالأثيرة [154] اشتقاق من الأثر الذي تتركه بعدها، كما سمي بالأثر : سمة في باطن خف البعير ليعرف به أثره في الأرض، وقيل الأُثْرَة ، والثُؤْثور، والثَّأْثور ، كلها علامات تجعلها العرب في باطن خف البعير ، ومنه قيل رأيت : أَثْرَتَهُ، وثُؤْثورَه ، لموضع أثر القدم في الأرض [155] .

قال حسان :

أداعيك يا مستصحبات على السُّرى حسان وما آثارها بحسان[156]

ومنه قيل: أثر بوجهه وبجبينه السجود[157].

وعليه فإن من معاني الأثر هي العلامة تبقى بعد زوال العين .

2-الأثر بمعنى الرواية والخبر : وقد أطلق لفظ الأثر وأريد به الرواية والذكر، وقد جاء من: أثر الحديث عن القوم يأْثُرُه، ويأْثره أثرًا وأثارة،بمعنى أنبأهم بما سبقوا فيه من الأثر، وقيل حدَّث به عنهم في آثارهم[158]، بمعنى نقل الحديث عن القوم ورواه في أثرهم أي بعدهم [159] وهو من سبيل أثرت الحديث: فهو مأثور وأنا آثر ومنه جاءت المأْثُرَة مَفْعُلَة من هذا يعني المكرمة، وإنما أُخذت من الأثر كونها يأثرها قرن عن قرن أي يتحدثون بها [160] ومنه يفسر قوله تعالى: **(أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ)[161]** أنها بقية منه تُؤْثَر أي تروى وتذكر[162] ،وحديث أبي سفيان يوضح هذا المعنى أكثر حيث

---

[153]- الزبيدي:تاج العروس 3/4-5 .و ندىم مزعشلي،أسامة مزعشلي:الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .و ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم 176/10 .و ابن منظور: لسان اللسان 14/1.وهادي حسن حمودى: المعجم الأصمعي ص 19.و ابن عباد: المحيط في اللغة 166/10.و الزمخشري:أساس البلاغة، ص 3 .و ابن فارس : مجمل اللغه 86/1. بتصرف

[154]-ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم 173/10 .و ابن منظور: لسان اللسان 13/1.و ابن عباد: المحيط في اللغة 166/10.و الزمخشري:أساس البلاغة ص3 .و ابن فارس : مجمل اللغه 86/1 .و ابن منظور:لسان العرب 4/5-6. بتصرف

[155]- ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم 173/10 .و ابن منظور: لسان اللسان 13/1.و ندىم مزعشلي،أسامة مزعشلي:الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .و ابن منظور:لسان العرب 6/4. بتصرف

[156] - الزمخشري: أساس البلاغة ص03 . بتصرف

[157]- الزبيدي :تاج العروس 3 /6 .و مجمل اللغة ابن فارس 1/ 86 . بتصرف

[158]- ابن سيده :المحكم والمحيط الأعظم 174/10.و الزبيدي :تاج العروس5/3.و ابن منظور:لسان العرب6/4.و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5. بتصرف

[159]- تاج العروس 3 / 4 .و ابن منظور:لسان العرب 6/4.و ابن منظور: لسان اللسان 13/1.و محمد عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف–معجم لغوي ومصطلح- ص33.و إسماعيل بن عباد : المحيط في اللغة 166/10. بتصرف

[160]- ابن منظور:لسان العرب 4/6-7. بتصرف

[161]-سورة الأحقاف،الآية:4.

[162]- ابن منظور:لسان العرب 4/6-7. بتصرف

قال رضي الله عنه: " **وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيَّ الْكَذِبُ لَكَذَبْتُ**" [163] بمعنى يروون ويحكون[164]، وهو ما تأكد في قول عمر ابن الخطاب –حين نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف بأبائه –:"**فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاكِرًا وَلاَ آثِرًا**"[165] فقد شرح قول: " **ذاكرا**" أنه ليس من الذكر بعد النسيان، إنما أراد متكلما به كقولك ذكرت لفلان حديث كذا وكذا، وأما قوله: " **ولا آثرا**" يريد به مخبرا عن غيره بأنه حلف به [166] ومنه جاء حديث مأثور أي يخبر الناس به بعضهم بعضا أي ينقله خلف عن سلف [167] ولهذا قيل لسنن النبي صلى الله عليه وسلم آثاره [168]؛ فنقول: وجدت ذلك في الأثر أي في السنة. ويطلق على صاحب السنة بأنه حامل للآثار أي لسنن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقد جاء من قولنا حديث مأثور :أي يرويه قرن عن قرن [169]، فكل ما ينقله الخلف عن السلف يسمى بالمأثور[170] مستخلصة من قولنا:لهم مآثر أي مسامع يأثرونها عن آبائهم [171]، وهو ما يتبين من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " **أَلَا إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَدَمٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سِدَانَةِ الْبَيْتِ وَسِقَايَةِ الْحَاجِّ أَلَا إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُهُمَا لِأَهْلِهِمَا كَمَا كَانَا**"[172]،فمآثر العرب:مكارمها ومفاخرها التي تذكر وتروي عنهم في عقبهم[173] .

نصل إلى أن الأثر أطلق وأريد به : الأمر الذي يروى ويذكر في عقب صاحبه .

---

[163] – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم الحديث 1773. ص:(649-650). تحقيق وتخريج : أحمد زهوة – أحمد عناية .دار الكتاب العربي . بيروت لبنان ط 1 1425هـ-2004م .

[164] – ابن فارس : مجمل اللغة 86/1. بتصرف

[165] – صحيح البخاري، كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ،بَابُ لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، 6647. ص:1207. وصحيح مسلم ،كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، حديث:1(1646). ص:595.

[166] – ابن منظور:لسان العرب 13/1 .و نديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .و هادي حسن حمودى : المعجم الأصمعي ص19. بتصرف

[167] –نفسه.

[168] ابن منظور:لسان العرب 6/4.و نديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 .و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 174/10 .وابن فارس : مجمل اللغة 86/1. بتصرف

[169] الزمخشري:أساس البلاغة ص3. بتصرف

[170] مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5-6. بتصرف

[171] –الزمخشري:أساس البلاغة ص3. بتصرف

[172] – سنن ابن ماجه، كتاب الديات، باب دية شبه العمد مغلظة، رقم الحديث 2628. ص:286. قال الألباني: ضعيف. الألباني:سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة. رقم الحديث1163. 308/3.

[173] –ابن منظور:لسان العرب 7/4.و ابن فارس : مجمل اللغة 86/1.و الزبيدي: تاج العروس 5/4 .و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5. وابن منظور: لسان اللسان، 14/1.و ابن عباد:المحيط في اللغة 10167. بتصرف

3-الأثر بمعنى الاقتفاء والإتباع: وقد جاء الأثر بمعنى الاقتفاء والإتباع: الأثر محرك هو ما يُؤَثّره الرجل بقدمه في الأرض، فكل شيء مؤثر أثر، حتى أنه يقال: جئتك على أثر فلان؛ كأنك جئته تطأ أثر قدمي صاحبك، ومنه نقول إئْتَثَره وتأثر : تبع أو تتبع أثره [174]؛ فنقول: في إثْرِه وفي أَثَره أي بعده[175]، وهو من سبيل أثر كذا وكذا بكذا وكذا أي اتبعه إياه ومنه قول متم بن نويرة يصف الغيث: فأثر سيل الواديين بديمة ترشح وشميا من النبت خروعا

أي اتبعه بديمة بعده [176]، فالأثر هو الاقتفاء والإتباع حيث نقول أثر فلان فعل أبيه: أي اقتفاه[177]، ولهذا قيل للسمة توضع في باطن خف البعير أثُر لأنه يقتفي بها أثره [178]، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :" **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**"[179] فقد شرح العلماء الأثر هنا على أنه الأجل لأنه يتبع العمر :قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وأصله من أثَّر مشيه في الأرض، فإن مات لا يبقى له أثر ولا يرى لأقدامه في الأرض أثر[180] .

وعليه نصل أن الأثر يطلق ويراد به: ما بقي من رسم الشيء يتبع ويقتفى ليهتدى به إلى أصله.

4-**الأثر بقية الشيء** :ولقد أطلق لفظ الأثر وأريد به أيضا بقية الشيء ؛ تقول العرب: سمنت الناقة على أثارة :أي على عتيق شحم كان قبل ذلك، قال الشماخ :

وذات أثارة أكلت عليه نباتا في أكمته قفارا[181]

وتقول: أغضبني فلان على أثارة غضب أي على أثر غضب كان قبل ذلك ثم ازددت غضبا[182] ومنه هم على أثارة من علم أي بقية منه يأثرونها عن الأولين [183] ويذكرونها، فالأثر

---

[174]- الزبيدي: تاج العروس 4/3.و ابن منظور:لسان العرب 5/4 .و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص 5.و هادي حسن حمودى : المعجم الأصمعي ص 19. بتصرف

[175]- ابن منظور: لسان اللسان 13/1.و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 173/10.و الزمخشري:أساس البلاغة، ص 3.و نديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتحديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. بتصرف

[176]- ابن منظور:لسان العرب 5/4. بتصرف

[177]- ابن عباد: المحيط في اللغة 166/10-167. بتصرف

[178]- ابن منظور:لسان العرب 5/4.و الزبيدي: تاج العروس 5/3.و ابن عباد: المحيط في اللغة 167/10.و ابن منظور: لسان اللسان 13/1. ونديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتحديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. بتصرف

[179]- صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق، رقم الحديث 2067.ص:373.

[180]- ابن منظور:لسان العرب 5/4 .والزبيدي: تاج العروس 6/3. بتصرف

[181]- ابن عباد: المحيط في اللغة 166/10-167.

إذن هو كل ما يبقى بعد صاحبه، ومنه قيل للسيف مأثور: للقديم المتوارث كابرا عن كابرا [184]
ومنه اشتق لفظ الأثري للشيء القديم المأثور، وأيضا أطلق على المشتعل بدراسة الآثار [185]
نفس اللفظ.

وعليه فإن من معاني لفظ الأثر هو: ما بقي من الشيء .

5. الأثر بمعنى الرونق واللمعان : وكما أطلق لفظ الأثر وأريد به الرونق والصفاء؛ فالأثر والإثْر هو فرند السيف ورونقه[186]، والجمع آثور قال عبيد ابن الأبرض:

يبيض عليهن الأُثُورُ بواتكا[187].

وقال عيسى ابن عمر الثقفي :

جلالها الصيقلون فأخلصوها خفاف كلها تبقى بأثر

أي يستقبلك بفرنده [188] قال الإمام الزمخشري: "وعليه يقال:ما أحسن أثر هذا السيف وإثره"[189]؛ قال:

ومأثور من الهندي يشفى به رأس الكمي من الصداع

أي يشفى به جهله وهو مثل[190].

والمأثور أحد سيوف النبي عليه صلى الله عليه وسلم [191]،ومنه قيل "أثُرُ الوجه،وأُثْرُه: ماؤه ورونقه"[192].

وعليه فإن من المعاني التي حملها لفظ الأثر هي :الرونق واللمعان .

---

[182]– الزمخشري:أساس البلاغة ص 3.و الزبيدي: تاج العروس 6/3 .و ابن منظور:لسان العرب المحيط 7/4 .و ابن عباد: المحيط في اللغة: 166/10. و ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم174/10 . بتصرف

[183]– الزمخشري:أساس البلاغةص 3.و الزبيدي: تاج العروس 5/3.و ابن منظور: لسان اللسان 14/1.و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5. بتصرف.

[184]– الزمخشري:أساس البلاغة ص3. بتصرف

[185]– مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5. بتصرف

[186]– نفسه.

[187]– ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم175/10.وابن منظور: لسان اللسان14/1.والزبيدي: تاج العروس6/3. بتصرف

[188]–نديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. بتصرف

[189]–الزمخشري : أساس البلاغة ص3.

[190]–هادي حسن حمودى : المعجم الأصمعي ص19. بتصرف

[191]– الزبيدي: تاج العروس 6/3. بتصرف

[192]– ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم176/10.ومجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5. بتصرف

6. الأثر بمعنى التفضيل والتقديم : ولقد جاء من معاني لفظ الأثر: التفضيل والتقديم، فنقول: أثر أن يفعل كذا آثَرا وأثر وآثر: كلها فضل وقدم [193]، ومنه يقال افعله آثرا ما أي إذا كنت لا تفعل غيره فافعله ،وقيل افعله مؤثرا له على غيره لأن معناه افعله آثرا مختارا له معنيا به وهو من قولك آثرت أن أفعل كذا وكذا[194] .

وقال الأعرج الطائي :

أراني إذا أمر أتى فقصيته فزعت إلى أمر علي أثير

فهو يريد المأثور الذي أخذ فيه، وهو من قولهم خذ هذا آثرا [195] ومنه نقول :آثرت أن أقول الحق، وهو أثري، أي الذي أُوثرُه وأقدمه [196] ومنه جاء لفظ الأثرة فنقول فلان له عندي أثرة وهو ذو أثرة عند الأمير؛ أي ذو تفضيل وتقديم[197].

قال الشاعر :

رأتني قد بللت برأسي طرف طويل الشخص آثر ذي أثير[198]

فآثره عليه أي فضله [199]؛ قال تعالى: (**لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا**) **200** أي فضلك وقدمك، تقول آثرت فلان على نفسي من الإيثار:أي آثرتك إيثارا أي فضلتك [201] وقال الحطيئة يمدح عمر رضي الله عنه:

ما آثروك إذا قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بها الإثَرُ

أي الخير والإيثار وكأن الإثر جمع الإثرة وهي الأثرة [202]، ويقال: فلان أثير عند فلان وذو أثرة إذا كان خاصا [203] وهو ما يوضحه الحديث : لما ذكر له عثمان بالخلافة فقال: أخشى حفدته وأثرته" أي إيثاره وهي الأثرة وكذلك الأثرة والأثَرة والإثْرى ، قال الشاعر:

---

[193]–ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم175/10.و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5.و الزبيدي:تاج العروس 6/3. بتصرف

[194]– ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم176/10.و الزبيدي:تاج العروس 5/3. وابن منظور: لسان اللسان 14/1.و إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة 166/10. بتصرف

[195]– ابن منظور: لسان العرب 7/4–8 .و هادي حسن حمودى : المعجم الأصمعي ص19. بتصرف

[196]–الزمخشري : أساس البلاغة ص3. بتصرف

[197]– الزمخشري : أساس البلاغة ص3.و الزبيدي:تاج العروس 6/3.ومجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص 5 .و إسماعيل بن عباد : المحيط في اللغة 167/10.و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1 .ونديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. بتصرف

[198]– الزمخشري : أساس البلاغة ص3

[199]– ابن منظور: لسان اللسان 14/1. بتصرف

[200]سورة يوسف،الآية:91.

[201] – هادي حسن حمودى : المعجم الأصمعي ص19. بتصرف

فقلت له يا ذئب هل لك في أخ يواسي بلا أثرى عليك ولا بخل [204]

ومنه جاء لفظ الاستئثار: فنقول رجل أثُر وأثر: إذا كان يستأثر على أصحابه في القسم [205] أي يختار لنفسه أشياء حسنة وفي الصحاح أي يحتاج لنفسه أفعالا وأخلاقا حسنة [206]، ومنه قال العلماء : استأثر بالشيء على غيره: خص به نفسه واستبد به: قال الأعشي:

استأثر الله بالوفاء وبال عدل وولى الملامة الرجلا[207]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي** "[208] أي يستأثر أمراء الجور بالفيء [209] ويقال أيضا: قد أخذه بلا أثرة وبلا إثرة وبلا استئثار، أي لم يستأثر على غيره ولم يأخذ الأجود[210].

وعليه نصل إلى أن الأثر قد يطلق ويراد به التفضيل والتقديم والاستبداد .

معاني أخرى للأثر : وقد جاءت معاني متعددة للأثر نذكر منها :

1 - **الخدمة** : فنقول : ما تأثر إلي أثرا إذا لم يصتنعك بشيء [211].

2 - **الأثر بمعنى الأصل**: وقد حكم اللحياني عن الكسائي: بأنه يقال ما يدرى له أين أثر وما يدرى له ما أثر بمعنى ما يدرى أين أصله ولا ما أصله [212].

---

[202] – ابن منظور:لسان العرب4/7-8 .و الزبيدي:تاج العروس 5/3 .و هادي حسن حمودى : المعجم الأصمعي ص19. بتصرف

[203] – ابن منظور:لسان العرب4/7.و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1. و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص5.

[204]– الزبيدي:تاج العروس 5/3.

[205] – الزبيدي:تاج العروس 5/3 . و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 175/10. و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص 5 . و الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف ص7. و ابن منظور: لسان اللسان 14/1. بتصرف

[206] – الزبيدي:تاج العروس 5/3 .وندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. بتصرف

[207] – الزمخشري : أساس البلاغة ص 3 . و الزبيدي:تاج العروس 6/3. و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1. و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص 5 . و ندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. و ابن عباد: المحيط في اللغة 167/1. بتصرف

[208] – صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب القطائع، رقم الحديث 2377. ص:428. وكتاب المساقاة، باب القطائع ، رقم حديث:2376.ص: 428، وكتاب المساقاة، باب كتابة القطائع ، رقم حديث:2377.ص: 428، وكتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم ، رقم حديث:3147.ص: 578، وكتاب الجزية، باب ما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم من البحرين ، رقم حديث:3163.ص: 581، وكتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " سترون بعدي ، رقم حديث:7052.ص: 1281، وكتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " سترون بعدي ، رقم حديث:7057.ص: 1282، وصحيح مسلم – كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه ، رقم حديث:132.(1059).ص: 350، وكتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم ، رقم حديث:38.(1835).ص: 683.

[209] – الزمخشري : أساس البلاغة ص3. بتصرف

[210]–نفسه.

[211]– الزمخشري : أساس البلاغة ص3. و المليباني الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف ص7. و ابن عباد: المحيط في اللغة 167/1. بتصرف.

3 - **الحز:** فنقول أثر خف البعير يأثره أثرا وأثره : بمعنى حزه [213]

4 - **الإكرام:** فنقول آثره بمعنى أكرمه، ورجل أثير : مكين مكرم، والجمع أُثراء ، ونقول عن الأنثى أثيرة [214].

5 - **الجدب:** فالأثرة الجدب والحال غير المرضية : قال الشاعر :

إذا خاف من أيدي الحوادث أثرة كفاه حمار من عني مقيد [215]

6- **الدباجة:** فنقول: أثر السيف تسلسله ودباجته [216]

7- **التفرغ والعزم** : فنقول أثر أن يفعل ذلك لأمر؛ أي فرغ له وأثر على الأمر عزم، قال أبو زيد: قد آثرت أن أقول ذلك أي عزمت. وأثر له بمعنى تفرغ ،وقال الليث يقال :أثرت أن أفعل كذا و كذا بمعنى هم في عزم [217].

8- **البدء بالشيء** : وهو ما قاله الفراء :حيث نقول ابدأ بهذا إثرا ما وأثر ذي أثير أي ابدأ به أول كل شيء [218].

9- **خلاصة الشئ**[219] : فالإثر والأثر :خلاصة السمن إذا سليء ، وقد قيل أنه اللبن إذا فارقه السمن قال :والإثر والصَّرب معا كالآصية[220].

10 - **الترصد:** فنقول أثر له أي ترصد له : بمعنى أتاه من وجهة[221].

---

[212]- ابن منظور: لسان العرب المحيط 5/4 . و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 173/10. و الزبيدي: تاج العروس 6/3. بتصرف

[213]- ابن منظور: لسان العرب المحيط 5/4 . و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 174/10. و الزبيدي: تاج العروس 5/3. و ابن منظور: لسان اللسان 13/1. بتصرف

[214]- ابن منظور: لسان العرب المحيط 5/4 . و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 174/10. و الزبيدي: تاج العروس 5/3. و ابن منظور: لسان اللسان 13/1. و ابن عباد: المحيط في اللغة166/10. بتصرف

[215]- ابن منظور: لسان العرب المحيط 4/9-10 . و ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 177/10. و الزبيدي: تاج العروس 5/3. وابن منظور: لسان اللسان 14/1. بتصرف

[216]- الزبيدي: تاج العروس4/3. و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1. بتصرف

[217]- الزبيدي: تاج العروس 6/3. و مجموعة من العلماء : المعجم الوسيط ص 5 . و المليابي الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف ص 7. و ابن عباد: المحيط في اللغة 166/10. بتصرف

[218] - الزبيدي: تاج العروس، 5/3 . و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1. و ندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتحديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. بتصرف

[219]- ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 176/10. و الزبيدي: تاج العروس 4/3-5. و ابن منظور: لسان اللسان 14/1. و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1. و ندىم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتحديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1. و ابن عباد: المحيط في اللغة 167/10. بتصرف

[220]- "الآصية حساء يصنع بالتمر " ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 176/10. بتصرف

وعليه: نصل إلى أن الأثر يطلق ويراد به عدة معان منها: الاصطناع، والأصل، والحز ،والإكرام والجدب ،ودباجة السيف ،التفرغ والعزم ،البدء بالأمر ،وخلاصة الشيء.

وخلاصة القول في هذا المطلب: أن لفظ الأثر يطلق عند العرب ويراد به عدة معان وقد تعرضنا لجلها فجاءت تبعا كالتالي :

1-أنه جاء بمعنى العلامة بعد زوال العين

2-أنه جاء ليدل على معنى ما بقي من رسم الشيء الذي يقتفى ويتبع .

3-كما أنه جاء أيضا بمعنى الرواية والذكر عن القوم.

4-وجاء بمعنى البقية من الشيء.

5-وقد جاء أيضا بمعنى التفضيل والتقديم .

6-كما جاء لفظ الأثر بمعان متعددة ومختلفة ،وربما كانت متباينة لكن المعاني التي اتفق عليها علماء اللغة هي معان متقاربة ومتكاملة وهي ترمي الى معنى واحد وعام وهو :العلامة التي تبقى بعد فوات عين الشيء وتصلح للاقتفاء والتتبع :كون الشيء ذو قوة فاعلية في المؤثر فيه

---

[221]- ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم 176/10. و الزبيدي: تاج العروس 4/3-5. و ابن فارس: مجمل اللغة 86/1 . و نديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتحديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 7/1 . و ابن عباد: المحيط في اللغة 167/10. و ابن منظور: لسان اللسان 14/1. بتصرف

المطلب الثاني :تعريف الأثر اصطلاحا

بعد أن تعرضنا لمعنى الأثر عند علماء اللغة ،فما بقي لنا إلا أن نتعرض إلى معنى الأثر في اصطلاح العلماء بمختلف تخصصاتهم، وإن كل منهم قد نظر للفظ من جهة تخصصه، لكن هذه التعاريف في مجموعها لا تخرج عن المعاني اللغوية التي وجدت عند العرب، والتي أفردت بالدراسة في المطلب السابق.

1. الأثر في اصطلاح الفقهاء :لقد وظف علماء الفقه لفظ الأثر بمعنى الرواية والذكر الذي أشار إليه علماء اللغة ،ولكنهم حصروه في كلام السلف فقط، في حين أطلقوا على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ الخبر [222] بمعنى آخر أن كل حديث موقوف فهو أثر ،وكل حديث مرفوع خبر[223] .

إذن فمعنى الأثر عند الفقهاء هو كل ما أُثر –روي –عن السلف الصالح، وهو المعنى الذي استخدمه علماء اللغة.

2. الأثر في اصطلاح الأصوليين :-لقد حاذى علماء الأصول حذو علماء الفقه ،لكنهم أطلقوه ولم يقيدوه، حيث أكدوا أن الأثر هو: كل ما أضيف إلى الصحابي أو التابعي من قول أو فعل أو تقرير، وأضافوا بأنه كل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو تقرير، ويراد به السنة عامة[224].

إذن أطلق علماء الأصول لفظ الأثر وأرادوا به كل ما روي: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قول أو فعل أو تقرير، وأدخلوا فيه كل ما روي عن الصحابي أو التابعي كون الصحابي أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،كواقع تطبيقي، ولهذا أطلقوا الأثر على السنة عامة.

3. الأثر في اصطلاح المفسرين: لقد تناقل علماء التفسير تفسير الأثر عن بعضهم البعض وقد نهجوا منهج اللغويين في تعريفهم وأعطوه معنى بقية الشيء التي تذكر ،كما أعطوه معنى الاقتفاء والتقصي ، وفسروه أيضا على أنه الأعلام التي تبقى من الأولين ،و... وسبب تحميلهم اللفظ لكل هذه المعاني لأنه فُسر بحسب موقعه في الآية الكريمة:

فقد ذهب جل المفسرين إلى أن الأثر يعني بقية الشيء التي تذكر فقد فسرو ا قوله تعالى: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ**

---

[222]– البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب 2 /495 . بتصرف

[223] – التهانوي الحنفي: كشاف اصطلاحات الفنون 1 / 87 . بتصرف

[224]– محمد سانو قطب: معجم مصطلحات أصول الفقه ص 26. بتصرف

ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[225]، فالأثارة هنا هي بقية العلم، ثم قالوا أنه العلم الذي يروى، ثم أضافوا إلى هذا المروي شرط صحة الإسناد، ثم أضافوا إليه أنه بقية علم خص بها قوم عن غيرهم وهو ما يتبين من أقوال العلماء ، تبعا بحسب التدرج الزمني:

فقد أورد الإمام القرطبي رحمه الله تعالى هذه المعاني المختلفة في الظاهر المتكاملة في حقيقتها على أنها تفسيرات مختلفة يتسع النص لحملها رغم اختلافها ناسبا كل تفسير لعالم من العلماء وكأنه –رحمه الله تعالى– قد جمع شتات تفسير الآية، وقد كفانا هذا الأمر –رحمه الله تعالى– فقال:"وقال الهروي: والأثارة والأثرة: البقية . يقال ما عين ولا أثر ...قال ميمون بن مهران وأبو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة : "أو اثارة من علم " خاصة من علم وقال مجاهد : رواية تأثرونها عمن كان قبلكم ، وقال عكرمة ومقاتل : رواية الأنبياء. وقال القرطبي هو الإسناد الحسن :" المعنى شيء يثار أو يستخرج "[226] .

وهكذا مضى الإمام رحمه الله تعالى في إيراد المعاني المحتملة في تفسير الآية الكريمة ثم عقب بقوله: ويجوز أن يكون معناه بقية من علم، ويجوز أن يكون معناه شيئا مأثورا من كتب الأولين، والمأثور: ما يتحدث به مما صح سنده عمن تحدث به عنه [227]، ثم خلص الإمام إلى تفسير جامع لكل ما أورده قائلا: "أي خاصة من علم أو تيتموها أو أوثرتم بها عن غيركم" [228]، وعليه فالإمام فسر الآية بعد إيراده للمعاني المحتملة للآية، على أنها هي بقية العلم الموثوقة السند التي خص الله بها قوما يروونها عن سلفهم.

وقد تبعه في التفسير الإمام البقاعي حيث حدد أنها البقية المسندة، وقد عبر عنها بأنها الصالحة، ثم ربط بين بقية العلم وبين رواية العلم وهذا نصه: "أي بقية رسم صالح للاحتجاج: قال بن برجان: وهي البقية من أثر كل شيء يرى بعد ذهابه وحال رؤيته يأثرها خلف عن سلف يتحدثون بها في آثارهم"[229]، فالإمام مم ينكر أن هذا العلم قد خص به قوم عن غيرهم كما ذكر سابقه .

---

[225]–سورة الأحقاف، الآية 4.

[226]– محمد بن احمد الأنصاري أبو عبد الله القرطبي : الجامع لأحكام القرآن 15 / 182، دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان– د ط، 1405هـ/1985م. .

[227] – نفسه. بتصرف

[228] – نفسه.

[229]– برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 7 /117، خرج آياته ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– ط1، 1415هـ/1997م.

وصاحب الكشاف أورد المعنى نفسه؛ إلا أنه لم يورد اشتراط الصحة في الرواية، لكنه أكد على أنها بقية علم خص بها قوم عن غيرهم فقال: "أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين، من قولهم سمنت الناقة على آثارة من شحم أي بقية من شحم كانت بها من شحم ذاهب، وقرئ أثرة: أي من شيء أوثرتم به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم" [230] فالإمام فرق في تفسير "أثارة" و"أثرة "؛ فعد الأولى بقية من علم تذكر، وعد الثانية من الاستئثار: أي بقية من علم قد أوثر بها قوم عن غيرهم.

لكن صاحب التحرير والتنوير: فسر الآية على أنها بقية العلم التي تروى، ولم يذكر أنها خصصت لقوم دون غيرهم، ولم يشترط في هذه الرواية الصحة : محتجا بأن ذلك توسيع على القوم في التماس الحجة، ثم أكد أن الأثر في هذه الآية أطلق وأريد به الحجة العقلية المقابلة للحجة النقلية، وهذا نصه: "أثارة بفتح الهمزة البقية من الشيء، والمعنى، أو بقية عندكم تروونها عن أهل العلم السابقين غير مسطورة في الكتب، وهذا توسيع عليهم في أنواع الحجة ليكون عجزهم عن الإتيان بشئ من ذلك أقطع لدعواهم، وفي قوله: "إن كنتم صادقين" إلهاب وإفحام لهم بأنهم غير آتين بحجة لا من جانب العقل ولا من جانب النقل المسطور أو المأثور" [231]، فصاحب التحرير والتنوير قد فسر الأثر على أنه الدليل العقلي .

وقد جمع صاحب التفسير المنير بين كل التفاسير التي أوردناها حيث أكد أن أثارة العلم هي بقية العلم التي تدل بحجة على صدق ما تدعون حيث قال : أوبقية من علم الأولين والأنبياء السابقين يرشد إلى صحة المنهج الذي انتهجتموه، إن كنتم صادقين في ادعائكم ألوهية الأصنام، والمعنى لا دليل لكم نقليا ولا عقليا على ذلك[232]؛ ففسر الكتاب بالدليل النقلي، والأثر من العلم بالدليل العقلي .

وعليه نخلص إلى تفسير لفظ الأثر الوارد في الآية الكريمة:(**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**)[233]؛ أنه بقية من علم

---

[230]– جار الله محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 3 /515، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 1397هـ/1977م.

[231] –محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير 26 /11.

[232] – وهبة الزحيلي: التفسير المنير 26 /8 . بتصرف

[233]–سورة الأحقاف، الآية:40.

صحيح الإسناد إلى أصله أوثر بها قوم عن غيرهم في روايتها عقب أسلافهم أي هو الدليل العقلي الذي يستدل به على صحة الإدعاء .

وقد أكد المفسرون هذا المعنى كذلك في تفسير الآية الكريمة: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[234]، فقال الإمام القرطبي: "فآثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير أو شر يجازى عليها" [235] فقد فسر الإمام –رحمه الله تعالى– الأثر على أنه كل شيء يتركه الإنسان وراءه بعد موته، ويكون له مردود عليه بعد الموت، فإن ترك خيرا فخير وإن ترك شرا فشر.

وقد فسر الإمام الزمخشري الآثار على أنها كل حسنة أو سيئة يستن بها [236]، ثم عقب على هذا التفسير بمطابقة بين هذه الآية، والآية : ﴿ **يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ** ﴾[237] فقال: قدم من أعمال وأخر من آثار [238]؛ وأحسب أن الإمام قصد بالأعمال التي يعود نفعها –أو ضرها –عليه وحده: كالصلاة والصوم،والحج أو عدم ذلك من ترك الصلاة والصوم والحج...

وقد قصد **بالآثار**: الأمور التي يعود نفعها–أو ضرها– عليه وعلى غيره: عليه في الآخرة ، وعليه –مع غيره المقتدي به– في الدنيا، وهو ما يتضح من المطابقة بين الآيتين: ففي الآية الأولى قال تعالى:﴿ **وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ** ﴾، وفي الآية الثانية قال تعالى :﴿ **يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ** ﴾ فطابق "قدموا " بـ "قدم"، وطابق "آثارهم" بـ "أخر" وكأن تأخير الأمر جاء من تواصل مردود العمل في عقب الإنسان ولكن التقديم – وهي الأعمال – فإنها تسبقه دون أن يبقى منها في الدنيا إلا علمه لغيره فإنه أيضا يدخل في باب الآثار.

وعليه فإنه من خلال هذه التفاسير للأثر في الآية الكريمة: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾، يتضح أنه فسر بالعمل الذي يترك نتيجة بعد انقضائه فيكون بذلك مضاعف التأثير،حيث يؤثر في الحاضر كما يؤثر في المستقبل .

وبعد أن أورد العلماء تلك المعاني للأثر فقد حملوا اللفظ معنى الاقتفاء والتقصي وهو ما ذهب إليه اللغويين، فقد أورد علماء التفسير هذا المعنى أيضا في تفسير معنى الأثر: قال الإمام

---

[234] – سورة يس ، الآية12 .

[235] – القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن15/ 12.

[236] – الزمخشري: الكشاف . 3 /317 . بتصرف

[237]– سورة القيامة، الآية 13.

[238] – الزمخشري: الكشاف . 3 /317 . بتصرف

القرطبي في تفسير قوله تعالى: (**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)**[239] قال الامام القرطبي في تفسيرها: "جعلنا عيسى يقفوا أثارهم، أي آثار للنبين الذين أسلموا"[240] وقد وضح ذلك أكثر الإمام الزمخشري بقوله:"قفيته مثل عقبته إذا اتبعته، ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به" [241]؛ وهذا يدل على أن هناك بقية للدين من السابق اتبعه اللاحق، وهو ما يوضحه الإمام البقاعي –رحمه الله تعالى –بقوله: "وذكر الأثر يدل على أنهم تركوا دينهم، لم يبق منه إلا رسم خفي"[242]، وهذا الرسم الباقي استدعى التتبع والتقصي .

ومن المعاني التي أوردها علماء اللغة أيضا للفظ الأثر: أنه المعلم الذي يترك: وقد فسر به علماء التفسير أيضا قوله تعالى: (**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ)**[243]، فالأثر هنا هو القلاع والمصانع والقصور والمدائن، حصينة ... المعنى : "أفلم يمشي هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد، فينظروا مآل حال الذين مضوا من الكفار المكذبين بالأنبياء، وما حل بهم من العذاب والنكال، مع أنهم كانوا أشد قوة من هؤلاء الحاضرين من كفار مكة وأمثالهم وأبقى آثارا في الأرض، بما عمروا فيها من الحصون والقصور، وأقاموا من المدن والحضارات"[244] لم ينفعهم كل ما فعلوا.

وعليه نخلص إلى أن المفسرين قد أوردوا معاني متعددة للفظ الأثر، وهذا التعدد في المعاني راجع إلى موقع اللفظ في الآيات فقد:

1 – فسر على أنه الشيء الباقي صحيح الإسناد إلى أصله، والذي خص به قوم دون غيرهم في روايته في عقب أسلافهم .

2 – كما فسر على أنه العمل الذي يترك نتيجة بعد انقضائه فيكون بذلك متضاعف التأثير

3 – وقد فسر أيضا على أنه الباقي من رسم الشيء الصالح للاقتفاء والتقصي.

---

[239]– سورة: المائدة، الآية:46.

[240] – القرطبي : الجامع لأحكام القرآن 5 / 208 .

[241] – الزمخشري: الكشاف ، 1 / 617 .

[242] – البقاعي: نظم الدرر . 2 / 467 .

[243] – سورة:غافر، الآية:21.

[244] – وهبة الزحيلي: التفسير المنير. 24 / 98 .

وعليه نخلص إلى أن الأثر الذي أورد علماء التفسير، هو ما أورده علماء اللغة، وهو المعنى المقصود بهذه الدراسة.

الأثر في اصطلاح المحدثين : هناك معنى خاص للأثر عند المحدثين ، فقد أطلقوا الأثر على الحديث الموقوف والمقطوع، كما يقولون جاء في الآثار كذا ،والبعض يطلقه على الحديث المرفوع أيضا كما يقال: جاء في الأدعية المأثورة كذا[245]، فالمعنى الخاص للأثر عند المحدثين هو ما يصطلح عليه لفظ السنة .

هذا،والمعنى العام له عندهم نستشفه من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلي:

1. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ رضي الله عنه:"وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ أَنْ **يُؤْثَرَ** عَلَيَّ الْكَذِبُ لَكَذَبْتُ"[246]،معناه: لولا خوفي من رفقتي أن ينقلوا عني الكذب إلى قومي، ويتحدثونه في بلادي لكذبت عليه لبغضي إياه، ومحبتي نقصه[247].
2. وفي رواية أخرى قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ **يَأْثِرُوا** عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ" [248]، شرح الامام ابن حجر معنى معاويةفقال: "ينقلوا علي الكذب لكذبت عليه "[249].
3. عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَلَغَ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ عِنْدَهُ فِي وَفْدٍ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ فَغَضِبَ فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِنْكُمْ يُحَدِّثُونَ أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا **تُؤْثَرُ** عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُولَئِكَ جُهَّالُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ الَّتِي تُضِلُّ أَهْلَهَا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ

---

[245]– التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، 87/1. بتصرف

[246] – صحيح مسلم، كاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم الحديث 1773. ص:(649-650).

[247] – محي الدين أبو زكرياء يحي بن شرف النووي .صحيح مسلم بشرح النووي ، 323/6. راجع ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد محمد تامر. الدار الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة. د .ط . ت.– بتصرف

[248] – صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث 7. ص:(14-15)

[249] –ابن حجر، فتح الباري،53/1.

أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ" [250]. أي تنقل: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[251].

4. قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عُمَرَ، يَقُولُ: **قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ» قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاكِرًا وَلاَ آثِرًا** "[252] قَالَ أَبُو عِيسَى قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ مَعْنَى قَوْلِهِ وَلَا آثِرًا أَيْ لَمْ آثُرْهُ عَنْ غَيْرِي يَقُولُ لَمْ أَذْكُرْهُ عَنْ غَيْرِي[253]، بمعنى "حاكيا عن الغير، أي ما حلفت بها ولا حكيت ذلك عن غيري"[254].

5. عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهُوَ عَلَى دَرَجِ الْكَعْبَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ أَلَا إِنَّ قَتِيلَ الْخَطَإِ قَتِيلَ السَّوْطِ وَالْعَصَا فِيهِ مِائَةٌ مِنْ الْإِبِلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ خَلِفَةً فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا أَلَا إِنَّ كُلَّ **مَأْثُرَةٍ** كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَدَمٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سِدَانَةِ الْبَيْتِ وَسِقَايَةِ الْحَاجِّ أَلَا إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُهُمَا لِأَهْلِهِمَا كَمَا كَانَا"[255]، فالمأثرة هي: كل ما يذكر ويؤثر من مكارم أهل الجاهلية ومفاخرهم[256].

وعليه فقد أطلق لفظ الأثر عند علماء الحديث:وأريد به الرواية والذكر –وليس هذا المعنى المقصود بالدراسة–

معاني أخرى للأثر : لقد شرح العلماء لفظ الأثر كل واختصاصه وهناك معاني أخرى له: فقد عرفه السيد الجرجاني بأنه جاء "بمعنى: النتيجة وهو الحاصل من الشيء" [257]. فالأثر إذن هو المعلول الناتج عن العلة، أو المسبب الناتج عن السبب، وهناك من أكد على ضرورة وجود قابلية

---

[250] –صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الأمراء من قريش، رقم الحديث 7139. ص:1293.

[251]– ابن حجر، فتح الباري،165/13. بتصرف

[252] – سبق تخريجه:33.

[253] –جامع الترمذي، كتاب النذور والأيمان عن رسول الله ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، رقم الحديث 1533.ص:269.

[254] – المباركفوري،تحفة الأحوذي ،1412/1.

[255]– سبق تخريجه ص:33.

[256]– السندي: شرح سنن ابن ماجه .268/3. بتصرف

[257]–علي بن محمد بن علي الجرجاني: كتاب التعريفات ص17، دار الكتاب العربي بيروت –لبنان– د. ط، 1423هـ/ 2002م.

التأثير ، وإلا لم يكن تأثير من جانب المؤثر، فقالو : "الأثر الصورة المطبوعة من الجانب المؤثر في المتأثر"[258].

وقد وضح العلامة ابن سينا ذلك أكثر فقال: "كل ذات وجودها بالفعل من وجود غيرها ووجود ذلك الغير ليس من وجودها" [259]، فوجود الأثر لا يكون إلا بوجود المؤثر، ووجود المؤثر لا يرتبط بوجود الأثر .

بعد التعرض لتعاريف العلماء للأثر، فلنا أن نجمع شتات ما تفرق عندهم بمختلف تخصصاتهم، ولا أدعي أبدا أنه تعريف جامع مانع، وإنما هي محاولة فقط، وأرجوا أن تكون موفقة:

فالأثر هو نتيجة الشيء الباقية بعد انقضائه وهو صالح للاقتفاء والتتبع، أو هو اللازم المعلل بالشيء حيث يكون وجوده من وجود غيره كنتيجة له .

وبذلك نصل في نهاية هذا الفصل إلى أن الأدب المقصود من البحث هو القواعد والضوابط التي تعمل في مجموعها على الحماية من الخطأ في العادات والعبادات .

وكذا الأثر هو:نتيجة الشيء الباقية بعد انقضائه وهو صالح للاقتفاء والتتبع.

وفيما يلي صدر البحث،ونستهله بالحديث عن أنواع الآداب النبوية، من خلال الباب الأول

---

[258]–نديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية 8/1. ويوسف الخياط ، معجم المصطلحات العلمية والفنية ص 12.

[259]–يوسف الخياط: معجم المصطلحات العلمية والفنية ص 12 .

الباب الأول

أنواع الآداب النبوية

الباب الأول: أنواع الآداب النبوية

توطئة:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ [260] هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ [261] ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:{فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[262] الْآيَةَ"**[263].

إن النبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث الشريف أن الإسلام دين الفطرة، بحكم أنه لم يذكره في أنواع التلبس العقدي، الذي يتلبس بالإنسان من خلال محيطه الذي يحتضن نشأته، والذي يعمل في هذه الفترة بإكسابه التهويد أو التنصير أو التمجس، ولهذا بين ذلك من خلال مثال واقعي يلمسه الإنسان من مجتمعه وهو: **"وسم البهيمة"** لتعليمها لأهلها، وقد بين بذلك أمور عدة دل عليها الحديث وهي:

أولا:ولادة الإنسان على الفطرة: وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر بقوله:" **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ** "ثم مثل كمال عناصر هذه الفطرة بسلامة البهيمة عند ولادتها من الجدع؛ فقال: "**هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**" جاء في شرح الإمام مسلم:" معناه كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فليس أحد يولد إلا وهو يقر بأن له صانعا وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئا للإسلام؛فمن كان أبواه أو احدهما

---

[260]-**بَهِيمةً جَمْعاء:** أي سليمةٍ من العُيوبِ سُمِّيَتْ بذلك لاجتماعِ سلامةِ أعضائها. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، غريب الحديث، 171/1 . منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان.د ت ط .وثق أوصله وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد المعطي أمين قلعجي.

[261]-**جدعاء:** أي مَقْطوعة الأطراف أو وَاحِدها، وقد جاء اللفظ من الجَدْع :وهو قطْع الأنف والأُذن – والشَّفة وهو بالأَنْفِ أخصُّ فإذا أُطْلق غَلَب عليه . يقال رجل أجْدَع ومَجْدوع إذا كان مقطوع الأنف. مجدي الدين أب السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، 247/1. مؤسسة التاريخ العربي. د ت ط. تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي. بتصرف.

[262]-سورة:الروم،الآية:30.

[263]- صحيح البخاري ،كتاب الجنائز،باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث: 1358، ص:251. وكتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: 1385، ص:257 .و كتاب التفسير، باب تفسير سورة آلم غلبت الروم، رقم الحديث : 4773.ص:883. وكتاب القدر،باب الله أعلم بما كانوا عاملين. رقم الحديث: 6599.ص:1199، وصحيحه مسلم، كتاب القدر، باب مَعْنَى كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ .الحديث:2658. ص:946.

مسلما استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا" [264]، وبحكم تمتع الإنسان بخاصية التأثير والتأثر فإن ثباته على هذه الفطرة استلزم تزويده بتعاليم الإسلام . وهو الدين الوحيد الموافق للفطرة . وهذا المعنى الذي أورده الإمام الزمخشري بقوله:" والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة وهو فطرة الله، وكونه متهيئا مستهدفا لقبول الحنيفية طوعا لا إكراها وطبعا لا تكلفا؛ لو خلته شياطين الجن والإنس وما يختاره لم يختر إلا إياها ولم يلتفت إلى جنبة سواها. وضرب لذلك الجمعاء والجدعاء مثلا يعني أن البهيمة تولد سوية الأعضاء سليمة من الجدع ونحوه لولا الناس وتعرضهم لها لبقيت كما ولدت"[265]. وهو المعنى المتأكد من قوله جل شأنه :(**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)[266] قال الإمام ابن عاشور في تفسير هذه الآية الكريمة:" تقويمه وتعديله باتجاهه قبالة نظره غير ملتفت يميناً ولا شمالاً. وهو تمثيل لحالة الإقبال على الشيء والتمحض للشغل به بحال قصر النظر إلى صوب قبالته غير ملتفت يَمْنَةً ولا يَسْرَةً" [267].فالله سبحانه وتعالى يؤكد من خلال الآية الكريمة أن أسس الفطرة التي خلق الإنسان عليها هي تعاليم هذا الدين،إلا أن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة، فوجب تزويدهم بها حتى لا تقوم الحجة على الذين يعلمون ولم يبلغوا بما عَلموا.

هذا،والإسلام آخر الأديان التي خاطب الله بها عباده؛ ولهذا تعين أن يكون أصله الذي ينبني عليه وصفا مشتركا بين سائر البشر، مستقرا في نفوسهم، ثم ترتاض عليه العقول السليمة منهم،تنمية لوصف الفطرة،حتى تكون أحكام الشريعة مقبولة عند أهل الآراء الراجحة من الناس الذين يستطيعون فهم مغزاها،فيتقبلوا ما يأتيهم منها بنفوس مطمئنة وصدور منثلجة فيتبعوها دون تردد ولا انقطاع، ويتسنى لأرفعهم قدرا في الفهم محاذاة نظائرها وتفريعات فروعها،وبذلك يكون تلقي بقية طبقات الأمة . الذين لم يبلغوا مستوى أهل الآراء الراجحة. إياها تلقيا عن طيب نفس ويسهل امتثالهم لما يؤمرون به منها[268]؛حين يبلغوا بما يحويه من توجيهات.

---

[264]- شرح النووي على صحيح مسلم،426/8.

[265] - جار الله محمود أبو القاسم بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الفائق في غريب الحديث والأثر. 409/2.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. د ط: 1993م-1414هـ.. تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم.

[266]-سورة:الروم،الآية:30.

[267] -ابن عاشور، التحرير والتنوير، 89/21.

[268]-محمد الطاهر بن عاشور،مقاصد الشريعة الإسلامية،ص: 134-135،دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس-ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة-(مصر)(نشر مشترك)د ط: 1427هـ، 2006م. بتصرف.

ثانيا تحريف المحيط للفطرة:

وقد بينه قوله صلى الله عليه وسلم:" **فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**" [269]، وقد جاء في كتاب شرح الزرقاني:"الفاء إما للتعقيب أو للسببية أو جزاء شرط مقدّر أي إذا تقرّر ذلك، فمن تغير كان بسبب أبويه إما بتعليمها إياه أو ترغيبهما فيه أو كونه تبعاً لهما في الدين يقتضي أن حكمه حكمهما، وخص الأبوان بالذكر للغالب" [270] ، وبذلك يتأكد لنا من خلال هذا الكلام أن الإنسان يخرج لهذه الدنيا وهو سليم من أي تشوه عقدي،فيحصل له ذلك التشوه من خلال محيطه إذا كان مشوها، وهو تمثيل من النبي صلى الله عليه وسلم لأسلوب تحريف الفطرة من خلال المحيط،وقد نسبه إلى أقرب الأفراد للإنسان فيه؛وهما أبواه كونهما ألصق أفراد المحيط بالمولود من حين ظهوره إلى الوجود، وهما المسئولان على توجيهه منذ الصغر، وإكسابه كل المهارات التي يستطيع من خلالها التواصل مع المجتمع، ولهذا أومأ النبي صلى الله عليه وسلم بإيكال التوجيه العقدي إليهما وأرشد إلى ضرورة تحري ما يقومان به عند تزويد هذا الفرد بالدين.

فمحور الدين الذي ألزم الله به عباده . بما فيه من نسك وعبادات . إنما هو تزكية للنفس البشرية،وتطهيرها مما قد يعلق بها عادة من الأدران والأوضار [271] وذلك بترويض السلوك الإنساني من خلال التوجيه الوجداني بتعاليم الإسلام؛مما يمكّن من حمايته من الانحراف عن جادة الطريق، فيكسب الإنسان سلوكا شرعيا وأخلاقا إسلامية، إذا تواطأ أفراد المجتمع على ممارستها في الوسط الاجتماعي حصل على وسام: **المجتمع الصالح**،وفي هذا تحريض للمسلم أن يحاول التأثير على غيره من أجل تعديل انحراف فطرته، وذلك بتزويده بتعاليم الإسلام.

فمن "أسس العلاقات الاجتماعية الصالحة؛التربية الإسلامية الصحيحة تلك التربية التي تستهدف الحفاظ على الفطرة النقية السليمة التي فطر الله الخلق عليها،فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده،وأنه لا إله إلا هو" [272] ولهذا أرشد الإسلام من خلال تعاليمه الربانية إلى ضرورة

---

[269]- سبق تخريجه: ص: 49.

[270]-أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. 214/8. عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق شركة من العلماء بمساعدة. إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده آغا الدمشقي.

[271]-محمد سعيد رمضان البوطي،منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،ص: 24.دار الفكر.دمشق.سورية.ودار الفكر المعاصر. بيروت لبنان. ط 1: 1981. ط3: 1998م. إعادة: 1421هـ-2000م. بتصرف

[272]-احزمي سامعون جزولي،الحياة في القرآن الكريم،ص:990.دار طويق للنشر والتوزيع الرياض-الناصرية- د ط:1418هـ-1997م.

التجمل بمكارم الأخلاق التي جعلت من الفطرة،وجعل تحريفها عن ذلك جدع يستهجن من المجتمع.

وللحفاظ على الفطرة التي زود الله البشرية بخاصياتها، ألزم الله تعالى أنبياءه بتزويد الإنسان بشرعته ومنهاجه؛ ليسير وفقهما لأداء المهمة التي أنيطت به عند خلقه وهي مهمة الخلافة،ولهذا جاء هذا الباب ليبين بعض أنواع الآداب النبوية التي سنها النبي صلى الله عليه وسلم للناس، مما يسهل عليهم الاهتداء إلى طريق الرشاد في الحياة الدنيا،فيُحصلوا نتاجها في العاجل والآجل، ولسعة موضوع الآداب النبوية ارتأيت أن أقدم الأهم ثم المهم، وجعلت من هذا الباب نموذجا لدراسة بعض هذه الأنواع؛ ليكون بمشيئة الله تعالى فاتحة خير على المسلمين.

قلت إنه موضوع شيق وطويل متشعب، إلا أنني حاولت أن أحصره في نماذج منه،وقد حددتها في أربعة فصول هي:

الفصل الأول:الآداب مع كتاب الله تعالى

الفصل الثاني:الآداب مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الفصل الثالث:آداب الطاعات

الفصل الرابع:آداب المعاملات الفردية

الفصل الأول:

الآداب مع كتاب الله تعالى

الفصل الأول: الآداب مع كتاب الله تعالى

توطئة:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :**"مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**[273]؛إن النبي صلى الله عليه وسلم ربط في هذا الحديث الشريف كثرة الأتباع بنوعية الوحي الذي يوحي الله به إلى الرسل،فرغم أنه جعل لكل نبي من الأنبياء معجزة يدلل بها على صدق تكليفه من الله سبحانه وتعالى-ليؤمن به من شاء الله أن يؤمن به من البشر-إلا أن هذه الآيات الحسية يضمحل تأثيرها بتطاول الزمن على ظهورها،لكن المعجزة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وحي أوحاه الله إليه لا يبلى من كثرة الترديد،ولا يغيب تأثيرها بتطاول الزمن على مجيئها،ومحفوظة من أي تغيير أو تبديل؛ وهو ما جعلها تتلى عبر القرون وكأنما أنزلت في حين تلاوتها،وهذا هو الفيصل بينها وبين سابقاتها من الآيات،فكان لهذا الحفظ أثر في كثرة أتباعها،فالمعجزة القرآنية إذن تصاحبها معجزات علمية آنية ومتأنية،تظهر في أزمنة وأمكنة متغيرة،وقد سادت المرتبة الأولى من حين نزولها،مما جعل أتباع الإسلام يزيدون ولا ينقصون،في حين أن أصحاب الديانات الأخرى نسبة الزيادة فيهم أقل بكثير من نسبة النقصان.

ففي الحديث الشريف الذي افتتحنا به هذا الفصل فضيلة عظيمة للقرآن المجيد؛على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء،وعلى كل كتاب أنزله،ولقد فازت أمة النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التكريم،وهذا الفضل ببركة الكتاب العظيم،الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله من قبل،وجعله مهيمنا عليه وناسخا له وخاتما،فكل الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملة واحدة،وهذا الكتاب نزل بحسب الوقائع؛وهذا لشدة الاعتناء به وبمن أنزل عليه،فكل مرة ينزل فيها كنزول كتاب من الكتب المتقدمة[274].

---

[273]-حديث متفق عليه.أخرجه الإمام البخاري في صحيحه،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم،حديث:7274.ص1317.وكتاب فضائل القرآن،باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل،رقم الحديث: 4981.ص:942،وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان،باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة.رقم الحديث: 239.(152). ص:70.

[274]-عماد الدين إسماعيل الشهير بابن كثير،فضائل القرآن ،ص:102-103.دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت.لبنان.ط 2: 1407هـ-1987م. بتصرف.

قال الله تعالى: **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)** [275]،قال الإمام الشوكاني:"فإن النذارة هي الغرض المقصود من الإنزال، والمراد محمد (صلى الله عليه وسلم) أو الفرقان والمراد بالعالمين هنا الإنس والجن؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل إليهما، ولم يكن غيره من الأنبياء مرسلا إلى الثقلين، والنذير المنذر أي ليكون محمد منذرا أو ليكون إنزال القرآن منذرا، ويجوز أن يكون النذير هنا بمعنى المصدر للمبالغة؛ أي ليكون إنزاله إنذارا أو ليكون محمد إنذارا وجعل الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم أولى لأن صدور الإنذار منه حقيقة" [276] فالمقصد الأساس إذن لإنزال هذا القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هو الإنذار للعالمين.

فالقرآن الكريم في جميع ما تحدث عنه؛من تشريع وأدب وأخلاق وسياسة واجتماع وبرهنة على العقيدة وعرض لجمال الكون وآياته الباهرة,لا يمكن أبدا على مدى الدهور والأزمان مهما اتسعت دائرة العلم والاختراع،واستبحرت الحضارات المستقيمة؛أن تصادم آياته الكريمة علما مقطوعا بحقيقته،ولا كشفا عرفت مباديه ونهاياته،فالقرآن الكريم دستور شريعة إلهية عامة خالدة، خاتمة للشرائع السماوية فهو حق من عند الله،والحق لا يضاد الحق،فإن جاءت هذه المصادمة عمد إلى قانون التأويل العربي الصحيح [277] فيُزال ذلك التصادم بوسيلة من وسائل الجمع أو التأويل، أو الإرجاء للزمن فيكون السيد الأخير في كشف خباياه.

قال تعالى:(**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**)[278] ولقد ربط الإمام الشاطبي فهم القرآن الكريم بالدربة في اللسان العربي؛إذ لو خرج بالإعجاز عن إدراك العقول معانيه؛لكان خطابهم به من تكليف ما لا يطاق،وذلك مرفوع عن الأمة،وهذا من جملة الوجوه الإعجازية فيه؛إذ من العجب إيراد كلام من جنس كلام البشر في اللسان والمعاني والأساليب،مفهوم معقول،ثم لا يقدر البشر على الإتيان بسورة مثله[279].

هذا، وقد أحاط النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم بآداب؛من أجل أن يُبلَّغ ويُتوارث عبر الأجيال غضا كما أنزل،فيحقق في البشرية من خلال ذلك ما حققه في جيل صحابته رضوان

---

[275] سورة:الفرقان، الآية:1.

[276] محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، 82/4.حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمن عميرة. وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق والبحث العلمي. بدار الوفاء.د ط ت.

[277]– محمد الصادق إبراهيم عرجون.القرآن العظيم هدايته و إعجازه في أقوال المفسرين. ص 334. دار القلم للنشر والتوزيع دمشق الدار؛ الشامية للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت. ط1: (1386هـ- 1966م). ط2: (1410هـ- 1989م). بتصرف

[278]– سورة: القمر، الآية: 17.

[279]–إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بأبي إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة،ص 675. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية.بيروت. لبنان. ط1: 1424 – 2005 . بتصرف

الله عليهم–الذين حولهم من قوم قساة جفاة عبدة حجارة وأهواء، إلى عباد ربانيين حرروا العالم من أسر عبادة العباد إلى عبادة رب العباد سبحانه وتعالى– وبذلك جاء تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث من أجل تبيين بعض الآداب مع كتاب الله تعالى:

المبحث الأول: تعظيم كتاب الله تعالى

المبحث الثاني: الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة

المبحث الثالث:اتخاذ القرآن الكريم سلوكا عمليا

المبحث الأول: تعظيم كتاب الله تعالى

توطئة:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :"**إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**"[280]، إن الناعس لا يعي ما حوله:فهو غير عاقل لما يلقى على مسامعه، وغير ضابط لما يتكلم به،ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**" وقد أورد الإمام المباركفوري شرح الحديث بقول الإمام الحافظ:" معنى يسب يدعو على نفسه وصرح به النسائي في روايته أي يريد ويقصد أن يستغفر فيسب نفسه من حيث لا يدري؛ مثلا يريد أن يقول: اللهم اغفر لي،فيقول:اللهم اعفر لي والعفر هو التراب؛ فيكون دعاء عليه بالذل والهوان؛وهو تمثيل وإلا فلا يشترط" [281]. والصلاة تكون بالقرآن فلا يليق الهذيان به دون فهم ووعي لما جاء فيه،فهو كلام الله يخاطب به الإنسان العاقل،والإنسان الناعس غير عاقل، فبذلك نهي عن قراءة القرآن وهو على هذه الحال.

فالقرآن الكريم حرمة من حرمات الله في الأرض،وهو كتاب مقدس مطهر؛وأساس حقوق هذا الكتاب المتفرد بالمزايا العظيمة هو صونه والعناية به،وتقديسه والاهتمام به [282]واتخاذ ما جاء فيه واقعا عمليا في الحياة العامة والخاصة.

وتعظيم كتاب الله تعالى له مظاهر متعددة نذكر بعضا منها في المطالب الموالية:

---

[280] حديث متفق عليه:أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ،كتاب الوضوء،باب الوضوء من النوم ومن لم ير النعسة والنعستين أو الخفقة وضوءا، حديث: 212 .ص: 56. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته،حديث : 786. ص308.

[281] – المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، 660/1.

[282]– سعيد حوى، الأساس في السنة، 1560/4. ومختار شاكر كمال، دعوة إلى تدبر القرآن الكريم،ص 33_34. دار البشير. عمان الأردن. ط1: 1415هـ-1995م.بتصرف.

المطلب الأول: كثرة التفاعل مع كتاب الله تعالى

إن تفاعل الإنسان مع كتاب الله تعالى يتطلب منه تفريغ الوقت والجهد؛من أجل الاهتمام به وجعله من الأولويات التي يجب أن تتصدر حياته،مما يمكنه من إعطائه حقه من التعظيم والتقديس، فتنكشف له مكنوناته التي تحتاج الكثير من الاهتمام والتفاعل،ونذكر فيما يلي أمور تساعد على تحقيق هذا المقصد الجليل:

1. كثرة القيام بكتاب الله تعالى:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال :"**وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ** "[283]،قال الإمام العراقي: "الظاهر أن المراد بصاحب القرآن حافظه، ويدل لذلك الزيادة التي أخرجها مسلم وغيره من حديث موسى بن عقبة:**وإذا لم يقم به نسيه** ؛ ولولا هذه الزيادة لأمكن دخول تلك الصورة في الحديث؛ بأن يقال إن غير الحافظ الذي ألف التلاوة في المصحف ما دام مستمرا على ذلك يدل لسانه به ويسهل عليه قراءته، فإذا هجر ذلك ثقل عليه وصار في القراءة عليه مشقة، وقد صرح أبو العباس القرطبي باعتبار الحفظ في ذلك فقال وصاحب القرآن هو الحافظ له المشتغل به الملازم لتلاوته" [284]، إذن فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف ذكر القرآن الكريم بتعهد قراءته في صلاة الليل،في حين أنه ينساه إذا لم يقم به،قال تعالى: (**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**) [285]، إن الإمام ابن عاشور أبرز المعنى العام للآية الكريمة والتي تشمل كل مؤمني أهل الكتاب فقال:" وعدل عن أن يقال: منهم أمة قائمة إلى قوله من أهل الكتاب: ليكون هذا الثناء شاملا لصالحي اليهود، وصالحي النصارى، فلا يختص بصالحي اليهود، فإن صالحي اليهود قبل بعثة عيسى كانوا متمسكين بدينهم، مستقيمين عليه، ومنهم الذين آمنوا بعيسى وأتبعوه، وكذلك صالحوا النصارى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مستقيمين على شريعة عيسى، وكثير منهم أهل تهجد في الأديرة والصوامع وقد صاروا مسلمين بعد البعثة المحمدية" [286] فالله سبحانه وتعالى مدح مؤمني أهل الكتاب؛لأنهم يعتنون بتلاوة كتابه ليلا قائمين ساجدين له جل شأنه.

---

[283]- صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن ، رقم الحديث :1135. ص212.

[284] -زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي،طرح التثريب في شرح التقريب ،3 /100.مؤسسة التاريخ العربي. د ط ت.

[285]-سورة: آل عمران،الآيات:113-115.

[286] -تفسير التنوير والتحرير لابن عاشور.4/57-58.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل القائم بالقرآن الكريم في حديث آخر؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" **مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطَرِينَ** [287]"[288]. الإمام النووي بين أن صلى الله عليه وسلم ربط قراءة القرآن الكريم بالليل؛ لأنه أخص بالنفحات الإلهية، وبتجليات الرب سبحانه لعباده،وذلك لخلو القلب وانقطاع الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية، فسكون الليل ورهبته أقوى على استحضار القلب وصفائه،وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات،مع ما جاء به الشرع من إيجاد الخيرات في الليل كالإسراء به صلى الله عليه وسلم[289]. فالنبي صلى الله عليه وسلم أكد أن قيام الليل بقراءة عشر آيات بينات من الذكر الحكيم؛ تمنع من حصول الغفلة عن ذكر الله تعالى،ومن ضاعف عدد الآي الحكيم إلى المائة عُدَّ من القانتين له،ومن ضاعف العدد إلى الألف عد من المقنطرين للأجر،وفي هذا كله تحفيز منه صلى الله عليه وسلم للقيام بالقرآن الكريم،وتعهد قراءته في آناء الليل وأطراف النهار.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ**

---

[287]- **القِنْطارُ** : أي أُعْطِي قِنْطاراً من الأجر . جاء في الحديث أن القِنْطار ألف ومائتا أوقيَّة والأُوقيَّة خَير ممَّا بين السماء والأرض . وقال أبو عبيدة: القَناطير : واحدها قِنْطار ولا تَجِد العرب تَعْرِف وَزْنه ولا واحد للقِنطار من لَفْظه . وقال ثعلب : المَعْمول عليه عند العرب الأَكْثر أنه اربعة آلاف دينار فإذا قالوا قناطير مُقَنْطَرَة فهي اثنا عشر ألف دينار . وقيل : إنَّ القِنطار مِلْء جِلْد ثَور ذَهباً . وقيل : ثمانون ألفاً . وقيل : هو جُمْلة كثيرة مجهولة من المال" الجزري،النهاية في غريب الحديث والأثر،113/4.

[288]-سنن أبي داود،كتاب شهر رمضان،أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله،باب تحزيب القرآن،رقم الحديث: 1398،ص:169.صحيح. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم الحديث: 642 . 241/2. وأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري. مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. جماع كتاب الصلاة،باب فضل قراءة ألف آية في ليلة إن صح الخبر،رقم الحديث:1144. 567/2. حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه:ماهر سياسي الفحل قدم له: أحمد معبد عبد الكريم. إشراف ومراجعة وضبط وتدقيق الفريق العلمي لمشروع موسوعة جامع السنة.دار الميمان للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ط 1: 1430هـ-2009م. والأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي .وصحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان .كتاب الصلاة،باب النوافل،رقم الحديث: 2572. 310/6-311 .حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه:شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان ط 2: 1414هـ-1993م. وأبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة، المصنف،كتاب فضائل القرآن،من قرأ مائة آية أو أكثر،رقم الحديث: 30585. 240/10. تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد بن إبراهيم اللحيدان.مكتبة الرشد ناشرون المملكة العربية السعودية.الرياض. ط 1: 1425هـ- 2004م.أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.المعجم الكبير.-من اسمه عبد الله،ومما أسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ابن حجيرة،رقم الحديث: 7748. 211/8-212.حققه وخرج أحاديثه.حمدي عبد المجيد السلفي.مكتبة بن تيمية.القاهرة . د-ط-ت.

[289]- أبو زكريا بن شرف النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص: 50 .تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان. دار النفائس، بيروت، لبنان. ط1: 1404هـ-1984م. ط2: 1407هـ-1987م.بتصرف.

فَقَالَ رَجُلٌ لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ" [290]؛ الإمام النووي بين أن المراد بالحديث: أنه لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما[291] من أعمال الخير.

فالنبي صلى الله عليه وسلم جعل تلاوة القرآن الكريم أناء الليل وأطراف النهار؛محل التنافس الحقيقي بين المؤمنين،فالرجل الذي لم يؤت القرآن يتمنى أن يكون له من القرآن ما ينافس جاره في تلاوته،فيحصل على الأمن والإيمان كما حصل عليه الآخر.

وقد خصت القراءة في الصلاة لأنها وسيلة للتدبر،ولذلك قرن الله تعالى بينهما في أكثر من موضع من القرآن الكريم؛فاجتماع القرآن مع الصلاة يمكن أن يُشبه باجتماع الأكسجين مع الهيدروجين؛حيث ينتج من تركيبهما الماء الذي به حياة الأبدان،فكذلك اجتماع القرآن مع الصلاة ينتج عنه ماء حياة القلب وصحته وقوته،لأن الليل مظنة الخضوع والتدبر ومواطأة القلب للسان، قال تعالى:(**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**) [292]،والإمام الشنقيطي بين أن ما ينشأ من قيام الليل أشد مواطأة للقلب،وأقوم قيلاً في التلاوة والتدبر والتأمل، وبالتالي بالتأثر، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه صلى الله عليه وسلم من القول،فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة.فالقرآن لا يثبت في الصدر ولا يسهل حفظه ويُيسر فهمه؛إلا القيام به من جوف الليل،ولهذا فإن ناشئة الليل كانت عوناً له صلى الله عليه وسلم على ما سيلقى عليه من ثقل القول[293]ومن مواجهة الكفار.

فالقيام بالقرآن الكريم إذن هو صورة من صور تعظيمه،وهو وسيلة لحصول تدبره وتفهمه.

---

[290]- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب فضائل القرآن، باب: اغتباط صاحب القرآن، رقم الحديث: 526.ص:949. وكتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث: 73.ص:31. وكتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه، رقم الحديث: 1409.ص:261. وكتاب الأحكام، باب أجر من قضى بالحكمة ، رقم الحديث: 7141.ص:1293. وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى ، رقم الحديث: 7316.ص:1325. وكتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل) ، رقم الحديث: 7528.ص:1361.

[291]- النووي،شرح صحيح مسلم،324/3. بتصرف.

[292]- سورة:المزمل،الآية:6.

[293]-محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، 359/8. إشراف مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان. د . ط . 1429هـ - 2009م. بتصرف.

2. البكاء عند سماع القرآن الكريم:

عَنْ مُطَرِّفٍ بن عبد الله بن الشخير،عن أبيه رضي الله عنه،قَالَ:" **انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ** [294]"[295]،قال الإمام العظيم آبادي: "واستدل على جواز البكاء في الصلاة بقوله تعالى:(**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**)[296]"[297]؛فالقرآن الكريم له أثر عظيم في النفس؛فهو كلام الله مع الإنسان، والمؤمن الخاشع الواعي لما يقرأ، يتأثر بكلام ربه معه،وهو ما يتبين من خلال هذه الرواية الشريفة؛ الواصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند قراءته للقرآن الكريم،متأثرا بآيات الرحمن،فيكون لصدره أزيز بسبب تدافع القراءة والبكاء في صدره؛فيكون له صوت كصوت القدر المكتوم بالغطاء وهو يغلي، وهذه الحالة تدل على شدة التدافع بين البكاء وصوت القراءة، متأثرا بما في كلمات القرآن الكريم؛المخاطبة له كنبي وكجنس للبشر:بالأمر والنهي؛فيكون البكاء أثر الفرق منه جل شأنه،أو استبشارا لما عنده من رحمة وفضل جل شأنه،قال تعالى:(**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**)[298]، وصف جل شأنه ذكر الخشية التي تحملها القلوب مستلزم لذكر القلوب،فكأنه قيل: تقشعر جلودهم وتخشى قلوبهم في أول الأمر،فإذا ذكروا الله تعالى وذكروا رحمته وسعتها، استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم،وبالقشعريرة لينا في جلودهم؛فالمؤمنون الصادقون يجمعون عند قراءتهم أو سماعهم

---

[294] **أَزِيزُ الْمِرْجَلِ**: وهو الغلَيان. والمعنى: أن يَجِيش جوفُه ويَغْلي بالبكاء. الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر، 45/1.بتصرف

[295]– السنن الكبرى للنسائي،كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة،رقم الحديث: 1214. ص:144.وصحيح ابن خزيمة،جماع أبواب الكلام المباح في الصلاة،باب الدليل على أن البكاء في الصلاة لا يقطع الصلاة مع،حديث: 900. 114/2. وأبو عبد الله الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي– كتاب الصلاة، باب سبحان ربي الأعلى،1 | 264.(قال الإمام الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه،تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم). إشراف يوسف عبد الرحمان المرعشلي دار المعرفة . بيروت لبنان: د.ط.ت. وأبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الذهلي الشيباني، المسند، مسند المدنيين حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه،حديث:16312. ص: 1141(قال عبد الله بن أحمد: لم يقل من البكاء إلا يزيد بن هارون) ،بيت الأفكار الدولية. الأدرن عمان، والسعودية. دط:2004م. قال شعيب الارنؤوط: (إسناده صحيح على شرط مسلم). أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني . مسند الإمام أحمد بن حنبل، 239/26 ، مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، 1416 هـ – 1995م. حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد.

[296] –سورة مريم، الآية:58.

[297]– العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، 426.

[298]– سورة: الزمر،الآية:23.

للقرآن الكريم بين الخوف والرجاء؛الخوف من عذاب الله تعالى والرجاء في رحمته ومغفرته،إذ أن اقشعرار الجلود كناية عن الخوف الشديد،ولين الجلود والقلوب كناية عن السرور والارتياح[299].

فالله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية الكريمة؛أن الإنسان يعيش بين حالين مع القرآن الكريم:فهو بين الخوف والرجاء؛وهذا حين يسمع أحسن حديث على وجه الأرض،والذي يصيب المؤمن بقشعريرة تليها ليونة في الجلد والقلب؛وهذان الحالان المتناقضان في زمنيين متتالين مترابطين لا تكون لأي حديث،وإنما هي لأحسن حديث؛ألا وهو كتاب المولى تبارك وتعالى.

قال جل شأنه :(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**) [300]فالله سبحانه وتعالى يؤكد أن المؤمنون حقا هم أولئك الذين يظهر الوجل عليهم بعد وجل قلوبهم،عند ذكر الله تعالى،ويتبين ذلك الوجل في تصرفهم،حيث قال تعالى :(**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**)[301]؛إن الوجل من الله جل شأنه الذي يصحب الإنسان فيحوِّله إلى حال الخشوع والخضوع لله تعالى لإحساسه بكثرة إنعامه جل شأنه مع تقصيره هو في شكر مولاه على فضله وإنعامه، وقد وضح الإمام الرازي ارتباط الإنعام من الله تعالى بشكر الإنسان؛ فقال :"العبد لا يمكنه الإتيان بعبادة الله تعالى وشكر نعمه والقيام بحقوق كرمه على سبيل الكمال والتمام،بل العبد وإن أتعب نفسه في القيام بالطاعات والعبادات،وبالغ في شكر نعمة الله تعالى فإنه يكون مقصراً،وذلك لأن الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلمه بتلك النعم على سبيل التفصيل والتحصيل، فإن من لا يكون متصوراً ولا مفهوماً ولا معلوماً امتنع الاشتغال بشكره،إلا أن العلم بنعم الله تعالى على سبيل التفصيل غير حاصل للعبد،لأن نعم الله تعالى كثيرة وأقسامها وشعبها واسعة عظيمة،وعقول الخلق قاصرة عن الإحاطة بمباديها فضلاً عن غاياتها، وأنها غير معلومة على سبيل التفصيل،وما كان كذلك امتنع الاشتغال بشكره على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لائقاً بتلك النعم"[302].

هذا، وإن الخشوع الذي يظهر على الإنسان نابع من شدة الفرق منه جل شأنه ومن عذابه وغضبه،وما يلبث استمرارهم في القراءة حتى ينقلهم القرآن الكريم إلى نفحات الله

---

[299]-محمد سيد طنطاوي،التفسير الوسيط،12/(281-282). مؤسسة الرسالة،ط3: 1047هـ-1987م. ومحمد هشام بن لعل محمد طاهري، القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم –دراسة عقادية–ص: 227.تقديم:محمد عبد الرحمان الخميسي. دار التوحيد للنشر والمملكة العربية السعودية الرياض ط1 (1426هـ- 2005م). بتصرف.

[300]-سورة:الْأَنْفال،الآية:2.

[301]- سورة:الْإِسراء،الآية:109.

[302]- الرازي ،أحكام القرآن،14/20.

تعالى؛فيرجون بذلك رحمته ومغفرته،وقد تمثل ذلك في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم واقعا ملموسا من الصحابة رضوان الله عليهم منقولا إلينا منهم في أفضل تمثيل.

فالبكاء إذن عند تلاوة القرآن الكريم دليل خشوع للمؤمن؛نابع من تعظيمه لما جاء فيه من وعد ووعيد.

3. اغتنام الأزمنة والأمكنة الشريفة عند قراءة القرآن:

إن عظمة القرآن الكريم تستدعي أن يأخذ الحظ الأوفر من حياة الإنسان،وقد جعل الله سبحانه وتعالى محطات زمنية ومكانية يستغلها الإنسان من أجل التزود منها في حياته الإيمانية؛ لأنها محطات تضاعف فيها الحسنات وتقل فيها العثرات،ويستعتب الإنسان فيها،ومن هذه المحطات:

اغتنام شهر رمضان: إن شهر رمضان شهر مبارك قال تعالى: (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**) [303]،جاء تفسير الآية في البحر المحيط كما يلي: "انتصاب: هدىً، على الحال وهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل، أي: هادياً للناس، فيكون: للناس، متعلقاً بلفظ. هدىً ، لما وقع موقع هادٍ ، وذو الحال القرآن، والعامل: أنزل، وهي حال لازمة، لأن كون القرآن هدىً هو لازم له ، وعطف قوله : وبينات ، على : هدىً ، فهو حال أيضاً ، وهي لازمة ، لأن كون القرآن آياتٍ جليات واضحات وصف ثابت له ، وهو من عطف الخاص على العام ، لأن الهدى : منه خفي ومنه جلي ، فنص بالبينات على الجلي من الهدى ، لأن القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ، والناسخ والمنسوخ ، فذكر عليه أشرف أنواعه، وهو الذي يتبين الحلال والحرام والموعظة"[304] .

إن هذا الشهر الكريم أخذ كرمه من نزول أفضل الكلام إلى الأرض تزامنا بحلوله،ليكون للناس نورا يهتدون به في ظلمات الدنيا وينفكون به من زخرفها، فيكون هو الفارق بين الحق والباطل، وقد جعله الله سبحانه وتعالى من الأزمنة الشريفة التي تفتح السباق بين عباد الله تعالى في الأعمال الصالحة،ومن أهم هذه الأعمال التي تفتح في هذا الشهر الكريم:

- **القيام بالقرآن في شهر رمضان:**

---

[303] سورة:البقرة،الآية:185.

[304] -محمد بن يوسف الشهير ب أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط . 47/2. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-ط 1: 1413هـ-1993م. دراسة وتحقيق وتعليق:عادل أحمد عبد الموجود، وأحمد النجولي الجمل.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :**"مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ،غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"** [305]،لقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم غفران ما تقدم من الذنوب بالقيام في هذا الشهر الكريم،وهذا استنفارا منه لأمته من أجل اغتنام شهر رمضان للقيام بالقرآن الكريم.

- **ختم القرآن في شهر رمضان:** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:" **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ"** [306]إن هذه الرواية تؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختم القرآن الكريم خلال شهر رمضان،تحسبا منه لفضل الارتباط بين هذا الشهر الكريم والمواظبة على قراءة القرآن الكريم خلاله.
- **اغتنام المسجدين الشريفين بالصلاة:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :**"صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"**[307].

فارتباط القرآن الكريم بالصلاة ارتباط السبب بالمسبب .

فالقرآن الكريم ابتدئ نزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام،كما أنه نزل في زمن شريف وهو شهر رمضان،فاجتمع له شرف الزمان وشرف المكان،ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان؛لأنه ابتدئ بنزوله في شهر رمضان [308]؛فلهذا كانت قراءته في الأزمنة والأمكنة الشريفة مما يزيد من فضله وفيوضات الرحمن على عباده المؤمنين.

فاغتنام الأزمنة والأمكنة الشريفة بقراءة القرآن الكريم في من باب تعظيمه.

وبذلك نصل إلى أن كثرة القيام بكتاب الله تعالى والبكاء عند سماعه مع الحرص على ذلك في الأزمنة والأمكنة الشريفة: يساعد على التفاعل مع آيه الكريمة.

---

[305] صحيح البخاري،كتاب الإيمان،باب:تطوع قيام رمضان من الإيمان،حديث: 37.ص22، و كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، حديث:2009. ص: 362 ،وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان،حديث : 759.ص298.

[306]–صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه و سلم.رقم الحديث: 4997. ص:945. وكتاب الصوم، باب : أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان– حديث:1902.ص345.

[307]– صحيح البخاري ،كِتَاب الْجُمُعَةِ .بَاب فَضْلِ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، رقم الحديث: 1190. ص:221. و صحيح مسلم،كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة – حديث:1394.ص376.

[308]–أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، فضائل القرآن،ص:7. بتصرف.

المطلب الثاني: تقديس كتاب الله تعالى

ويتجلى تقديس كتاب الله تعالى في عدة مظاهر نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1. الإتيان بسُجُودِ التِّلَاوَةِ:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه:" **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ سُورَةً فِيهَا سَجْدَةٌ،فَيَسْجُدُ وَنَسْجُدُ مَعَهُ ،حَتَّى مَا يَجِدُ بَعْضُنَا مَوْضِعًا لِمَكَانِ جَبْهَتِهِ** "[309]،فالنبي صلى الله عليه وسلم يسجد في الصلاة وفي غيرها إذا ما مر في قراءته بسجدة،ويأخذ أصحابه بعمله.

فسجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع له[310] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم المغزى الحقيقي من سجود التلاوة؛فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ–وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ يَا وَيْلِي–أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ**" [311]. قال الإمام الجزري:" ومعنى النِّداء فيه:يا حُزْني ويا هَلاكِي ويا عَذابي؛احْضُرْ فهذا وَقْتُك وأَوَانُك، فكأنه نادَى الوَيْل أن يَحْضُرَه لِما عَرَضَ له من الأمر الفَظيع؛ وهو النَّدَم على تَرْكِ السُّجود لآدَمَ عليه السلام. وأضافَ الوَيْل إلى ضمير الغائِبِ حَمْلا على المعنى وعَدَل عن حكاية قَوْلِ إبليسَ [يا وَيْلِي] كَراهةَ أن يُضِيفَ الوَيْلَ إلى نَفْسِه "[312]؛إن تاريخ الصراع بين الشيطان والإنسان أزلي،وقد ارتبط بأمر السجود من إبليس لآدم عليه السلام؛ اعترافا منه لقدرة الله جل جلاله،فاستكبر عن السجود لما خُلق من طين،فكان هذا العصيان سببا لخروجه من الجنة، وإتباعه بلعنة إلى يوم الدين،فتمثل بعد ذلك السجود في حياة الإنسان دلالة الطاعة والذلة للمولى تبارك وتعالى،وفي نفس الوقت دلالة انتصار ابن آدم على الشيطان الذي تعهد إبليس بتضليل آدم وذريته في الحياة الدنيا عنه؛ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ**" ؛ فسجود التلاوة هو تعظيم لكتاب الله تعالى،وهذا التعظيم هو تعظيم لذات الله تعالى، ومخالفة ما قرر إبليس اللعين حين أُخرج من الجنة،لأن مصيره إلى

---

[309]– صحيح البخاري،كتاب الجمعة، أبواب سجود القرآن، باب من سجد لسجود القارئ، حديث: 1075.ص202 ، وكتاب الجمعة، أبواب سجود القرآن، باب ازدحام الناس إذا قرأ الإمام السجدة، حديث: 1076.ص:202 ، وكتاب الجمعة، أبواب سجود القرآن،باب من لم يجد موضعا للسجود مع الإمام من الزحام، حديث: 1079.ص:203 ، وصحيح مسلم،كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب سُجُودِ التِّلَاوَةِ، رقم الحديث:575. ص:229.

[310]– النووي، شرح صحيح مسلم ، 74/3.بتصرف

[311] –صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة،رقم الحديث:81.ص58.

[312] –الجزري،النهاية في غريب الحديث والأثر،236/5.

النار،ولهذا يقول:" **أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ**"[313]،فإبليس أمر بالسجود فأبى فله النار،وعندما يمتثل ابن آدم للأمر بالسجود فيسجد فله الجنة؛ وهو دلالة الخضوع والخنوع لله تعالى.

وبهذا جُعل السجود تقديس لله تعالى،وتعظيم لآيه الكريمة.

2. إكرام حامل القرآن:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" **إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِكْرَامَ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغالي فِيهِ وَلاَ الجافي عَنْهُ**"[314]؛إن تعظيم القرآن الكريم هو تعظيم لله جل جلاله؛لأنه كلامه سبحانه وتعالى وخطابه لخلقه، وكأن حامل القرآن الكريم-حفظا ودراسة-وبغير تنطع فيه ولا تارك لحدوده،استحق تكريمه، وبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف أن من مظاهر كمال تعظيم الله وتبجيله إكرام حامل القرآن؛حافظه الشاق على حفظه وقارئه ومفسره؛غير الغالي فيه ولا المتشدد ولا المجاوز الحد في فهمه والأخذ به؛وكذا غير الجافي عنه؛والمتباعد والمعرض عن تلاوته، وعن إحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه،والجفاء يكون أعظم عند تركه بعد العلم به، وحاصله أن كل من طرفي الإفراط والتفريط مذموم والمحمود هو الوسط العدل [315] في الأخذ بالقرآن الكريم قولا وعملا وفهما.

هذا،ومن صور إكرام حامل القرآن الكريم تقديم صاحب القرآن في كل شيء حتى في اللحد؛فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :"**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ**

---

[313] سبق تخريجه، ص:66.

[314]- سنن أبي داود،كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم،رقم الحديث: 4224 قال الألباني: وإسناد حسن عندي.الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة وشيء من فقهها وفوائدها، 247/7.ومصنف ابن أبي شيبة،كتاب البيوع والأقضية،في الإمام العادل،رقم الحديث: 22231. 501/7. و أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ،كتاب القسامة،كتاب قتال أهل البغي،باب النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، 163/8. مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الدكن. الهند. الطبعة : الأولى : 1344 هـ.

[315]-محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب،عون المعبود شرح سنن أبي داود،ص:2095. بتصرف

وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ" [316]؛ ففي هذه الرواية الشريفة يتأكد تعظيم أن النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم وذلك بإكرام صاحبه؛فيقدمه في اللحد حيث يقول:" **أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ"**، فيتبين من ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يأخذون القرآن الكريم حفظا ودراسة وعملا،لكنهم يتفاوتون في هذا الأخذ،فجعل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الفروق في الإقبال على كتاب الله تعالى وسيلة للإكرام عند الدفن،وختم النبي صلى الله عليه وسلم لهم جميعا بشهادته عليهم بالخير.

وهذا خطاب إشاري منه صلى الله عليه وسلم للأحياء بأن يتعلموا القرآن،ولا يغفلوه أبدا لأن الله أكرم حملته في حياتهم وبعد مماتهم[317].

وعليه فإن الأخذ بالقرآن الكريم حفظا وتفسيرا؛هو محل التقديم والتقدير والإكرام، لأن إكرام حامل القرآن الكريم هو إكرام وتقديس للقرآن الكريم،نابع من إجلال وتقديس الله جل جلاله.

3. عدم قِرَاءَة الْقُرْآنِ الكريم فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:**"كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ:"أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ** [318] **أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ"**[319]. قال الإمام العظيم آبادي في شرح المقصد من عدم قراءة القرٰن الكريم بقوله:"خصت القراءة بالقيام أو القعود عند العجز عنه لأنهما من الأفعال العادية ويتمحضان للعبادة بخلاف الركوع والسجود لأنهما بذواتهما يخالفان العادة ويدلان على الخضوع والعبادة ويمكن أن يقال إن الركوع والسجود حالان دالان على الذل ويناسبهما الدعاء والتسبيح فنهي عن القراءة فيهما تعظيما للقران الكريم

---

[316]–صحيح البخاري،كتاب الجنائز،باب الصلاة على الشهيد،حديث: 1343.ص248.وكتاب الجنائز ،باب الصلاة على الشهيد، حديث:1342. ص: 248، وكتاب الجنائز، باب دفن الرجلين والثلاثة في قبر واحد،حديث: 1345.ص:248 ،و كتاب الجنائز، باب من يقدم في اللحد، حديث:1348.ص:249، وكتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد – حديث:4079.ص: 740.

[317]–أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك.شرح صحيح البخاري، 334/3. ضبط نصه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.مكتبة الرشد. الرياض .د.ط.ت. بتصرف

[318]– قَمَنٌ: وقَمِنٌ وقَمينٌ أي خَليق وجَدير فمن فَتَح الميم لم يُثَنِّ ولم يَجْمَعْ ولم يُؤَنّث لأنه مَصْدر ومن كسر ثَنَّى وجمع وأَنَّثَ لأنه وَصْفٌ وكذلك القَمِين. الجزري،النهاية في غريب الحديث والأثر، 111/4.

[319]– صحيح مسلم ، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود – حديث : 479.ص196.

وتكريما لقارئه القائم مقام الكليم والله بكل شيء عليم" [320] والخنوع له جل شأنه؛ فوضعيتي الركوع والسجود هما وضعيتا ذل وخضوع لله تعالى،والقرآن الكريم كلامه جل شأنه لخلقه،وهو مقدس فلا يليق أن يقرأه الإنسان في الركوع والسجود،لأنهما وضعيتا ذل للإنسان مع خالقه سبحانه وتعالى،فلا يليق إذلال كلام الله تعالى،وقد جعل التعظيم يناسب وضعية الركوع، وجعل الدعاء مناسب لوضعية السجود؛ لأنها وضعية في غاية الذلة والخضوع للمعبود جل شأنه، أو كما أرشد صلى الله عليه وسلم.

فالمقصد من منع قراءة القرآن الكريم في الركوع وفي السجود هو تعظيم لكتاب الله تعالى،فلا يقرأ في وضعية الخضوع والذل،لأن كلام الله تعالى مقدس،والمقدس لا يعامل إلا بالتقديس وهي وضعية الاستقامة لقراءته؛ قياما أو جلوسا.

[320]- العظيم آبادي ،عون المعبود ،ص:(4010-4011).

المطلب الثالث:التآلف على القرآن الكريم

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ**" [321]؛ إن ظاهر هذا الحديث يدل إذن على ألا يقرأ القرآن إلا بجمع القلب على قراءته،وإذا كان القلب مخالفا لما يتلى فلا يتلى وهذا إعظام لجناب الربوبية وهو أرفع العبادات [322]. وفي حال الاختلاف بين المسلمين في فهم النص فإن القراءة لا يجتمع لها الفكر، بقدر ما يكون الهم منصبا على مماراة الخصم؛ ولهذا كان التآلف على القرآن الكريم ضرورة شرعية:من أجل وحدة الصف،والاختلاف فيه يستلزم التوقف عن الخوض فيه بل ومغادرة مجلس الاختلاف إذا لم يقع ائتلاف من خلال طرح الآراء المختلفة في فهم القرآن الكريم؛وهذا ما أكده النبي صلى الله عليه وسلم لأمته؛وكأن الاختلاف هنا يدل على دخول الشيطان بين الدرسين لكتاب الله،والأمر بالقيام يدل على الإعراض عن الاختلاف الحاصل بينهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم يسعى من خلال توجيهه في هذا الحديث الشريف إلى جمع الكلمة على أقدس كتاب،فإذا اتفقت الألسنة؛اتفقت القلوب وتوحدت الصفوف؛لكن إذا وقع الاختلاف في القلوب،فلا فائدة من تلاوة الألسن بعد ذلك،وترك التلاوة والقيام أولى لمراجعة كل فرد لنفسه؛لعله يستدرك خطأه أو يتنازل عن رأيه،وهذا من أجل حفظ وحدة جماعته.

ولتحقيق التآلف على كتاب الله تعالى يجب الحذر من أمور نذكر منها:

- **عدم الاختلاف في كتاب الله تعالى:**

عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ :"**هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَالَ:فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ فَقَالَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ**" [323]، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى:"المراد بهلاك من قبلنا هنا هلاكهم في الدين بكفرهم وابتداعهم، فحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثل فعلهم،والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء؛على اختلاف لا يجوز،أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز؛كاختلاف في القرآن

---

[321]- صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن، باب:(اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم)،رقم الحديث 5060.ص954. و كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف، حديث: 7364.ص:1331، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف،حديث: 7365.ص:1331 ، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب النهي عن إتباع متشابه القرآن،حديث:2667.ص1099.

[322]-عبد الرحمان بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها، 1178/2. تحقيق د.بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين ط1، سبتمبر1997م. بتصرف.

[323]-صحيح مسلم،كتاب العلم، باب النهي عن إتباع متشابه القرآن،رقم الحديث : 2666.ص: 1099.

نفسه أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد أو اختلاف يوقع في شك أو شبهة أو فتنة وخصومة أو شجار ونحو ذلك، وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق واختلافهم في ذلك فليس منهيا عنه بل هو مأمور به وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن والله اعلم"[324].

إن خصومة الصحابة رضوان الله عليهم كانت بِالْإِثْبَاتِ وَالنَّفْي،وَكَأَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ كَانَ يَسْتَدِلّ بِمَا يُنَاسِب مَطْلُوبه مِنْ الْآيَات،وَلِذَلِكَ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:" **تَضْرِبُونَ الْقُرْآن بَعْضه بِبَعْضٍ**"[325]. فالنبي صلى الله عليه وسلم يغضب عند كل جدال،وأي اختلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم في فهم كتاب الله تعالى،وهذا الغضب عائد لكون الاختلاف على دستور الأمة فيه خطورة وسوء عاقبة على الناس في العاجل والآجل.

وبذلك يكون عدم الاختلاف على ما جاء في القرآن الكريم والتسليم له يساعد على التآلف على القرآن الكريم.

- **عدم ضرب القرآن الكريم بعضه ببعض:**

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ :"**خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدَرِ فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ [326]مِنَ الْغَضَبِ فَقَالَ:بِهَذَا أُمِرْتُمْ أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ.بِهَذَا هَلَكَتِ الأُمَمُ قَبْلَكُمْ**"[327].

فظاهر هذا الحديث يدل إذن على ألا يقرأ القرآن إلا بجمع القلب على قراءته،وإذا كان القلب مخالفا لما يتلى فلا يتلى وهذا إعظام لجناب الربوبية وهو أرفع العبادات [328].فالنهي عن كثرة الخصومة في القرآن الكريم راجع إلى أنها تؤدي بالضرورة إلى ضرب القرآن بعضه ببعض،أو تكذب بعضه وتصديق آخر،ولهذا غضب النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا عند وقوعه بين أصحابه رضوان

---

[324]– النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ،436/8.

[325]– حاشية السندي على سنن ابن ماجه،65/1. بتصرف

[326] –يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ: أي انفَلَقَتْ وانْشَقَّتْ. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، 461/3.

[327]–سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة،باب في القدر،رقم الحديث 85. ص:26. ومسند أحمد بن حنبل،ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، رقم الحديث: 6668.ص:478. ومصنف ابن أبي شيبة– كتاب فضائل القرآن، من نهى عن التماري في القرآن، رقم الحديث: 30671. 255/10.قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد حسن. مسند الإمام أحمد بن حنبل. 250/11.

[328] –عبد الرحمان بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليها لها وما عليها ، 1178/2. بتصرف

الله عليهم،لأن هذه الخصومة في كتاب الله تعالى تؤدي بالضرورة إلى التقول على الله بغير علم،ومن ثمَّ تؤدي إلى تفرق الأمة بتعصب كل فريق إلى رأيه تشيعا.

إن الخوض في القدر نوع من الاختلاف في كتاب الله تعالى؛فعلى الأمة اجتناب جميع أشكاله.

- **عدم المراء في القرآن الكريم:**

إن الجدال المنهي عنه في القرآن هو ما بينه حديث أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-قَالَ: **"الْمِرَاءُ[329] فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ"**[330]؛وقد وضرب الإمام العيني أمثلة عن المراء في القرآن الكريم بقوله:" وأنه لا ينبغي أن يقول أحد لبعض القرآن ليس هو هكذا ولا يقال إن بعض القرآن خير من بعض"[331] والمراء في كتاب الله تعالى نوع من أنواع الاختلاف، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم كفر؛ لأنه يؤدي إليه بالضرورة في أحد طرفي الخصام؛ بسبب كفر أحد طرفي المراء بسبب شكه فيما جاء في القرآن الكريم،وبذلك سمي بنتيجته.

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن الجدال نتيجة حتمية للضلال؛فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**"مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [332]"**[333].فالذين يتلبسون بالضلال يصير كل أمرهم شك وتشكيك، ولكي يستروا شكهم وارتيابهم يجادلون بكل ما أوتوا من أدلة في زعمهم أنها

---

[329]- **المِرَاءُ** : الْجِدَالُ والتَّمارِى والمِرَاءُ : المجَادَلَةُ على مذهب الشَّكِّ والرِّيبَة . ويقالُ لْلِمُناظَرَة : مُمَاراة لأن كلَّ واحِدٍ منهما يَسْتَخْرِجُ ما عند صاحِبِه ويَمْتَرِيه كما يَمْتَرِى الحالِبُ اللَّبَنَ من الضَّرْعِ . النهاية في غريب الحديث والأثر،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. حرف الميم، باب الميم مع الراء.313/4.

[330]- سنن أبي داود،كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن، رقم الحديث: 4603. ص:503. قال الإمام الألباني: صححه ابن عبد البر. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 1324/7. وصحيح ابن حبان،كتاب الصلاة،باب الوعيد على ترك الصلاة-ذكر خبر تاسع يدل على صحة ما ذكرنا أن العرب تطلق،رقم الحديث: 1464. 4/(324-325). (قال الإمام الأرنؤوط :حديث صحيح). ومصنف ابن أبي شيبة،كتاب فضائل القرآن من نهى عن التماري في القرآن، رقم الحديث: 30669. 255/10. ومسند أحمد بن حنبل،ومن مسند بني هاشم، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: 7989.ص:571.(إسناده صحيح على شرط الشيخين).

[331] - العيني ، عمدة القاري ، 136/15.

[332] سورة الزخرف، الآية:58.

[333]-سنن الترمذي الجامع الصحيح،أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب:ومن سورة الزخرف،رقم الحديث: 3253. ص:516.(قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار وحجاج ثقة مقارب الحديث وأبو غالب اسمه حزور)،ومسند أحمد بن حنبل،مسند الأنصار،حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو ويقال:رقم الحديث: 22164. ص:1623.(حديث حسن بطرقه وشواهده) (واللفظ له).قال شعيب الأرنؤوط:حديث حسن بطرقه وشواهده.مسند الإمام أحمد بن حنبل. 493/36. والمستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب التفسير،تفسير سورة الزخرف-حديث: مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ، 448/2 (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه،تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم). وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل،رقم الحديث:47. ص:23. قال شعيب الارنؤوط:حديث حسن بطرقه وشواهده، أحمد بن حنبل.493/36.

منطقية، في حين هي أدلة وهمية،تفتقد الأصالة الشرعية،وكذا التحكيم العقلي الصريح الذي لا يناقض العقل الصريح، وقد وقع هذا النوع من الجدال في العصور المتأخرة؛ مما أحدث الكثير من الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية، لدرجة التقاتل بينهم من أجل انتصار أفكار معينة ليست من أساسيات الشرع ولا من مقاصده.

وبذلك يكون المراء في القرآن الكريم نوع اختلاف؛ الذي يؤدي إلى التفرقة بين الأمة.

- **عدم اتباع متشابه القرآن، والحذر من متبعيه:**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ :"**تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)**[334]قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ**"[335]؛ فاتباع متشابه القرآن الكريم نوع من الجدال العقيم؛الذي يؤدي إلى تلبيس الحق بالباطل،وهو أخطر شيء على تجمع الأمة؛فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**"[336]،فالمنافق لا يتورع على الإيقاع بالمؤمنين في شراك الفرقة والتعصب والانقسام شيعا،ولهذا تخوف منه صلى الله عليه وسلم لأنه يلبس ثوب الإسلام،وهو عدو لدود لأهله بلسانه الذي ينطق بالبيان،ويلبس أفكاره حجية،حتى لا يستطيع المسلم قليل الزاد من العلم الشرعي التردد في الانسياق وراء أفكاره؛ التي تحمل بين جنبيها سموما دفينة تعصف بالأمة عصف الإعصار.

ونخلص مما سبق إلى وجوب الوحدة على القرآن الكريم قراءة وفهما ودراسة–إلا ما يستدعي الخلاف الذي يؤدي بالضرورة إلى التخفيف على الأمة، لا الاختلاف الذي

---

[334]– سورة:آل عمران ، الآية: 7.

[335]– صحيح البخاري،كتاب تفسير القرآن(ال عمران)،.سورة البقرة ،باب منه آيات محكمات، رقم الحديث: 4547.ص:820 ،وصحيح مسلم،كتاب العلم،باب النهي عن إتباع متشابه القرآن،والتحذير من متبعيه،والنهي عن الاختلاف في القرآن،رقم الحديث2665. ص 1099.

[336]–مسند أحمد بن حنبل،مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الخلفاء الراشدين،أول مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم الحديث: 143. ص34.قال الأرنؤوط: إسناده قوي مسند الإمام أحمد بن حنبل. 399/1. وصحيح ابن حبان،كتاب العلم، ذكر ما كان يتخوف صلى الله عليه وسلم على أمته جدال،رقم الحديث:80. 281/1.

يعصف بوحدتها واستقرارها وأمنها بل وزعزعة الصف فيها–فإن الأحاديث في مجموعها تحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف، والنهي عن المراء في القرآن الكريم بغير حق [337]،فيخرج الإنسان عن مراد الله تعالى من الذكر الحكيم، وتحميل النصوص مالا تحتمل، فنهلك كما هلك من كان قبلنا بهذا الأمر أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبذلك يكون تعظيم كتاب الله تعالى له مظاهر متعددة نذكر منها: كثرة القيام به،والإتيان بسُجُودِ التِّلَاوَةِ،والبكاء عند سماعه،واغتنام الأزمنة والأمكنة الشريفة عند قراءته، وإكرام حامله، وأيضا عدم قِرَاءَته فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ،مع التآلف على قراءته ودراسته.

هذا عن كيفية الأخذ بأدب تعظيم القرآن الكريم عند التعامل معه نصًّا،فكيف يكون التعامل معه قراءة؟ هذا ما سيتبين –بإذن الله تعالى– فيما يلي من خلال المبحث الموالي.

---

[337] –ابن حجر ،فتح الباري ،8/(979-980).بتصرف

المبحث الثاني:الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-يَقُولُ: "**الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ**" [338]، وهذا إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى فضل الجهر بالقرآن الكريم والصدقة؛إذا انتفى الرياء[339]. من الأنفس،حثا منه صلى الله عليه وسلم على التنافس على الخير الذي لا يكون إلا بالجهر؛ وهذا من عجائب القرآن الكريم التي لا تنفد مهما تطورت العلوم التقنية؛فهو الكتاب المعجز الخالد الذي يستنبط منه أهل كل زمان كنوزا لم تظهر عند من قبلهم. فالنبي صلى الله عليه وسلم يستحث أمته في هذا الحديث الشريف على قراءة القرآن الكريم سرا وعلنا،وشبه قراءة الإنسان للقرآن الكريم بالصدقة يتصدق بها،لأن فيها أجر الصدقة،فعندما يتصدق يقرض الله قرضا حسنا؛ ليضاعف له يوم القيامة،فكذلك قراءته للقرآن الكريم في السر والعلن هي قرض لله تعالى،وما نستشفه أيضا من هذا الحديث الشريف أن قراءة القرآن الكريم صدقة لمن ليس له ما يتصدق به.

ونظرا لأهمية القراءة بوجه عام؛فإن أول ما أنزل من عند الله تعالى هو الأمر بالقراءة فقال جل شأنه:(**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4)عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) [340]؛إن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات الكريمات بالقراءة،لدورها في تفتق الفكر الذي يتشكل لدى الإنسان،فيعي بعمق المقصد من خلقه،ويفهم وظيفته التي أنيطت به كإنسان،والحكمة الإلهية التي حولته من علق إلى كائن اجتماعي يقيم مجتمعا ويحفظ حدود الله في الأرض،ثم بين ضرورة ربط القراءة بالقلم وهو التقييد في الكتب؛المساعدة على التراكم المعرفي لديه،نتيجة تجدد المعلومات التي يتعرض لها فكره،فتكون الكتب عبارة عن مخزن المعلومات المتجددة والمتنوعة لدى الإنسان عبر

---

[338]-سنن الترمذي،كتاب فضائل القرآن،باب مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَهُ مِنَ الأَجْرِ.(16)باب (...)،رقم الحديث 2919. ص466، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.وسنن أبي داود،كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل،باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل،رقم الحديث:1333.ص:161.والسنن الكبرى للنسائي،كتاب الزكاة، المسر بالصدقة،رقم الحديث:2561. ص:276.ومسند أحمد بن حنبل،مسند الشاميين،حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث:17368 .ص: 1234. والمستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضائل القرآن جملة،555/1.(قال الإمام الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري ،ولم يخرجاه. قال الإمام الذهبي:حديث صحيح على شرط البخاري).قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.مسند الإمام أحمد بن حنبل.598/28.

[339]-محمد عبد الرؤوف المناوي،فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ،على كتاب * الجامع الصغير * من أحاديث البشير النذير . للحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي .،354/3. دار المعرفة للطباعة والنشر .بيروت لبنان . ط2 1391هـ - 1972م .بتصرف

[340] -سورة:العلق،الآيات:1-5.

الزمن؛ فلهذا قال جل شأنه: " **عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**" [341]. فللقراءة أهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات؛فهي مدرسة قائمة بذاتها،تنشئ الأجيال وتعمل على تربيتهم وهي الوسيلة الأولى لإصلاح النفس، وتزكية القلب والوقاية من المشكلات وعلاجها،وتنمية العقول، وبها تحصل المعرفة ويترقى الفكر لدى الناس،وقد أجمع المربون على وجوب اختيار الكتب وغيرها من وسائل المطالعة؛ التي تحقق الأهداف التربوية والتي ترمي إليها القراءة في معناها الشامل،وخير كتاب في هذا المجال هو الوحي:القرآن والسنة؛قراءة وحفظا وتعلما[342].

قال تعالى:(**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(91)وَأَنْ أَتْلُوَ** [343] **الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ)**[344]، لقد أشار الإمام الألوسي عند تفسيره لهذه الآيات إلى أن فالنبي صلى الله عليه وسلم أُمر–هو وأصحابه–في هذه الآيات الكريمات بالمواظبة على قراءة القرآن الكريم؛لتنكشف لهم حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا؛لأن المواظبة على قراءته من أسباب فتح باب الفيضات الإلهية والأسرار القدسية،وقد اقترن الأمر بتلاوة القرآن مع الأمر بعبادة الله،واعتبرت تلاوته جزءا من مناسك العبادة،وأهمها الصلاة،كما اعتبرت من صميم أنواع أخرى من العبادة،وكما أمروا بالمواظبة على تلاوته للناس بطريق تكرير الدعوة، وتثنية الإرشاد لكفايته في الهداية إلى طريق الرشاد[345]،في الحياة الدنيا، والفوز بالرضوان يوم القيامة.

---

[341] –سورة:العلق،الآية:5.

[342]–مختار شاكر كمال،دعوة إلى تدبر القرآن الكريم ص: 39 .و خالد بن عبد الكريم اللاحم، مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة،ص 5. فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر، الرياض.ط1: 1425هـ–2004م.بتصرف

[343]–اللفظ جاء من الإتباع يقال اتل اثر فلان وتلوت إثره وقفوته وقصصته بمعنى تبعت خلفه ومنه قوله تعالى والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها أي تبعها في الطلوع بعد غيبتها ويقال جاء القوم يتلو بعضهم بعضا أي يتبع وسمى تالي الكلام تاليا لأنه يتبع بعض الحروف بعضا لا يخرجها جملة واحدة بل يتبع بعضها بعضا مرتبة كلما انقضى حرف أو كلمة اتبعه بحرف آخر وكلمة أخرى. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة،1/(202–203). قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه :علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري . راجعه : بكر بن عبد الله أبو زيد .دار بن عفان للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية:ط1. 1446هـ – 1996م .

[344]–سورة:النمل،الآيات:91–92.

[345]– أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 328/20.تحقيق وتخريج: السيد محمد السيد وسيد ابراهيم عمران. دار الحديث .طبع .نشر. وتوزيع. د ت: 1426هـ2005م. ومختار شاكر كمال، دعوة إلى تدبر القرآن الكريم ص:35. بتصرف

فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر بعبادة رب العالمين،وأن يكون مسلما له خاضعا لأوامره،كما أمر بتلاوة القرآن الكريم،وقد ربطه بالهدى؛ لأنه منبع الهدى لمن أراده، والصارف إلى الضلال لمن أعرض عنه.

ووقد ألمح الإمام ابن القيم الجوزية إلى أن المداومة على قراءة القرآن الكريم تؤدي إلى التدبر في آياته والانقياد لتعاليمه؛ولا يتحقق ذلك كله إلا عند دوام التفكر وتدبر آيات الله،حيث تستولي على الفكر وتشغل القلب،فإذا صارت معاني القرآن مكان الخواطر من قلبه،وجلس على كرسيه، وصار له التصرف وصار هو الأمير المطاع أمره؛فحينئذ يستقيم له سيره ويتضح له الطريق وتراه ساكنا بهبوب ريح الفتن[346] والشهوات، ويتحقق بذلك المقصد المتوخى من المواظبة على تلاوته.

هذا،وقد تمثل الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة في عدة أمور نذكر منها:

---

[346]– أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي _ابن القيم الجوزية_ الرسالة التبوكية. ص: 70. تحقيق:محمد عزير شمس، إشراف:بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.د ط ت. بتصرف

المطلب الأول: ملازمة قراءة القرآن الكريم

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ اللَّيْلِ**"[347]، لقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن تأخير الحزب المتعهد على تلاوته-لظرف قاهر-إلى ما بين الفجر والظهر" **كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ اللَّيْلِ**"؛ لأن ملازمة قراءة القرآن تفيد في تعهد القرآن الكريم؛ ولو بقراءة شيء يسير منه؛فالأمر"بالتلاوة هو أمر لملازمتها في الصلاة وخارجها، وملازمة قراءة القرآن يقصد منها المداومة عليها وتعهد ما حفظ لئلا يتعرض للنسيان،ولا عذر لترك التلاوة وهجرها مهما كانت الظروف والأحوال،ووسع الله تعالى في هذا المجال عند الضرورة، وأمر بتلاوة ما تيسر من القرآن،وقد أوجب الله تعالى تلاوة القرآن في حالة المرض وحالة الصحة والعافية،وفي حالة العمل والسعي إلى طلب الرزق فضلا عن أوقات الفراغ،وفي حالة الجهاد في سبيل الله؛ فضلا عن حالة السلم والاطمئنان" [348]،فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحث أصحابه رضوان الله عليهم على ملازمة قراءة القرآن الكريم؛لأهمية ذلك في الحياة العامة والخاصة للناس، لأن عجائب القرآن لا تنقضي ولا يبلى من كثرة الترديد،وقد كانت بيوت الصحابة رضوان الله عليهم تتميز ليلا بأصواتهم؛عند تلاوة القرآن الكريم؛فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ**"[349]،فالقرآن الكريم كان الشغل الشاغل للرعيل الأول ليلا ونهارا،وقد كان الليل أكثر دلالة لهم كونه قليل شواغل المعاش،وكانوا يقرؤونه سرا وعلانية.

وعليه فإن من مظاهر الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة هو ملازمة قراءته ليلا ونهارا.

وهذه القراءة تقوم على أمور مهمة يجب أن تراعى عند قراءته للمساعدة على فهمه ومن ثم تطبيقه،نذكر منها:

1.الترتيل[350] عند قراءة القرآن الكريم:

---

[347]- صحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل،حديث : 747.ص294.

[348] -مختار شاكر كمال، دعوة إلى تدبر القرآن الكريم،ص:35.

[349]صحيح البخاري،كتاب المغازي،باب غزوة خيبر،حديث: 4232.ص765. وصحيح مسلم،كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم،حديث:2499.ص1042.

[350]-**الرَّتَلُ** حُسْن تَناسُق الشيء،ومنه: رَتَّلَ الكلامَ: أَحسن تأْليفه وأَبانَه وتمَهَّلَ فيه، والترتيلُ في القراءة التَّرَسُّلُ فيها والتبيين من غير بَغْيٍ. ابن منظور، لسان العرب،542/4.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه حين سئل:" **كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ**"[351]،وفي هذه التلاوة امتثال منه صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى:(**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**)[352]، وللقرآن الكريم لحن غريب مميز له عن جميع الألحان الأخرى،ومما يشهد على ذلك أنه لا يوجد كلام آخر يمكن أن يتلى بما يشبه التلحين كما يتلى القرآن الكريم،ولا يتكرر لحن من الألحان إلا ويمل سماعه،أما القرآن الكريم فلا يمل أبدا[353]،فهو يتلى منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ينصرفون دائما وأبدا إليه،وخاصة في شهر رمضان شهر القرآن،دون أن يخلق أو يبلى أو يُمل،بل يُفزع إليه في كل شدة وفي كل نازلة لتثار مكنوناته الجمة.فالأمر بالتؤدة والاطمئنان عند قراءة القرآن الكريم مطلوب،ومعنى ترتيل القرآن الكريم هو مد القراءة به، وإعطاء الحروف حقها ومستحقها كما نقله صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه.

فحروف"القرآن تتراءى في كلماته،وكلماته في جمله ألحانا لغوية رائعة كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة،قراءتها هي توقيعها"[354]،بسبب هذا الترتيل المفكك للكلمات،والمنتج للفهم والوعي.

فالترتيل عند قراءة القرآن الكريم توقع في النفس التدبر والخشوع؛والذي تكون ثمرته التفاعل مع آي الذكر الحكيم،ومن ثم العمل الذي هو المقصد الأول والأخير من نزول القرآن الكريم؛لكن العجلة في قراءته يقلل من هذا الأمر في النفس،بل ويزيد البعد عن القرآن الكريم، وخاصة حال عدم فهمه من الإنسان،عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ–صلى الله عليه وسلم– قَالَ:"**لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ**"[355]، فالنبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى عدم التكلف وقراءة القرآن في ثلاثة أيام جريا وراء ختم الكلمات،وترك ختم المعنى في النفس،ثم بين

---

[351] صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب: مد القراءة، رقم الحديث 5046.ص952.

[352] سورة المزمل،الآية:4.

[353] بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية،ص309. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. د ط ت. بتصرف

[354]– مصطفى صادق الرفاعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص:243_247. مكتبة الرحاب–بور سعيد الجزائر–دط ت.

[355]–سنن الترمذي،أبواب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه،باب مَا جَاءَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ. (11) باب(....)، رقم الحديث: 2946، ص:470. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ،وسنن أبي داود، كتاب شهر رمضان، أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله،باب تحزيب القرآن، رقم الحديث: 1394.ص168. وسنن ابن ماجه،كتاب إقامة الصلاة، باب في كم يستحب يختم القرآن رقم الحديث : 1347. ص:149. سنن الدارمي،كتاب الصلاة، باب في كم يختم القرآن، رقم الحديث : 1493. 381/1. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .مسند الإمام أحمد بن حنبل.92/11.

المقصد من ذلك فقال:"**لَمْ يَفْقَهْ**"؛لأن القارئ في عجلته عند قراءة القرآن لا يهمه من القراءة إلا التسابق الزمني في إنهاء الختم،دون الالتفات إلى مقاصد القرآن ومعانيه وعباراته.

إن من مظاهر الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة ترتيله وترجيعه من أجل تدبره وفهمه.

- **التغني**[356]**بالقرآن الكريم:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ»** "[357].

إن لفظ **التَغَنِّي** الوارد في الحديث الشريف له عدة معاني،نذكر منها:

1-**التَغَنِّي بمعنى تحسين الصوت** [358] **عند قراءة القرآن:** وهذا يعني أنه ليس من العاملين بسنتنا الجارين على طريقتنا من لم يتغن بالقرآن،فلم يحسن صوته به،لأن التغني به أوقع في النفوس وأدعى للاستماع والإصغاء ليكون الطبع أدعى قبولا له،لكن شرطه أن لا يغير اللفظ ولا يخل بالنظم، ولا يخفي حرفا ولا يزيد حرفا وإلا حرم إجماعا،فإن لم يكن حسن الصوت حسنه ما استطاع[359]،فتحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم مطلوب من كل قارئ لتكون قراءته أوقع في نفس القارئ و نفس المستمع.

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على أبي موسى رضي الله عنه لتحسينه لصوته عند قراءة القرآن الكريم،بل وبقي يستمع إليه،فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم:" **لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**"[360]،وهذا تأكيدا منه صلى الله عليه وسلم على فضل الصوت الحسن عند قراءة القرآن الكريم،وإن تزيين القرآن الكريم بالصوت الجميل يضفي عليه طابعا خاصا، مما يجعله يستجلب الأسماع والألباب،فينصرف الإنسان إليه متذكرا ومعتبرا بآياته.

---

[356]-ينظر: الاختلافات الواردة في معنى التغني ومناقشات العلماء حول هذا الموضوع :كتابي: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي.شرح صحيح البخاري،10/(542-547). ضبط نصه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم .مكتبة الرشد .الرياض .د.ط.ت. وابن منظور،لسان العرب:440/6.

[357]-صحيح البخاري،كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : وأسروا قولكم أو اجهروا به،رقم الحديث : 7527.ص1361.

[358]-ابن منظور،لسان العرب:440/6.

[359]-محمد عبد الرؤوف المناوي،فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير،5/(387-388).بتصرف

[360]-صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن-حديث:793. ص310.

وعن الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **يَقْرَأُ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي الْعِشَاءِ وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً**" [361] فالتغني بالقرآن الكريم وتزيينه بالصوت الحسن؛يوقع تأثيرا عجيبا في النفس لا تقف دونه حوافز اللغة،ولا حوافز الأذواق،فهي تغلب على كل طبع عربي أو أعجمي،فتهتز عند سماعه المشاعر[362].

إن هذه الرواية الشريفة تؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أحسن الناس صوتا في قراءة القرآن الكريم، لتغنيه به.

قال جل شأنه: (**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**)[363]؛ الله سبحانه وتعالى يصور في هذه الآية الكريمة المؤمنين المهتدين وهم يتفاعلون مع الذكر الحكيم؛حيث تفيض العيون بالدمع وتتحرك الأوصال للسجود للواحد الديان؛في حركة لا شعورية كردة فعل من رقي الإحساس وروعة التقديس لله تعالى،وهو ما صوره الله سبحانه وتعالى في أبلغ تصوير فقال جل شأنه:(**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**) فالكلمات الربانية التي تتسرب إلى الفؤاد عن طريق السمع،تحول الإنسان من حالة الوقوف التي تدل على القوة والعنفوان والتسلط؛إلى وضعية الذل والخضوع والخنوع خوفا وإجلالا وإكبارا وتقديسا له جل شأنه؛فتكون هذه الوضعية الرهيبة في حياة الإنسان عند تلاوة آي الرحمن؛سببا في رفعته والفوز برضاه جل شأنه،فيبشرهم برحمته لهم بأن يجعل لهم هدى يهتدون به،ثم اختارهم بعد هدايتهم -دون سواهم من الخلق-ليكونوا بعد ذلك أئمة لمن وراءهم؛فقال جل شأنه:(**وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**).

فتنوع أسلوب القرآن الكريم بين الزجر والسرد والدعاء [364]يجعل الإنسان يعيش في تلك الأجواء متفاعلا معها:بين الخوف والرجاء؛وهذا يبرز أكثر عند التغني بالقرآن الكريم،وإعطاء الحروف حقها ومستحقها من مخرج وصفة.

فلفظ التغني يحمل معنى تحسين الصوت عند قراءة القرآن الكريم.

---

[361]-صحيح البخاري،كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " الماهر بالقرآن-حديث: 7546.ص1364. و كتاب الأذان،. أبواب صفة الصلاة،باب القراءة في العشاء، حديث:769.ص:148،وصحيح مسلم،كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء،رقم الحديث:464. ص191.

[362] الرفاعي،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ص: 317. بتصرف

[363] سورة:مريم،الآية:58.

[364]-ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن.ص36-37 .و71-97. دار الشروق . القاهرة . ط17: 1425هـ - 2004م.

2-التغني بمعنى قراءته في كل وقت مع ترجيعه: ويمكن أيضا حمل معنى التغني بالقرآن الكريم على أنه حثا من النبي صلى الله عليه وسلم للناس بأن يولعوا ويعتادوا تلاوة القرآن الكريم كما يولعون بالغناء والطرب في حياتهم العادية؛ فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قَالَ:" **رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ**" [365] .إن في فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إشارة لأمته لتتخذ القرآن الكريم أنيسا مكان التغني بالأشعار والغناء؛وهذا بعد أن كانت عادة العرب التغني-وهو النشيد بالتمطيط والمد-بالركباني إذا ركبت الإبل وإذا جلست في الأفنية وعلى أكثر أحوالها في قطع مسافاتها وحروبها،،فيجد القارئ من الأنس وانشراح النفس بتلاوة القرآن أفضل مما يجده أهل الغناء بغنائهم[366] من شغل للنفس وفك لوحشتها.

فنلاحظ من خلال هذه الرواية الشريفة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرجع بالقرآن الكريم في سفره،ويقرأ القرآن الكريم مرتلا له ومرجعا،لأن في ذلك الترجيع تذكير للركب وتسلية للنفس بكلام الله تعالى.

فلفظ التغني يحمل أيضا معنى:اتخاذه أنيسا مكان التغني بالأشعار والغناء عند ممارسة العادات.

3-التغني بمعنى الاستغاء به: قال الإمام العظيم آبادي:"الاستغناء بالقرآن من غيره ... ويقال تغنى الرجل بمعنى استغنى" [367]،به عن المال،فلا يسأل الناس،مكتفيا به في التلاوة،أو تعليمه للناس،فيكون للإنسان في ذلك غنى له عن الخلق.

وعليه يمكن الجمع بين المعاني الثلاث إذ أن فعل [368]النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الأمور كلها،حيث كان يحسن صوته عند قراءة القرآن كما كان يتخذ القرآن الكريم هجيرا له في حله وترحاله وهذا ما تبينه؛أحاديث في الصحيحين،كما كان مستغنيا به عن الخلق.

---

[365]-صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب:الترجيع، رقم الحديث : 5047.ص952. وكتاب المغازي،باب:أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم،حديث: 4281.ص:772،كتاب التوحيد،باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه،رقم الحديث: 7540. ص:1364،وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب ذكر قراءة النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح يوم،رقم الحديث: 238(794). ص:266.

[366]- العظيم آبادي،عون المعبود شرح سنن أبي داود،ص: 673. وعبد الرحمان بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها، 1177/2.بتصرف

[367]العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ص:673.

[368] وقد كان هذا ديدن النبي صلى الله عليه وسلم مع القرآن والأدعية:فعَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:"كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنُهُ أَوْ اغْبَرَّ بَطْنُهُ يَقُولُ وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا إِنَّ

فمظاهر الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة؛التغني به:وذلك بتحسين الصوت عند قراءته وكذا اتخذه أنيسا في الحل والترحال،مع الاستغناء به عن المال.

- **حفظ ما تيسر من القرآن الكريم:**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ [369] وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ"**[370]،النبي صلى الله عليه وسلم بين منزلة الحافظ لكتاب الله تعالى وهي رتبة السفرة الكرام البررة وهم الملائكة الكرام،وهذا لسرعة قراءته وترديده بسبب كثرة اشتغاله به،لأنه متعهد له آخذ لوقته بسبب قراءته،ثم بين الرتبة الأقل رفعة وهي رتبة الشاق على قراءته،وله من الأجر ضعفان:نصيب على قراءته للقرآن،ونصيب على مشقته في قراءته؛وبذلك لا يشقى الملازم لقراءة القرآن الكريم أبدا.

النبي صلى الله عليه وسلم أكد أن الحَافِظ للقرآن الكريم العامل به مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ،لما يحصل له من الأمن في الدنيا والآخرة؛ وذلك بحفظه من خلال مدارسته،وبالعمل به وهي لا تكون إلا للخصوص من المؤمنين،فأولئك حزب الله وهم المفلحون الذين هم مع الملائكة السفرة الكرام،لأن المحافظة على الشيء الاعتناء به وعمله على ما يجب [371]من ملازمة العمل به وتعهده ومدارسته وتلاوته وغيرها من وسائل الاعتناء به.

فيكون بذلك حفظ ما تيسر من القرآن الكريم أمر ضروري.

الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ أَبَيْنَا أَبَيْنَا"صحيح البخاري، كتاب المغازي،باب غزوة الخندق وهي الأحزاب،رقم الحديث:4104. ص:745.

[369]-**يتعاهده**: أي: يضبطه ويتفقده.العيني، عمدة القاري. 280/19.

[370]-صحيح البخاري،كتاب تفسير القرآن،سورة البقرة،سورة عبس، رقم الحديث: 4937. ص: 928.

[371]- عبد الرحمان بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها ،2/(1164-1165). بتصرف.

المطلب الثاني: المواظبة على استذكار القرآن الكريم

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا[372] مِنْ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا"**[373]، إن الحرص على عدم فوات المحفوظ من القرآن الكريم مهما حالت دونه الحوائل،أو اعترضت العوارض،يدل على علمهم يقينا أن القرآن هو غذاء القلب الذي لا يحيا بدونه، فالمؤمنون يحرصون على غذاء القلب قبل غذاء البدن،ويشعرون بالنقص متى حصل شيء من ذلك،بعكس المفرطين الذين لا يشعرون إلا بجوع أبدانهم وعطشها،أو مرضها وألمها،أما ألم القلوب وعطشها وجوعها فلا سبيل لهم إلى الإحساس به[374].

النبي صلى الله عليه وسلم يأمر في هذا الحديث الشريف بتعهد القرآن الكريم،مؤكدا أنه تفلت من صاحبه تفلت الإبل من رباطها،مستنفرا لهم للحرص على عدم فوات المحفوظ من الذاكرة.

هذا،ومن أهم العوامل المساعدة للمحافظة على القرآن الكريم:

-عرض القرآن الكريم ومراجعته على أهل العلم والتزام ذلك[375].

- الاجتماع على قراءة القرآن الكريم[376].

- الاستماع إلى القرآن الكريم من الغير[377].

- **عدم إطلاق لفظ النسيان على فوات المحفوظ من القرآن الكريم:** ومن أهم الظواهر التي تعرض لصاحب القرآن هو التعرض لنسيان المحفوظ،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ نُسِّيَ**

---

[372] -**أشد تفصيا**: أي أشد خُروجا. يُقال : تَفَصَّيْتُ من الأَمر تَفَصِّياً : إذا خرجْتَ منه وتَخَلَّصْت. النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، 451/3، وينظر أيضا: غريب الحديث، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر، 196/2.

[373]- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده، رقم الحديث 5033.ص950. وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن -رقم حديث:231.(791).ص:265.

[374]-خالد بن عبد الكريم اللاحم، مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة،ص6. بتصرف.

[375] ينظر: الحديث في:صحيح البخاري- كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم،حديث: 4997. ص945.

[376]-ينظر: الحديث في:صحيح مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر،حديث: 2699. ص(1110-1111).

[377]- ينظر: الحديث في:صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب:نسيان القرآن، وهل يقول:نسيت آية كذا وكذا؟ وقول الله تعالى:{سنقرئك فلا تنسى. إلا ما شاء الله} /الأعلى:7،6/،رقم الحديث 5038.ص951.

وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ النَّعَمِ" [378]؛إن حصول النسيان للشخص-بعد حفظ القرآن الكريم مع مداومة مراجعته-فلا يقول نسيت القرآن،لأن النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن ذلك بقوله:"**نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ**"بل ويجعل هذا القول من بئس الأقوال،وإنما هو:" **نُسِّيَ**"بالضم وهو مبني للمجهول،ويدل على أن النسيان كان بعامل خارجي عن إرادة الإنسان،فهو يحصل له بمعوقات الحياة العامة من: كثرة الشواغل؛من الضرب في الأرض ابتغاء من فضل الله تعالى،وغيرها من الأمور الاجتماعية التي تصاحب الإنسان في الحياة الدنيا،ثم أعطى النبي صلى الله عليه وسلم علاجا نافعا لتجاوز خطر النسيان لكلمات القرآن الكريم-المؤدي لنسيان أحكامه-فأمر بكثرة الاستذكار وكثرة المراجعة له فقال:"**وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ**"،ثم بين صلى الله عليه وسلم أنه ينصرم من الصدور انصرام النعم من القيد.

والإمام النووي يقوله في توضيح معنى هذا الحديث: "أولى ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذم الحال لا ذم القول،أي نسيت الحالة حالة من حفظ القرآن فغفل عنه حتى نسيه"[379].

إن من مظاهر الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة هو حفظ ما تيسر منه ،مع استذكاره وتعاهده وعدم إلى أن من مظاهر الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة:ملازمة قراءته، وترتيله عند قراءته،مع التغني به،وحفظ ما تيسر منه،مع المواظبة على استذكاره.

من كل ما تقدم من عرض يهدف إلى تحقيق أدب قدسي يجب أن يسعى المؤمن إلى تحقيقه مع تقصي أسباب تحصيله،فما هو هذا الأدب؟ وما هي خطوات تحصيله؟هذا ما سنقرؤه في المبحث الموالي بإذن الله تعالى:

---

[378]-صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب:استذكار القرآن وتعاهده،رقم الحديث: 5032.ص:590. وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن، حديث:228.(790).ص:265.

[379]-أبو زكريا يحي بن شرف بن مري النووي،المنهاج شرح صحيح مسلم ،302/3.

المبحث الثالث:اتخاذ القرآن الكريم سلوكا عمليا

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ:" **كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ** [380] **الْعِلْمُ مِنْ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ.فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ"** [381]. إن تحديق ناظر القلب إلى معاني القرآن الكريم،وجمع الفكر على تدبره وتعقله؛هو المقصود الأول من إنزاله،لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر؛لأن التدبر يطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما،وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتتلو في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة [382]؛فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر في هذا الحديث الشريف؛من استلاب العلم من الناس فلا ينتفعون به في حياتهم الخاصة والعامة،وقد فهم الصحابي الجليل أثر اختلاس العلم من الناس، وظن أن بكثرة قراءة القرآن الكريم،وترتيله وتوريثه يتدارك هذا الاختلاس؛فقال:" **كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا"** ،لكن النبي صلى الله عليه وسلم تعجب من تقاصر فهمه عن المعنى الحقيقي لاختلاس العلم،فقال صلى الله عليه وسلم:" **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**" ثم شرع يشرح له المعنى الحقيقي لاختلاس العلم،ممثلا له بغياب أثره في اليهود والنصارى؛فقال صلى الله عليه وسلم:" **هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ**" فهو يشير إلى المعنى الخفي الذي تحدثه القراءة المتعمقة لكتاب الله تعالى،والتي تحدث تغييرا في سلوك الإنسان من خلال اتباع تعاليمه في الحياة الخاصة والعامة،فلا تبقى كلمات الله تعالى حبيسة القراطيس والمعابد،وإنما تتحول إلى أسلوب معيش أو كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيا بالقرآن الكريم،في حياته الخاصة والعامة،موجها أمته بذلك إلى أسلوب جديد في حياة ينبع من منهج رباني، ويعمل على جعل الإنسان كائنا اجتماعيا متمدنا؛

---

[380]–نقول:"خَلَسْتُ...."": هي من خَلَسْت الشيء واخْتَلَسْتُه إذا سَلَبْتُه، الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر،61/2_ بتصرف

[381]–جامع الترمذي،أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم–باب ما جاء في ذهاب العلم، حديث: 2653.ص:430.(واللفظ له). قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. ومستدرك الحاكم،كتاب العلم، حديث: هذا أوان يختلس العلم من الناس، 99/1. (هذا إسناد صحيح من حديث البصريين تعليق الذهبي في التلخيص:إسناده صحيح). وسنن الدارمي،المقدمة،باب من قال: العلم: الخشية وتقوى الله، حديث: 288. 84/1. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح،مسند الإمام أحمد بن حنبل. 17/29.

[382]–أبو عبد الله محمد بن أبي بن أيوب بن القيم الجوزية ،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. 485/1. منشورات محمد علي بيضون.دار الكتب العلمية .بيروت .لبنان.د.ط. 1420هـ - 1999م. بتصرف.

يوجهه الإسلام في حركاته وسكناته،بخلاف اليهود والنصارى الذين لم تفدهم قراءتهم اللسانية لما في كتبهم،ولا يعلمون فحواها،فإذا انتهج المسلمون نهجهم لن تفيدهم القراءة شيئا؛ إذا عزلت الجوارح عن التطبيق، وهذا راجع إلى عدم الخشوع عند تلاوة القرآن الكريم؛والذي يوقع التدبر والتأمل فيه،فيبدأ العلم بالانسلاخ تدريجيا من الأمة بترك العمل بما فيها من أوامر؛إلى أن يصير العلماء موسوعات علمية؛ تتباهى بعلمها في المحافل الدولية دون ملاحظة ذلك في سلوكها العملي.

قال تعالى:(**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**)[383]،إن القرآن الكريم يحمل شرعة عظيمة،لتسير عليها البشرية،بحكم احتوائه على ملخص تاريخ البشرية على الأرض،وبهذا يحتاج إلى وقت ليس بالقليل ليستطيع الإنسان أن يأخذ بأخلاقه،ولهذا كان نزوله إلى الأرض خلال ثلاث وعشرين سنة؛عالج خلالها مشكلات جمة صادفت الحياة الاجتماعية للصحابة رضوان الله عليهم؛كما بين مخابث اليهود والمنافقين،فاستطاع خلال هذه الفترة صياغة إنسان جديد نقي من كل رعونات النفس البشرية.

فالقرآن الكريم أعاد تشكيل المجتمع العربي خلال هذه الفترة بشكل عجيب،وقد لخص جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه –والذي كان ناطقا رسميا عن جماعته عند ملك الحبشة–الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم في المجتمع القرشي في تلك المرحلة[384].

ولقد مثل الله سبحانه وتعالى لخطر عدم الأخذ بشرع الله ظاهرا وباطنا باليهود،حيث قال: (**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)[385]؛ فاليهود حملوا التوراة ككلمات كمثل حمل الحمار لها ككتب؛ فهو لا يعقل منها شيئا، فكذلك هم يحملون كلمات التوراة يرددونها دون تفهم ولا تدبر ولا سلوك، والله سبحانه وتعالى ربط ضلالهم بظلمهم،فقال جل شأنه:(**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**).

فنلاحظ أن شريعة الإسلام بدأت بإعادة بناء العقيدة أولا؛ حيث لفت انتباه الإنسان إلى ذاته، ووعته بأنه مكلف في هذه الأرض؛ فربطته بهذه المهمة، وجعلت في فطرته أن لا معبود له

---

[383] سورة:المائدة،الآية:48.

[384] –مسند أحمد بن حنبل،مسند العشرة المبشرين بالجنة،مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين،حديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهو حديث الهجرة،رقم الحديث:22498. ص:(1649-1650). ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق وقد صرح بالسماع.

[385] سورة:الجمعة،الآية:5.

سوى الله تعالى،وهكذا عمل القرآن الكريم من خلال تعاليمه المطبقة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم؛في إعادة بناء هذا المخلوق من روح وطين وقابل للتعليم،وقد تظافرت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في التنبيه إلى ضرورة اتخاذ القرآن الكريم:شرعة ومنهاجا، وللوصول إلى هذا المقصد الجليل،والذي يجعل من الإنسان المسلم نموذجا يحتذى به، استلزم سلوك سبيل منهجي تمثل في أمور نذكر أهمها في المطالب الموالية:

المطلب الأول:الخشوع والتدبر عند تلاوة القرآن الكريم

عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ:" **صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ**"[386].

إن أهم ما يحصل لصاحب القرآن الكريم القائم به؛هو التدبر الذي ينتج عنه تفاعل مع آيه الكريمة،وهو ما يتبين من خلال صلاته صلى الله عليه وسلم ليلا،حيث سبح حين استلزم التسبيح،وسأل حين مر بآي السؤال،وتعوذ حين مر بما يذكر العقاب،وبهذا كان يعيش مع كلمات القرآن الكريم كلمة بكلمة،وهو يستشف روح الرحمات من هذه الكلمات؛ فقد كان يجمع بين القراءة،وبين الذكر وبين الدعاء،وبين التفكر والتدبر فيما يقرأ؛لأنه كان يتأمل قراءته ويتفكر فيها،فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر؛قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً،وهذا تعليم منه صلى الله عليه وسلم لأمته كيفية صلاة الليل [387]،بل وكيفية قراءة القرآن الكريم في جميع حالاته.

قال جل شأنه:(**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**)[388]، **إن معنى** تدبر الأمر –كما أورده الإمام الزمخشري– هو تأمله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه،ثم استعمل في كل تأمل؛ وعليه فإن تدبر القرآن هو:تأمل معانيه وتبصر ما فيه[389] وما يرمي إليه.

وقال تعالى:(**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ(68)أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**) [390]؛ فالآيات الكريمة تتضمن الحض، على تدبر هذا القول الذي هو

---

[386] صحيح مسلم– كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل–حديث762.ص305.

[387] العثيمين،شرح رياض الصالحين، 353/1. محمد بن صالح العثيمين ،شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ليحيى بن شرف النووي ، 1/(417-418). مشتملة على تعليقات: محمد بن ناصر الدين الألباني ، وعبد العزيز بن باز. دار المستقبل للطباعة والنشر والتوزيع ط 1. 1426هـ- 2005م . بتصرف.

[388] سورة:النساء، الآية:82.

[389] – الزمخشري ،الكشاف.546/1. بتصرف.

[390] سورة:المؤمنون،الآيات:68-69.

القرآن العظيم،لأنهم إن تدبروه تدبرا صادقا،علموا أنه حق بدلالة إعجازه وبصحة أغراضه [391] المؤدية إلى صلاح حال المتدبر.

فالقارئ الكامل القراءة هو؛من يتدبر القرآن بقلبه ويتلقاه بالعمل،فإذا لم يقم بذلك لم يتجاوز من صدره إلى ترقوته[392]،ولم ينل من فيوضاته التي أو دعها الله فيه،لمرور اللسان فقط دون تواطأ القلب معه.

فتدريب العقل على التدبر يوسع أفق التفكير،ويعمل على تنمية المواهب العقلية واكتساب المعارف واتساع المدارك وزيادة الخبرات،وتدبر القرآن يعين على فهم المراد من كلام الله ويفسح أمام العقل آفاق العلم والمعرفة،وفيه صقل للمواهب وتنمية لمعارف القارئ وكذا لقدراته العقلية فتنمو فيه قوة الملاحظة،وتصبح ملكة التفكير عنده مرهفة،ويتعود على حصر انتباهه، وترفع قدرته على معالجة الأمور[393]المختلفة.

ونستنتج مما سبق أن الخشوع والتدبر يساعدان على فقه القرآن الذي يؤدي بالضرورة إلى التطبيق العملي.

إن التدبر يستجلب الإنسان إلى الله تعالى جلبا؛حيث ينقاد به العقل والوجدان بحيث لا يجد مناصا من التسليم والخضوع لخالق البرية، وهذا كله من روعة الإحكام والأحكام الموافقة لخلقة الأنام.

لكن عند غياب التدبر عند تلاوة القرآن الكريم فإن الخشوع ينقص إلى أن يضمحل، فيصبح بعدها الإنسان يهتم بالشكل وضبط اللفظ؛دون الاهتمام بالتدبر الذي يصرف إلى الانقياد والانصياع لأمر الله تعالى مهما كان.

فمن مظاهر الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة هو تدبره عند تلاوته من أجل فهمه وتطبيقه.

---

[391]– الشنقيطي،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،339/5. ومحمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير. 88/21. بتصرف

[392]– المناوي ،فيض القدير ،323/3. بتصرف

[393]–مختار شاكر كمال، دعوة إلى تدبر القرآن الكريم،ص:197_198. بتصرف

المطلب الثاني:الاستماع والإنصات إلى القرآن الكريم إذا قُرِئَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:" **قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ نَعَمْ فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا)**[394] **قَالَ حَسْبُكَ الْآنَ فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ** "[395]. وأهم وسيلة لحصول الخشوع هي كثرة تلاوته،وكثرة سماعه بتفكُّر وتدبُّر وتفهُّم ولهذا كان ذلك من أعظم القربات إلى الله تعالى [396] التي يتقرب بها إلى مولاه، لأن تلاوته عبادة.

فالخشوع إذن هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل،والجمعية عليه،والانقياد للحق،وهذا من موجبات الخشوع وسكون دخان الصدور،وإشراق نور التعظيم في القلب يذلل القلوب لعلام الغيوب،وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب،وثمرته تكون على الجوارح ظاهرة[397] بالعمل والانقياد والتسليم.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير الاستماع لقراءة أصحابه رضوان الله عليهم،بل وقد كان يطلب منهم القراءة منصتا لهم خلال ذلك متأثرا بما يتلى عليه؛فيتبين من خلال هذا الحديث الشريف أنه تأثر بسماعه لما جاء في سورة النساء خاشعا متدبرا،وبكى خوفا من المسؤولية الملقاة على كاهله؛والمتمثلة في كونه شهيدا على أمته يوم الميعاد،الذين يكون منهم الشقي والسعيد.

هذا،والانتفاع بالقرآن الكريم يستوجب اجتماع القلب والسمع عند تلاوته، وإلقاء السمع، واستحضار حضور من يخاطبه به،فإنه خطاب منه للعبد على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم،قال تعالى:(**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**) [398]،

---

[394] سورة: النساء، الآية:41.

[395] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: قوله المقرئ للقارئ: حسبك، رقم الحديث5050.ص952-953. و كتاب تفسير القرآن سورة البقرة (النساء)- باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على، رقم الحديث: 4582.ص:829 ، وكتاب فضائل القرآن، باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره،رقم الحديث:5049.ص:952،وكتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن – رقم حديث:5055. ص: 953، وكتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن – حديث:5056.ص:954، وصحيح مسلم ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن – رقم الحديث:247(800).ص:268 .

[396]-ابن رجب الحنبلي،جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ،ص: 391. تحقيق وتخريج : عبد الرزاق المهدي .دار الكتاب العربي .بيروت .لبنان .د.ط. 1425هـ – 2005م . بتصرف

[397]-عبد المنعم صالح العلي العزي، تهذيب مدارج السالكين، 439/1_440. ط 1 : 1417هـ-1997م. وط2: 1424هـ-2003م.دار التوزيع والنشر الإسلامية. مصر. القاهرة. بتصرف

[398] سورة: ق. الآية : 37.

فتمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل،وشرط لحصول الأثر،وانتفاء المانع الذي يمنع منه،فلهذا تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد [399]،وهذا ما حصل مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية الشريفة؛حين ألقى السمع إلى القرآن الكريم،وهو أمر مكلف به كل مؤمن،قال تعالى:(**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)** [400]، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده؛ بالاستماع إلى القرآن الكريم: أي بلفت السمع إليه إذا تلي،ثم متابعة ما يتلى بالسمع،وهذه المتابعة للسمع تساعد المؤمن على الإنصات لكلماته الواعظة المذكرة، والتي يكون مقرها القلب-إذا لم يحجبه ستار الهوى- فتحصل للإنسان المنصت الرحمة – بإذن ربه-إذا تابع ذلك الإنصات امتثال،فكل منصت مستمع، في حين أنه ليس كل مستمع منصت،أي بينهما عموم وخصوص.

وضرورة الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن راجعة إلى أن الخطاب فيه موجه للإنسان،فعليه أن يتلقى أوامر ونواهي ربه بكل تعظيم وتوقير وخشوع،من أجل استيعاب ما جاء فيه،ليكون بعد ذلك الإنصات والاستماع منصاعا لكل ما يتلقى من أوامر،ومنتهيا عن كل الزواجر،فيحصل له بذلك تفهمه ووعيه،فيبادر إلى الأخذ بما جاء فيه،فتحصل له الرحمة التي وعده الله بها.

القرآن الكريم ليس كتاب علم نظري أو تطبيقي ينتفع به الخاص؛بل لكل من يقرؤه ويستوعب ما فيه بسهولة عند تمرير النظر عليه،لأنه كتاب الله تعالى الذي أول ما يخاطب يخاطب القلب؛ ويسكب نوره وعطره في القلب المفتوح،الذي يتلقاه بالإيمان واليقين والخشوع والخضوع، فكلما كان القلب نديا بالإيمان زاد تذوقه لحلاوة القرآن،وأدرك من معانيه وتوجيهاته ما لا يدركه منه القلب الصلد الجاف؛واهتدى بنوره إلى ما لا يهتدي إليه الجاحد الصادف،وانتفع بصحبته ما لا ينتفع القارئ المطموس [401] القلب بأثر الذنوب والغفلة، والانسياق وراء شهوات الدنيا.

إن الاستماع والإنصات للقران الكريم مما يساعد على حصول التدبر.

وبذلك يكون القرآن الكريم المتلو بخشوع،يجعل من الصلاة والاستماع متعة روحية في التفاعل مع آيه الكريمة،والحياة في رحاب كلمات المولى تبارك وتعالى وكأنه جل شأنه

---

[399]- شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي بن قيم اجوزية، الفوائد،ص:(19-20). حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمان فواز أحمد زمرلي . الشركة الجزائرية اللبنانية .ط1 -1427هـ - 2006م. بتصرف

[400]-سورة:الْأَعراف،الآية:204.

[401]-سيد قطب، في ظلال القرآن، 2626/5. دار الشروق.القاهرة. مصر.ودار الشروق.بيروت.لبنان. ط 1: 1972م. ط 37: 1429هـ-2008م. بتصرف

يخاطب الإنسان،وبذلك يعمل القرآن الكريم على إعادة صياغته في بعض أسلوب حياته،من خلال إثراء مخزونه المعرفي الذي يستمد منه الإنسان منهج حياته.

المطلب الثالث:التخلق بأخلاق القرآن الكريم

عن عائشة رضي الله عنها حين سئلت:" **يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَتْ:أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ.قُلْتُ:بَلَى.قَالَتْ فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–كَانَ الْقُرْآنَ** "[402] أكد الإمام النووي أن السيدة عائشة رضي الله عنها ربطت خلق النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم، لأنه كان يتخذه منهجا وسلوكا عمليا؛وذلك بالعمل بأحكامه والوقوف عند حدوده،والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته[403] بكرة وأصيلا،فقد عبرت السيدة عائشة رضي الله عنها بكلمة جامعة مانعة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقالت:" **فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–كَانَ الْقُرْآنَ**"؛وهي تقصد بذلك أنه كان ممثلا لأحكام القرآن الكريم في كل صغيرة وكبيرة،أو بمعنى آخر:كان القرآن الكريم هو الشرعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المنهاج الذي تسير عليه شرعة الله سبحانه وتعالى،ليسير على سيرته الخلق بعد ذلك.

قال تعالى:(**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**) [404]، إذن فالحكمة الأولى من نزول القرآن هو التدبر،ومن ثم التذكر وهو الواقع العملي لأحكام القرآن الكريم،فقد نبه الله سبحانه وتعالى هنا أن سلوك التعامل مع القرآن الكريم هو:التدبر ثم العمل بما جاء فيه؛والذي عبر عنه في هذه الآية الكريمة بالتذكر،فالتذكر:هو ردة فعل المؤمن بعد تدبره لكلام ربه الذي هو عبارة عن توجيه للسلوك وفق ما يرضاه جل شأنه. ولتحصيل ذلك وجب على المؤمن التزام أمور أهمها:

–الحذر من ترك العمل بالقرآن الكريم: لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا من ترك العمل بالقرآن الكريم،وأكد ذلك في حديث الرؤيا فوصف عقاب تارك القرآن الكريم تلاوة وعملا قائلا صلى الله عليه وسلم:"**فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ**"[405]،وقد أول لهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الرؤيا،فقال عن صاحب الرأس المشدوخ:

---

[402] – صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل،رقم الحديث : 746. ص292-293.

[403] – النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ،255/3. بتصرف

[404] –سورة:ص،الآية: 29.

[405] صحيح البخاري– كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين – حديث :1386.ص256.

"وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" [406] فهذا الرجل علمه الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم حفظا وفقها؛فترك العمل به،وذلك بترك ترديد كلماته ليلا في الصلاة وفي غيرها،لأن القرآن الكريم متعبد بتلاوته،فكان ترك تلاوته ترك للعبادة،كما أنه لم يعمل به نهارا متغافلا عن أحكامه وتشريعات، ومتخذا هواه منهجا لحياته،فصار يقوم بالأعمال التي تخالف أحكام القرآن-رغم علمه بما جاء فيه-فيخوض في كل شيء حتى لو كان حراما،فكانت عقوبته هو ملازمة شدخ رأسه إلى يوم القيامة.

فلتارك القرآن الكريم:تلاوة وعملا عقوبة في القبر.

-الحرص على توافق قراءة اللسان مع قراءة القلب: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" **يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ** [407]**السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ** [408] **يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ** [409] **فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ** [410] **فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ** [411] **فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ"**[412]،لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خطر عدم استفادة المرء من قراءة

---

[406]-صحيح البخاري،كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ،رقم الحديث : 1386.ص256.

[407]-**المروق**: الخروج ومنه المرَق وهو الماء الذي يُستخرج من اللحم عند الطَّبْخ لِلإئتدَامِ به. الفائق في غريب الحديث،محمود بن عمر الزمخشري. 355/3.

[408]- **الرَّمية** : الصَّيدُ الذي تَرْميه فتقْصدُه وينفَذُ فيه سهْمُك . وقيل هي كل دابَّة مَرْمية . الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، 268/2.

[409]-**النَّصْلُ**: نقول: نَصَل الرمحَ : جعل له نَصَلا و أنصله : نزع نَصْله وقيل نَصَله وأَنْصله في معنى النزع ونصَّلَه : رَكَّب نَصْله. الزمخشري الفائق في غريب الحديث والأثر. 412/2.

[410]- **القِداح**: جَمْعُ قِدْح قِدْرَ وهو السَّهْمُ أَولُ ما يُقْطَعُ تُسَمَّى قِطْعاً ثم يُبْرَى فَيُسَمَّى بَرْياً ثم يُقَوَّم فيقال له القِدْحُ ثم يراش ويُرَكَّبُ فهو حينئذٍ سَهْمٌ. ابن الجوزي،غريب الحديث، 222/2.

[411]-**ورِشْتُ** السَّهْمَ أَريشه: جعلتُ عليه الرِّيش.ومنه استعير لإصلاح الأمر:فقيل:رِشْت فلان فارتاش. والرِّيشُ: ما ظهَر من اللِّباس كاللِّبْس واللِّباس. وقيل الرِّياشُ جمعُ الريش. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، 114/3. تحقيق: محمد علي النجار. طباعة وتجليد: مؤسسة الأهرام بجمهورية مصر العربية. ط3- 1416هـ - 1996م. والجزري،النهاية في غريب الحديث والأثر، 288/2. بتصرف

[412]- صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تأكل به، أو فخر به، رقم الحديث 5058.ص954. وكتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث: 3611.ص: 658-659، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم - حديث: 6931.ص: 1257، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم،باب من ترك قتال الخوارج للتألف _ حديث: 6933.ص:1257-1258،وكتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق،حديث: 7562.ص: 1367،وصحيح مسلم،كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، حديث:147(1064). ص: 354.

القرآن باللسان إذا لم تواطئ القلب والجوارح؛فعدد صلى الله عليه وسلم ميزات الفئة غير العاملة بالقرآن الكريم-رغم أنها تتلوه وتقوم بأعمال البر ظاهرا-:

الميزة الأولى أنهم من المسلمين: وهو ما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم:" **يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ**"؛بمعنى أنهم من نسلهم،أو من ملتهم.

الميزة الثانية الإتيان بالطاعات بشكل مميز: وهو ما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم: "**تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ**" فهم يأتون من الطاعات:من صلاة وصيام وأعمال للبر يحتقر الصحابة رضوان الله عليهم طاعاتهم إلى جانب هذه الطاعات.

الميزة الثالثة:الاعتناء بقراءة القرآن الكريم شكلا لا مضمونا: وهو ما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم:" **وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**"؛ وهذا يدل على تركيزهم في قراءتهم للقرآن الكريم على حسن تلاوته،وخاصة اهتمامهم بتحسين مخارج الحروف،دون تدبر معاني تركيب تلك الحروف،وفي ذلك إبراز عيب فيمن أخذ بالقرآن تلاوة،دون الاهتمام بأخذه سلوكا عمليا،وهذا يدل على عدم تأثير القرآن الكريم فيهم لا تدبرا ولا في سلوكاتهم العملية.

قال الإمام الآجري حاكيا عن نوع من الناس أنه:"إذا درس القرآن أو درسه عليه غيره؛همته متى يقطع ليس همته متى يفهم،لا يتفكر عند التلاوة بضروب أمثال القرآن،ولا يقف عند الوعد والوعيد،يأخذ نفسه برضى المخلوقين ولا يبالي بسخط رب العالمين،يحب أن يعرف بكثرة الدرس ويظهر ختمه للقرآن ليحظى عندهم،قد فتنه حسن ثناء الجهلة من جهله،يفرح بمدح الباطل وأعماله أعمال أهل الجهل،يتبع هواه فيما تحب نفسه غير متصفح لما زجره القرآن عنه"[413].

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم أثر هذه القراءة الشكلية للقرآن حيث قال:" **يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ**"بمعنى يخرجون عن حدود الدين بشكل دائم وفي كل شيء،وهذا نتيجة قراءتهم السريعة غير المتأمل فيها،ثم أعط النبي صلى الله عليه وسلم لسرعة خروجهم عن حدود الدين وعدم تعلق أحكام القرآن الكريم بهم كسلوك؛بسرعة خروج السهم من الطريدة،فقال:" **كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا**"[414] فبراعة الصياد تجعل السهم يدخل في الطريدة ليخرج من جانبها الآخر، دون أن

---

[413]-محمد بن الحسين أبو بكر الآجري، أخلاق أهل القرآن، ص 88.حققه وخرج أحاديثه:محمد عمرو بن عبد اللطيف؛بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث.منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية-بيروت لبنان- ط3: 1424هـ2003م.

[414] سبق تخريجه: ص: 96.

يكون أثرا لدمها:لا في النصل ولا في القدح ولا في الريش،رغم أن السهم خرق الطريدة وخرج من الجانب الآخر،فكذلك الأمر مع الذي يقرأ أحكام القرآن الكريم،ثم لا يمْتَثِل لها،لا في النفس ولا في المعاملة ولا في المظهر الخارجي.

ووجه الشبه بين سرعة خروجهم عن أحكام الدين وسرعة خروج السهم من الرمية يكمن في:

1-عدم تأثير القرآن الكريم في الشخصية غير السوية: وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم فقال:"**يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ**"[415] فقد مثل شخصية الإنسان بالنصل لأنه أهم جزء في السهم، فكذلك شخصية الإنسان هي أهم شيء في حياته،وبها أنيطت تكاليف الخلافة به،وهي المميزة له عن بقية الناس،ووجه الشبه أنه يأتي من أنواع الطاعات الكثير،ولا يكون في قراءته لشرعة الله تعالى _والمتمثلة في القرآن الكريم-أثر في شخصيته،ومعنى ذلك كله؛أنه لا يرى للدين أثرا في سلوكاتهم العملية،ولا أخلاقهم الاجتماعية،فلا يُعرفون إلا بما يرددونه من ألفاظ القرآن الكريم:بتلاوتهم وإتقانهم لقراءته،وإبهار الناس بأصواتهم،ولهذا قال لا يجاوز **حناجرهم**،وفي بعض الروايات **تراقيهم**، لتعلق القرآن الكريم بها لفظا لا عملا ولا امتثال ذلك بالسلوك العملي،وكأنه إيماء منه صلى الله عليه وسلم إلى الرياء والسمعة والتفيهق،وهو تكريه منه لشدة هذا الأمر على الخلق يوم القيامة، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-:"... **وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ.قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ.وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ.فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**"[416].فلعدم تأثير القرآن في سلوك الإنسان وواقعه النفسي نتيجة رهيبة لتاليه ودارسه،لأنه يحول الإنسان عبد لغير الله تعالى؛فهمه الوحيد هو التظاهر والتفيهق به في المحافل بين الناس،فيسحب على وجهه إلى النار -وبئس القرار- عقوبة له يوم القيامة.

2- عدم تأثير القرآن الكريم في تفاعل الإنسان غير السوي مع مجتمعه: وقد مثله النبي صلى الله علي ه وسلم بالقدح،فقال:"**وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا**"[417]؛فالقدح يربط النصل بالسهم، فكذلك الإنسان يرتبط مع مجتمعه بتفاعلات متبادلة،فهذه الفئة من الناس لا

---

[415] سبق تخريجه: الصفحة نفسها.

[416] -صحيح مسلم،كتاب الجهاد، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم الحديث : 1905. ص813.

[417] سبق تخريجه: ص: 96.

يُرى أثر للدين في تفاعلاتها الاجتماعية،وهذا نتيجة عدم تذكر أحكام القرآن الكريم،فيتعاملون بالحرام:من ربا وسرقة وسوء معاملة؛مخالفين بذلك الأوامر والزواجر الواردة في القرآن الكريم.

3-عدم تأثير القرآن الكريم في مظهر الإنسان غير السوي: وهو ما مثله النبي صلى الله عليه وسلم بالريش فقال: " **وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا**" [418]،إن الريش يستعمل عادة للزينة في اللباس،والله سبحانه وتعالى عبر عن استفادة الإنسان منه في اللباس من أجل تنميق مظهره؛فقال جل شأنه:(**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**" [419]،فجعل الله سبحانه وتعالى الريش مما يستفاد منه الإنسان في تنميق مظهره، والنبي صلى الله عليه وسلم جاء بالمشبه به وهو الريش،وأضمر وجه الشبه وبقيت الصفة وهي زينة الريش،ووجه الشبه أن الشخص لا يراعي لباس التقوى الذي يكون من الدين في مظهره.

وعليه فإننا نستنبط من هذا الحديث الشريف: أن النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الاهتمام بأخذ أحكام الدين ككلمات باللسان فقط دون أن يتعاملوا به كسلوك اجتماعي، واستحثهم على قراءة القرآن الكريم بتدبر، وجعل أحكامه شرعتهم في الحياة العامة والخاصة؛ حتى تؤثر في شخصيتهم كاملة فتظهر في كل علاقاتهم.

- **الحرص على الأخذ بالقرآن فهما وتطبيقا:**

لقد أخذ خير القرون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقة القراءة الحقيقية للقرآن الكريم بجد،مما صبغ سلوكاتهم بصبغته،لا يعدونها ولا يتقاصرون عنها،فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قال :"**لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ،وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ-صلى الله عليه وسلم-فَيَتَعَلَّمُ حَلاَلَهَا،وَحَرَامَهَا،وَآمِرَهَا، وَزَاجِرَهَا،وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا**" [420]،لقد جعل الصحابة رضوان الله عليهم من قراءتهم للقرآن الكريم علما يعكفون على تعلمه،ثم يأخذون في ممارسته كسلوك تطبيقي بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم،ليقيم من أخطأ ويقر من أصاب،وهكذا حتى تشكل الإنسان شكلا آخر في جميع

---

[418] سبق تخريجه: الصفحة نفسها.

[419] -سورة:الْأَعراف، الآية:26.

[420] -السنن الكبرى للبيهقي،كتاب الصلاة،جماع أبواب صلاة الإمام وصفة الأئمة،باب البيان أنه إنما قيل: يؤمهم أقرؤهم، 120/3.(واللفظ له). والمستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب الإيمان،أما حديث معمر ، 35/1.(قال الإمام الحاكم:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه،تعليق الذهبي قي التلخيص:على شرطهما ولا علة له). إسناد صحيح.أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي. سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين. 164/1.الناشر: دار الفاروق للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة: الأولى، 1424 هـ- 2003 م. راجعه وقدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن صالح العبيلان.

حياته:الخاصة منها والعامة،وهذا المقصد الأساس لنزول القرآن الكريم منجما،قال تعالى:(**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ**)[421]،وهذا"يعني على تثبت وتوقف ليفهموه بالتأمل ويعلموا ما فيه بالتفكر،ويتفقهوا باستخراج ما تضمن من الحكم والعلوم الشريفة،وقد قيل إنه كان ينزل منه شيء ويمكثون ما شاء الله،ثم ينزل شيء آخر وهو في معنى قوله "**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**)[422] "[423] .

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"...**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا** "[424]،فوجه الشاهد من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:" **وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**" ومعنى ذلك أنه حجة لك عند العمل بعد القراءة،وحجة عليك عندما تكون التلاوة باللسان دون تصديق العمل[425].

إن المعجزة"القرآنية أقوى على هداية العقل البشري،من المعجزات الحسية الأخرى،وهذا يظهر في رده على المعاندين الذين،كانوا يطالبون الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الحسية"[426]؛ولهذا نرى عبر التاريخ أن القرآن الكريم أحدث انقلابا جذريا في حياة الناس حين اتخذوه سلوكا عمليا في حياتهم –الخاصة والعامة– فقد تحولوا من عباد شهوات إلى ناس ربانيين، يعملون وفق ما يأمر شرع الله تعالى،منتهجين في ذلك العمل منهج النبي صلى الله عليه وسلم.

فلقد سار الإسلام عبر الزمن والقرآن يُدرس في هذه الحقبة،فصارت طباع الناس وعقولهم تتغير وتتأثر به من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون،كما تتأثر طبيعة الإنسان والنبات في فصل الربيع،وبدأت القلوب العاصية الجافة ترق وتخشع، وبدأت مبادئه وحقائقه تتسرب إلى أعماق النفوس وتتغلغل في الأحشاء،وبدأت قيمة الأشياء تتغير في عيون الناس والموازين القديمة تتحول وتخلفها الموازين الجديدة،وأصبحت الجاهلية حركة رجعية كان من الجمود والغباوة المحافظة عليها،وصار الإسلام شيئاً راقياً عصرياً كان من الظرف والكياسة الانتساب إليه والظهور بمظاهره،وكانت الأمم بل كانت الأرض تدنو رويداً رويداً إلى الإسلام، ولا يشعر أهلها بسيرهم، ويظهر ذلك في فلسفتهم وفي دينهم وفي أدبهم وفي مدنيتهم، وتشف عن ذلك بواطنهم

---

[421]–سورة:الإسراء، الآية:106.

[422]– سورة المزمل،الآيات: 5.

[423]– أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر،أحكام القرآن:35/5.

[424]– صحيح مسلم،كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء،حديث: 223. ص115.

[425]– النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، 93/2. بتصرف

[426]– بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية،ص11.

وضمائرهم،فالقرآن الكريم هو الأصل الذي ينبثق عنه كل ما سواه وهو الحاكم على كل ما عداه،وهو كلام الله الذي لم يشب ولم يخالط،وهو المعجزة العظمى التي بقي تأثيرها قائما في مجتمعاتها من خلال علاقاتهم الاجتماعية[427]،التي تحافظ على استقرار المجتمعات وتماسكها.

إذن تلاوة القرآن الكريم تستدعي تدبره،والتأني في قراءته المستجلبة لفقهه ومن ثم تطبيقه كسلوك .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنه عن ختم القرآن الكريم كل ليلة،بل وبين له أفضل فترة زمنية لختمه بقوله:"... **وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**..."[428]،وهذا الأمر من أجل أن يدفعه إلى فهم أسراره ومقاصده؛بتدبره له،وهو ما بينته بعض طرق هذه الرواية بقوله صلى الله عليه وسلم: **"لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ"**[429]،لأن فقه القرآن الكريم يجعل الإنسان يتخذه سلوكا عمليا،تتغير وفقه أخلاقه وطباعه،فعند الاهتمام بختم القرآن الكريم ككلمات دون التركيز على معناها،والتغافل عن العمل بأحكامه،فلا نفع للإنسان من ذلك لعدم ترك تلك القراءة لأثرها في النفس أو في السلوك.

وقد عد الله سبحانه وتعالى المعرض عن التطبيق الواقعي لكتابه من أظلم الناس؛فقال جل شأنه:(**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا**) [430]،فالله سبحانه وتعالى عد أظلم الناس على الإطلاق؛ هو المعرض عن الاتعاظ بآياته؛ شأنه شأن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه.

فظلم المرء لنفسه هو أعجب الظلم،فقد ذُكِّر عما هو في غفلة عنه تذكيراً بواسطة آيات الله،فأعرض عن التأمل فيها مع أنها تنذره بسوء العاقبة،وشأن العاقل إذا سمع مثل ذلك أن يتأهب للتأمل وأخذ الحذر[431] من الإعراض أو الغفلة عن التذكرة.

---

[427]– علي الحسني أبو الحسن الندوي،ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين،ص: 114.طبعة شرعية جديدة منقحة ومحققة ومزيدة – مكتبة الإيمان – المنصورة– أمام جامعة الأزهر. د.ط.ت. وسعيد حوى،الأساس في السنة وفقهها القسم الثالث العبادات في الإسلام" 1597/4. دار النشر والتوزيع والطباعة والترجمة.ط 1. 1414هـ– 1994م.ومحمد بن محمد أبو شهبة،المدخل لدراسة القرآن الكريم" ، ص:10_11.دار الجيل لبنان الطبعة الجديدة 1412هـ 1992م. بتصرف.

[428]–صحيح البخاري،كتاب فضائل القرآن،باب:في كم يقرأ القرآن.وقول الله تعال:{فاقرؤوا ما تيسر منه}/المزمل: 20،رقم الحديث 552. ص953.

[429] –سبق تخريجه:ص79.

[430]–سورة:الكهف،الآيات:57.

[431]–محمد الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير .354/15.بتصرف

ونستنتج مما سبق أن من الآداب مع القرآن الكريم تلاوته حق تلاوته؛ ليحدث أثره في المتلقي فيظهر في التخلق بأخلاقه في الحياة العامة والخاصة؛ وذلك من خلال تدبره والسعي إلى فهم ما استشكل منه،ثم العمل به كشرعة يستمد منه الإنسان التوجيه المعرفي والتشريعي.

وبذلك يكون المغزى الحقيقي لقراءة القرآن الكريم إضافة للتعبدية؛ العمل به كسلوك عملي،فضلا عن العمل بالتراكم المعرفي الذي يُحصِّله الإنسان خلال حياته،والذي يكون في الغالب محققا للتوجيه الرباني،وتطهيرا من بعض الرواسب الاجتماعية والنفسية التي تخالف التوجيه الديني الصحيح.

وخلاصة القول في هذا الفصل؛أن الإسلام قد أحاط القرآن الكريم بآداب كثيرة تمثلت في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم كواقع عملي؛يصب مجملها في:تعظيم كتاب الله تعالى بشتى أنواع التعظيم،مع الأخذ به تلاوة،وهذا كله من أجل الوصول بالمؤمن إلى الخشوع والتدبر،والذي يكون نتاجها اتخاذ القرآن الكريم سلوكا عمليا في الحياة الخاصة والعامة،فيكون رحمة للمؤمنين. قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [432]،فالخاسر هو الظالم لنفسه ممن لم يأخذ بتذكير الله تعالى الذي جاء في القرآن الكريم،حيث حرم الشفاء والرحمة؛المنزلين في القرآن الكريم للمؤمنين الصادقين،الذين لا هم لهم في الحياة الدنيا سوى اتخاذ كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم شرعة منهاجا؛كما سيتبين في الفصل الموالي بإذن الله تعالى.

---

[432]-سورة:الإسراء، الآية: 82.

الفصل الثاني: الآداب مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني: الآداب مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم

توطئة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :"**إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ**"[433]، لقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف؛مثلا لرسالة الإسلام في إكمال البناء الأخلاقي للبشرية،بالذي بنى بيتا وزينه؛فقد تعهد الله سبحانه وتعالى تطوير البشرية حقبة بعد حقبة؛في كل حقبة من تلك الحقب يبعث لها من الأنبياء ما يسدد لها علمها الذي جبلت عليه؛والذي أكده جل شأنه في قوله تعالى ذكره:(**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**) [434].

فحب العلم في البشرية جبلة؛إلا أنه يحتاج إلى بوتقة لينصهر فيها،فما يبقى منه إلا ما ينفع الإنسان؛فهذا الأخير تطور عبر مراحل حياته في الأرض من الحسن إلى الأحسن، بسبب التوجيه الرباني له بواسطة نماذج بشرية تمثلت في الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين،وبما أودع الله سبحانه وتعالى في الخلقة من العقل.

وقد بين محمد قطب أن الوسيلة العظمى التي سلكها الأنبياء في إصلاح الحياة البشرية وتقويمها هي؛ربط القلب البشري بالله،يتطلع إليه ويخشاه.وتلك أفضل الوسائل في الإصلاح، وأبعدها أثرا في واقع الحياة،وذلك قبل اللجوء إلى الوسائل الأخرى،والتي تستخدم عادة في تنظيم الحياة البشرية،ولذلك كان بناؤهم راسخا شديد الرسوخ؛لأنه يعتمد على عنصر أصيل عميق في داخل النفس،فيبقى البناء الذي بنوه على مدار التاريخ راسخ الأركان [435]؛وإن اعترته على بعد الزمان علل كانت تتطلب تجديدا للدين وإحياء له في النفوس.

وبقي ذلك ديدن الأنبياء،إلى أن اكتمل العنصر البشري الذي أراده الله سبحانه وتعالى في الأرض،إلا أن التحريفات والتبديلات التي وقعت في الأديان السماوية المتأخرة،أرجعت البشرية القَهْقَرى، وهو ما مثله النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بقوله:" **إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ**

---

[433]-صحيح البخاري ،كتاب المناقب،باب خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم ، رقم الحديث: 3535.ص:648. وصحيح مسلم،كتاب الفضائل

باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين - حديث:22(2286).ص: 831.

[434] -سورة:البقرة،الآية:31.

[435]-محمد قطب :ركائز الإيمان،ص258. دار الشروق القاهرة وبيروت ط1. 1422هـ 2001م. بتصرف

زَاوِيَةٍ"، فقد تمثل الخلل إذن في زاوية البناء،حيث تنقصها لبنة،وكما نعلم أن كل بناء لا تكون زواياه متكاملة؛يوشك أن يصيبه الخلل ومن ثم الانهيار،فكذلك البشرية عندما أصيبت في زاوية من زوايا حياتها؛ألا وهي زاوية العقيدة؛لأن أهل الديانة النصرانية ضلوا وأضلوا،وأهل الديانة اليهودية قد باءوا بغضب الرحمان بسبب؛تبديل الكلم عن مواضعه؛أوشك –لولا رحمة الله بالبشرية_ أن يختل البناء البشري؛ومن ثم يتردى الإنسان بكل مجتمعاته وفصائله في غيابات الجهل والضلال.

فشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وجاءت اللبنة الأساس في قاعدة البناء البشري، فأنقذته من هاوية التردي؛ألا وهي الإسلام؛والذي تمثلت أحكامه في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ولمكانة السنة النبوية الشريفة في التشريع،صانها المشرع الحكيم بآداب خاصة وحض المؤمنين على التمسك بها قدر استطاعتهم.

وفي هذا الفصل تتبين بعض هذه الآداب في ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول:تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الثاني:لزوم السنة النبوية الشريفة وترك التنطع والتكلف والتشدد فيها

المبحث الثالث:فقه سنة النبي صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول:تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم

توطئة:

إن الآيات الأولى من سورة الحجرات تقدم جملة من الآداب،يدل فحواها على أمر عظيم وهو الرفع من قدر النبي القدوة صلى الله عليه وسلم،فبدأت الآيات بالنهي عن التقديم بأي قول أو فعل أو اقتراح على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم [436]،فعد الله سبحانه وتعالى التقديم في ذلك نقص في الأدب،ولهذا عقب على هذا الأمر بالتنبيه إلى ضرورة ملازمة التقوى بمراقبة الله تعالى في السر والعلن؛ فقال :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**)[437].

ثم أورد بعد ذلك مسألة الحديث بحضرته صلى الله عليه وسلم،فعلى الإنسان أن لا ينسى في تعامله معه أنه نبي مرسل،بشيرا ونذيرا بين يدي عذاب أليم، ولهذا عقب المولى تبارك وتعالى على القيام بهذا العمل بقوله جل شأنه:(**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**)؛ فالجهر بالقول معه أو التعامل العفوي؛ يؤدي بالضرورة إلى إحباط العمل دون سابق إنذار. فقال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(2)إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ(3)إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(4)وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)[438] إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن المولى تبارك وتعالى،والنموذج الذي حمل المنهج الذي تسير عليه البشرية؛فهو القائد الأعلى في الأرض،فعلى البشرية قبل قبول دعوته أن تفقه مكانه عند الله سبحانه وتعالى؛ليتشكل عندها بعد ذلك تقديس لما جاء به،لكن إذا عد قائد البشرية واحدا من الناس لم تحصل عندها ظاهرة التقديس لما جاء به.

وعليه كان على أمة الإسلام تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم قدر استطاعتها، وصور هذا التعظيم والتقديس كثيرة نذكر منها في المطالب الموالية:

---

[436] – الشنقيطي،أضواء البيان ،7/(401-402). بتصرف

[437] –سورة:الحجرات،الآية:1.

[438] –سورة:الحجرات،الآيات:2-5.

المطلب الأول:تسوية أحكام السنة النبوية الشريفة بأحكام القرآن الكريم

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ:"**يُوشِكُ**[439] **الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ. أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ** "[440].

لقد جاء هذا الحديث الشريف ليبين محل السنة النبوية الشريفة من القرآن الكريم،فبين صلى الله عليه وسلم أنه النموذج البشري الخاتم للقدوات،وأن الله تعالى أمر الإنسان والجان أن تقتدي به؛قال جل شأنه: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ** [441] **حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** [442]؛فالآية الكريمة توجه المؤمنين إلى اتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم محل القدوة؛وهو ما عبرت عنه (**بالأسوة**) للتأسي به،ثم بين الله سبحانه وتعالى أنها الأسوة الحسنة والمختارة منه لعباده،ثم أكد أنه لا يكون محل القدوة إلا (**لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)** أي من اختار سبيل الله تعالى شرعة ومنهاجا، ووضع نصب عينيه الدار الآخرة،واستعان للثبات على هذا السبيل بمداومة الذكر لله تعالى.

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المشرع لأمته بأقواله،وأفعاله، وتقريراته، وعلى أمته التأسي به في كل ذلك [443]،ثم أكد على فصائل النوعين؛أن تجعل الأوامر والنواهي الصادرة عنه محل اهتمامها قبل كل شيء؛فقال جل شأنه: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** [444]. فالآية الكريمة تأمر بالانصياع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه،ثم تتوعد بالعقاب الشديد لمن لم يتق الله جل شأنه في هذا الانصياع.

---

[439]–**يوشك**: أَيْ يَقْرُب ويَدْنُو ويُسْرِع. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 189/5.

[440]– سنن أبي داود–كتاب السنة،باب في لزوم السنة،رقم الحديث: 4604. ص:503.وسنن ابن ماجه،المقدمة،باب تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم–وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ،رقم الحديث 12، ص: 20.19 (واللفظ له).والحاكم،المستدرك على الصحيحين،كتاب العلم،ومنهم يحيى بن أبي المطاع القرشي– 109/1.وسنن الدارمي،باب:السنة قاضية على كتاب الله تعالى،رقم الحديث: 609، 137/1. ومسند أحمد بن حنبل،مسند الشاميين، حديث المقدام بن معديكرب الكندي أبي كريمة،رقم الحديث: 17194.ص: 1220. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، مسند الإمام أحمد بن حنبل.189/16.

[441]"**والأُسْوَةُ** والإسْوَةُ القُدْوة ويقال ائتَسِ به أي اقتدَ به وكُنْ مثله". ابن منظور، لسان العرب، 25/6.

[442]– سورة:الأحزاب،الآية: 21.

[443] –ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان ، في تفسير: السور (الحج،محمد،الحشر).

[444] سورة:الحشر، الآية:7.

وعليه فإن أهم مظاهر تسوية أحكام السنة النبوية بأحكام القرآن الكريم هو الانصياع للرسول صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه.

ولا شك عند أحد من أهل العلم أن طاعة الله محصورة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وذلك بلزوم تدبر الوحي،وتفهمه وتعلمه والعمل به [445] كون السنة النبوية الشريفة وحي من الله تعالى وعلى المؤمن الالتزام بها.

فالسنة النبوية الشريفة بهذا الاعتبار هي"أحد قسمي الوحي الإلهي الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[446].

هذا، وعند تحليل ألفاظ الحديث نلاحظ:

1. **اقتراب زمن ظهور المتشككين في السنة النبوية الشريفة:** إن لفظ " **يوشك**" يومئ إلى اقتراب زمن المتشككين في شطر الدين،وهو ما أكدته رواية عمران بن حصين رضي الله عنه:"**أن رجلا أتاه فسأله عن شيء فحدثه فقال:الرجل حدثوا عن كتاب الله ولا تحدثوا عن غيره فقال:إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله أن صلاة الظهر أربعا لا يجهر فيها وعدد الصلوات وعدد الزكاة ونحوها ثم قال:أتجد هذا مفسرا في كتاب الله،إن الله قد أحكمك ذلك والسنة تفسر ذلك**" [447]،يتبين من رواية عمران بن حصين أن الرجل الذي أومأ إلى ترك الحديث بالسنة النبوية الشريفة بقوله:" **حدثوا عن كتاب الله ولا تحدثوا عن غيره**" لم يستوعب ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده، وأنه جملة من الأحكام لا يمكن تجزئتها عند العمل بها،ولهذا وسمه الصحابي الجليل بالحمق؛ثم بدأ بتنبيهه لما تغافل عنه بتنطعه وتشدقه،فمثل له بما يعيشه في دينه من خلال حياته اليومية في العبادات فقال:" **أتجد في كتاب الله أن صلاة الظهر أربعا لا يجهر فيها وعدد الصلوات وعدد الزكاة ونحوها ثم قال:أتجد هذا مفسرا في كتاب الله**" ثم أكد له من خلال ممارساته في العبادات أن النبي صلى الله عليه وسلم هو من فصل ما أجمله الكتاب العزيز بسنته:القولية والفعلية والتقريرية؛ مؤكدا بذلك أن كل ما جاء به من تشريع:قرآن أو سنة وحي من الله تعالى،لقوله جل

---

[445]- الشنقيطي، أضواء البيان ، 7/(263-264). بتصرف

[446]- محمد بن مطر الزهراني،تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري . ص: 19.دار ابن القيم للنشر والتوزيع. ط1: 1426هـ-2005م.

[447]-أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي .المسند،الكفارات والنذور،رقم الحديث: 233. ص:143.حققه وعلق عليه: صبحي بدري السامرائي . مكتبة المعارف الرياض .. المملكة العربية السعودية ط1 1407هـ- 1987م .

شأنه:(**وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**)[448]فالله سبحانه وتعالى يؤكد في الآيتين: أن كل ما يخرج من فم النبي صلى الله عليه وسلم؛وحي من الله تعالى يشكل في مجموعه شرعة الإسلام، فالسنة الشريفة شارحة مفصلة لما أجمله القرآن الكريم؛فهما كل متكامل، وهو المتأكد من قوله تعالى:(**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(43)بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)[449]؛ووجه الشاهد من الآية الكريمة قوله تعالى:(**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**)؛فالله سبحانه وتعالى يؤكد من خلال هذه الآية الكريمة أن القرآن الكريم نزله على نبيه الكريم،ليكون مبينا له بقوله وفعله وتقريره [450]،فيكون بذلك ترجمانا لما أُبْهِم، ومفصلا لما أجمل،ومقيدا لما أطلق،ومخصصا لما كان عاما،فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المحدث عن الله تعالى،ثم عقب الله تعالى في هذه الآيات أن الأخذ بالتشريع جملة وتفصيلا؛لا يكون إلا من متفكر متدبر لما أنزل الله تعالى فقال جل شأنه:(**وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)؛ فالتفكر في مقاصد التشريع الإلهي هو الأمر الوحيد الذي يساعد الإنسان على استيعاب مجمل أحكام الإسلام،في جميع مجالات الحياة،ليدرك العبد بذلك أنه لم يخلق عبثا،وأنه إلى الله راجع.

إذن القرآن الكريم جاء للناس هدى؛والرسول صلى الله عليه وسلم بينه لهم،فلا يحق لمغرور متشدق ماكث على أريكته ويتشهى زخرف الحياة الدنيا إلغاء شطر الدين؛بأمانيه وغروره لمجرد أن يلفت إليه ناظري مشيعيه؛بحكم أنه يمثل لهم قطبا ماديا أو معنويا،لا يمكنهم الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال،فهذا رأس جهول أو كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فيه وأمثاله:فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** "[451]؛وقد وضح الإمام النووي أن هذا الحديث يؤكد على أن المراد بقبض العلم ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أنه يموت حملته ويتخذ الناس جهالا يحكمون بجهالاتهم فيَضلون ويُضلون[452].

---

[448]-سورة:النّجم، الآية:4.

[449]-سورة:النحل، الآيات: 43- 44.

[450]-سيد قطب، في ظلال القرآن،2173/4. بتصرف

[451]- صحيح البخاري،كتاب العلم، باب : كيف يقبض العلم ،رقم الحديث: 100. ص:37. و صحيح مسلم ، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان - حديث:13(2673).ص: 951.

[452]-النووي،المنهاج شرح صحيح مسلم ،443/8. بتصرف

إذن فظهور المتشككين في السنة النبوية الشريفة كان عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة،وقد تصدى لهم الصحابة رضوان الله عليهم فردوا عليهم ردا مفحما،ثم نهج الخلف الصالح من بعدهم نهجهم في الذب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو ما يتبين جليا من خلال المصنفات المختلفة في السنة الشريفة:رواية ودراية.

2. **النهي عن التقاعس عن طلب العلم:** إن الأمر الذي يتبين من خلال الحديث أيضا هو وصف النبي صلى الله عليه وسلم لجلوس الرجل بقوله:"... **مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ**..." فهذا يدل على أن الرجل لا باع له في العلم سوى الظن–وما يغني الظن من الحق شيئا–وجاء تفسير ذلك في رواية الإمام أبي داود رحمه الله تعالى حيث قال صلى الله عليه وسلم:" **يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ**"[453]؛ فالرواية تبين سبب استغناء الرجل عن مجالس العلم والعلماء، وهو الاكتفاء بعقد مجالس السمر في البيت؛وهو يدل على الدعة والترف والتزام البيوت وعدم طلب العلم من مظانه [454] إلى حد التكبر عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مقاطعة مجالس العلم؛بل وتكميم الأفواه عن الحديث عنها في المجالس الخاصة.

هذا،وقد جاء للحديث شاهد وهو ما رواه أَبِو رَافِعٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– حيث قَالَ:"**لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لاَ نَدْرِى مَا وَجَدْنَا فِى كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ**"[455].

فقد استحثَّ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في هذا الحديث على السعي لطلب السنة فقال:"**لاَ أُلْفِيَنَّ**"؛يقول الإمام المباركفوري معلقا على هذه اللفظة: "بالنون المؤكدة من الإلفاء أي لا أجدنَّ وهو كقولك لا أرينك هاهنا،نهى نفسه أي تراهم على هذه الحالة،والمراد نهيهم عن تلك الحالة على سبيل المبالغة" [456]؛ وهو استنفار منه صلى الله عليه وسلم لأصحابه من أجل حضور مجالس العلم والعلماء، فيكونون حراسا للسنة؛ بدل أن يكونوا طاعنين فيها، ولهذا جاء بلفظ **لا ألفين** وهو نهي لهم عن أن يجدهم في مثل هذا الموقف.والله أعلى وأعلم.

---

[453]– سنن أبي داود كتاب،السنة باب فِي لُزُومِ السُّنَّةِ. رقم الحديث: 4604. ص:503. قال الألباني: إسناده حسن. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم الحديث: 2870. 6/ 871.

[454]– المناوي،فيض القدير ، 164/3. والعظيم آبادي ،عون المعبود ، ص:2004. بتصرف

[455]– سنن أبي داود–كتاب السنة،باب في لزوم السنة،رقم الحديث: 4605. ص:(503–504). سنن ابن ماجه، المقدمة،باب تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ،رقم الحديث 13، ص:20(واللفظ له). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. مسند الإمام أحمد بن حنبل.302/39.

[456]–المباركفوري ،تحفة الأحوذي ، 2029/2.

فالنبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن التقاعس في طلب العلم من مظانه،لأن هذه المجالس تفسح المجال للمرء بمجالسة العلماء الذين لا يجمعهم إلا العلم،فيحصل تلاقح الأفكار،وتشحذ الهمم،فيحدث الفهم والفقه لما جاء في التشريع،ومجيء النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ **الأريكة** دون غيره من الألفاظ؛نستشفه من خلال رجوعنا إلى أصل اللفظ في قواميس اللغة العربية،حيث ورد في أمهات كتب اللغة ما يلي:

الأَرِيكَةُ:سَرِيرٌ مُنَجَّدٌ مُزَيَّنٌ في قُبَّةٍ أو بَيت فإذا لم يَكُنْ فيه سَرِيرٌ فهوَ **حَجَلَةٌ**[457]؛ **والحَجَلَةُ** مُحَرَّكَةً:كالقُبَّةِ وهو مَوضِعٌ يُزَيَّنُ بالثِّيابِ والسُّتُورِ والأَسِرَّةِ للعَرُوس[458] .

ونقول:"أَريكٌ وأَرائِكُ ومنه قولُه تَعالى:(**عَلَى الأرائِكِ يَنْظُرُونَ**)[459]و(**عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ**)**460**"[461].

إذن الأريكة هي:كُلّ ما اتُّكِئَ عليه من سرير أَو فِراش أَو مِنَصَّةٍ [462].وأصل اللفظ جاء من نبت الأراك؛فيقال عند العرب:الإبل الأَوارك التي اعتادت أَكل الأَراك،والفعل أَرَكَتْ تَأْرُكُ أَرْكاً،وقد أَرَكَتْ أُرُوكاً؛إذا لزمت مكانها فلم تبرحه،وقيل إنما يقال أَرَكَتْ إذا أَقامت في الأَراك وهو موضع رعي نبات الأرك[463].

وقد سُمِّي مكان الإقامة **أريكة**:لاتِّخاذِه في الأَصْلِ من الأَراكِ.أَو لكَوْنِه مَحلَّ الإقامة من أَرَكَ بالمكانِ أُرُوكاً:أي أَقام به،وأَصله الإِقامَةُ لرَعْيِ الأَراكِ ثم تُجُوِّزَ به في غَيرِه من الإقاماتِ[464].

وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بالمشبه(وهو الرجل)، ومكان جلوس المشبه به(وهو الأريكة)،دون إبراز المشبه به(وهو المقيم على الأريكة)، وإنما جاء بوجه الشبه وهو لزوم المكان؛وصورة التشبيه أن: المقيم يلزم مكان جلوسه؛ لأن الكل يأتيه زائرا ، فيجلس معهم ولا يبرح مكانه فيجتمع إليه الأهل والخلان؛فكذلك شُبه الجالس على أريكته فلا يغادرها إلى مجالس العلم والعلماء ليسمع منهم،فيتمحص فكره بمناظراتهم،ويأتيه بدل ذلك الأصحاب والخلان زائرين أو مستأنسين لحديث؛فيتبجح هو بينهم ويتعالى ويتكبر؛بنهي سامريه عن الاستدلال بعلم السنة

---

[457]– الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر،.40/1،وابن منظور ،لسان العرب، 269/4. بتصرف

[458]– الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر،40/1، والزَّبيدي،تاج العروس ، 280/28. بتصرف

[459] –سورة الانفطار،الآية:23، والآية:35.

[460] – سورة يس،الآية:56.

[461]– الزَّبيدي، تاج العروس ،37/27. وابن منظور ،لسان العرب، 269/4.

[462]– ا بن منظور ،لسان العرب، 269/4.

[463]– نفسه.

[464] – الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 40/1، و الزَّبيدي،تاج العروس ، 37/27. بتصرف

النبوية الشريفة تعريضا:"**بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ**"[465]؛فقد جعل الفيصل بينه وبين جالسيه كتاب الله تعالى،وذلك بالأخذ ما فيه من حلال والكف عما حُرِّم فيه،دون أن يذكر ما جاء في السنة من أحكام؛مستنكفا عنها مشككا في مصدرها،فهو يدعي اكتفاءه بالقرآن الكريم دستورا ومنهاجا، وهو استفزاز منه لسامريه لعقد مناظرة بين مشيعيه ومعارضيه؛فيكون هو الحاكم بينهم بنصرة جهله وسذاجة مشيعيه.

ونصل مما سبق إلى أن ارتياد مجالس العلم يعمل على الرفع من المستوى المعرفي للإنسان ويقلل من الغرور بالنفس،لأن هذه المجالس تجمع العلماء الذين لهم من العلم والدين ما يحصن العامة من الأفكار الباطلة.

3. **السنة الشريفة شقيقة الكتاب العزيز**: إن قوله صلى الله عليه وسلم:"**أَلاَ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ**" [466]؛يؤكد على التسوية بين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛فالسنة النبوية مبينة لمجمل الكتاب ومفصلة لما جاء فيه،أو مقيدة لما أطلق فيه:كإطلاق الفدية في القرآن وتقييدها بالسنة وتحريم حلق الرأس على المحرم والرخصة له في حلقها إذا أذاه القمل أو غيره من الأوجاع [467] أو كتقييد الجلد بالبكر دون الثيب،أو كتفصيل أحكام الصلاة والصيام والحج .

فالسنة النبوية في حقيقتها هي عين التطبيق في الإسلام وروحه وشكله الخارجي،وبدونها لا يمكن أن نسمى مسلمين؛فالواجب علينا معشر المسلمين أن نأخذ من الرسول صلوات الله عليه كل ما يأمر به،وأن نتأسى به في كل أمور ديننا ودنيانا،وكل ما يصلنا بالحياة في مختلف ظروفه لأنه صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة، يقرر ذلك القرآن الكريم ويوجب على المسلمين أن يتخذوا من محمد صلوات الله عليه القدوة الحسنة[468] في القول والفعل.

وعليه فإن ثبوت أي شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجة بنفسه،وفي الحديثين توبيخ من غضب عظيم على من ترك السنة استغناء عنها بالكتاب؛فكيف بمن رجح

---

[465] –سبق تخريجه ص:107.

[466] سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[467] –ابن حجر ،فتح الباري ،4/(27-28). بتصرف

[468] –علي عبد الحليم محمود،عالمية الدعوة الإسلامية، 238/1.مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية.ط 3. 1404هـ 1984م.بتصرف

الرأي عليها أو قال لا علي أن أعمل بها فإن لي مذهبا أتبعه [469].فاعتبار السنة النبوية أصلا من أصول الإسلام؛وأمر شرعيّ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نردها تحت أي تأثير عقلي أو مادي، وهذا من باب تعظيم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،وعدم تقديم الرأي مهما ظُن أن الحسابات العقلية تُرجح على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المتأكد بقوله تعالى:(**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) [470].فالمولى تبارك وتعالى يحذر المخالفين لأمره صلى الله عليه وسلم من الوقوع في الفتن؛بسبب ما يتبعون من أهواء،أو الإصابة بعذاب أليم بما قدمت أيديهم،ومن باب أولى ممن يردون سنته صلى الله عليه وسلم،وهذا من باب حفظ الدين من التحريف والتغيير أوالتبديل،كما وقع في الأديان السابقة،مما أدى إلى إلغائها كليا،وتبديلها بالإسلام؛الذي تعهد المولى تبارك وتعالى بحفظ أحكامه عبر الزمان والمكان،وهو ما بينه المولى تبارك وتعالى بقوله:(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) [471]،ومن أوفى بعهده من الله؟فقد حفظ الله سبحانه وتعالى السنة الشريفة؛بأن قيض لها جهابذة من العلماء في كل زمان ومكان حمتها من كل ما يتهددها.

فالسنة النبوية هي التفسير العملي للقرآن،والتطبيق الواقعي-والمثالي أيضا- للإسلام، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو القرآن مفسرا،والإسلام مجسما. وقد أدركت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا المعنى بفقهها وبصيرتها،ومعايشتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فعبرت عن ذلك بعبارة مشرقة بليغة،حين سئلت عن خلقه فقالت: **"فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- كَانَ الْقُرْآنَ"** [472]، فمن أراد أن يعرف المنهج العملي للإسلام بخصائصه وأركانه،فليعرفه مفصلا مجسدا في السنة النبوية القولية والعملية والتقريرية،وقال أيضا:" **إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِى مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِى مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا"** [473]، فلا تستطيع البشرية أن تتعلم من غيره صلى الله عليه وسلم،ولهذا يوجب الإسلام على الإنسانية أن تحسن فهم هذه السنة الشريفة،وكيفية التعامل معها فقها وسلوكا،كما تعامل معها خير أجيال هذه الأمة:الصحابة ومن تبعهم بإحسان.فالواضح أن

---

[469] – العظيم آبادي ،عون المعبود ،ص:2005. بتصرف

[470] –سورة:النور، الآية: 63.

[471] – سورة: الحجر ، الآية: 9.

[472] – سبق تخريجه ص: أ.

[473] – صحيح مسلم، كتاب الطلاق،باب بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لاَ يَكُونُ طَلاَقًا إِلاَّ بِالنِّيَّةِ، رقم الحديث:1478.ص:519.

أزمة المسلمين الأولى في هذا العصر،أزمة فكر[474] بسبب قلة التعامل مع السنة فهما وتطبيقا .

وعليه فإن التشريع الإسلامي هو:القرآن والسنة،ولا يمكن الفصل بين أحكامهما بأي حال من الأحوال،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–: " **مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ**... "[475] فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تعالى،وهو ما يؤكده قوله تعالى:(**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنَ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا**)[476]، فالمؤمن لا يقدم رأيه على القرآن الكريم أو على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالحكم لله جميعا والخيرية في أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم،ومن ابتغى الضلال المبين يعدل برأيه عما جاء به التشريع،وهو المتبين من هذه الآية الكريمة .

إن الله سبحانه وتعالى ارتضى للإنسانية مثالا أخلاقيا كريما رسمه جل شأنه في القرآن الكريم قولا،فكان الرسول صلى الله عليه وسلم الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهي،وكان بذلك الإنسان الكامل،لقد كان رسول الله المثل الأعلى في الرحمة والمثل الأعلى في الصبر، والمجاهد الأكبر والمثل الأعلى في الصدق وفي الإخلاص وفي الوفاء وفي البر وفي الكرم،ولا ريب في أن الأمة الإسلامية حينما تقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم إنما تقتدي بأعظم البشر رجولة وإنسانية. وتقتدي بمن أحب الله سبحانه أن يقتدي به[477].

العمل بالسنة النبوية الشريفة كالعمل بالقرآن الكريم؛ووجب على الأمة تَعْظِيم حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–بالأخذ بما جاء فيها والتزامه كما تُعظِّم وتأخذ بما جاء في القرآن الكريم.

---

[474]–يوسف القرضاوي،كيف نتعامل مع السنة النبوية –معالم وضوابط–ص: 25–31.المطبوعات الجميلة 2 نهج بوطاليس الجزائر د ط ت. بتصرف.

[475]– صحيح البخاري،كتاب الأحكام،باب قول الله تعالى و أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر– رقم الحديث: 7137.ص1293. وكتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به، حديث: 2957.ص: 543،وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم،حديث: 7281.ص: 1318،وصحيح مسلم،كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية،رقم الحديث: 1835، ص787–788.وكتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار – حديث: 497.(1388).ص: 475، وكتاب الفضائل، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم – حديث:16.(2283).ص: 830.

[476]– سورة:الأحزاب ، الآية:36 .

[477] – عبد الله بن زيد آل محمود،سنة الرسول شقيقة القرآن،ص:59. المكتب الإسلامي ط3. 1407هـ– 1986م. بتصرف.

إن من صور تعظيم السنة النبوية الشريفة:هو الانتباه إلى حيل المشككين في السنة الشريفة،وكذا التسلح بالعلم الشرعي بارتياد مجالس العلم،مع اعتبار السنة النبوية الشريف مصدر رئيس لفهم مجمل القرآن الكريم.

المطلب الثاني:المبادرة لامتثال أوامر النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها:" **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ قُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ فَقَالَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ قُولِي إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ النَّاسَ مِنْ الْبُكَاءِ فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا"**[478]

إن الإمام البخاري–رحمه الله تعالى–ترجم لهذا الحديث بقوله:"باب:ما يكره من التعمُّق[479] والتَّنازع في العلم،والغلوِّ في الدين والبدع،لقوله تعالى:(**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**)[480]؛وهو ما فتح الله به على الإمام البخاري–رحمه الله تعالى–في فهم مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم في تقريعه لنسائه لإصرارهن على اجتهادهن وقد رفضه صلى الله عليه وسلم مرارا؛مما يشير إلى مقصد خفي وهو:أن العدول عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم:نوع من التشدد والمنازعة لأهل العلم في أوامرهم المسندة لأصل شرعي،أو محققة لمقصد شرعي،فيحول هذا التشدد وهذه المنازعة دون تطبيق أمر المشرع الحكيم،ولهذا كان تعنيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه شديدا؛وهو ما يتبين من رده صلى الله عليه وسلم على رأي عائشة وحفصة رضي الله عنهما بقوله صلى الله عليه وسلم:" **إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**" وقد وضح صاحب كتاب المنتقى مرمى كلام النبي صلى الله عليه وسلم لنسائه: "أَرَادَ بِذَلِكَ إنْكَارَ مُرَاجَعَتِهِنَّ إيَّاهُ فِي تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ بِأَمْرٍ قَدْ تَكَرَّرَ سَمَاعُهُ وَلَمْ يَرَهُ،فَذَكَّرَهُمَا

---

[478]–صحيح البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، باب:ما يكره من التعمُّق والتَّنازع في العلم، والغلوِّ في الدين والبدع. لقوله تعالى:{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق} /النساء: 171/ ، رقم الحديث 7303. ص:(1321–1322). و كتاب الأذان، أبواب صلاة الجماعة والإمامة،باب : حد المريض أن يشهد الجماعة، حديث:664.ص: 131، و كتاب الأذان، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب: أهل العلم والفضل أحق بالإمامة،حديث:679.ص: 134 ،و كتاب الأذان، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب من أسمع الناس تكبير الإمام،حديث:712.ص: 139–140،وكتاب الأذان،أبواب صلاة الجماعة والإمامة،باب الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم، حديث:713، وكتاب الأذان، أبواب صلاة الجماعة والإمامة ، باب إذا بكى الإمام في الصلاة، حديث: 716.ص: 140–141، و كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى : لقد كان في يوسف وإخوته آيات – حديث: 3385.ص: 620، وصحيح مسلم ،كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر – حديث:95.(418).ص: 153–154.

[479]– **المُتَعَمِّق**: المَبالِغ فِي الأمْر المتَشَدِّد فِيهِ، الَّذِي يَطْلُبُ أقْصَى غايَتِه. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 3/299–300.

[480]– سورة:النساء،الآية:171.

بِفَسَادِ رَأْيِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ جِنْسِهِنَّ وَأَنَّهُنَّ قَدْ دَعَوْنَ إِلَى غَيْرِ صَوَابٍ وَأَنَّ هَذَا الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ غَيْرُ صَوَابٍ أَيْضًا"[481].

ومثل النبي صلى الله عليه وسلم مراجعة نسائه له لأمر قد قرره –وهو رسول الله وما أوتي من النبوة والرسالة–بعمل الماكرات على يوسف عليه السلام؛وهذا تبيان منه صلى الله عليه وسلم لعظم موقفهن معه؛وخاصة عندما تكرر الرد على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم،مع إلحاحه في تطبيق قراره صلى الله عليه وسلم كنبي مرسل من عند الله تعالى،إلا أن إصرارهن—خاصة عائشة رضي الله عنها_ على اقتراح بديل على رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقي قائما،إلى أن عنفهن رسول الله صلى الله عليه وسلم،وشبههن بصواحب يوسف عليه السلام؛وهن من هن – نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين– إلا أن موقفهن في الإصرار للرد على رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛وصور اجتهادهن وتقديرهن تصويرا مطابقا لموقف نساء أخطأن.

وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يبين بتقريعه لنسائه العالمات بمكانته؛أن العدول عن رأيه والأخذ باجتهادهن يوقع الأمة الإسلامية في الفتن كالتي وقعت في بيت العزيز،وهو تنبيه منه صلى الله عليه وسلم أن المرحلة الموالية لوفاته صلى الله عليه وسلم لا يستطيع قيادتها إلا أبو بكر رضي الله عنه،لما يحمله من سمات تؤهله لتقلد الحكم لهذه المرحلة،وأن مرحلة تقلد عمر مقاليد السلطة لم يأت أوانها–رغم أنه تولى الحكم بعد أبي بكر،وكان ذلك بعد استقرار الوضع الداخلي للدولة الإسلامية:**الوضع التشريعي**؛وتمثل في جمع القرآن الكريم، **والوضع الأمني**؛وتمثل في القضاء على الردة في الجزيرة العربية.فالنبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة،وكان واجبا على نسائه طاعته والامتثال لأمره في تكليف أبي بكر رضي الله عنه للصلاة بالناس،لأن الأنبياء بذواتهم هم القدوة الحية التي تتمثل فيها بادئ ذي بدء المبادئ؛والقيم والأفكار التي يدعون إليها،فالله سبحانه وتعالى يختار أنبياءه ورسله من الأخيار،ثم يصوغ نفوسهم الصياغة التي تؤهلهم لحمل الحق الذي يبلغونه للناس،وهم يختلطون بالناس ويدعونهم دعوة مباشرة إلى الأفكار والمبادئ والقيم التي يحملونها،وأهم من ذلك أنهم يربون أتباعهم عليها،وذلك هو الجهد الحقيقي الذي يبذله الأنبياء ويؤتي ثماره في واقع الأرض.فالأفكار التي يحملونها لا تظل مثلا معلقة في الفضاء،إنما تتحول إلى واقع حي من خلال أشخاصهم أولا،ثم من خلال هذا الفريق من البشر الذي يربونه؛ومن ثم يصبح الأمر الذي يُدعى الناس إليه واقعا مشهودا،يعرف الناس صورته الواقعية،فيقبلون عليه حين يرون ثماره الجميلة

---

[481] –أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي،المنتقى شرح موطأ مالك، 333/2. تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا. منشورات: محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية . بيروت لبنان. ط1: 1420هـ - 1999م .

متمثلة في واقع بشري يرونه أمام أعينهم،كما ينفرد الرسل بمنهجهم الإصلاحي الشامل—الموحى به من عند الله–وبالطريقة التي يثبتون بها ادعاءهم هذا المنهج في واقع البشر عن طريق القدوة والتربية،فإنهم ينفردون كذلك بالعلم النافع الذي يقرب من الله وينجي من عذابه يوم القيامة،لذلك فكل علم الأرض لا ينفع،إذا انقطع بالإنسان عن الله واليوم الآخر،إنما العلم النافع هو الذي ينفع الناس في دنياهم وآخرتهم معا[482]؛وذلك من خلال الاقتداء بالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن هذا كله نخرج بحقيقة واضحة هي:أنه ما كان لأحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم،من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة أن يكون له الحق في مخالفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم،بل هم مجمعون على احترامها واتباعها،وذلك وفق هديها من دون أي إفراط ولا تفريط [483] وهذا في جميع جوانبها الحياتية: الروحية منها والمادية.

هذا،ومجيء اللفظ بالجمع حيث قال صلى الله عليه وسلم:" **إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ**"–رغم أن الفكرة المبدئية كانت من عائشة رضي الله عنها–ما هو إلا تأكيد منه صلى الله عليه وسلم على خطأ الفكرة بداية،وأن كل من ساهم في تدعيمها له حكم من اقترحها.

وعليه نستفيد من الحديث أمورا منها:

- ضرورة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم،وتعظيم أمره الذي أمر به على وجه الوجوب، وكذا عدم التماطل في تنفيذه،فلهذا كان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه شديدا،وقد تبين من قوله:"**إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ**"[484].
- لقد كان الإصرار على صلاة عمر بالناس من عائشة رضي الله عنها حرصا على أبيها من تشاؤم الناس،لأنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم[485].
- أن المرادة والمراجعة في الأمر على أولي الأمر مذمومة،لأنها تدخل في معنى التشدد والمبالغة في الأخذ بالرأي[486].

---

[482]– محمد قطب،ركائز الإيمان، ص:(157–160).بتصرف

[483]– عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجا وأسلوبا، دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت.ط 1: 1410هـ–1990م. بتصرف

[484]–سبق تخريجه: ص:115.

[485]– وهو ما برزته رضي الله عنها بقولها :"**لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلًا قَامَ مَقَامَهُ أَبَدًا وَلَا كُنْتُ أُرَى أَنَّهُ لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مَقَامَهُ إِلَّا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ** " صحيح البخاري،كتاب المغازي،باب مرض النبي صلى الله عليه و سلم ووفاته،رقم الحديث:4445. ص:(800–801).

- قوله صلى الله عليه وسلم:" **إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**": إن صواحب جمع صاحبة،والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن،وهذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع؛فالمراد به واحد وهي عائشة رضي الله عنها فقط،كما أن صواحب صيغة جمع والمراد امرأة العزيز فقط،ووجه المشابهة بينهما في ذلك أنها استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة،ومرادها زيادة على ذلك النظر إلى حسن يوسف ليعذرنها في محبته،وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به[487].
- أن تكرار الأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بإتمام الناس بأبي بكر الصديق رضي الله عنه في الصلاة–والتي تعد ركنا من أركان الإسلام– فيه مقصد جليل؛هو:لفت انتباه الأمة إلى ائتمامهم به في كل أمور حياتهم؛والذي يومئ بضرورة توليته رضي الله عنه الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهو المعنى ا لذي فهمته عائشة رضي الله عنها،فأرادت صرف أبيها عنه حتى لا يكون محل شؤم من الناس،وهذا رغم فراستها المعروفة بها إلا أنها لم تدرك أن الخيرية في تولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة؛كونه أحرص الناس بعد–رسول الله صلى الله عليه وسلم–على أمر هذا الدين ،لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم زجر،ورد بما يسكت الجميع عن مراجعته؛ خاصة في موقف تحديد مصير الأمة بعده صلى الله عليه وسلم.

من خلال الموقف الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه رضي الله عنهما نصل إلى وجوب الامتثال لأمره؛ والمؤكد على ضرورة أخذه دون مراء أو جدال بل ولا تلكأ،وكذا عدم تقديم أي أمر على أمره إذا أمر به،وهو من باب تعظيم السنة الشريف.

---

[486] – العيني،عمدة القاري ،40/25. بتصرف

[487] –ابن حجر ،فتح الباري،2/(218–219).بتصرف

المطلب الثالث:توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويكون ذلك بأمور نذكر منها:

1-خفض الصوت بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ:" **كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ بَنِي تَمِيمٍ أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ التَّمِيمِيِّ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ وَأَشَارَ الْآخَرُ بِغَيْرِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ إِنَّمَا أَرَدْتَ خِلَافِي فَقَالَ عُمَرُ مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَتْ{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}** [488]**إِلَى قَوْلِهِ:{عَظِيمٌ}قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ"**[489].

إن هذه الرواية تبين أن اختلاف الخيران—أبو بكر وعمر رضي الله عنهما-بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛كاد يؤدي بهما إلى الهلاك،وقد حصل ذلك من أجل إثبات كل واحد منهما رأيه،فجاء الأمر من الله تعالى بقوله جل شأنه :**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(2)إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ(3)إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(4)وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[490].

لقد عد العلماء حادثة الصحابيين رضي الله عنهما سبب نزول هذه الآيات الكريمة،وقد بينت أدب الكلام بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم،حيث فصّل فيه الأمر على ضربين:

الضرب الأول:مراعاة المقام في الحضور: ويكون ذلك بعدم رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم عند الحديث في مجلسه،فلا يتبين صوته صلى الله عليه وسلم من صوت المتكلم،وهذا

---

[488] - سورة:الحجرات،الآيات:2-3.

[489] -صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، باب: ما يكره من التعمُّق والتَّنازع في العلم، والغلوِّ في الدين والبدع. لقوله تعالى:{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق} /النساء: 171/،رقم الحديث:7302.ص:1321.وكتاب تفسير القرآن سورة (الحجرات)، باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية، حديث:4845.ص: 903.

[490] -سورة:الحجرات،الآية:1-5.

يؤدي إلى عدم سماع كلامه؛ وهو رسول الله المبلغ عن ربه جل شأنه،فيقع المرء في التقديم على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

الضرب الثاني مراعاة المقام في المحاورة: ويتمثل ذلك في عدم الجهر معه في القول كالجهر بالقول مع الخلان،وهو تنبيه منه جل شأنه إلى ضرورة استحضار مكانته صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى،في حال الحديث معه فلا يخوض المرء في كل حديث معه كما يفعل مع غيره من الناس،ثم بين المولى تبارك وتعالى حسن الجزاء وعظم المكانة لمن أخذ بأدب خفض الصوت في حضرته صلى الله عليه وسلم-وهذا في مقابل العقوبة المترتبة على الجاهر بالقول له صلى الله عليه وسلم-فقال جل شأنه:(**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**) [491] فأولئك فازوا بأمور ثلاثة:تهيئة القلوب للتقوى، ومغفرة الذنوب،ومضاعفة الأجر،وذلك مقابل عمل واحد وهو الأخذ بأدب الكلام في حضرته صلى الله عليه وسلم.

ثم مثل الله سبحانه وتعالى —في هذه الآيات-للصحابة رضوان الله عليهم نموذجا كان بينهم،وهم الأعراب الذين ينادون النبي صلى الله عليه وسلم بأصوات عالية من وراء الحجرات مزعجين له في شأنه الخاص،فقال جل شأنه:(**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**)[492] فأكد جل شأنه أن أكثرهم لا يعقلون،ثم بين الموقف الأنسب في الأخذ منه صلى الله عليه وسلم وهو ضرورة الصبر إلى أن يخرج إليهم هو بمحض إرادته،بل وجعل للمؤمنين الخيرية في هذا الصبر على خروج نبيهم صلى الله عليه و سلم إليهم،فالتعجيل بالمناداة من وراء الحجرات لخروج النبي صلى الله عليه وسلم يؤذيه؛فهو المعلم داخل البيت وخارجه،والوحي يتنزل عليه داخل البيت وخارجه،فعلى المؤمنين مراعاة هذه الظروف وغيرها معه صلى الله عليه وسلم؛ الذي له من المناجاة الخاصة ما يعجز عنه الناس وما لا يعرفونه.

هذا،وقد كان بعض الصحابة-رضوان الله عليهم-يرفعون أصواتهم في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛فعن سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ:" **اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَقَالُوا لِلرَّجُلِ أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي**

---

[491] سورة الحجرات، الآية:3.

[492] سورة الحجرات، الآية:4.

لَسْتُ بِمَجْنُونٍ" [493].فهذه الرواية تبين أن الخصام بين الصحابيين كان بحضرته صلى الله عليه وسلم،ثم بين الحكم في الأمر لأصحابه ممن والاه دونه؛ وهو ما أفزعهم فنقلوه إلى الرجل الغاضب الذي استشرى به الغضب؛حتى رد على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يليق بشخصه صلى الله عليه وسلم فقال:" **إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ"** وكأنه لا يستعيذ من الشيطان إلا المجنون.وهذا وهذا ما وضحه الإمام النووي بقوله: "فهو كلام من لم يفقه في دين الله تعالى، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة،وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالمجنون ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان، ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله،ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب" [494]،فلهذا كان رده على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فظا غليظا،تعدى فيه صاحبه على قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لكن عندما تعلق رفع الصوت بالخيرين رضي الله عنهما،أمام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛نزلت الآية الكريمة: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)** [495]،فقد جاءت مقرعة ناهية متوعدة فاعلها بإحباط العمل-حتى لو كان عن غير قصد منه-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ"** [496].إلا أن هذه الآية تؤكد استثناء رافع صوته فوق صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذا،وقد امتثل الصحابيان الجليلان للأمر بخفض الصوت في حضرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ما بينه ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله:" **فَكَانَ عُمَرُ بَعْدُ إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ"** [497] فقد صار يحدثه كالمناجي سرا[498]؛ فلا يسمعه صوته رضي الله عنه حتى يستفهمه،فقد استعظم موقفهما الذي

---

[493]-صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب الحذر من الغضب،رقم الحديث: 6115. ص:1122.وكتاب بدء الخلق،باب صفة إبليس وجنوده، حديث: 3282.ص:601،وصحيح مسلم ،كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي،حديث:69(2204).ص: 802.

[494]- النووي،المنهاج شرح صحيح مسلم ،8/(379-380).

[495]-سورة:الحجرات،الأية:2.

[496]-صحيح البخاري،كتاب العتق،باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه ولا عتاقة إلا لوجه الله،رقم الحديث:2528،ص:458.

[497]- سبق تخريجه ص:120.

[498]- ابن حجر،فتح الباري،397/13.بتصرف

ترتب عنه تخليد بالقرآن الكريم ليكون منهاجا للأجيال بعدهما في التعامل مع حامل الرسالة الخاتمة،وخاصة أنه توعد بإحباط العمل لمن لم يأخذ بأدب الحديث معه صلى الله عليه وسلم.

وعليه وجب على الأمة توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفض الصوت بحضرته صلى الله عليه وسلم،وكذا في مسجده،وعند سماع سنته صلى الله عليه وسلم.

2-الانتهاء بنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :"**احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَيْرَةً مُخَصَّفَةً أَوْ حَصِيرًا فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي فِيهَا فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ ثُمَّ جَاءُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا** [499] **الْبَابَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مُغْضَبًا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ** "[500]؛ لقد كاد صنيع الصحابة؛ من حصب للباب ورفع للصوت أن يؤدي بهم إلى فرض صلاة التراويح،وهذا لعظم ما انتهكوا من حرمة قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد نُهيَ الصحابة رضوان الله عليهم عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم،وعن الشجار أمامه أو الجهر كما يجهر بعضهم لبعض، توقيرا وإجلالا لمكانته ووصفه نبيا مرسلا من رب العالمين، وهو ما استيقنه الصاحبيان حتى صارا يهمسان همسا أمامه صلى الله عليه وسلم لدرجة أنه يستفهم أحدهما.

وقد بلغ ببعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى حد كبير؛فعن أنس بن مالك رضي الله عنه:"**أن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير**" [501]؛وهو محمول منهم—

---

[499]-**حصبوا الباب** :أي رموه بالحصباء،وهي:الحصى.الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 393/1.وابن منظور،لسان العرب، 253/1. بتصرف.

[500]-صحيح البخاري،كِتَاب الْأَدَبِ،بَاب مَا يَجُوزُ مِنْ الْغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهُ{جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}،رقم الحديث:6113.ص:112.وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب استحباب صلاة النافلة في بيته،حديث: 213.(781).ص: 263.

[501]-البخاري:الأدب المفرد،كتاب الاستئذان، (باب قرع الباب). 207/3. قال الشيخ الألباني : صحيح. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم الحديث: 2092 . 127/5.

رضوان الله عليهم–على المبالغة في الأدب، توقيرا وإجلالا وأدبا مع شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم[502].

هذا،ولكن في حديث قيام ليل رمضان اختلط الأمر على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛حيث كان الموقف موقف عبادة؛فظن الصحابة رضوان الله عليهم أن الأمر يختلف حيث صور الراوي موقفهم فقال:" **فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ**" ليخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه للصلاة بهم؛لكن حين تأخر لبعض الأسباب المجهولة التي هي من خصوصياته ظنوا أنه لم يسمعهم فـ"**حَصَبُوا الْبَابَ**" ــ الذي كان قرعه بالأظافير في غالب أحوالهم ــ فما زال حالهم كذلك،حتى كاد العقاب ينزل عليهم بفرض صلاة التراويح عليهم[503]بل وعلى المؤمنين بعدهم.

ومنه نصل إلى أن الانتهاء بنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم نوع توقير له .

وبذلك يكون خفض الصوت بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم،والانتهاء بنهيه من أساليب التوقير له؛وهو من أولى الأولويات التي يجب أن يعيشها المؤمن،وهذا سواء كان حيا أو ميتا؛لأن بهذا التوقير يحصل التقديس له ولما جاء به، وهو ما يحمل على التزام سنته الشريفة كما سنرى في المبحث الموالي بإذن الله تعالى:

---

[502]– ابن حجر،فتح الباري ، 50/11. بتصرف

[503]–والعلة التي من أجلها كان يترك صلى الله عليه وسلم الأعمال الصالحة بحضرة الناس:وردت في الأثر فعَنْ عَائِشَةَ–رضي الله عنها–قَالَتْ: " **إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ،وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ– صلى الله عليه وسلم – سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ،وَإِنِّي لأُسَبِّحُهَا**" صحيح البخاري–كتاب الجمعة، أبواب تقصير الصلاة–باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل،رقم الحديث: 1128.ص:211."وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صلى الله عليه وسلم ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيُفْرَضُ عَلَيْهِمْ؛ لَمَّا جَرَتْ بِهِ عَادَتُهُ فَإِنَّ مَا دَامَ عَلَيْهِ.عَلَى وَجْهِ الِاجْتِمَاعِ مِنْ الْقُرْبِ فُرِضَ عَلَى أُمَّتِهِ،وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُ خَافَ أَنْ يَظُنَّ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ بَعْدَهُ إذَا دَاوَمَ عَلَيْهَا وُجُوبَهَا وَإِلْزَامَ النَّاسِ أَمْرَهَا، وَهَذِهِ الْمَعَانِي كُلُّهَا مَأْمُونَةٌ بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم" الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك، 144/2.

المبحث الثاني:لزوم السنة النبوية الشريفة وترك التنطع[504] والتكلف[505]والتشدد فيها

توطئة:

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه قَالَ:" **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ،فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ:فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي،فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ**"[506].

إن منطلق لزوم الشيء لا ينبع من فراغ،وإنما ينبع من سابق معرفةبه،مع تعلق القلب بسماته،ومن خلال هذه الرواية الشريفة يتبين جليا أن حب الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ألا يفوقه حب شيء من الدنيا،مهما كانت قيمته في نفس الإنسان،فالنبي صلى الله عليه وسلم رفض قول عمر رضي الله عنه:" **لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي**" لأن طغيان أي حب على حب رسوله؛يؤدي بالضرورة إلى تحكيم الهوى على ما جاء به الوحي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**" فالنبي صلى الله عليه وسلم خرج بعمر بن الخطاب رضي الله عنه من دائرة الأنا وحب الذات–والتي تؤدي بداهة إلى تقديم الهوى على سواهما– إلى رحاب العبودية لله تعالى،فيكون ذلك الحب بداية لحب المنهج المقرر لسير البشرية وهو:الإسلام وما حواه من تعاليم ربانية،وقد فهم عمر رضي الله عنه هذا المغزى الجليل فلم يتلكأ ولم يتردد،وإنما بادر بالقول:" **فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي**"،ولهذا عقب على قوله:" **الْآنَ يَا عُمَرُ**"أي الآن صرت مؤمنا حق الإيمان،والذي يؤدي إلى الانصياع للأوامر،والكف عن النواهي،بل ولزوم المنهج الرباني في الحل والترحال.

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مواظبا على تقويم تصرفات أصحابه رضوان الله عليهم في جميع مجالات الحياة؛ الاجتماعية منها والتعبدية، من أجل أن يعيشوا بطريقة متوازنة.

---

[504] – **التنطع**: التعمق والغلو والتكلف لما لم يُؤمر بِهِ. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 74/5.

[505] – **الكَلَفُ**: كَلِفْت بِهَذَا الْأَمْرِ أَكْلَفُ بِهِ، إذَا وَلِعْتَ بِهِ وأحْبَبْته. وكَلِفْتُهُ إذَا تَحَمَّلْته. وكَلَّفَه الشَّيْءَ تَكْلِيفاً، إذَا أمَره بِمَا يَشُقّ عَلَيْهِ. وتَكَلَّفْتُ الشَّيْءَ، إذَا تَجَشَّمْتَه عَلَى مَشَقَّة، وَعَلَى خِلَافِ عادتِك.والمتَكَلِّف: المتَعَرِّض لِما لَا يَعْنِيه. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر: 196/4.

[506] –صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور،باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه و سلم،رقم الحديث:6632.ص:1205.

المطلب الأول:التوازن بين الأحوال الاجتماعية والتعبدية

عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:"جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا[507] فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[508].

إن اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم في سره ينبئ عن مدى حرصهم في تعلمهم دينهم،وإصلاح أحوالهم التعبدية؛ فمن خلال هذا الحديث جاؤوا إلى زوجاته –وهنَّ أقرب الناس في الاطلاع على سره –ليتعلموا [509]من عبادته صلى الله عليه وسلم: "**فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا**" أي عدوها قليلة[510]مقارنة بما علموه من عادة أهل الكتاب في تعبد رهبانهم وأحبارهم، وقد أوَّلوا هذا التقليل المُتوهم إلى أنه راجع إلى: أنه"**صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**" فلهذا –في رأيهم– لم يبالغ في عبادته، ظنا منهم أن المبالغة في العبادة هي الوسيلة الوحيدة لغفران الذنوب، وهم لم يتبين موقف الذنوب منهم؛فقرروا المبالغة في العبادة حتى تغفر ذنوبهم؛ فقرروا –كل حسب ميوله–أن يقللوا من تفاعلاتهم الاجتماعية،ويضيفوا نصيبها إلى حياتهم التعبدية،وهي أمور كان رهبان النصارى وأحبار اليهود يقومون بها تقربا لله تعالى.

فقرر أحدهم قيام الليل أبدا بقوله:" **أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا**"متخليا بذلك عن حقه البيولوجي في النوم،فلا يعطي لنفسه حق الراحة،وقد اختار الليل دون النهار لشغله فيه،وقرر الآخر الصيام دائما فلا يفطر قائلا:" **أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ**" متنازلا عن حقه البيولوجي في الأكل

---

[507]– **تَقَالُّوهَا**:أَيِ اسْتَقَلُّوها، وَهُوَ تَفاعُلٌ مِنَ القِلَّة. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر .104/4.

[508]–صحيح البخاري،كتاب النكاح،باب الترغيب في النكاح،رقم الحديث:5063.ص:955.

[509]– علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح مع شرح مشكاة المصابيح ،محمد بن عبد الله القطب التبريزي : 1/(342-343). تحقيق جمال عيتاني. منشورات محمد علي بيضون .دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان . ط 1 .1922 – 2001 . بتصرف

[510]– نفسه. بتصرف

والتمتع بملذات الأكل،لأن الصائم لا يأكل إلا الضروري من الطعام بحكم انحصار وقته في الليل فقط.

والأخير–والذي يتبين من خلال هذه الرواية عزوبته–قرر أن يضيف حقه في تكوين أسرة إلى الجانب التعبدي فقال:"**أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا**"[511].

فنلاحظ من قراراتهم رضوان الله عليهم؛أنهم عزموا على التخلي عن أمور بيولوجية مركبة في الإنسان،ولا يمكنه الاستمرار في أداء وظيفة الخلافة على الأرض ما لم يتوازن في الأخذ بها،قال تعالى:(**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) [512]،فالله سبحانه وتعالى يؤكد في هذه الآية أن كل ما سخره في الأرض من حلال؛فهو لعباده ليأكلوا ويتمتعوا،وجعلها يوم القيامة خالصة لعباده المؤمنين خاصة.

ولما كان القصور يصاحب الإنسان في تحديد منهج الحياة السوي له،وجب عليه أن يأخذ بالمنهج الرباني الذي سطره له،فلا يُغلِّب جانبا على حساب جانب؛وربما كان التقصير الذي يحدثه في أحد هذه الجوانب فيه مهلكته إذا استمر عليه وهذا دون أن يشعر.

فالأكل مثلا:لا يمكن للإنسان الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال؛كونه المصدر الأساس للطاقة التي تساعده على القيام بوظائفه الحيوية.

وأما النوم: فإنه ضرورة لا يمكن للإنسان أن يستغني عنه،كونه مصدر راحة له ليواصل سير حياته،والتفاعل مع متطلباتها بكل تركيز وحيوية؛فالإنسان إذا لم يَنَم قلَّ تركيزه وإذا استمر كذلك ربما دخل في حالة لا تحمد،فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"**إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**" [513]،فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث؛أنه وجب على الإنسان ترك العبادة إذا غلبه النعاس،ويستدركها إذا أخذ حظه من الراحة، ليكون مؤهلا لأدائها مستيقظ العين والقلب،وهذا كله لضرورة النوم لدى الكائن الحي.

وأما الزواج :فإنه مصدر استمرار البشرية على الأرض،فإذا ما تواطأ على فعله مجموعة من البشر؛تقلص الجنس البشري،وكذا ظهرت أمور لا أخلاقية قد تكون خطيرة كما حدث في

---

[511] سبق تخريجه ص:126.

[512] –سورة:الأعراف،الآية:32.

[513] –سبق تخريجه ص:57.

النصارى، ويكفي مثالا واقعيا على ذلك ما حدث للصحابة رضوان الله عليهم عند بداية فرض صيام رمضان،فعن الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :"**لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ :(عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ)**"[514]،فالله سبحانه وتعالى فصَّل حكما شرعيا في الصيام لتحقيق جانب من جوانب الغرائز لتعلقه بمصلحة الإنسان،ليمضي في عبادة الله تعالى على وجه من اليسر، والطمأنينة.

هذا،وبعد اجتهاد الصحابة–رضوان الله عليهم–كل وقدرته في التنازل عن حق من حقوقه الاجتماعية وإضافته إلى حياته التعبدية،جاء توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لهم في كل ما قرروه؛حيث قال–مذكرا لهم عما عزموه–"**أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا**" [515]ويعني بذلك إسرافهم في فهم مقاصد الشريعة؛ فتوهموا أفضلية نصرة الحياة التعبدية بتقليص الحياة الاجتماعية، لذلك بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم كيفية الأخذ بالالتزامات الاجتماعية دون التفريط في الالتزامات التعبدية،فقال صلى الله عليه وسلم:" **وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ**"[516]، وفي حديث آخر عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**" [517]؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم يضع بهذه القاعدة الجليلة نمط حياة متوازنة يستطيع الإنسان من خلالها السير في حياته بوسطية،بعيدا عن التنطع والتشدد في الدين والتكلف الذي يعجز الإنسان عن المواظبة عليه، وقد علل ابن حجر لك بقوله: "جَمَعَ بين القوة العلمية والقوة العملية؛أي أنهم توهموا أن رغبتهم عما يفعل أقرب لهم عند الله،وليس كذلك إذ هو أعلمهم بالقربة وأولاهم بالعمل بها"[518]،وهو ما بينه أيضا لعبد الله بن عمرو بقوله صلى الله عليه وسلم:" **فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**" [519]، فالنبي صلى الله عليه وسلم بين أن

---

[514]– صحيح البخاري،كتاب التفسير،سورة البقرة:فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ}باب"أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم".،رقم الحديث:4508. ص:812.

[515] سبق تخريجه ص:126.

[516] سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[517]–سنن النسائي،كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم الحديث: 3939 .ص:416. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، مسند الإمام أحمد بن حنبل.307/19.

[518]– ابن حجر، فتح الباري ، 724/10.

[519]– صحيح البخاري،كتاب النكاح، باب:لزوجك عليك حق،حديث: 5199.ص: 979،وكتاب الصوم،باب حق الضيف في الصوم، حديث:1974.ص: 357،و كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم،حديث:1975.ص: 357،وكتاب النكاح،باب لا تطيع المرأة زوجها في

الإنسان لا يعيش في هذه الدنيا وحده وإنما يعيش في مجتمع له عليه واجبات مختلفة باختلاف علاقته معهم، ومنع أن يطغى أحد هذه الحقوق على الآخر؛ سعيا منه في بقاء الإنسان في ارتباط بما يحيط به،فلا يقطع أواصره بهم،فهو لا يستطيع الانفصال عنهم بأي حال من الأحوال،وإلا لم يصبح إنسان بالمعنى الذي خلق من أجله، لا سيما إذا نحن نظرنا إلى الآيات المتعلقة بتعدد الزوجات الأمر الذي يبين حرص الدين على صيانة المجتمع بتلبية الحاجات بالحلال الطيب لذلك تراه بعد أن حدد صلى الله عليه وسلم منهج حياة اجتماعية وتعبدية متوازنة في جميع جوانبها؛رهب من سلوك سير أهل الكتاب بقوله صلى الله عليه وسلم:" **فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"؛ مشيرا بذلك إلى أن الإسلام يثبت الفطرة ويبين أن من انتهج منهجا غير دين الإسلام؛فعمله رد عليه،أو كما قال رسول الله عليه وسلم؛فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:"**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**"[520].وهذا تأكيد منه صلى الله عليه وسلم أن أي مخالفة لسنته تستوجب الرد الفوري، حماية منه لأصول الدين من أن تدخلها الأهواء،وبذلك تلتزم الأمة بالسنة النبوية الشريفة وتترك كل تنطع أو تشدد أو تكلف يخرج بها عن الوسطية والاعتدال.

وبذلك رد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة –رضوان الله عليهم–ومن بعدهم إلى حياة بشرية متوازنة:تجمع بين الجانب الاجتماعي والجانب التعبدي.

فأهم ما يتميز به الإسلام هو أخذه للكائن البشري على ما هو عليه،فلا يحاول تفسيره على ما ليس من طبيعته،كما تصنع النظم المثالية،وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب هذه الطبيعة إلى آخر مدى مستطاع،دون أن يكبت شيئا من النوازع الفطرية،أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع،وبين المثل العليا التي يرسمها له، وكما كره الإسلام فقدان التوازن ولو كان إلى أعلى،لأنه يحرص على أهداف الحياة العليا،التي لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازع الأرض،وكل ما يعمله ويهدف إليه هو تنظيف الوسائل التي يستجيب بها الفرد لنوازعه،حتى ترتفع الحياة كلها،وتصبح كريمة جميلة،خليقة بمعنى التكريم الذي أصبغه الله على الإنسان،فالارتفاع بالحياة من نوازع الجسد وتطهير الروح لتكون خليقة بالدخول في ملكوت الله، يعتبره الإسلام نوعا من

معصية،حديث:5205.ص:980،و كتاب الأدب، باب حق الضيف،حديث: 6134.ص:1124_1125،صحيح مسلم، الصيام، باب النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ،رقم الحديث: 1159. ص: (388-389).

[520]–صحيح البخاري،كتاب الصلح،باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود،حديث: 2697.ص: 492،صحيح مسلم،كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ،رقم الحديث:1718.ص:629.

اختلال غير متوازن،يعطل أهداف الحياة،وتعذيب الفرد في سبيل هدف-مهما يكن نظيفا في ذاته-فهو غير عادل بالنسبة للفرد والمجتمع والحياة،ومن هنا يتضح أن الإسلام يسعى إلى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضرورات المجتمع ونوازع الفرد،دون أن يطغى هدف على هدف،ولا مصلحة على مصلحة، وإنما يسير الكل في توافق [521] وتناسق ،فالإنسان خلق من مادة وروح: فيتغذى القلب من الإيمان والقرآن بما يزكيه ويقويه،ويؤيده ويفرحه، وييسره وينشطه، ويثبت ملكه. كما يتغذى البدن بما ينميه ويقويه،وكل من البدن والقلب محتاج إلى أن يتربى فينمو ويزيد،حتى يكمل ويصلح،فكما أن البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغذية المصلحة له وإبعاد عنه ما يضره،لأنه لا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه،ومنع ما يضره،فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو،ولا يتم صلاحه إلا بذلك[522]وعلى الإنسان أن يتوازن في إشباع الكل من غذائه الذي قرره له المولى تبارك وتعالى.

إن النبي الخاتم-صلى الله عليه وسلم-هو المبلغ عن الله سبحانه وتعالى،وهو من اجتمعت فيه صفات القدوة،فعلى المؤمن ألا يجتهد في الدين من تلقاء نفسه،فيحدث ثغرة في أصول الدين كما حدث مع بعض رهبان النصارى،حيث صور المولى تبارك وتعالى موقفهم بقوله جل شأنه:(**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**) [523]،لقد عاب المولى تبارك وتعالى على النصارى تهاونهم في رعاية ما طلبوا بأنفسهم؛حيث قال جل شأنه: (**فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**). وهذا الإحداث الذي أوقعه النصارى في دينهم؛راجع إلى تهاونهم وانسياقهم خلف متاع الدنيا،وفي ذلك إحداث في شريعة الله التي غيِّرت عندما انتشر تعاطي التحريف من أتباعها.

والإحداث في الشريعة إنما يقع:إما من جهة الجهل،وإما من جهة تحسين الظن بالعقل، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق،إلا أن الجهات الثلاث قد تنفرد وقد تجتمع؛فإذا اجتمعت فتارة تجتمع منها اثنتان وتارة تجتمع الثلاث،فأما جهة الجهل فتارة تتعلق بالأدوات التي بها تفهم المقاصد وتارة تتعلق بالمقاصد،وأما جهة تحسين الظن فتارة يشرك في التشريع مع الشرع وتارة يقدم

---

[521] - محمد قطب،الإنسان بين المادية والإسلام،ص:69-70. دار الشروق بيروت القاهرة ط2 : 1418هـ- 1997م. بتصرف

[522] -أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان .ص38. المكتبة الثقافية بيروت.د ط: 1403هـ-1983م. بتصرف

[523] -سورة:الحديد، الآية:27.

عليه،وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد،وأما جهة اتباع الهوى فمن شأنه أن يغلب الفهم؛حتى يغلب صاحبه الأدلة أو يستند إلى غير دليل؛وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد،فالجميع أربعة أنواع وهي الجهل بأدوات الفهم، والجهل بالمقاصد، وتحسين الظن بالعقل، واتباع الهوى [524]، وكل ذلك خطير إذا دخل حياة الإنسان الدينية.

هذا،وتربية الناس على حب السنة وتعظيمها ومعرفة قدرها، هو دعوة إلى الالتزام والتمسك بها، لأن الإنسان لا يقبل على شيء لا يعرف قيمته العلمية أو النفسية أو الاجتماعية، وقد يكون ترك الناس للتمسك بالسنة نتيجة عدم معرفتهم لقدرها وضرورة أخذهم بها [525]؛ وبذلك يخرج الإنسان من تغليب الهوى إلى رحاب الالتزام بالمنهج الرباني.

وعند تصفح سنة النبي صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية،نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم يستحث أمته على التوازن في الحياة الدينية والنفسية والاجتماعية،من أجل أن يبقى صرح البشرية قائما؛فلا يقع فيه أي اختلال كما حدث في الأمم السابقة؛فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**"قَالَهَا ثَلَاثًا"[526]،وقد وضح الإمام النووي أن المتنطعون هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [527] مبالغة منهم في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى،زعما منهم أن التخلي الكلي عن الدنيا يؤدي إلى رضا المولى تبارك وتعالى،في حين أن الواقع البشري وطبيعة الإنسان غير ذلك؛كون الإنسان مخلوقا من مادة وروح،فكما تطلب الروح غذاءها،فإن المادة تطلب غذاءها أيضا،فإذا ما توازن الإنسان في العدل بين تزويد مكوناته بالغذائين؛حقق بداهة توازنا روحيا وماديا في حياته الخاصة والعامة، ولن يعرف الإنسان كيفية تحقيق ذلك التوازن إلا بالرجوع إلى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم،في حين أنه إذا حاول أن ينصر جانبا على آخر وقع في **الهلاك** بأن يتلف ويخسر دنياه وأخراه–بعد أن كان يسعى إلى الفوز بالآخرة–والمتنطعون:هم المتشددون في أمورهم الدينية والدنيوية،ومنه التشديد في العبادة،كأن يشدد الإنسان على نفسه في الصلاة أو في الصوم أو في غير ذلك مما يسره الله عليه،فإذا فعل ذلك فهو هالك [528]،بحكم أن المبالغة في الأخذ بالطاعات،

---

[524]– أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الاعتصام، 3/(355–356). ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان . مكتبة التوحيد المنامة البحرين ط1. 1421هـ – 2000م. بتصرف

[525] –عبد الله بن ضيف الله الرحيلي،دعوة إلى السنة في تطبيق السنة ،ص32. بتصرف

[526] –صحيح مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون،رقم الحديث:2760.ص:950.

[527] –النووي،المنهاج على شرح صحيح مسلم ،438/8. بتصرف

[528]–محمد بن صالح العثيمين،شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ليحيى بن شرف النووي، 1/(417–418). بتصرف

والتشديد على النفس إلى أن تخرج عن الجادة، أو تجعل من سماحة الإسلام شدة وغلظة،تعد خروجا عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم،وقد أكد هلاكهم في الدين والدنيا.

ومنه نصل إلى أن أهم ما يساعد الإنسان على الاستمرار في الأخذ بالطاعات هو التوازن في إعطاء الحق لكل من له علاقة به:من جسد وروح وأهل وخلان،وهو نفسه مبدأ الأخذ بمقاليد الخلافة في الأرض.

المطلب الثاني:أحوال القيام ووصال الصيام

عَنْ أَنَسٍ–رضي الله عنه–قَالَ :**"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يُصَلِّى في رَمَضَانَ فَجِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَامَ أَيْضًا حَتَّى كُنَّا رَهْطًا فَلَمَّا حَسَّ النَّبِيُّ–صلى الله عليه وسلم– أَنَّا خَلْفَهُ جَعَلَ يَتَجَوَّزُ في الصَّلاَةِ ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ** [529] **فَصَلَّى صَلاَةً لاَ يُصَلِّيهَا عِنْدَنَا.قَالَ قُلْنَا لَهُ حِينَ أَصْبَحْنَا أَفَطِنْتَ لَنَا اللَّيْلَةَ قَالَ فَقَالَ:"نَعَمْ ذَاكَ الَّذِى حَمَلَنِى عَلَى الَّذِى صَنَعْتُ قَالَ:فَأَخَذَ يُوَاصِلُ** [530] **رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–وَذَاكَ فِى آخِرِ الشَّهْرِ فَأَخَذَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُوَاصِلُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ–صلى الله عليه وسلم–"مَا بَالُ رِجَالٍ يُواصِلُونَ إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِى أَمَا وَاللَّهِ لَوْ تَمَادَّ لِىَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالاً يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ**[531] **تَعَمُّقَهُمْ"**[532].

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم العبادة لله تعالى،ويكون مبالغا فيها خاصة في رمضان؛من مدارسته للقرآن وكثرة الصدقة والعبادة،وقد كان صحابته رضوان الله عليهم يحاولون أن يستنوا به في كل ذلك،وهذا الحديث يبين أنه صلى الله عليه وسلم حين قام للصلاة من رمضان اجتمع إليه أصحابه يصلون بصلاته فجعل" **يَتَجَوَّزُ في الصَّلاَةِ ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ فَصَلَّى صَلاَةً لاَ يُصَلِّيهَا عِنْدَنَا"**؛ وهذا حرصا منه صلى الله عليه وسلم لكي لا تفرض عليهم،وقد أكد لأصحابه أن تجوزه في الصلاة معهم راجع إلى اجتماعهم إليه والصلاة بصلاته،لكن الصحابة ما كانوا ليدعوا الاستنان بسنن نبيهم الكريم صلوات ربي وسلامه عليه،فحين أخذ" **يُوَاصِلُ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَذَاكَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَأَخَذَ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُوَاصِلُونَ"** وقد نهوا عن الوصال وهو ما يتبين من غضبه الذي تؤكده آخر الرواية.فإصرار الصحابة رضوان الله عليهم للاستنان به فيما نهاهم عنه في الاقتداء به لأنه من خصوصيات عمله،أفضى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قرر عقابهم فقال:"**أَمَا وَاللَّهِ لَوْ تَمَادَّ لِىَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالاً يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ**"، فقوله:"**يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ**" [533] يؤكد أن الوصال في الصيام نوع

---

[529]– **رَحْلَهُ**: يَعْنِي الدُّورَ والمساكِنَ والمَنَازِلَ، وَهِيَ جمعُ رَحْلٍ. يُقَالُ لِمَنزِل الإنسانِ ومَسْكَنه: رَحْلُهُ. وانْتَهَيْنا إِلَى رِحَالِنَا: أَيْ مَنازِلنا. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر . 209/2.

[530] –**الوصال**: هُوَ أَلَّا يُفْطِرَ يَوْمَيْنِ أَوْ أَيَّاما. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 191/5.

[531] –ينظر شرح العبارة ص:116.

[532] –صحيح البخاري،كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، حديث: 7231.ص: 1311 ،وصحيح مسلم ،كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم،رقم الحديث:1104.ص:369.

[533] –سبق تخريجه ص:133.

تشدد في الدين،وأن الإنسان لا يطيقه ولا يستطيع أن يحقق به التوازن في حياته،لأنه خروج عن طبيعة البشر في ضرورة الاستفادة من الأكل والشرب؛ للتقوي لأداء العادات والعبادات،وقد كان صلى الله عليه وسلم يفعله، لكنه كان يُطعم ويُسقى بإذن ربه؛وهو ما تبينه رواية للإمام البخاري رحمه الله تعالى؛حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**"إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ"**[534].وهذا يؤكد تأكيدا جازما لا يجعل مجالا للشك؛أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُطعم ويُسقى من عند الله تعالى؛حتى يتمكن من الوصال،لكن صحابته الكرام لا مصدر لهم في الطعام،ولهذا وجب عليهم الإفطار عند كل مغرب؛من أجل مواصلة عبادة الصيام على وجهها.وقد كان موقفه معهم حازما؛ لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم؛ والوصال بهم يوما ثم يوما،فهو للمصلحة في تأكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم،والمفسدة المترتبة على الوصال؛تكمن في الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين؛من إتمام الصلاة بخشوعها وأذكارها وآدابها وملازمة الأذكار وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله[535] لأنه تكلف مالا يقدر على الاستمرار عليه تنطعا وتشددا،وهذا كما حدث مع عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:" **لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ وَكَانَ يَقُولُ خُذُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا"**[536].فالنبي صلى الله عليه وسلم أكد على المؤمنين أن يأخذوا من العمل بقدر طاقتهم،وألا يتكلفوا ما لا يستطيعون المداومة على القيام به،لأن التشديد يفضي بهم إلى الملل ومن ثم التقصير،بل ربما أدى بهم التشدد في الأمور إلى الهجران والترك.

وعليه نستفيد مما سبق:

1. إن النبي صلى الله عليه وسلم يختص بعبادات دون أمته،وهو ما يبينه قول الراوي:" **جَعَلَ يَتَجَوَّزُ في الصَّلاَةِ ثُمَّ دَخَلَ رَحْلَهُ فَصَلَّى صَلاَةً لاَ يُصَلِّيهَا عِنْدَنَا**"[537].
2. كان النبي صلى الله عليه وسلم يترك بعض العبادات الخاصة به في حضرة الناس؛فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : **"إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ**

---

[534]- صحيح البخاري ،كتاب التمني ،باب ما يجوز من اللو،رقم الحديث:7241.ص:1311.

[535]- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم ، 4/(229-230). بتصرف

[536] -صحيح البخاري،كتاب الصوم، باب صوم شعبان،رقم الحديث:1970.ص:356. وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره - حديث:215.(782).ص: 263.

[537] سبق تخريجه ص:133.

أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ وَمَا سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُبْحَةَ الضُّحَى قَطُّ وَإِنِّي لَأُسَبِّحُهَا" [538]،فهذه الرواية تبين سلوك النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه بأن يعمل ما يطيقه عامة الناس،ولا يتشدد في العبادة ما يشق على بعضهم فيفرض على الأمة مالا تطيق،وكذا من أجل أن لا يستنوا به فيها،لأنها ليست محل تكليف لهم.

3. إن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم آكدة،حتى لو كانت للإنسان رغبة للمبالغة في العبادة والانصراف عن الدنيا وملذاتها؛وكل ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الأخذ به لا يعتبر عبادة أصلا في حق الإنسان؛كون النهي فيها من الشارع الحكيم يومئ أن البشر لا يطيقون الاستمرار على العمل به،فعليهم تركه.
4. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**"دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"** [539]،فالنبي صلى الله عليه وسلم يوضح لأمته أن تنويعه في العبادة كان من أجل أن يأخذ منها كل قدر استطاعته،ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:" **وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ"**.
5. إن التشدد في الدين نوع خروج عن السنة النبوية الشريفة،ولهذا وجب على المسلم التيسير على نفسه كما يسر الله عليه،وهو ما أكده صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله؛حيث توعد في هذا الحديث بالوصال لو طال له الشهر،فقال صلى الله عليه وسلم قاسما :**"أَمَا وَاللَّهِ لَوْ تَمَادَّ لِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وِصَالاً يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ "** [540]،تأكيدا منه صلى الله عليه وسلم على ضرورة الائتمار بأمره،ومخالفة هوى النفس في الإفراط وتكلف ما نهوا عن الأخذ به .

نخلص مما سبق إلى أن لزوم السنة النبوية الشريفة وترك التنطع والتكلف والتعمق فيها: من أهم الآداب التي يجب على المؤمن أن يأخذ بها؛ من أجل أن يعيش حياة متوازنة

---

[538]-صحيح البخاري، أبواب التهجد،باب تحريض النبي صلى الله عليه و سلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب،رقم الحديث: 1128. ص:211. وأخرجه مسلم في صحيحه ،كتاب الحيض، باب تستر المغتسل بثوب ونحوه،حديث: 71(336).ص: 130،وكتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب استحباب صلاة الضحى، حديث:77(718).ص: 242.

[539]- صحيح البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه و سلم،رقم الحديث: 7288. ص:1319.

[540] -سبق تخريجه ص:133.

يجمع فيها بين حياته الروحية والمادية، ومن هنا ندرك قيمة التشريعات المتعلقة بالتسيير في الأمور الشرعية.

المبحث الثالث:فقه سنة النبي صلى الله عليه وسلم

عَنْ أَبِي [541] مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :**"مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ[542]كَمَثَلِ الْغَيْثِ[543] الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ[544] قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ[545] وَالْعُشْبَ[546] الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ [547] أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[548] لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ"[549]** .

لقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم أصناف الناس مع هدى الله تعالى والفقه فيه؛إلى ثلاثة أقسام،ممثلا لهم–وهذا حسب الواقع الملموس للناس– بثلاثة أنواع من الأرض:

---

[541]– **الهدى** تعني:الهُدَىْ: وهو الرَّشَادُ والدّلالةُ؛ وفِي أَسْمَاءِ اللَّه تَعَالَى «الْهَادِي» هُوَ الذَي بَصَّر عِبَادَه وعَرَّفَهُم طَرِيقَ مَعْرِفَتِه حتَّى أَقَرُّوا بِرُبُوبِيَّتِه، وهَدَى كُلَّ مَخْلُوق إلى ما لا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بقائِه وَدَوامِ وجودِه.وهو:السِّيرة والهَيئة والطَّرِيقَة. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 253/5، ومجدي الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص: 1351. قدم له وعلق حواشيه:ابو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية. بيروت –لبنان– ط1: 1425هـ–2004م. بتصرف

[542]– **العلم**:من عَلِمه يَعْلَمه عِلْمًا: عَرَفَهُ حَقَّ المعرفة. الفيروز آبادي، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز،88/4. بتصرف

[543]–**الغَيْثُ**:هو المطَرُ الخَاصُّ بالخَيْرِ الكَثِيرُ النَّافِعُ ؛لأَنه يُغَاثُ به النّاسُ (الْغَيْث) هُوَ الْمَطَر، وغيثت الأَرْض فَهِيَ مغيثة ومغيوثة. يُقَال: غاث الْغَيْث الأَرْض إِذا أَصَابَهَا. وغاث الله الْبِلَاد يغيثها غيثاً، فالغيث إذن:هو المطَرُ الخَاصُّ بالخَيْرِ الكَثِيرُ النَّافِعُ ؛لأَنه يُغَاثُ به النّاسُ .العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. 77/2.وابن منظور،لسان العرب،702/1. والفيروزآبادي،القاموس المحيط، ص:200. بتصرف

[544]–**نقا**:إِنْ كَانَتْ مُشَدَّدَةً فَهُوَ مِنَ التَّنْقِيَةِ، وَهُوَ إِفْرَادُ الجَيِّد مِنَ الرَّدِيء. النُّقاوةُ أَفضلُ ما انتَقَيْتَ من الشيء نَقِيَ الشيءُ بالكسر يَنْقَى نَقاوةً بالفتح ونَقاءً فهو نَقِيٌّ أَي نظيف والجمع نِقاءٌ ... وأَنقاه وتَنَقَّاه وانْتَقاه اختاره. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 111/5. وابن منظور، لسان العرب، 584/6. بتصرف

[545]–**الكَلأُ**: النَّبات والعُشْب، وسَواءٌ رَطْبُه ويابِسُه. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 194/4.

[546]–عشب:العُشْبُ الكَلأُ الرَّطْبُ. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 238/3، وابن منظور،لسان العرب،439/1. بتصرف

[547]–**الأَجَادِبُ**:صِلاَب الْأَرْضِ الَّتِي تُمْسِك الْمَاءَ فَلَا تَشْرَبُه سَرِيعًا. وَقِيلَ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي لَا نبَات بِهَا، مأخوذٌ مِنَ الجَدْب، وَهُوَ القحْط، الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 242/1–243. و ابن منظور،لسان العرب،1/(211–212).

[548]–**قيعان**: والقيعان جمع قاع والقاع أَرض حرَّة لَا رمل فِيهَا وَلَا ينْبت فِيهَا الماء لاستوائها وَلَا غدر فِيهَا تمسك المَاء فَهِيَ لَا تنْبت الْكلأ وَلَا تمسك المَاء. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 132/4–133. ومنظور،لسان العرب،804/3. بتصرف.

[549]–صحيح البخاري، كِتَاب الْعِلْمِ، بَاب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ،رقم الحديث: 79.ص:33. صحيح مسلم ،كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم – حديث:15.(2282).ص: 830.

المطلب الأول:الإنسان المستعد للانتفاع بالهدى والعلم

وقد مثلها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث بقوله:" **مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ**"[550] وهي الأرض النقية وفي رواية للإمام مسلم رحمه الله تعالى:" **فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ**"[551] فالطيبة بمعنى النقية،وهي الأرض التي تقبل الماء النازل إليها فتنبت الزرع والثمر؛ ليستفيد منها الإنسان والدواب:فعند نزول الغيث في الأرض النقية؛ تحدث بداخلها عملية تحول عجيبة للماء،وهذا بعد امتزاجه بعناصرها المعدنية؛فما تفتأ أن تحول هذه العناصر بواسطته إلى ثمر وزرع بإذن الله تعالى،فيغيث الله به العباد والدواب، فكانت استفادتها من الغيث عظيمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:"**فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ**".

وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم الإنسان الفقيه بهذه الأرض حيث قال صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: "**ذَلِكَ مثل مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ**"[552]،وهذا ما يؤكده النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث آخر:"**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**" [553]؛فقد جعل **النبي صلى الله عليه وسلم** خيرية الناس **في الفقه لدين** الله تعالى؛وهو ما كان يدعو به لابن عباس رضي الله عنهما بقوله صلى الله عليه وسلم :"**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**" [554].لأن الفقه في الدين هو رأس مال المؤمن،ولا يحصل إلا بالعلم والتعلم، وسلوك أساليب تحصيله وطرق تمحيصه، وهذا ما يعود بالخير على الإنسان-كفرد وكمجتمع- وذلك أن الإنسان يعمل بما يعلم أولا،ثم يبلغ المجتمع ما أمره الله به؛فتحصل له الفائدة من الجانبين ويأخذ من الأجر مرتين:وهذا ما ينطبق على أهل الاستنباط؛حيث انتفعوا بالعلم على أعلى مستوى؛ففي هذا الحديث:"دليل على أن من فقه في دين الله،وعلم من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعلم فإنه خير الأقسام،لأنه علم وفقه لينتفع وينفع الناس"[555] بما علمه الله، من علم وهدى.

---

[550] -سبق تخريجه ص:137.

[551]-صحيح مسلم،كتاب الفضائل،باب بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم-مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، رقم الحديث:2282.ص:830.

[552] - سبق تخريجه ص:137.

[553]-صحيح البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنَّة، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق). وهم أهل العلم،رقم الحديث :7312.ص1324. وكتاب العلم،باب: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين،حديث:71.ص:31،وكتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى:فأن لله خمسه وللرسول،حديث: 3116.ص: 570،وصحيح مسلم،كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث:98.(1037). ص: 343.

[554]- صحيح البخاري، ،كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء _ الحديث :143.ص:(45-46).

[555]-العثيمين،شرح رياض الصالحين ،456/1.

المطلب الثاني:الإنسان المستعد لحمل العلم لانتفاع غيره بالهدى والعلم

ومثل النبي صلى الله عليه وسلم **الإنسان المستعد لحمل العلم لانتفاع غيره بالهدى والعلم** في الحديث بالأرض الجدباء؛التي لا تنبت الكلأ،ولكنها تمسك الماء لينتفع به الناس والدواب؛ فقال صلى الله عليه وسلم:"**وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا**"[556]؛وهذا ما ينطبق على من روى الحديث وحمله،لكن لم يشتغل بفقهه، وإنما حمله رواية بأمانة،فهذا يأتي في المرتبة الثانية في الفضل بالنسبة لأهل العلم والإيمان [557]؛ فيبلغه لأهل الفقه والاستنباط فيتدارسونه،وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم **بالأرض الجدب** ؛التي تمسك الماء ليسقي به الناس الأراضي النقية؛حين يفقد الماء،فكذلك الحال مع الإنسان؛فإن أهل الحفظ والنقل يؤخذ منهم العلم فتثار مكنوناته من المستنبطين للفقه،ولولا حملهم للعلم بحفظه ونقله بأمانة؛ لندثر العلم في خضم الأجيال المتعاقبة،فكذلك الأرض الجدب لولا إمساكها للماء لضاع ما تنتجه الأرض النقية المحتاجة إلى الماء حين تمسك السماء،فتجده محفوظا بأمانته في الأرض الجدب،فتسقيها،وتحوله هي بدورها إلى نبات،بل وعندما تفقد الأرض الجدب فإن الناس يضطرون إلى بناء السدود من أجل حفظ الماء النازل من السماء لسقي الأرض النقية الناتجة للحرث والزرع،وتعتبر السدود بمثابة الأرض الجدب،وكذلك هو الحال مع أولي الألباب،فإنهم إذا وجدوا العلم مكنوزا عند أهل الحفظ؛ يقومون بإثارة مكنوناته ويستخرجون مقاصده الجمة،والتي لا تنتهي عبر الزمان والمكان؛قال تعالى:(**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**) [558]، فعجائب هذا التشريع لا تنتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها،وقد مثل الله تعالى عظم معانيها ومقاصدها كلمات الله باستنفاذ مثل البحرين مددا فلا تنتهي عجائبه،ولهذا استلزم أن يكون في كل جيل من أجيال البشرية علماء وحملة للعلم،ليغيث بهم الله الناس في حياتهم الخاصة والعامة،وما ينزل عليهم من نوازل تجعلهم في حرج من أمرهم لولا علماء عصرهم.

وعن زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: "**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**

---

[556]- سبق تخريجه ص:137.

[557]- العثيمين،شرح رياض الصالحين ،456/1. بتصرف

[558]- سورة:الكهف،الآيات:109.

وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"[559]،فنستشف من الحديث أنه:وجب على كل فرد مسلم أن يبلغ ما سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم،وهذا من أجل أن يصل العلم على أولي الألباب؛الذين لا يتوانون في مدارسة الوحي.

وللحديث شاهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -في حجة الوداع- يبين المغزى الحقيقي من تبليغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛حيث قال :"...**لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ"** [560] فوعي الحديث وفقهه هو المقصد الأساسي من مجيئه ومن الأمر بتبليغه،لأن سلوك الناس يبنى عليه .

وبذلك كان نشر السنة النبوية الشريفة واجب ديني وعمل اجتماعي حتمي وإصلاح أخلاقي،بحكم أننا في عصر تحاول فيه الرذيلة الطغيان على الفضيلة،ويحاول الانحلال الخلقي أن يعم كل أسرة وكل بيت،كما يحاول الفساد أن يأتي على مقدسات الأمة ومقوماتها من:عرض وشرف وكرامة[561].

فتأصيل كل الأنظمة المختلفة للبشر وفق كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه؛يؤدي بالضرورة إلى العمل على استقرار حياة الإنسان على الأرض؛بل وإلى أداء وظيفته الاستخلافية على أكمل وجه؛ولا يكون ذلك حاصلا إلا إذا كان منهج حياة الإنسان مأخوذا عن الله سبحانه وتعالى؛فهو خالق الإنسان المقدر لكل شيء وأعلم به وبما يصلح له وما لا يصلح.

وقد جعل النبي الله صلى الله عليه وسلم حامل السنة الشريفة واسطة بين الأجيال في نقل العلم بين فقهائهم؛وكأنه وعاء حمل له ولهذا قال :"**عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ"** ومعنى ذلك أنه أقدر وأوسع فهما لما وصله من العلم بسبب رسوخه فيه،فهو يفهم مقصود ما يصله،قال

---

[559]- سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، حديث : 3660. ص:404 ، وسنن الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه ، باب في الحث على تبليغ السماع، رقم الحديث : 2656.ص:430. وَفِي الْبَابِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَنَسٍ ، قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وسنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب من بلغ علما ، رقم الحديث:231.ص:40، والمستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب العلم، وأما حديث كعب بن مالك، 1/(87-88). وسنن الدارمي،باب الاقتداء بالعلماء، رقم الحديث : 230.ص:72. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل.221/7.

[560]- صحيح البخاري كتاب العلم، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (رب مبلغ أوعى من سامع). رقم الحديث: 67.ص:30. ،وكتاب المغازي، باب حجة الوداع، حديث:3306.ص: 793، و كتاب الأضاحي، باب من قال الأضحى يوم النحر، حديث: 5550.ص: 1039، وصحيح مسلم،كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث: 29.(1679). ص: 612-613.

[561]-عبد الله بن زيد آل محمود،سنة الرسول شقيقة القرآن. ص:57-58. بتصرف

تعالى:(**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**)[562]، فأهل الاستنباط هم المتفقهون والراسخون في العلم،والأعلم بحكم الكثير من الأمور.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم:" **تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ** "[563]،وهذا الكلام على الجزم بأن هذا الهدى والعلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ينتقل بين الأجيال الأولى بالسماع،وفي كل جيل يستنبط فقهاؤه منه علما،وهذا ما كان واضحا جليا في الأجيال الثلاثة الأولى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم،وكما نبأ به: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**" [564]،فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الخيرية في القرون الأولى بعده،لأنها تحمل من الخصائص مالا تحمله الأجيال بعدهم،وأهم هذه الخصائص هو الحرص على نقل العلم وتبليغه.

فالعلم يؤخذ بالتعلم والله سبحانه وتعالى يقول:(**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**)[565]، فالله سبحانه وتعالى يشيد بالأمة التي تجعل من بعض أبنائها أوعية لنقل العلم،بأن تخصص لهم بعثات علمية تنقل للناس العلم.

ولهذا كان سماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبليغه من أولى الأولويات التي يجب أن يولي لها المؤمن اهتمامه،وهذا من أجل تحصيل المعرفة الشرعية التي تمكن الإنسان من تحقيق حياة دينية سوية يرضاها الله سبحانه وتعالى.

---

[562]– سورة:النساء، الآيات:82-83.

[563]–سنن أبي داود،كتاب العلم، باب فَضْلِ نَشْرِ الْعِلْمِ،رقم الحديث: 3659.ص:405.قال الألباني:صحيح. الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة. رقم: 1784 .389/4.والمستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب العلم، وأما حديث عبد الله بن مسعود. 95/1. ومسند أحمد بن حنبل، ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب،رقم الحديث: 2945. ص:244.قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل.104/5.

[564]–صحيح البخاري،كتاب الرقاق،باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها،رقم الحديث: 6429.ص:1174. وكتاب الشهادات،باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد،حديث: 2652.ص: 481،وكتاب باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، حديث: 3651.ص: 665، وصحيح مسلم،كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث:212.(2533).ص: 907.

[565]–سورة التوبة، الآية:122.

فالأمم تحيا بالعلم؛والمقصود هنا العلم الشرعي المبني على السلوك العملي أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ:" **كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَخَصَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ** [566] **الْعِلْمُ مِنْ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ.فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ إِنْ كُنْتُ لَأَعُدُّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ قَالَ جُبَيْرٌ فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ قُلْتُ أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِنْ شِئْتَ لَأُحَدِّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنْ النَّاسِ الْخُشُوعُ؛ يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا"**[567].

فهذا الحديث الشريف يبين أن اليهود والنصارى اهتموا بتلاوة كتبهم باللسان،دون الاهتمام بأخذ تعاليمها كسلوك عملي،فكان أن انتزع الله سبحانه وتعالى منهم ريادة البشرية، وأبدلهم بغيرهم في ذلك،فلم تنفعهم هذه التلاوة اللسانية؛ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**هَذِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ**"؛ بحكم أنها بقيت حبيسة المعابد في الكتب،تُتلى كلماتها من بعض الخواص؛دون نشرها وتفسيرها بين عامة الناس وخاصتهم،لأن ارتفاع التلاوة بداية ارتفاع الفهم والعمل.

فالنوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة،لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام،وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به،فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم فيأخذه منهم فينتفع به فهؤلاء نفعوا وانتفعوا بما بلغهم[568].

---

[566]-ينظر شرح الكلمة ص: 87.

[567]-سبق تخريجه ص: 87.

[568]-النووي،المنهاج شرح صحيح مسلم،47/8. بتصرف

المطلب الثالث:الإنسان الفاقد للاستعداد للانتفاع أو لحمل الهدى والعلم

وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" **وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً**" [569]،فالأرض القيعان؛جاءت من جمع القاع وهي الأرض المستوية، وقيل الأرض الملساء التي لا نبات فيها،وهذا هو المراد في هذا الحديث كما صرح به صلى الله عليه وسلم؛ فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها؛ **فالقسم الثالث من الناس** :لا خير فيه؛ فليس له قلب حافظ ولا فهم واعي؛فقد أصابه من العلم والهدى الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم،ولكنه لم يرفع به رأساً ولم ينتفع به،ولم يعلمه الناس،فكان كمثل الأرض السبخة؛التي ابتلعت الماء ولم تنبت شيئاً للناس،ولم يبق الماء على سطحها حتى ينتفع الناس به[570].

وعليه نصل إلى فوائد نستشفها من حديث تمثيل الهدى والعلم بالغيث وهذه بعضها:

1.هذا الحديث يبين أصناف الناس حيال هدى الله سبحانه وتعالى؛وقد انقسموا في ذلك إلى ثلاثة أنواع:

- **الإنسان المستعد للانتفاع بالهدى والعلم:** فهذا القسم علم الهدى فقبله وعلَّمه بعد أن استنبط منه أحكاما بينها للناس.
- **الإنسان المستعد لحمل العلم لانتفاع غيره بالهدى والعلم** :وهذا القسم علم الهدى فقبله ونقله كما سمعه دون استنباط للأحكام؛وهو من قال عنه صلى الله عليه وسلم:" **فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**" [571] فعملية النقل بأمانه تكون وسيلة آمنة لوصول السنة لمن يفقهها، ويستنبط منها الأحكام عبر الأجيال.
- **الإنسان الفاقد للاستعداد وللانتفاع أو لحمل الهدى والعلم** :وهذا القسم رفض العلم والهدى بعد أن عرض عليه،وبذلك خسر وكان أسوأ الأقسام وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الخسران بقوله:" **وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى**" [572]،بعد أن فاز القسمين الأولين بالخيرية وهو المستنبط من قوله صلى الله عليه وسلم:"... **وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ**"[573].

---

[569] سبق تخريجه ص:137.

[570]- النووي،المنهاج شرح صحيح مسلم ،47/8. بتصرف.

[571]-سبق تخريجه ص:142.

[572]-سبق تخريجه ص:137.

[573]-سبق تخريجه الصفحة نفسها.

2.مثل النبي صلى الله عليه وسلم الهدى والعلم بالغيث الكثير؛وعادة الغيث أنه يغيث الناس من موت الأجساد،وكذا غيث الهدى فإنه يغيث الناس من موت القلوب،وهذا ما مثله الله سبحانه وتعالى بقوله جل شأنه:(**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) [574]؛فدل الكفر على الموت الحقيقي للإنسان كفرد وكمجتمع،ودل اتباع الهدى والإيمان به على بعث الحياة من جديد في الإنسان كفرد وكمجتمع.

3.إن من عادة الغيث الكثير إنبات الجنان المختلفة الثمار،فكذلك الهدى إذا صحبه تعلم وسعي لطلب العلم والفقه فيه،فإن فيه نفع كثير للإنسان كفرد والإنسان كنوع،حيث أنه يعلم ويعمل بما يعلم؛فيزكو علمه ويرسخ في الأجيال كسلوك واقعي،وخير نموذج لذلك جيل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم،ولهذا استحث الله سبحانه وتعالى على تخصيص الأمة ببعثات علمية لترسخ في العلم فتنقله بعد لأهلها؛قال تعالى:(**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**) [575]؛ فالمنهج الرباني يبين عوامل إصلاح المجتمع، كما يبين عوامل الهدم التي تعمل على تقويض دعائمه،ويبين النظم التي ينبغي أن تسود المجتمع الإنساني[576]،فكان لتخصيص العلم بالبعثات العلمية؛كمثل كنز لا ينضب؛يأخذ البشر منه عند السياحة في الأرض، لأنه يحتاج إلى بحث وتنقيب؛ فالعلم يكثر نفعه عند السعي لطلبه،ويزكو بالتعاطي والتمحيص والتدريب؛ فيصير كالغيث:من أكل وشرب وادخار لوقت الحاجة،ونتيجة العلم هو الفقه والفهم ثم تعليمه للناس، ونتيجة الغيث الإنبات والإدخار،فكلا النتيجتين تعود على الإنسان بالفائدة. وكذا وجه الشبه يبرز في طول مدة العطاء؛فالغيث إذا نزل بأرض فإنها لا تنبت في تلك اللحظة،وإنما تحتاج إلى وقت؛وكذلك العلم فإنه لا تظهر نتيجته إلا بعد رسوخ صاحبه فيه.

- مثل النبي صلى الله عليه وسلم **الهدى والعلم** بالغيث،لأن من خصائصه إنبات الجنان المتنوعة كما وكيفا،فكذلك الهدى إذا صحبه علم؛فإنه ينفع الله به الإنسان كفرد وكمجتمع، في العاجل والآجل،تماما كما يحصل للأرض من أي غيث يصيبها.

---

[574]- سورة:الأنعام،الآية:122.

[575]- سورة: التوبة، الآية:122.

[576]- عبد الله بن زيد آل محمود،سنة الرسول شقيقة القرآن: ص57. بتصرف

- إن الإنسان إذا لم يقبل هدى الله سبحانه وتعالى؛لا يصل إلى العلم ويبقى جاهلا مهما بلغ من الذكاء،لأن هذا الأخير لم يمكنه من معرفة خالقه سبحانه وتعالى،في حين أن الذي يقبل هدى الله سبحانه وتعالى،فإنه لا ينفك ينهل من دين الله تعالى يتعلمه حتى يرسخ فيه.

وعليه نخلص إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب للعلم مثلا حيا،يعيش مع الناس ويستفيدون منه في حياتهم الخاصة والعامة؛بل ويلمسون أثره؛فكان أن بين في ذلك ثلاثة أصناف للناس حيال هدى الله سبحانه وتعالى وهم: **عالم فقيه** :يأخذ العلم ويثير مكنوناته الخفية وهو أفضل الأقسام،وبعد هذا القسم يأتي: **المتعلم الحامل** للعلم؛دون استنباط ولا فقه له فهو كالوعاء في حمل العلم،وهو ممدوح على ذلك؛كونه كان حلقة وصل بين فقهاء الأعصار والأمصار،وقسم أخير **مذموم**؛فهو لم يقبل علما ولم يساعد في نشره.

وعليه فإن العلم الشرعي يحتاج من الأمة إلى التطبيق العملي لتحصل الاستفادة منه،وإن لم يكن فيها علماء فعليها أن تصنع من أبنائها متعلمين.

وخلاصة القول في هذا الفصل أن من الآداب مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمها؛ وذلك بتسوية أحكام السنة النبوية بأحكام القرآن الكريم،وكذا المبادرة لامتثال أوامره مع توقيره،والتزام أحكام السنة النبوية الشريفة وترك التنطع والتكلف والتعمق فيها،وبذل الجهد لفقهها.

الفصل الثالث:

آداب الطاعات

الفصل الثالث:آداب الطاعات

توطئة:

قال الله تعالى:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [577]؛إن المقصد الأول إذن من خلق الإنس والجن هو عبادة المولى تبارك وتعالى،ولهذا حصر المولى جل شأنه وظيفتهما بأداة الحصر:**"إلا"** ليحصر بها حياتهما الدنيا في الارتباط به،والعبادة المقصودة من الآية الكريمة هي بمفهومها الشامل وهي الطاعات؛ فلفظ:عَبْد بين العَبْديّة والعُبُودِيَّة والعُبُودة.وأَصل العبوديّة الخضوع والذلّ.وقوله تعالى:(**فَادْخُلِي فِي عِبَادِي**)[578] أي في حزبي من عبادي.والتعبيد: التذليل، نقول: طريق معبَّد: أي طريق مذلَّل بسبب وطء الأقدام عليه. والعبادة: الطاعة،وهى أَبلغ من العبوديّة، لأَنَّها غاية التَّذلُّل لا يستحقّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله سبحانه وتعالى [579]،فالعبادة التي خلق الله لها الخلق،وأخذ بها عليهم الميثاق وأرسل بها رسله وأنزل كتبه،ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار،هي اسم جامع لكل ما يحب ويرضى مبني للمعروف فاعله الإله السامع،وهو الله عز وجل من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة،ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر [580].فمناط التكليف للإنسان في الدنيا هو العبادة بمفهومها الشامل:أي هي كل الطاعات التي يبتغي الإنسان بها وجه الله تعالى،فعن عَامِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ آأُخَلَّفُ عَنْ هِجْرَتِي فَقَالَ:لَنْ تُخَلَّفَ بَعْدِي فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً**"[581].ووجه الشاهد من الحديث الشريف هو قوله صلى الله عليه وسلم:" **فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً**"فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم تحصيل أجر أي عمل بالنية الصالحة لله تعالى؛ حيث قال:"**فَتَعْمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ**" ،ولم يشترط نوعية العمل: سواء من الشعائر أو من

---

[577]–سورة:الذاريات،الآية:56.

[578]–سورة الفجر، الآية:29.

[579]–الفيروزآبادي،بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز،8/4. بتصرف

[580]–حافظ بن أحمد حكمي،معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، 437/2.ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: عمر بن محمود أبو عمر. دار ابن القيم للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية.الدمام .ط3: 1415هـ - 1995م. بتصرف

[581]–صحيح البخاري،كتاب الفرائض،باب ميراث البنات،رقم الحديث: 6733.ص:1224.وكتاب النفقات،باب فضل النفقة على الأهل، حديث:5354. ص: 1005،

أعمال الدنيا؛التي ترجع فائدتها على الإنسان أو على غيره من المخلوقات [582]، وقد مثل لنوعية العمل؛باللقمة التي يسعى المرء من أجلها لإطعام زوجته،فهذا العمل من واجبات الزوج؛إلا أن ربطه بابتغاء وجه الله تعالى يجعل له من تحصيل الأجر،مالا يحصل له إذا أداه من غير هذه النية الصالحة.

ف العبادة غير مقصورة على الشعائر,بل شاملة لكل نشاط يقوم به الإنسان،الاتجاه فيه إلى الله،والغاية منه طاعة الله[583].

يقول الدكتور محمد الصلابي:"والحق أن العبادات التي سنها الله لنا ذات تأثير شمولي مشرق،ولها اخطر المهمات في تمكين الحقائق العليا للرسالات الإلهية،وتحقيق الفطرة الإنسانية على وجهها الصحيح المستقيم، طالما تمثلت فيها عناصر الحب والذل،والرجاء والخوف،ونحوها"[584] .

والعبادة المقصودة من الدراسة في هذا الفصل هي كل التكاليف المناطة بالمسلم في حياته الدينية والدنيوية:من شعائر وأعمال البر المرتبطة بالإخلاص لله تعالى،وهو ما يطلق عليه لفظ الطاعة.

هذا،ولأهمية موضوع الطاعة في حياة الإنسان،فإن الله سبحانه وتعالى خصها بآداب كثيرة، على المؤمن الأخذ منها ما استطاع،فنحب أن نميط اللثام عن بعض هذه الآداب؛ وذلك من خلال هذا الفصل الذي تم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاستعانة بالله تعالى في أداء الطاعات

المبحث الثاني:التأدب مع الأحكام الشرعية عند أداء الطاعات

المبحث الثالث:الاعتدال والتوسط في أداء الطاعات

---

[582]-وهذا حتى مع الحيوانات،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا فَقَالَ نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**"ينظر: صحيح البخاري،كتاب المظالم،باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها. رقم الحديث: 2466. ص:445.

[583]-سيد قطب،في ظلال القران . 258/1. بتصرف

[584]-علي محمد محمد الصلابي(المصراتي)،الوسطية في القرآن الكريم، 413/3.مكتبة الصحابة .الإمارات. الشارقة. ومكتبة التابعين. القاهرة. عين شمس. ط1: 1422هـ-2001م.

المبحث الأول: الاستعانة بالله تعالى في أداء الطاعات

توطئة:

مَثَل الإنسان في الحياة الدنيا؛كمثل الفلك في عرض المحيط اشتدت به الريح،فلا يستطيع الانفكاك منه إلا برحمة من الله تعالى عند دعاء أهله،فما حيلة الإنسان للانفكاك من معترك موج الدنيا؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: **"اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِى وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ"**[585].

إن أول ما ابتدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الدعاء؛هو طلب حفظ الدين،وذكر الغاية من هذا الحفظ وهو بغية تحصيل العصمة من الزلل والخطأ،وهو نفسه التوجه إلى الحرص على ما ينفع الإنسان في الحياة الدنيا،وملخص الحديث يرمي إلى توجيه الإنسان إلى الاستعانة بالله في توجيه الحياة:الدينية والاجتماعية له.

فرأس هذه الأمور الثلاثة الدين:لأن فساده يؤدي إلى فساد جميع الأمور كنتيجة حتمية؛مما ينتج عنه الخيبة والخسران في الدنيا والآخرة [586]،في حين أن صلاحه يساعد في صلاح الدنيا والآخرة.

وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم هذه الثلاثة –صلاح الدين والدنيا والمعاد–لأنها أصول مكارم الأخلاق التي بُعث لإتمامها،فاستقى في هذا اللفظ الوجيز صلاح هذه الجوامع الثلاث التي حلت في الأولين بداياتها،وتمت عندنا غاياتها؛فإصلاح الدين بالتوفيق لإظهار خطاب ربه؛من جهة أحوال قلبه وأخلاق نفسه وأعمال بدنه فيما بينه وبين ربه،من غير التفات لعرض النفس والبدن،إلا بالتطهر منه واستعمال الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته لتقويتها[587].

والاستعانة بالله تعالى في أداء الطاعات تأخذ أشكالا متعددة،نذكر منها:

---

[585]–صحيح مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة،باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ. رقم الحديث:2720. ص:964.

[586]–المناوي، فيض القدير،137/2. بتصرف

[587]–نفسه ،137/2.

المطلب الأول:الاستعانة بالله تعالى في أداء المهام الشرعية

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: "**يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ**"،**فَقَالَ:"أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**" [588]،فعلى المؤمن إذن أن يبقى دائما وأبدا متعلقا بمولاه في كل أموره،وأعظم هذه الأمور هي الصلاة؛كونها ميقات العبد بربه على وجه الفرض أو النفل؛فيجدد العهد معه بالاتكال والاستعانة به في معاودة اللقاء به،بمثل هذا الموضع أو بموضع آخر يربطه به ربط الخضوع والخنوع له، فتكون صلته به دائمة في كل حركة وسكنة،إن ذكر الله تعالى يحتاج من المرء تفريغ القلب والوقت عن شواغل الدنيا؛ ولا يتسنى ذلك له إلا بعون الله تعالى،وقد أدرك موسى عليه السلام هذا المعنى فدعى الله تعالى من أجل مساندته لمجابهة قوى الكفر والشر:(**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(25)وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(26)وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(27) يَفْقَهُوا قَوْلِي**)[589].

فموسى عليه السلام ربط إيصاله البلاغ إلى قومه؛بشرح الصدر في الإقبال على طاعة الله تعالى في هذه المهمة الخطيرة،وكذا طلبه تيسير أمر هذه المهمة الملقاة على عاتقه،مع فك عقدة اللسان لديه عند الارتباك؛من أجل تبليغ مراد الله تعالى على الوجه الذي يرضاه، وهذا كله يعتبر ذكر.

هذا،وإن الشكر على النعم يقوم على الإحساس بفضل المنعم،ولا يكتمل ذلك بل ولا يدوم إلا بدوام الذكر لله تعالى؛ الذي يحرك ذلك الإحساس التعبدي في الوجدان فيبادر إلى شكر المنعم عليه، فلهذا قال صلى الله عليه وسلم:" **وَشُكْرِكَ**"، بحكم أن الإنسان إذا أصابه الله بنعمة نأى بجانبه،وظن أنه ذو حظ عظيم؛ لتميزه بها دون غيره ،فالمؤمن عليه أن يستعين بالله تعالى في أداء مهمة شكره على إنعامه عليه،وهو ما يستجلب زيادة هذه النعم؛وقد أكد ذلك بقوله: (**وَإِذْ**

---

[588]–سنن أبي داود،كتاب الوتر،باب في الاستغفار،رقم الحديث: 1522.ص:181.(واللفظ له) .والسنن الكبرى للنسائي،كتاب عمل اليوم والليلة،الحث على قول:"رب أعني على ذكرك،والسنن الصغرى،كتاب السهو،نوع آخر من الدعاء،رقم الحديث: 1303. ص:(153-154).وصحيح ابن خزيمة،كتاب الصلاة،باب الأمر بمسألة الرب عز وجل في دبر الصلوات المعونة على،رقم الحديث: 731/1.751. والمستدرك على الصحيحين للحاكم،بسم الله الرحمن الرحيم أول كتاب المناسك،كتاب الدعاء، 273/1. ومسند أحمد بن حنبل، مسند الأنصار،حديث معاذ بن جبل،حديث: 22119.ص:1618.والأدب المفرد، البخاري،باب ما يقول إذا أصبح،باب دعوات النبي صلى الله عليه وسلم. 533/2. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل.430/36.

[589]–سورة: طه، الآيات:25-28.

تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [590]،فالله سبحانه وتعالى يؤكد ارتباط زيادة النعم بالشكر للمُنعم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :"**وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**"حسن العبادة هنا هو طلب التوفيق من الله تعالى للجمع بين متطلبات العبادة الحسية والمعنوية، والقيام بأداء شعائره التعبدية على وجها وفي أفضل حالاتها.

وقد بين الإمام ابن تيمية أن الاستعانة يقصدها المؤمن بخصوصها فهي العون على سائر أنواع الطاعات،فسبحانه لا يطاع إلا بمعونته،لأن كمال المخلوق في تحقيق طاعته لله تعالى؛فكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية؛ ازداد كماله وعلت درجته،ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم[591].

فعلى الإنسان المؤمن إذن أن يحرص على طاعة ربه سبحانه وتعالى في سره وعلنه،وبكل ما أوتي من قوة مادية ومعنوية؛من أجل استكمال وظيفة الخلافة المنوطة به والمتمثلة بداية في العبادة.

ووضح الإمام ابن القيم أن العبودية محفوفة بإعانتين إعانة قبلها على التزامها والقيام بها،وإعانة بعدها على عبودية أخرى،وهكذا أبدا حتى يقضي العبد نحبه،وأجلُّها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها،ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته [592].فالإنسان لا يستطيع الاتكال على قوته في عبادة ربه،لأنه سبحانه وتعالى الموفق لكل خير،والصارف للعبد عن كل شر،فعلى المؤمن إذن أن يوقن بمعية ربه؛فيتوكل عليه في كل أمر؛ وخاصة في التقرب إليه بالعبادة،ولو اغتر الإنسان بعمله خسر الدنيا والآخرة.

إن أداء المهام الشرعية لا يكون إلا بمعونة الله تعالى.

---

[590] سورة:إبراهيم،الآية:7.

[591] – تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، فصل: العبادة وفروعها. اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار، أنور الباز. دار الوفاء: للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة. ط1(1418هـ-1997م)،ط2(1422هـ-2001م)،ط3(1426هـ-2005م). بتصرف

[592] –ابن القيم،التفسير القيم ،ص:(67-68). جمعه:محمد أويش الندوي. وحققه:محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية.بيروت.لبنان.د ط ت. بتصرف

المطلب الثاني:الاستعانة بالله تعالى لتحصيل فضل الله ورحمته

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ.قَالُوا:وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:لاَ،وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ،فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا،وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ 593**"[594].النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد في هذا الحديث الشريف أن الاعتماد على النفس في أداء الطاعات؛لا يبلغ رضا الله تعالى والمتمثل في دخول الجنة،ثم استثنى من ذلك رحمة الله تعالى بالخلق في التغمد بالفضل والرحمة،وذلك بمضاعفة الحسنات وقل العثرات،ولهذا نجده صلى الله عليه وسلم استحث أمته للاستعانة بالله تعالى في تحصيل فضله، فقد أرشدها في الحديث الشريف إلى:

1. **سبل تحصيل فضل الله تعالى**: فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم سبيلين لتحصيل الفضل والرحمة فقال:" **فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا**":

فالسبيل الأول:هو التسديد: وقد بينه قوله صلى الله عليه وسلم:" **فَسَدِّدُوا**" وقد شرح الإمام العيني معنى السداد بقوله: "أطلبوا السداد أي الصواب وهو ما بين الإفراط والتفريط أي فلا تغلوا ولا تقصروا واعملوا به" [595]فعلى الإنسان أن يسعى جهده لتحصيل الصواب في عمله،مع مراعاة الوسطية في ذلك،وعند عجزه وتراجع إرادته عن التزام السداد،فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرشده إلى سبيل أقل منه وهو المقاربة.

والسبيل الثاني:وهو المقاربة: ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم:" **وَقَارِبُوا**"أي:فإن عجزتم عن الإتيان بالطاعات على وجهها فقاربوا من مثله [596].فهذه السبيل جعلها الله تعالى لعباده رحمة منه وتخفيفا عنهم إذا عجزوا عن السداد،ليحصِّلوا به من فضل الله ومن رحمته؛ بقدر مبادرته للتحقيق العبودية في حياته.

---

[593]–**يَسْتَعْتِبَ**:أي يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 175/3.

[594]–صحيح البخاري،كتاب المرضى،باب تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، رقم الحديث: 5673.ص: 1057.

[595]– العيني،عمدة القاري ، 227/21.

[596]– نفسه. بتصرف

فعلى النفس البشرية إذن–وهي تدفع إلى التكاليف التي تشق عليها–الارتباط بالله؛ والطمأنينة إليه؛والاستعانة به؛والثقة بقدرته وقوته؛فهو سبحانه الذي خلق هذه النفوس،وهو الذي يعلم كيف تربى وكيف تُقّوى وكيف تستجاش وكيف تستجيب [597].

وعليه فإن سبِيلَيْ تحصيل فضل الله تعالى ورحمته هما:التسديد والمقاربة في أداء الطاعات مع الاستعانة بالله تعالى في كل ذلك.

2. الحرص على استمرار الحياة:

فبعد أن نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى السبيلين السابقين للحصول على فضل الله ورحمته،نهى أن يطلب الإنسان الموت بقوله صلى الله عليه وسلم:" **وَلاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ**"[598]مشيرا بذلك إلى ضرورة التزام الصبر على مكبات الحياة،منبها إلى أن الموت هو نهاية العمل وبداية الجزاء عليه،ثم بين فضل الانتهاء بهذا النهي بقوله صلى الله عليه وسلم:" **إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا،وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**" [599]فأرشد المحسن إلى الاستزادة من الخير ليرتفع في درجات الجنة،وأرشد المسيء إلى استدراك أخطائه للتكفير عنها.

فيكون الحرص على استمرار الحياة في الدنيا معينا على تحصيل فضل الله تعالى ورحمته.

وبذلك تكون الاستعانة بالله تعالى في الحرص على التسديد والمقاربة؛مع البقاء في الحياة من الأمور التي تساعد الإنسان على تحصيل فضل الله ورحمته.

---

[597]–سيد قطب،في ظلال القرآن، 725/2. بتصرف

[598] سبق تخريجه ص: 153.

[599] سبق تخريجه الصفحة نفسها.

المطلب الثالث:عدم الغرور عند أداء الطاعات

قال تعالى:(**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**) [600].إن هذه الثلة المؤمنة تسارع إلى رضى ربها،لكنها وجلة؛أن لا تقبل منها قربتها،وهو ما بينته أمنا عائشة رضي الله عنها حين قالت:"**سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هذه الآية (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة)قالت عائشة:هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال: لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات**"[601]،فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن المؤمنين حقا هم الذين يبادرون إلى فعل الخيرات وترك المنكرات،ثم ينتابهم وجل شديد أن لا تقبل منهم طاعاتهم؛ تشكيكا منهم في قيمتها وخوفهم بشوبها بمعاصيهم،فمدحهم الله تعالى على هذا الوجل بسبب يقينهم باليوم الآخر يوم الجزاء،بعكس المنافقين الذين يترددون في تصديقه والإيمان به.

وفي مقابل هؤلاء المؤمنون من الذين أنعم الله عليهم وهم يتقدمون بقرباتهم لمولاهم وخالقهم جل شأنه وجلين من عدم تقبلها،وصف جل شأنه القاعدين من المنافقين وهم يترددون عن الامتثال لأمره؛ شكا منهم في صدق النبي صلى الله عليه وسلم مرتبين في يوم الجزاء؛ حيث صور لنا حالهم بقوله:(**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ(45)وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**) [602].فالله سبحانه وتعالى هو الدافع إلى فعل الخير أو المثبط عنه، فنلاحظ من خلال هذه الآية الكريمة؛أن الله سبحانه وتعالى كره انبعاث المنافقين للقيام بعبادة الجهاد،فثبطهم عنها؛فجاءوا تباعا ليستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم للقعود عنه بحجج واهية،فلو كان في خروجهم خيرا لدفعهم الله إليه دفعا،لكن عندما كره انبعاثهم إليه-بسبب نفاقهم وزرعهم للفتنة في صفوف المؤمنين- ثبطهم عنه؛لأن ترددهم في الخروج إلى الجهاد وكذا تجهيز الجيش له؛أدى بهم إلى فك عزيمتهم عنه نهائيا،لأنه كره خروجهم لترددهم فيه،وشبههم بالعجزة وأصحاب الأعذار الذين لا يستطيعون الخروج حقيقة، من الشيوخ والصبيان وبعض

---

[600] سورة:المؤمنون،الآية:60.

[601] -سنن الترمذي الجامع الصحيح،أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب: ومن سورة المؤمنون،رقم الحديث: 3181. ص:504. (اللفظ له).وسنن ابن ماجه،كتاب الزهد، باب التوقي على العمل،حديث: 4198.ص:453. والمستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب التفسير،تفسير سورة المؤمنون، 2/(393-394) (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص:صحيح). صحيح. الألباني،سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، رقم الحديث: 162. 304/1 .

[602] -سورة:التوبة،الآية:46.

النساء،فجعلوا منهم–رغم قدرتهم الجسدية والمادية–فكانوا من الخوالف،وهي عقوبة منه لهم،وهو ما بينه بقوله:(**فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**) [603]،فهذا كلام تقريعي بسبب التردد المبدئي لأداء الطاعة،مع استحضار الأعذار الواهية والكاذبة؛ليحصلوا على الإعفاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم،فكان لهم ما أرادوا وأُتبعوا غضبا منه جل شأنه،بأن حرموا عن مواجهة العدو نهائيا.

وعليه فإن أي قيام للطاعة استلزم على المؤمن الاستعانة بالله تعالى، والتوكل عليه لأدائها دون تردد ولا تلكؤ ولا تسويف،مع التضرع له من أجل قبولها وتشذيبها من نقائصها التي تعتريها؛ لأنها تصدر من ابن آدم الذي خلق ضعيفا ناقصا.

وبذلك يكون عدم الغرور عند أداء الطاعات نوع استعانة بالله تعالى على أدائها،في حين أن التردد والشك فيما عند الله تعالى يؤدي إلى التثبيط عن أدائها.

---

[603]–سورة:التوبة،الآية:83.

المطلب الرابع:دور الاستعانة بالله تعالى في تفعيل آليات قوة المؤمن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ**[604] **وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا.وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ** "[605]، بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف فضل المؤمن القوي؛وأكد على أنه خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف،ثم بين أن المؤمن الضعيف تحصل فيه الخيرية رغم ضعفه.

فقوله صلى الله عليه وسلم:" **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ** " وقد وضح الإمام النووي أن المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة؛فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد،وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه،وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك،واحتمال المشاق في ذات الله تعالى،وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك[606].

وأما قوله صلى الله عليه و سلم:"**وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ**" فمعناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من الطاعات [607]،وقد يكون ذلك عامل تشجيع للقوي ليضاعف أعماله فتكون الثمرة أقوى،وقد يزيد ضعيفا تشجيعا فيأتي بمثل ما أتى به القوي، فباب الخير هنا مفتوح لذلك قال:"**وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ**"؛ كأنه أطلق ليفهم منه أنه لا يخص.

ثم سرد صلى الله عليه وسلم عناصر مهمة وهي آليات لتحصيل القوة؛من أجل أن يأخذ بها المؤمن الضعيف ليصير مؤمنا قويا،ويحرص عليها المؤمن القوي ليحافظ على قوته أو يزداد بها قوة،فيحصل بذلك المقصود من القوة وهو:حصول الخيرية فيه بشكل أوسع مما هو عليه،مع فوزهم بحب الله تعالى.

وهذه الآليات حصرها النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الحديث الشريف فيما يلي:

---

[604]-**وَلاَ تَعْجِزْ**:وَلَا تَكْسَلْ عَنْ طَلَبِ الطَّاعَةِ وَلَا عَنْ طَلَبِ الْإِعَانَةِ. النووي،المنهاج شرح صحيح مسلم. 432/8.

[605]-صحيح مسلم،كتاب القدر،باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، رقم الحديث 34.(2664).ص: 938.

[606]- النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،432/8. بتصرف

[607]-نفسه.بتصرف

1. **الحرص على ما ينفع**:وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم:" **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**"[608]، فالحرص على ما ينفع يكون في أمور الدنيا والآخرة،فقد حصر النبي صلى الله عليه وسلم وجهة المؤمن في الحياة بأن يتخير من الأعمال ما ينفعه،بل ويكون حريصا على أن لا يفوته ما ينفعه، سواء من خير الدنيا مع اصطحابه بالنية الصالحة–وفي غير معصية–أو من خير الآخرة–مع عدم نسيان حظ النفس من الدنيا–وهي كلها قربات وطاعات لأنها ترتبط بإيمان المسلم،الذي جعل الله تعالى حياته كلها طاعة بسبب امتلاكه عنصر الإيمان بين جنبيه، وأحسب أن في التنبيه إلى الحرص على ما ينفع حصرا؛حفاظا على الوقت والجهد لئلا يستهلك فيما لا ينفع.

فالحرص على ما ينفع الإنسان يجعل منه مؤمنا سويا؛ لا يقصد من الدنيا إلا ما ينفعه في الدنيا والآخرة وهي آلية من آليات القوة.

2. **الاستعانة بالله تعالى في تحصيل ما ينفع مع عدم العجز** : وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم:"**وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ**" [609] فالحرص على ما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة؛ هو عبارة عن تكييف لكل الأعمال وفق ما أراده الله تعالى،فتتحول بذلك جميع أعمال الإنسان إلى طاعات يؤديها في حياته الدنيا،وفي أداء هذه الطاعات مشقة، فتأتي الاستعانة بالله تعالى لتذللها،فتكون الاستعانة هي الحبل الوريد لأعمال الدنيا والآخرة،لأن في ترك الإنسان لنفسه العنان للاعتداد بها؛يخرجها عن حقيقتها ومقاصدها وربما نحا بها منحى لا يرضي الله تعالى؛كما كان حال قارون حين تحول من مؤمن بسيط إلى جبار عنيد،مناع للخير معتد مريب، فاستحق الاستئصال بعد أن كان من قوم موسى.

هذا، ويصحب الاستعانة الصبر بعدم الاستسلام إلى العجز،لأن في سير الإنسان خلال الحياة الدنيا تنتابه عقبات وعراقيل ومصائب،تُضعف من قوته وعزيمته،فتعرقله عن المضي لهدفه الذي حدده بداية سيره؛لكن عند تسلحه بالصبر يختلف الأمر؛فيتجدد لديه الطموح للسعي من أجل تحقيق أهدافه التي ربط كل مقاصدها بالله تعالى، توكلا واستعانة به.

---

[608]– سبق تخريجه ص: 157.

[609]سبق تخريجه ص: 157.

فالْعَبْدَ عَاجِزٌ عَنْ الِاسْتِقْلَالِ بِنَفْسِهِ فِي الطَّاعَاتِ،ولَا مُعِينَ لَهُ عَلَى مَصَالِحِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ أَعَانَهُ اللَّهُ فَهُوَ الْمُعَانُ،وَمَنْ خَذَلَهُ فَهُوَ الْمَخْذُولُ،فَهو أَحْوَجُ إلَى مَوْلَاهُ فِي طَلَبِ إعَانَتِهِ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورَاتِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَقْدُورَاتِ[610].

والإنسان وهو يناط بتكاليف تحصل له المشقة؛التي تؤدي إلى الملل ومن ثم إلى الرغبة في الترك،ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:"**وَلاَ تَعْجِزْ**"لأن العجز يأتي نتيجة فقدان الصبر؛ بسبب ضغط هوى النفس الذي يوجه الإنسان إلى الملذات ويمنيه بالراحة والأمنيات،فإذا تمسك الإنسان بالله تعالى مستعينا به،متوكلا عليه لأداء هذه التكاليف، كان التوفيق حليفه بإذنه، وإذا استمر على الاستعانة به وصَبَر زاده من فضله، واندفع هو إلى القيام بها بمحض إرادته لأنه تزود بالصبر مستعينا بمولاه.

وبذلك تكون الاستعانة بالله تعالى مع الصبر وعدم العجز في كل الأعمال من آليات تحصيل القوة.

3. **تفويض الأمر لله تعالى من قبل ومن بعد:** ويكون ذلك عند فوات المطلوب بعد بذل المجهود، فلا يحسر الإنسان عليه بترديد حرف الندم"**لو**"،فلهذا بين النبي صلى الله عليه وسلم اضطراب الإنسان عند فوات مطلوبه بقوله:" **وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا**"[611]،وكأنه يتمنى حصول مبتغاه باقتراحات سابقة كانت مرجوحة عنده،مع ما قام به من عزم،ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم العبارة الصحيحة في مثل هذه المواقف بقوله: " **وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**"[612]منبها للمؤمن أن الأمر بيد الله تعالى من قبل ومن بعد، مؤكدا على خطر التحسر على فوات بعض المصالح،فلعله كان خيرا في فواتها،ثم نبه على خطر الحرف بقوله:"**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**" [613] بسبب ما يجده الإنسان من الحسرة والندم بسبب فوات مصالحه، فينشغل بذلك التحسر الذي يؤدي به إلى التردد في المستقبل من أمره،فلا يعزم على أي عمل خوفا من نتيجته،وهو تحفيز منه لتوسيع أفق تفكير الإنسان إلى رحاب الإيمان بالله تعالى،وبثقته به لأنه هو الرب المتعالي،والعالم بخبايا الخير والشر.

---

[610]- محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، 4/(1053-1054). تحقيق وتخريج وفهرسة: أحمد زهوة . دار الكتاب العربي .بيروت .لبنان .دار الأصالة للنشر والتوزيع . الجزائر د.ط.1426هـ - 2005م. بتصرف

[611]- سبق تخريجه ص: 157.

[612]-سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[613]-سبق تخريجه الصفحة نفسها.

وبذلك يكون التفويض لأمر الله تعالى من قبل ومن بعد؛ من آليات القوة التي تعمل على جعل الإنسان يواصل مسيرة الحياة بلا تردد ولا تخوف؛ لأن الحكم لله جميعا.

وعليه نخلص إلى أن باجتماع الآليات الأربع عند الإنسان يتمكن من حصوله على القوة الحقيقية التي تمكنه من حصول الخيرية فيه مع حب الله تعالى له،وأهم هذه الآليات هي الاستعانة بالله تعالى.

ونخلص في هذا المبحث إلى أن من آداب العبادات؛ الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه، من أجل أدائها في أفضل صورها التي يرتضيها لنا المولى تبارك وتعالى،مع عدم الغرور بالجهد الذي يقدمه الإنسان ظنا منه أنه يبلغه رضا الرحمن؛والمبادرة لامتثال الأمر للقيام بالطاعات مع عدم التردد في أدائها،وكذا التسلح بآليات القوة لتحقيق مقاصدها الشرعية،مع التأدب مع أحكام الشرع التي تكون في المبحث الموالي بإذن الله تعالى.

المبحث الثاني: التأدب مع الأحكام الشرعية عند أداء الطاعات

قال تعالى:(**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**) [614].

نلاحظ أن السبب الرئيس في تغيير القيادة من اليهود والنصارى هو؛التحريف الذي أوقعه أتباع الديانتين في أصول التشريع،مما أفقد دساتير الله تعالى ربانيتها،حيث أودعوا في طياتها النوازع البشرية وأمراضها وأطماعها،فقد كانت الدافع الأول على هذا التحريف؛فصار يؤله الأنبياء والأتباع،وكلما جاء جيل من أجيالهم حرف في كتاب الله تعالى وفق هواه وهكذا دواليك؛مما أفقد هذه الكتب قدسيتها التي ترتبط بربانية الكلام المودوع فيها،وعند مجيء الإسلام أخذ بعين الاعتبار هذه المخاطر التي تعتري النفوس البشرية،فتعهد بحفظه عن أي تحريف؛قال جل شأنه:(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) [615]،فتعهد الله تعالى بحفظ هذا الدين؛فجعله مصونا عبر قرون عديدة،وبقيت قداسته الربانية تتلى في الأجيال،فيُبلغ الناس بمراد الله تعالى في أرضه كما أنزل أول مرة.

فالكلام محفوظ عن التحريف؛لكن بقيت بعض النوازع البشرية تعمل عملها،فكان أن وضع المشرع الحكيم صمام أمن من أجل حفظ أحكام هذا الدين من أن يشوبها بعض التطرفات النفسية للبشر،وبذلك يغلق باب التنطع والتشدد في أحكام الدين،فهذا الصمام هو الموافقة لعمل النبي صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم قَالَ:" **مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**[616]"[617].

فقوله صلى الله عليه وسلم:" **فَهُوَ رَدٌّ**":معناه أنه باطل وغير معتد به [618]؛ويبطل أثر العمل به كذلك،وبذلك يكون قد قرر رد كل عمل مخالف للإسلام في أصوله أو فروعه.

والمقصود بالعمل هنا:العمل في العبادات والمعاملات،فهي تبطل ولا يعتد بها إذا خالفت أمر التشريع الإسلامي [619]؛ لأن هذه المخالفة تحريف للكلم عن مواضعه،وهو ما يؤدي إلى عدم

---

[614]-سورة:البقرة،الآية:79.

[615]-سورة: الحجر،الآية:9.

[616]-**الرد** هو:أَيْ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ. يُقَالُ أَمْرٌ رَدٌّ؛ إِذَا كَانَ مُخَالِفًا لِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّة، وَهُوَ مصدرٌ وُصْف بِهِ. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 213/3_214.

[617]- سبق تخريجه ص:129.

[618]- النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،236/6. بتصرف

تحقيق مقصد المشرع الحكيم من تشريعه،فالإمام الشاطبي يوضح ذلك قائلا:" الْمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ مِنْ وَضْعِ الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه،حتى يكون عبدا لله اختيارا،كما هو عبد لله اضطرارا"[620].

فالحديث الشريف إذن جاء ليحفظ هذا التشريع من التحريف والتبديل،ويحفظ ربانية مصدره فلا يشاب بعبث العابثين، ولا يخلط بأهواء الزنادقة والمتطفلين.

وعليه فإن الإسلام خضوع تام لكل صغيرة وكبيرة جاء بها الوحي [621]،وأي تجديد أو ابتداع فيه يخرج صاحبه عن الانتماء إليه،قال صلى الله عليه وسلم:" **فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**"[622]،فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم الانحياز عن دين الإسلام؛إلى غيره من الشرائع خروج عن منهجه الذي ارتضاه الله للبشرية،والذي أبطل به غيره من الشرائع،قال تعالى:(**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [623] فالله سبحانه وتعالى حكم بالخسران لمن سعى في حياته وراء شريعة غير شريعة الإسلام،لأنه ألغى ما عداها من الشرائع فهي لم تعد مؤهلة لتوجيه الحياة البشرية على الأرض.

"وفرائض الإسلام وشرائعه وحدوده كثيرة،يمكن إجمالها في القول بأنها تتناول العمل بكل ما أمر الله تعالى به،واجتناب كل ما نهى عنه،ويدخل في ذلك ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم وما نهى عنه:لأنه المبلغ عن ربه،وله أن يأمر بما أوحى الهأ إليه من غير القرآن الكريم"[624].

ومن أهم ما يستخلص مما سبق أن الإسلام جاء مهيمنا على الديانات السابقة،ولهذا وجب على كل إنسان أن يأخذ تشريعه على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم،لأن أي خروج عن منهجه يعتبر باطلا فلا يعتد بأثره،ويحكم على صاحبه بالخسران يوم القيام.

هذا،وقد جاء في السنة الشريفة إبطال كل عمل خالف منهج الإسلام،ليكون في هذا عبرة للأجيال بعده لتُعرض أعمالها على ما جاء به صلى الله عليه وسلم فيكون هو الفيصل فيها، ومن هذه النماذج نذكر:

---

[619]-العثيمين، شرح رياض الصالحين،475/1.

[620] -الشاطبي،الموافقات ص:318.

[621]-محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام بحث في الخلق و السلوك و التصوف.ص 59. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية. ط3: 1427هـ-2006م. بتصرف

[622]- سبق تخريجه ص:126.

[623]- سورة:آل عمران،الآية:85.

[624]-علي عبد الحليم محمود،التربية الروحية،ص:130.

المطلب الأول:رد الأضحية غير الموافقة للسنة

عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:" **ضَحَّى خَالٌ لِي يُقَالُ لَهُ أَبُو بُرْدَةَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِنْدِي دَاجِنًا جَذَعَةً مِنْ الْمَعَزِ قَالَ اذْبَحْهَا وَلَنْ تَصْلُحَ لِغَيْرِكَ ثُمَّ قَالَ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ**" [625] فالنبي صلى الله عليه وسلم رد أضحية خال البراء،وعدها لحم أكل وشرب،لا أضحية يتقرب بها إلى المولى تبارك وتعالى،رغم أنها شاة سمينة تصلح لتكون قربانا،لكن حين لم تقع أضحيتها على السنة،فتحول لحمها إلى لحم أكل وشرب،وقُبل منه –لا من غيره بعد–ما دون الشاة الأولى – **وهي دَاجِنًا جَذَعَةً مِنْ الْمَعَزِ**–لتكون قربانا؛حيث وافق ذبحها السنة في تقريبها لله تعالى وهو بعد صلاة العيد.

وبذلك فإن الشاة شاتان شاة تذبح لأجل اللحم،وشاة تذبح لأجل التقرب إلى الله تعالى[626] فهذا يدل على أن العمل وإن وافق نية حسنة لم يصح إذا وقع على غير الشرع[627].

وبذلك كان رد النبي صلى الله عليه وسلم لأضحية الصحابي الجليل–عندما خالف شروط الأضحية التي قررها الإسلام–تأكيدا لضرورة التزام الموافقة للسنة الشريفة.

---

[625]–صحيح البخاري،كتاب الأضاحي،باب قول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي بردة(ضح بالجذع من المعز ولن تجزي عن أحد بعدك). رقم الحديث:5556. ص:(1039–1040). وكتاب العيدين ، باب الأكل يوم النحر،حديث:955.ص: 180.

[626]– العيني ،عمدة القاري شرح صحيح البخاري،147/21. بتصرف

[627]–ابن حجر،فتح الباري،10/(23–24). بتصرف

المطلب الثاني:رد المبتدعات في العبادات

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:" **جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** "[628]،الصحابة رضوان الله عليهم دفعهم فهمهم الخاطئ للطبيعة البشرية؛إلى محاولة ابتكار طرق جديدة في عبادة الله سبحانه وتعالى،لكن هذه الطرق كانت مخالفة للسنة النبوية الشريفة،فعدها النبي صلى الله عليه وسلم خروجا عن الشرع فقال: (**فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**) ،ليزجر أصحابه عن القيام بها،فأركان"الإسلام لم تشرع لشخص واحد يقيمها إذا شاء ويهملها إذا شاء،بل شرعه لأمة من الناس تحيا عليها،وتتواصى بنصرتها،وتستبطن الولاء لها،وتغرس في أرجاء الجماعة شاراتها وشعائرها،ويتوارث الأخلاف ذلك كله عن الأسلاف" [629]؛ فالإنسان أمر أن يعبد الله على وفق ما شُرع له من منهج، والذي يتناول بالتنظيم لكل أموره في الاعتقاد والعبادة والعمل[630].

ويكفي مثالا على ذلك قوله تعالى:(**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (27) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [631]؛إن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده المؤمنون باتقائه بالإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم واتباع ما يأمر به، والانتهاء عما نهى عنه، وهذا بعد أن ضرب لهم مثالا بالنصارى الذين استحدثوا طرقا للطاعة؛ فساروا عليها

---

[628]- سبق تخريجه ص:126.

[629]-محمد الغزالي، الجانب العاطفي من الإسلام،ص57.

[630]-علي عبد الحليم محمود،التربية الروحية،ص:182. بتصرف

[631]-سورة:الحديد،الآيات:27-28.

دهرا،ولكن في النهاية:(**فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**)[632]،ففصل الله بينهم: فجازى المؤمنين منهم خيرا في ثباتهم على عهدهم،وحكم بالفسق على أكثرهم.

فالذين يحكمون أذواقهم ومواجيدهم في إنشاء صور وابتداع أشكال وأساليب للعبادة، استحسنتها عقولهم،وزينتها لهم أهواؤهم،مخطئون،وإن كانوا يقصدون التقرب إلى الله تعالى،فإن شرعية العبادة لا تُستمد من تحسين العقل،ولا من تزيين الهوى بل من الوحي وحده[633].

فالإنسان يستحسن الكثير من العبادات؛في حالة صفاء نفسه،لكنه لا يلبث أن يعود عنها القهقرى،كونها تصطدم –في كثير من الأحيان– الطبيعة بالبشرية؛التي تجمع مكوناتها عدة عناصر متضاربة،فلا يمكنه أبدا أن ينشئ منهاجا لحياته باستقلاله،وإنما هو مضطر في أن يخضع لمنهاج ربه جل شأنه الذي خلقه وصوره في أحسن تقويم،ويعلم وحده كيفية تحقيق التوازن في حياة هذا الكائن البشري؛الذي خلق من روح الله سبحانه وتعالى بعد تصويره من طين، "فليست الحياة الربانية أو الروحية الإسلامية مادة هلامية رجراجة،يشكلها الناس بما يشاءون،وكيف يشاءون، بل هي حياة منضبطة بأحكام الشرع الإلهي،وإذا كان جوهر الحياة الروحية هو حسن الصلة بالله تعالى،بذكره وشكره،وحسن عبادته جل شأنه،فإن هذه الصلة مضبوطة" [634] لأن الله سبحانه وتعالى لا يعبد "إلا بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛حتى لا يشرع أحد في الدين ما لم يأذن به،فالأصل في العبادات الشعائرية التوقيف والمنع حتى يأتي نص من الشارع ينشئها على خلاف الأصل" [635]؛فيبقى الإنسان في طريق سوي معتدل طول حياته لا يعاني الكبد،كما لا يعيش حياة الإباحية العمياء، فهو دائما وأبدا مستسلم لوحي الله تعالى"ومن جعل الوحي مصدره لا يضل أبدا،ولا يفتن عن شرع الله بقوانين الناس وأنظمتهم،التي وضعتها عقولهم مستقلة عن وحي الله،والفتنة بالعقل ضلال وضياع،كما أن إهمال العقل ضلال أيضا، وكيف يهمل وهو مناط التكليف"[636].

ونخلص إلى أن أي ابتداع في العبادة؛ يرد جملة وتفصيلا مهما كان الإنسان محسنا في نيته.

---

[632]– سورة الحديد، الآية:27.

[633]–يوسف القرضاوي،في الطريق إلى الله–(1) الحياة الربانية و العلم– ،ص:34. مكتبة وهبة الزحيلي، ط5: 1425هـ– 2004م. بتصرف

[634]–نفسه ،ص33.

[635]– يوسف القرضاوي،في الطريق إلى الله–(1) الحياة الربانية و العلم– ،ص33–34.

[636]–علي عبد الحليم محمود،التربية الروحية،ص:202.

وبذلك نصل إلى أن من آداب العبادات تحري موافقتها لأصول الشرع وفروعه،وأن لا نبتكر عبادات أو معاملات لم يأمر بها الله سبحانه وتعالى،وإلا كنا ممن يحرف الكلم عن مواضعه.

المبحث الثالث:الاعتدال والتوسط في الأخذ بالطاعات

قد علمنا أن السبب الرئيس في تغيير القيادة من اليهود والنصارى؛راجع إلى التحريف الذي أوقعوه في كتبهم السماوية،وصارت دساتيرهم محرفة لا يثق فيها أحد؛ لتكون له شرعة في الحياة، فجاء الإسلام لحل مشكلة الإنسان مع الوجود تصحيحا لما فعله أصحاب الديانات السابقة، ليجعله متكيفا مع الوجود، لأنه مزود بالعقل الذي جعله الله مناط التكليف له، وهي الميزة التي تميزه عن بقية المخلوقات، وجعل له أحكاما تشريعية بديلة تراعي الإنسان وحبه للعبادة، مع الأخذ بعين الاعتبار جانبه الجسدي ،فهذا المنهج أخذ الإنسان على ما هو عليه من تكوين، واحتياجاته المادية والمعنوية،وشرع له منهاجا متكاملا يخدم كل حياته بشكل متناسق،وفيما يلي بعض الآداب التي تعمل على جعل الإنسان يعيش في اعتدال ووسطية.

المطلب الأول:ضرورة الأخذ بيسر دين الإسلام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :"**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ [637] وَالرَّوْحَةِ[638] وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ**[639]"[640].يرشد النبي صلى الله عليه وسلم الناس من خلال هذا الحديث الشريف إلى كيفية السير في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى،منبها على أن دين الله يسر؛ لكي يتوخى الإنسان في سيره الحذر من الوقوع في التشديد على النفس، مع عدم إهمال حق الله تعالى في العبادة؛وقد أرشد إلى أهم الأوقات التي تناسب الإنسان لتحصيل الأجر؛وهي أوقات نشاطه وقوته:

فقال:"**وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ**" فوقت الغداة ووقت الرواح هما طرفا النهار، وللإنسان أن يختار منها ما يناسبه،ثم أشار إلى وقت السحر،فقال:" **وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ**" لأنه أفضل الأوقات دون تشديد ولهذا قال "**وشيء**"، وقد مثل لكل ذلك بحال المسافر واختياره لهذه الأوقات لسفره؛فهي أوقات منشطه عادة،حيث يكون وقت الدلجة وهو آخر الليل الذي يستيقظ فيه الإنسان من نومه بعد أخذه الراحة طول الليل،وكذا وقت الغداة التي يغدو الإنسان عادة فيها إلى عمله وهو بنشاط الصباح،ووقت الرواح وهو وقت يستيقظ فيه الإنسان عادة من القيلولة بعد الغداء وأخذ قسط من الراحة،فيكون على أهبة الاستعداد لمواصلة نشاطه،فكل هذه الأوقات موضع قوة للإنسان؛ فنبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بأن يوزع طاعاته فيها، بل إن أمكنه أن يكثف عبادته فيها؛ لتكون عونا له على تحصيل الأجر وتوازنه في حياته الدنيوية،فلا يهمل التزاماته الاجتماعية، ولا يضيع حياته التعبدية.

---

[637]-**الغُدْوة**: الْمَرَّةُ مِنَ الغُدُوِّ، وَهُوَ سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ، نَقِيض الرَّواح. وَقَدْ غَدَا يَغْدُو غُدُوّاً. والغُدْوَة بِالضَّمِّ: مَا بَيْنَ صَلَاةِ الغَدَاة وَطُلُوعِ الشَّمْسِ. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 346/3.

[638] -**الرَّوَاحُ**:العَشِيّ أَو من الزَّوال،أَي من لَدُن زَوَالِ الشَّمْس إِلى اللَّيْل.وهو وقت العَوْدِ إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْ مِنْ طَلَب الرَّاحَةِ. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 271/2_272. وابن منظور،لسان العرب، 909/1.بتصرف.

[639] - **الدُّلْجَةُ**: هُوَ سَيْر اللَّيْلِ. يُقال أَدْلَجَ بالتَّخفيف إِذَا سَار مِنْ أَوَّلِ اللَّيْل، وادَّلَجَ- بِالتَّشْدِيدِ- إِذَا سارَ مِنْ آخِرِهِ. والاسْم منْهُما الدُّلْجَة والدَّلْجَة، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهما فِي الْحَدِيثِ. وَمِنْهُمْ مَن يَجْعَل الْإِدْلَاجَ لِلَّيل كُلِّه. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 129/2.

[640] -صحيح البخاري،كتاب الإيمان،بَاب الدِّينُ يُسْرٌ وَقَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ.رقم الحديث: 39، ص:23.

لقد جاء الإسلام ليكون دين التوازن في كل شيء،وجعل للعبادة نصيبها من ذلك، لأن الله تعالى أمر بعبادته ولم يأمر بالانقطاع لها وترك الدنيا،وإنما أمر بإعطاء كل جانب منهما حقه بالاهتمام والعناية[641].

والحديث الشريف دل على أمور مهمة ليتنبه الإنسان لها:

1. **يسر الدين:** أو كما عبر عنه صلى الله عليه وسلم بقوله:" **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**" [642]؛بمعنى دين الإسلام ذو يسر؛وقد سمي الدين يسرا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله،لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم [643]،وهذا مصداقا لقوله تعالى: (**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) [644]، فالله سبحانه وتعالى يؤكد في هذه الآية الكريمة أن بلوغ شكره على نعمه التي أنعم بها على الإنسان،يكون بإناطته بتكاليف مختلفة؛لكن الشكر لا يكون بتكليف الإنسان بما يشق عليه،بل يكون بما يطمئنه ويريح نفسه،ولهذا قال:(**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**) وهذا اليسر تمثل في إكمال العدة وتكبيره على الهداية،فقد جُعل الدين لمصلحة الإنسان؛بحكم أنه لا يمكنه العيش دونه، وفي الوقت نفسه لم يجعل له فيه حرجا أبدا،بل هو تيسيرا لمن أخذ به كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:".. **فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** "[645]،فسمة الإسلام والمسلمين إذن هي التيسير،مع ترك التعسير.
2. **الحذر من سلوك أسلوب الشدة في الطاعات:** وهو ما دل عليه الحديث أيضا للتحذير من سلوك أسلوب الشدة مع النفس في الأخذ بأحكام الدين،وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم: "**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**" [646] يعني:أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه؛فالنهي عن التشديد في الدين بأن يحمّل الإنسان نفسه من الطاعة مالا يحتمله إلا

---

[641]-عبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد،العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية-بحث في الأساس التعبدي في التربية الإسلامية-ص: 50-51. طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. المملكة العربية السعودية.ط1: 1424هـ. بتصرف

[642]-سبق تخريجه ص:169.

[643]-ابن حجر،فتح الباري،139/1. بتصرف

[644]-سورة: البقرة ،الآية:185.

[645]-صحيح البخاري،كِتَاب الْأَدَبِ،بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَكَانَ يُحِبُّ التَّخْفِيفَ وَالْيُسْرَ عَلَى النَّاسِ،رقم الحديث:6128. ص:1124.

[646]سبق تخريجه ص: 169.

بكلفة شديدة[647] مما يجعله يخرج عن جادة الصواب -إما إلى الإفراط أو إلى التفريط- قال الإمام الشاطبي:"فالشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل،الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه،الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال،بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال،.. ..فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط،فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف،فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر، فطرف التشديد-وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر-يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين،وطرف التخفيف-وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص-يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد،فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحًا،ومسلك الاعتدال واضحًا،وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه"[648] الإنسان في حياته.

فمبدأ الاتزان والاعتدال في مجال الطاعة؛له دور عملي بارز في تربية النفس على الاتزان والواقعية في العمل والفكر؛فهو يجعل الفرد على شعور دائم بحدود الإهمال المفضي إلى التفريط، وحدود التشدد المفضي إلى الإفراط،فيجعل عمله التعبدي،وتفكيره وأحكامه، وسلوكه وتصرفاته دائما في الحدود الآمنة المتزنة،فيراعي الوسطية في سائر أموره وأحواله، وبهذا تكتسب الطاعة صفة الواقعية فتكون ممكنة الأداء حاضرة التأثير[649]،في النفس والسلوك، دائمة الأداء في أوقاتها المسطرة لها، وجاذبة التأثير حيث يشتاق إليها كل عابد مولع بحب الله تعالى.

وبذلك يكون التوسط والاتزان في الأخذ بالطاعات عاملان مهمان في ضمان استمرارها.

3-التسديد والمقاربة في القيام بالطاعات مع التفاؤل برحمة الله: وهو ما دل عليه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**"فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا"**[650] أي اقصدوا السداد بمعنى الصواب، ومعناه فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب واتركوا التعمق فيه؛وذلك بالقصد والتوسط في العمل، من غير إفراط ولا

---

[647]-زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب،،فتح الباري، 149/1. تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصود. وإبراهيم بن إسماعيل القاضي. ومحمد بن عوض المنقوش. وعلاء بن مصطفى بن همام. ومجدي بن عبد الخالق الشافعي. والسيد بن عزت المرسي. وصلاح بن سالم المصراتي. وصبري بن عبد الخالق الشافعي. نشر مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية. ط1: 1417هـ-1996م. بتصرف

[648]-الشاطبي ،الموافقات:ص:315-318.

[649]-عبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد،العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية. ص52-53. بتصرف

[650]سبق تخريجه ص: 169.

تفريط،ولا يكون ذلك إلا باتباع منهج النبي صلى الله عليه وسلم؛ليقبل عملكم فينزل عليكم الرحمة،والأمر هنا على الإغراء أي الزموا الطريق الوسط المعتدل [651]، حتى تستطيعوا الاستمرار في القيام بالطاعات مع الالتزامات الأخرى في حياتكم.

هذا،وعند العجز عن التسديد أرشد إلى المقاربة مع التفاؤل برحمة الله تعالى فقال: **"وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا"**[652] أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا ما يقرب منه،ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل تفريطا [653]،مع ضرورة تفاؤلكم برحمة الله تعالى،فعن عَائِشَةَ-رضي الله عنها-قَالَتْ:قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" **خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا"** [654]،فالله سبحانه وتعالى لا يمل من تقرب عبده إليه إلا إذا مل عبده من ذلك،ولا يحدث الملل من العابد اتجاه ربه جل شأنه إلا إذا تكلف مالا يطيق من الطاعات،فيتجشم طاعة ربه بقوى متهاوية بسبب تكليفه نفسه مالا يطيق.

وبذلك يكون التسديد والمقاربة معينة على طاعة الله تعالى مع رجاء رحمته.

4.الاستعانة بأوقات النشاط لأداء العبادة: وهو ما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: **"وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَة"** [655]،إن الأوقات المختارة لأداء بعض العبادات هي نفسها الأوقات المفضلة للقيام بالأعمال الحياة اليومية.

فتكون الاستعانة بمدوامة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة للإنسان،وهي نفسها الأوقات الثلاثة الأطيب للسفر في نفس الإنسان[656].

عَنِ أمنا عَائِشَةَ رضي الله عنها أنها أَخْبَرَتْ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم- :**"أَنَّ الْحَوْلاَءَ بِنْتَ تُوَيْتِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى مَرَّتْ بِهَا وَعِنْدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ هَذِهِ الْحَوْلاَءُ بِنْتُ تُوَيْتٍ وَزَعَمُوا أَنَّهَا لاَ تَنَامُ اللَّيْلَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:"لاَ تَنَامُ اللَّيْلَ خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لاَ يَسْأَمُ اللَّهُ حَتَّى تَسْأَمُوا"**[657].

---

[651]- ابن حجر،فتح الباري، 1/(141-142). بتصرف

[652]سبق تخريجه ص: 165.

[653]- ابن حجر،فتح الباري، 413/11. بتصرف

[654]- سبق تخريجه ص:134.

[655]-سبق تخريجه ص:169.

[656]- ولي الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي مشكاة المصابيح، ،مع شرحه،مرعاة المفاتيح،للشيخ أبي الحسن عبيد الله بن العلامة محمد عبد السلام المباركفوري حفظه الله.288/3. بتصرف

[657]- صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها،باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره،رقم الحديث: 785. ص:264.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يضع لأمته منهج توازن في الطاعات؛فحض على أن لا يأخذ الإنسان من العمل إلا قدر طاقته؛بحكم أن الناس يختلفون في قوتهم من شخص لآخر،وهذا من أجل أن يقبل المؤمن على عبادة ربه بقوة وشغف وحب،وبذلك يدفع عنه الملل والسأم فيواظب عليها.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ :"دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ: **"مَا هَذَا،قَالُوا:لِزَيْنَبَ تُصَلِّى فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ. فَقَالَ: "حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ"** [658]،لقد أوجب النبي صلى الله عليه وسلم القعود عن العبادة وعدم دفع النفس إلى المشقة فيها،بل وألزم أخذ الراحة بعد الجهد؛ ولهذا قال:**"لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ"** فقد ربط العبادة بالنشاط وإلا فالإنسان غير ملزم بها"فالحياة الروحية في الإسلام...حياة سهلة ميسرة،لا تُكلف الإنسان شططا ولا ترهقه عسرا،ولا تحمله من الآصار والأغلال ما يقصم ظهره،فهو غير مكلف إلا بما في وسعه ولا مطالب إلا بما يستطيعه ويقدر عليه دون مشقة شديدة"[659].

وهكذا تكون أوقات منشط الإنسان معينا قويا على أداء الطاعات على وجهها، دون أي مخلفات سلبية على النفس أو الجسد.

وعليه فإن الإسلام حل أساسي شامل للإنسان وليس حلا بديلا عن الأنظمة الأرضية،ليراعي الإنسان ككائن مزدوج الخلقة،فيأمره بالتكاليف التي يمكنه الاستمرار على القيام بها مع تحقيق مبدأ التيسير والوسطية في تكاليفه،وذلك معنى قوله تعالى:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[660].

---

[658]- صحيح البخاري،كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث:1150، ص:214. صحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره،رقم الحديث: 784. ص:(263-264).

[659]-يوسف القرضاوي،في الطريق إلى الله ،ص:38.

[660]-سورة: الذاريات،الآية:56.

المطلب الثاني:التوازن في الأخذ بمقومات الحياة مع الطاعات

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "**يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ. فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ:فَلاَ تَفْعَلْ،صُمْ وَأَفْطِرْ،وَقُمْ وَنَمْ،فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**"[661].قلنا على المؤمن أن يأتي الطاعات على الرفق من غير ترك حظ النفس فيها،فنلاحظ من خلال هذا الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم تدرج مع عبد الله رضي الله عنه في الأخذ بالعبادة من الأفضل إلى الأقل فضلا،وهو منهج الأخذ بالأيسر أولا، ثم الذي يليه،وبين له حد الوسط في الأخذ بالطاعات والتفاعل الاجتماعي: حيث أرشده بأن يعطي لكل جانب من حياته حقه،ولهذا أرشد هذا الحديث الشريف إلى:

1. **التوازن في الأخذ بالطاعات والحاجات الخاصة لكمال الاستعداد:**فقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بموازنة في الأخذ بالطاعات وبقية الحاجات الخاصة لدى الإنسان بشكل مدمج، فقال صلى الله عليه وسلم:" **صُمْ وَأَفْطِرْ**" وذلك من أجل أن يتقوى بفطره على متابعة صومه،ثم قال: " **وَقُمْ وَنَمْ**" ليتقوى بنومه على قيامه،بل توجد أحاديث شريفة تبين كيفية الأخذ بالطاعات مع الحاجات الخاصة التي عادة ما يكون تقديم القيام بها من الأولويات؛ وفيما يلي تفصيل ذلك:

- **تقديم الأكل عن الطاعة لكمال الاستعداد عند مختص الحال:**

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ وَلَا يَعْجَلْ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ** "[662]،فالنبي صلى الله عليه وسلم يقدم جانب الاحتياج الجسدي للغذاء على جانب الاحتياج الروحي؛ من أجل تفريغ القلب من الشواغل للعبادة.

---

[661]-صحيح البخاري،كتاب الصوم،باب حق الجسم في الصوم،حديث: 1977. ص:(357-358).و كتاب النكاح،باب: لزوجك عليك حق، حديث:5199.ص: 979،و كتاب الصوم،باب حق الضيف في الصوم،حديث: 1973.ص: 357،و كتاب النكاح، باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية،حديث: 5205.ص: 980،و كتاب الأدب،باب حق الضيف ،حديث:6134.ص:1124_1125،وصحيح مسلم، الصيام، باب النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ،رقم الحديث:1159. ص:(388-389).

[662]-صحيح البخاري،كِتَاب الآذان، بَاب إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَبْدَأُ بِالْعَشَاءِ وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مِنْ فِقْهِ الْمَرْءِ إِقْبَالُهُ عَلَى حَاجَتِهِ حَتَّى يُقْبِلَ عَلَى صَلَاتِهِ وَقَلْبُهُ فَارِغٌ،رقم الحديث 673، ص:133. وصحيح مسلم،كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة، حديث:66(559).ص: 191.

- **تقديم الحاجة ثم الصلاة لكمال الاستعداد:**

ومن أجل تحقيق المقصد نفسه قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ** "[663]،فعند مدافعة الأخبثين يتشكل لدى الإنسان ضغط جسدي،فيتحول بدوره إلى ضغط نفسي؛مما يشغله عن أداء العبادة في خشوع وخضوع،لأن الأصل من تشريع العبادة هو ربط العبد بربه،ودوام هذا الربط يكون بالإقبال عليه سبحانه وتعالى بقلب فارغ عن كل شواغل الدنيا.

فمنهج الإسلام"كان صريحا في رسم منهج الوسطية في العبادة،والحث على الاقتصاد، والاعتدال فيها والنهي عن التعمق والتشدد،والاقتصاد على ما يطاق من العبادة،والابتعاد عن تكلف ما لا يطاق" [664]،فيأخذ كل جانب من حياة الإنسان حظه الذي قسمه الله له،مع عدم الإسراف في الأخذ من متع الحياة،وترك العبادة التي هي من المهام المناطة بالإنسان منذ بداية خلقه، وإنما جعلت النعم محفزات له على تحقيق المقصد الأصلي من خلق البشر.

- **تقديم النوم عن الطاعة:**

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**" [665]،فنلاحظ من هذا الحديث أيضا أنه استلزم على الإنسان التركيز والخشوع في العبادة،وهذا لا يتأتى للمرء وهو نعسان يقاوم النوم،كون الصلاة تحتاج لحضور العقل، ويقظته من أجل الشعور بها وبأثرها على النفس،ولكن في حالة النعاس يحجب العقل عن الصلاة، فلزم إذن تقديم النوم عنها،لتؤدى بعد ذلك في وقت لاحق،لكن في ظرف يكون فيه الإنسان على استعداد لأدائها على وجهها، وبخشوعها وتدبر كلام الله فيها،مع تضرعه له ليغفر ذنوبه بها؛لا ليسب نفسه وهو شبه يقظان.

وبذلك تكون الحاجات الخاصة ضواغط نفسية وجسدية على الإنسان، فيجب عليه مراعاتها وهو يأخذ طريقه إلى الله تعالى،فلا يتعنت ويكابرها مدعيا أن مكابرتها قربة في حين أن ذلك ليس من الدين في شيء.

---

[663]-صحيح مسلم،كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَاب كَرَاهَةِ الصَّلَاةِ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ الَّذِي يُرِيدُ أَكْلَهُ فِي الْحَالِ وَكَرَاهَةِ الصَّلَاةِ مَعَ مُدَافَعَةِ الْأَخْبَثَيْنِ، رقم الحديث560، ص:191.

[664]-علي محمد الصلابي ،الوسطية في القرآن الكريم، 563/3.

[665]- سبق تخريجه ص: 57.

2. **التوازن في القيام بحقوق النفس مع الطاعات:** ثم بين صلى الله عليه وسلم لعبد الله الحد الوسط في الحياة فقال:"**فَإِنَّ لِجَسَدِكَ**"[666] الذي تعيش به وتعبد به ربك "**عَلَيْكَ حَقًّا**"[667] في أكله وشربه وراحته، وكل ما يساعده على العيش فيما يرضي الله تعالى،وبهذا يتبين أن أول ما يظهر من التعب على الإنسان فإنه يظهر على الجسد ولهذا بدأ به،ثم قال:"**وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**"[668] ويشير بذلك إلى النوم وهو كناية عن الراحة للجسد والروح بالنوم.

3. **التوازن في القيام بالالتزامات الاجتماعية مع الطاعات:** بعد أن أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل رضي الله عنه إلى كيفية إعطاء حظوظ نفسه،انتقل به إلى جانب آخر من حياته،فقال له:" **وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**" [669] فقد انتقل من تحديد التوازن في نفس الشخص؛ إلى تبيين كيفية التوازن في ضبط علاقته بالآخرين في مجتمعه؛فجعل الحظ الأول للأهل بحكم قربتهم منه،واشتراكهم معه في الحياة الأسرية،فيجب ألا يغمط حقهم الأسري؛ مقابل رغبته في الازدياد من الطاعات،ثم انتقل به إلى دائرة أوسع من الأسرة:وهم الأهل والخلان فقال:" **وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**" [670]فجعل بذلك حظا لمن تتوطد بهم العلاقات الاجتماعية بسبب التفاعلات الاجتماعية؛ الاختيارية منها والاضطرارية؛ التي تعرض للإنسان في الحياة.

فنلاحظ من خلال هذا الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل بالصحابي الجليل في تحديد حد الوسط؛من الضيق إلى الأوسع،فبدأ معه بذاته إلى أن وصل به إلى محيطه الذي يعيش فيه،لأنه لاحظ عليه تفرغه للطاعة منقطعا عن العالم الخارجي حوله،لحد أنه لم يراع حتى حقوقه الخاصة،فأعاد له توازنه الذي وصل به إلى حد الوسط في الأخذ بالأمور.

فالحياة "الروحية في الإسلام–كما شرعها الها ورسوله–حياة معتدلة،متوازنة ومتناسقة مع جوانب الحياة المادية الأخرى؛ فلا يقبل فيها التنطع ولا الغلو،الذي يجور به المسلم على نفسه،وعلى حقوق الآخرين،وهذا العنصر مكمل لعنصر اليسر والسهولة...بل هو لازم من

---

[666]–سبق تخريجه ص:174.

[667]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[668]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[669]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[670]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

لوازمه،فإن المكلف الذي يخرج عن حد الوسطية والاعتدال،يدخل-لا محالة- في دائرة العسر والحرج"[671] التي نهى الله ورسوله عنها.

وعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه قَالَ:" **لَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ:"كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا.فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "وَمَا ذَاكَ ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا[672] الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً". ثَلاَثَ مَرَّاتٍ"[673].**

لقد دل هذا الحديث الشريف على الحالة النفسية للإنسان في هذه الحياة، وهي على حالين مختلفين:

- **الحالة النفسية والسلوكية للإنسان عند ملازمته للذكر:** وهي ما دل عليها قول الصحابي الجليل: "**يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ**" هذه وضعية روحية خاصة؛ تجعل الإنسان يعيش في رحاب الله تعالى:حيث يذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ونعيمها وأهلها والأعمال التي تقرب إليها، ويرهبهم من النار : وعذابها؛ فيكونون في هذه الحال وكأنهم يعيشون فيهما؛ ولهذا قال:" **حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ**"، فالحالة الوجدانية بين الترغيب في فضل الله، والترهيب من عقابه، تزجرهم فتبقى نفوسهم متعلقة بالله تعالى،لأن هذا الجو التذكيري يجذبهم إلى ما يحيي نفوسهم حقيقة؛ فيبادرون بهذا الإحساس إلى تحصيل ما أمكنهم من أعمال الخير والاشتغال بأمور الآخرة،وهذه وضعية طبيعية في حق المشتغل بالذكر،ولهذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم:" **وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا**

---

[671]-يوسف القرضاوي،في الطريق إلى الله،ص:42.

[672]- **عَافَسْنَا:** المعَالجةُ والممَارسةُ والملاعَبة. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 263/3.

[673]-صحيح مسلم،كتاب التوبة،باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك،رقم الحديث:2750. ص:(973-974).

تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ" [674] لأن هذه الحالة النفسية أقرب لعالم الملائكة من عالم البشر، إذا لم يفتروا عن ذكره جل شأنه؛لكنها محال في حقهم،لأنهم يضطرون إلى حال أخرى بحكم الطبيعة البشرية التي خلقوا عليها؛ لأنها تختلف عن عالم الملائكة الكرام.

- **الحالة النفسية والسلوكية للإنسان عند تفاعله الاجتماعي**:وهي ما دل عليها قول الصحابي الجليل:"**فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا"** [675] بطبيعة الخلقة؛ فإن حال الذكر لا يدوم في حق البشر،لأن الحياة تفرض عليهم العودة للأهل والديار والمال؛ ليستطيعوا العيش ماديا، وهي حالة لا يستطيعوا الانفكاك منها بأي حال من الأحوال،ولهذا يبقون منغمسين فيها بأنفسهم وأجسادهم، حتى ينسون حالتهم الروحية التي يكونون فيها متذكرين لله تعالى مرتبطين به،وهذه الحال تلهيهم عما كانوا عليه،فيبادرون إلى الاهتمام بشؤونهم الخاصة، مندفعين إلى تحصيل المال والولد،وهذه أيضا طبيعة بشرية.

هذا، وإن الاختلاف المتباين بين الحالين عده الصحابيين نفاقا، ولهذا عبر عنها بقوله: "**نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ**" [676]،فاستدرك النبي صلى الله عليه وسلم عليه وطمأنه، مؤكدا له أنها طبيعة متزنة في حياة البشر؛لأن البشرية نسيج وحدها :تجمع بين الذكر، والحياة الاجتماعية في شكل متناسق،فلهذا قال له:" **وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**" [677].مشيرا بذلك إلى أن هذه الحياة الممتزجة وضعية ضرورية في حياة البشر،فكرر العبارة : **"ثَلاَثَ مَرَّاتٍ"** [678] مؤكدا عليها،فعلى الإنسان أن يستغلها لصالحه:بأن يجعل حال العبادة معينة على الحياة الاجتماعية حتى لا يضل ولا يطغى، ويجعل من الحياة الاجتماعية متنفسا له؛ من أجل تجديد العزم والعهد بالله تعالى، وبذلك تكون كل وضعية معينة على نجاح الوضعية الأخرى، وهكذا دواليك حتى تنتهي الحياة، وبذلك يحدث التوازن في حياة الإنسان. وفي كل ذلك آيات لله تعالى في هذا الكائن البشري المستخلف في الأرض،الذي يجمع في تكوينه بين روح المولى تبارك وتعالى؛ وهي صفة روحية راقية تحتاج إلى مغذياتها،وبين الجسد الذي خلق من عناصر الأرض؛ التي يحيا فيها بعناصرها.

---

[674] سبق تخريجه ص:177.

[675] –سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[676] –سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[677] –سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[678] –سبق تخريجه الصفحة نفسها.

قال تعالى:(**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**) [679] فالإنسان عليه أن يسعى للآخرة سعيها؛ مع اعتبار أنه يعيش في الحياة الدنيا بمتطلبات عليه تلبيتها؛ فتكون هذه التلبية عونا له على السعي للآخرة،لأن الأخذ بالالتزامات الاجتماعية ونصيب الدنيا؛ لا يخرج الإنسان عن إيمانه، فقد كان من "رحمة الله تعالى بهذه الأمة تيسيره عليها جميع مصالحها،وأنه سبحانه ما أمر بشيء إلا لحكمة ومصلحة تقتضي شرع تلك الأحكام ولأجلها خلقت تلك الأعيان"[680].

وفي الصدد نفسه قال تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(31)قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [681].إن الله سبحانه وتعالى يأمر بني آدم بأخذ زينتهم عند كل مسجد،لأن الذهاب للقيام بطاعات الله تعالى لا يعني التبذل في اللباس للتدليل على الإيمان كما كان حال بعض من كان قبلنا،فيرشد بذلك إلى تصحيح بعض المفاهيم السائدة في الأمم السابقة، ثم يعقب بعدهما لأمر أشد خطورة على الإنسان؛ فقال جل شأنه:(**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا**) بحكم توهم بعض الناس أن الأكل والشرب مما يلهي عن الطاعات وعن الاهتمام بشؤون الآخرة،فأرشد بذلك إلى أخذ الحد الوسط فيهما؛فلا يسرف في الأكل ولا في الشرب،كما لا يسرف في تركهما،وبعدها عقب بالاستفهام الذي يُنبئ عن خطورة الادعاء على الله تعالى في الأمور الثلاث–اللباس والأكل والشرب–فقال:(**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**) ،منبها أن أي تحريف في الأخذ بالزينة والتمتع بنعم الله تعالى خروج عن الفطرة،ثم أكد بعدها أنها من فضله ورحمته يجزي بها عباده المؤمنين يوم القيامة،وهو لا يجزي إلا ما فيه خير للعباد،فقال:(**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**).

وعليه فإن المشادة مع الدين في الطاعات ترجح كفة الدين؛حيث يعود الإنسان إلى طبيعته،أو يصاب بخلل في أداء أحد وظائفه؛البيولوجية أو الروحية،ولهذا كان حكم الإسلام شديدا من أجل أن يأخذ الإنسان من الطاعات ما يمكنه القيام به،في حالة نشاطه أو يقارب العمل الصالح في حال كسله.

---

[679]–سورة: القصص، الآية: 77.

[680]–أحمد بن عبد العزيز الخلف، "منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى" (رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية تحت إشراف د/ فتح الرحمان عمر) ،ص:165. مكتبة أضواء السلف لصاحبها علي الحربي الرياض ط1 (1419هـ 1998م).

[681]–سورة:الأعراف، الآيات:31-32.

المطلب الثالث: محطات لاستدراك ما يفوت الإنسان من الطاعات

إن الإنسان في الحياة الدنيا تعتريه ظروف قاهرة؛ تحول بينه وبين الالتزام ببرنامجه الإيماني – الذي عادة ما يلتزمه كل مؤمن في حياته– وهذا نتيجة الضغوطات الاجتماعية والصحية؛ مما يجعله عاجزا عن أداء بعض مهامه الشرعية،فجعل الله له أمكنة وأزمنة مقدسة لأداء العبادات الشرعية؛ فيستدرك بها بعض ما فاته من القربات التي كان يتقرب بها إليه في وقت قوته، فتكون هذه العبادات في مثل هذه الأمكنة والأزمنة مناصه الوحيد لتعويض ما فاته،فعليه أن يتحراها؛ لأن في تحريها مضاعفة للأجر؛فيحظى بأكبر قدر ممكن من الحسنات؛فما هي هذه الأزمنة والأمكنة التي خصها الله سبحانه وتعالى لمضاعفة الأجر واستدراك ما فات؟

- **اغتنام شهر رمضان لاستدراك ما يفوت من الطاعات:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**"[682]. فشهر رمضان الكريم محطة عظيمة ليتزود خلالها المؤمن بالحسنات؛ دون أن يشق على نفسه؛ لأن فضل الله تعالى جعله في هذا الشهر الكريم الذي تضاعف فيه الحسنات وتغفر فيه الذنوب، وفي حديث آخر قال:" **الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**" [683] فالله سبحانه وتعالى أعطى فرص للإنسان للتزود بما يجدد فيه العزيمة والصبر،فيتمكن من مقاومة نزعة الشهوات المادية للعام، كما جعل الجمعة تجدد الذكر لأسبوع، والصلاة تجدده للصلاة وهكذا، فالحياة سلسلة تتطلب التربية المستمرة؛ لتعطي ثمرتها للآخرة في غير عناء ولا مشقة،كما أن قيام ليلة القدر يساوي عبادة عمر إنسان ممن كان قبلنا؛ وهو فضل من الله ومنة –يؤتيه من يشاء من عباده–

اغتنام عشرة ذي الحجة لاستدراك ما يفوت من الطاعات:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي**

---

[682]–صحيح البخاري، كتاب الصوم،باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا ونية. رقم الحديث: 1901.ص:344. و كتاب الإيمان، باب: قيام ليلة القدر من الإيمان، رقم حديث: 35.ص: 22، و كتاب فضل ليلة القدر ، باب فضل ليلة القدر، حديث: 2014.ص: 363، وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان ،حديث:175.(760).ص: 256.

[683]–صحيح مسلم،كتاب الطهارة، باب الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ، رقم الحديث:16،ص:118.

سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ" [684]؛فالاجتهاد في أنواع الطاعات في أيام العشر من ذي الحجة لفضلها،فهذه الأيام أقسم الله بها لأنها تصادف أيام الحج الأكبر،فجعل الله العمل فيها لا يعدله إلا بذل النفس والمال في سبيل الله تعالى،فلا يعود الإنسان بشيء منها،فالمداومة على العمل الصالح عشرة أيام متوالية يعد مدرسة لتنمية الشعور بالعلاقات الاجتماعية وواجباتها،ولذلك قال في نهاية الحديث عن الجهاد:" **فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ"** لأن عدم رجوعه يعني أنه قد مات على الخير؛ وهو التضحية بالنفس من أجل القيم والحق والخير للمجتمع.

اغتنام الأماكن المقدسة لاستدراك ما يفوت الإنسان من طاعات:

وبعض الأماكن المقدسة كذلك جعلها الله سبحانه وتعالى مصدر زيادة الأجر؛فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"** [685]،فالصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لها قيمة عظيمة،وتفضل على الصلاة في غيره من المساجد،لأنه ثالث الحرمين،التي وضع الله عليها من القداسة ما لم يضعها على غيرها من الأماكن،فكانت هذه المساجد بمثابتة محطات مكانية يتزود فيها المؤمن لرصيده الأخروي،ويغسل فيها من الذنوب مالا يستطيع غسله في غيرها من الأماكن،وهذا يؤكد دور اختيار البيئة الصالحة للمعايشة،سواء بيئته الكبرى كالوطن،أو بيئته الصغرى كالزوجة.

ونصل مما سبق إلى أنه سبحانه وتعالى جعل للإنسان محطات لاستدراك ما يفوته من طاعات، فتصقل النفوس خلالها،من أجل أن يستدرك له ما ينقص من عمره،وبذلك اعتبرت هذه المحطات مصدر أساس لمضاعفة الأجر في حياته،وكأننا به يزاد في عمره فيؤدي عباداته في سعة من أمره،وهو فضل من الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

[684]-سنن أبي داود،كتاب الصوم، باب في صوم العشر. رقم الحديث: 2438.ص:277. سنن الترمذي الجامع الصحيح، أبواب الجمعة، أبواب الصوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب ما جاء في العمل في أيام العشر، رقم الحديث: 757.ص:144. قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيب.وسنن ابن ماجه،كتاب الصيام، باب صيام العشر،رقم الحديث: 1727.ص:188. وصحيح ابن خزيمة،كتاب المناسك، جماع أبواب ذكر أفعال اختلف الناس في إباحته للمحرم،باب فضل العمل في عشر ذي الحجة، رقم الحديث: 2865. 464/4.ومسند أحمد بن حنبل،ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، رقم الحديث: 5446. ص:404. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل.296/10.

[685]-صحيح البخاري،كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة،باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.رقم الحديث: 1190. ص:221. وصحيح مسلم،كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، حديث:505.(1394).ص : 386_377.

الآداب التي حث عليها النبي صلى الله عليه وسلم هو التزام التوسط والاعتدال للأخذ بالعبادات،من أجل أن يحافظ الإنسان على توازنه في جانب حياة العبادة،والجانب الدنيوي فلا إفراط ولا تفريط.

وصلنا في نهاية هذا الفصل إلى أن للعبادات آدابا كثيرة على المؤمن أن يأخذ منها ما استطاع،ولعلنا نكون قد عالجنا منها بالدراسة والبحث بعض الجوانب، ونصل إلى نتائج نحسبها مهمة وهي:ضرورة الاستعانة بالله والتوكل عليه؛من أجل أداء الطاعات في أفضل صورها التي يرتضيها لنا المولى تبارك وتعالى،وعدم الغرور بالجهد في أدائها،والاعتقاد الجازم أن لله الفضل في التوفيق لأدائها،مع ضرورة تحري موافقتها لأصول الشرع وفروعه،والحذر من الابتداع في الطاعات مالم يأمر به الله سبحانه وتعالى؛ فندخل في الدين ما ليس منه، وعلينا أن نلتزام التوسط والاعتدال للأخذ بالطاعات، وعدم سلوك سبيلي الإفراط أو التفريط في آدائها.

الفصل الرابع

آداب المعاملات الفردية

الفصل الرابع:آداب المعاملات الفردية

توطئة:

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ: **"يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ،قَالَ:"قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ"**[686].

إن من الأساليب التي يحصل الإنسان بها العلم هو السؤال عنه، ويكون هذا السؤال زينة للمرء إذا كان لفظه جامعا مانعا،كما حصل من هذا الصحابي الجليل،والذي حدد من خلال سؤاله معلم حواري لتعليم من سيأتي من بعده من الناس،ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم دقيقا في توجيهه من خلال جوابه عن سؤاله،حيث ربط النبي صلى الله عليه وسلم . من خلال هذا الحديث الشريف . قوام المرء في المجتمع المسلم بأمرين أساسيين هما:

الأمر الأول:الإيمان بالله تعالى وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم بقوله:"**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ**"فالإيمان بالله رأس الأمر كله وبدونه لا يقوَّم الإنسان بالإنسانية البتة،فقد جعله الله تعالى السبيل الوحيد للنجاة من العذاب يوم القيامة، والإيمان بالله يعني:كل ما تحمله هذه الكلمة من أبعاد:تشريعية وذلك بالتسليم المطلق لما جاء من عنده جل شأنه.

الأمر الثاني:الاستقامة:وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم بقوله: " **فَاسْتَقِمْ**"ويعني به تقويم السلوك وفق ما أمر التشريع الإلهي الذي سلمنا بداية بوحدانيته وربوبيته،وبذلك يكون الإيمان بالله اعتقاد وجداني، والاستقامة هي تطبيق لهذا الإيمان في عالم الواقع؛أي على الإنسان أن يسعى بإيمانه إلى إصلاح سلوكه وفق المنهج الرباني، وهو الذي جاء في هذا الحديث بمعنى الاستقامة، وقد بين الله سبحانه وتعالى دور هذه الاستقامة في عاقبة الإنسان حيث قال جل شأنه: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)** [687] فجُعل الفلاح من نصيب من سعى إلى تزكية نفسه من خلال ترويضها على الاستقامة وفق الشرع الحكيم؛كنتيجة للتزكية الدؤوبة،وجُعلت الخيبة والخسران من نصيب من لم يعبأ بما بين جنبيه من إيمان؛فينزل دون مكانته البشرية،وهي نتيجة حتمية للكفر والإلحاد، والتغافل عن حقيقة هذه النفس،لأن إصلاح عقل الإنسان هو أساس إصلاح جميع خصاله، ويجيء بعده الاشتغال بإصلاح الأعمال،وعلى هذين الإصلاحين مدار قوانين المجتمع الإسلامي[688].

---

[686]-صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب جَامِعِ أَوْصَافِ الإِسْلاَمِ. رقم الحديث:38.ص:39.

[687]-سورة:الشمس،الآيات:9-10.

[688]-محمد الطاهر بن عاشور،أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،ص:45.الشركة التونسية للتوزيع.الدار العربية للكتاب.ت:1979.بتصرف

وللاستقامة وقع خاص في نفس الإنسان؛مما يجعل ظلالها تمتد إلى المجتمع،وبظهورها في سلوكات أفراد المجتمع الواحد الذين يسعون جاهدين إلى إبرازها فيما بينهم،وعادة المجتمع ينعت بالصفة البارزة في السواد الأعظم من أفراده:فإن كانوا صالحين ينعت بالصلاح، وإن كانوا غير ذلك نعت بما تواطئوا على سلوكه في حياتهم اليومية .

ف إذا أردنا أن نكون مجتمعا خيِّرا فلابد أن نكون أفرادا أخيارا قبل ذلك،إذ أنه لا يمكن أن يسعد فرد في مجتمع مهما كان خيِّرا في ذاته إذا كان هذا المجتمع فاسدا شقيا،ولا يمكن تكوين مجتمع سعيد من أشقياء أشرار،ومن ثم لابد من البدء بالفرد المسلم، وذلك بتكوينه إنسانا صالحا خيِّرا في نفسه نافعا لمجتمعه،ويكون ذلك بتكوين روح الخير في نفسه ونزع شأفة الشر منها،فينشأ من الصغر حتى يتأصل الخير في نفسه فيحبه ويعمل له،ويتأصل كرهه للرذائل والشرور في قرارة نفسه فينفر منها ويبتعد عنها،ولا يحصل ذلك إلا بتعلم العلوم النافعة والتربية على الأخلاق الشرعية والفضائل الإسلامية،لأنه الوسيلة الوحيدة لبناء العضو النافع في المجتمع [689] الذي يسعى في بنائه بداية من نفسه منتقلا إلى ما يحيط به، وذلك بتطبيق مبدأ الاستقامة في جميع سلوكاته الواقعية"لأن المجتمع ما هو إلا مجموع الأفراد، وأفراد المجتمع هم لبناته،ومن خلال بناء المجتمع تبنى الحضارة التي تحمل خصائص المجتمع،فيجب أن يتمثل المسلم المبادئ الأخلاقية ويلتزم بالعلم"[690].

هذا،وقد جاء هذا الفصل ليبين بعض الآداب التي يحسن بالمسلم التحلي بها في مجتمعه من خلال تفاعلاته الاجتماعية مع إخوانه،وذلك من خلال ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: التجمل بمكارم الأخلاق

المبحث الثاني:القيام بالالتزامات الاجتماعية

المبحث الثالث:السعي لتحقيق الاستقرار الاجتماعي

---

[689]-صالح بن غانم السدلان،الضرورة إلى العلم الشرعي، ص: 93.دار بلنسية للنشر والتوزيع.المملكة العربية السعودية-الرياض-ط: 1، 1419هـ-1998م. بتصرف

[690]-صالح بن غانم السدلان،الضرورة إلى العلم الشرعي، ص:95.

المبحث الأول:التجمل بمكارم الأخلاق

توطئة:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: **"إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا"**[691] لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حصول الخيرية في صاحب الأخلاق الحسنة،بحكم أن أخلاقه تكون لها ظلال على المجتمع الذي يعيش فيه،وتعود بالخير عليه وعلى من حوله.

هذا،وإن مكارم الأخلاق كثيرة بكثرة توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم ،لكن لا بأس أن نذكر ـ فيما يلي ـ نماذج منها حتى تكون للمؤمن أنموذجا لاستخلاص الآداب الشرعية من النصوص التشريعية فتكون هديه في الحياة، وذلك من أجل تحقيق الاستقامة المتوخاة من الإيمان بالله تعالى:ويكون ذلك بأمور عدة نذكر منها بعضها:

---

[691] –صحيح البخاري، كتاب الأدب،باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل. رقم الحديث: 6035ص:1110.وصحيح مسلم،كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم ، رقم حديث:68.(2321).ص:840 .

المطلب الأول:الاختيار الأمثل للجليس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **"الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ"**[692].بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف أثر التفاعل بين الأفراد،فأكد أن كل إنسان يتأثر بمن يحتك به . فردا أو جماعة . ثم نبه إلى ضرورة مراعاة هذا التأثر وذلك بالاختيار الأمثل للصحبة،بأن تكون أقرب في التكافؤ في معظم المبادئ والقيم والتي عبر عنها في هذا الحديث الشريف" **بالدين**" وكأن هذا التأثر أمر إلزامي بين الخلان، وقد أشار صلى الله عليه وسلم في حديث آخر لأصناف الخلان وبين دور كل صنف في حياة خليله فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ** [693] **وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"**[694].

لقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا النص الشريف إلى صنفين من الرفقة، ثم بين دور كل صنف في سلوك الفرد المرافق؛وفيما يلي تبيين لكل صنف على حدة كما أوضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف:

الصنف الأول:الرفقة الصالحة وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **"مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ"** وفي هذا تنبيه منه صلى الله عليه وسلم إلى ضرورة الاختيار الأمثل للرفقة الصالحة في الحياة،بسبب ما لهذا الاختيار من دور هام في تأثر المرء بسلوكيات تساعده على التكيف الاجتماعي، وقد بين صلى الله عليه وسلم دوره في حياة الفرد من خلال مثال حي يعيشه الإنسان فقال:**"فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً"** ويقول الإمام النووي متحدثا عن الفوائد المستشفة من الحديث:" وَفِيهِ فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب" [695] وقد سماهم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف بالجليس تعميما منه لضرورة الاختيار الأمثل لهذا الجليس، ومنه

---

[692]–سنن أبي داود،كتاب الأدب،باب من يؤمر أن يجالس رقم الحديث:4833ص:526. وسنن الترمذي الجامع الصحيح، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب، رقم الحديث:2378ص:39.واللفظ له . ومسند أحمد بن حنبل،ومن مسند بني هاشم، مسند أبي هريرة رضي الله عنه رقم الحديث:8417ص:597. والمستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب البر والصلة،وأما حديث عبد الله بن عمرو، 171/4. (تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح إن شاء الله). قال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد مسند الإمام أحمد بن حنبل.142/14.

[693]–**يُحْذِيَكَ**: يعني: يعطيك. تقول العرب: حذوته، وأحذيته: إذا أعطيته. ابن بطال، شرح صحيح البخارى. 446/5.

[694]– صحيح مسلم، البر والصلة والآداب، باب اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السَّوْءِ. رقم الحديث: 2628. ص:936.

[695]– النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،395/8.

فضل الاختيار الأمثل للمجالس، فالمرء يتأثر بجلسائه الصالحين تأثره من حامل المسك،ويتنوع هذا التأثر على حسب حاجة الجليس إلى جليسه فيكون:

- **التأثر بالمجالسة:**وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" **إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ**"[696]والحذاء هو الهبة، ويكون ذلك بحضور مجالسه فيأخذ من طيب كلامه وقيم توجيهاته، وكثيرا ما يحدث هذا عند مجالسة العلماء والصالحين.
- **التأثر بالحوار**:وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **"وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ "**[697] والابتياع هو الأخذ بمقابل؛ويشير بذلك إلى التأثر بالجليس الصالح من خلال محاورته في مختلف مواضيع الحياة عن طريق الأخذ والرد في الكلام فتنطبع ثمرة المجلس في سلوك الإنسان نتيجة الحوار البناء .
- **التأثر بالأخلاق:**وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:**"وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً"**[698] وهو إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى أن الجليس الصالح لا ينفك جليسه من النهل من أخلاقه؛ من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر، وخاصة في معاملاته التي تصطبغ بصبغة الشرع، فيكون لذلك أثر في حياة جليسه.

فعلى المسلم إذن أن يختار جلساءه من الصالحين الأخيار؛ الذين يربو بهم صالح عملهم، ويتقرب بمجالستهم إلى ربه،ويجد في حديثهم وتصرفاتهم صورة مشرقة لدينه[699] ودنياه.

الصنف الثاني:الرفقة السيئة وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " **مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ**"[700] فلقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم بجليس السوء؛ بسبب ما يصدر عنه من سوء، يقول الإمام النووي معلقا على هذا الحديث "... وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة"[701].

---

[696] –سبق تخريجه ص:188.

[697] –سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[698] –سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[699]–حسن أيوب،السلوك الاجتماعي في الإسلام: ص: 368. دار السلام للطباعة النشر و التوزيع لصاحبها عبد القادر محمود البكار.ط 1: 1422هـ- 2002م.بتصرف

[700] –سبق تخريجه ص: 188.

[701]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،395/8.

وهو ما أومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم من خلال تمثيله بنافخ الكير،فقال صلى الله عليه وسلم:"**وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**"[702] فإذن تأثير مجالس السوء لا تخلو من الأذى لصاحبها:

- **إما الاحتراق بنار المعصية** :وهو ما أومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم من خلال قوله: "**وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ** "[703] فاحتراق الثياب يكون نتيجة الاحتكاك الدائم له؛فاحتراق الثياب الساترة للجسم تمثيل عن احتراق الأخلاق الحسنة للمرء؛ والتي تكون ساترة لعرض الإنسان، بالأخلاق السيئة التي تكون كاشفة عن عرضه ليُتكلم فيه؛وهذا بسبب المعاصي التي يرتكبها فيؤدي به كل ذلك إلى الاحتراق بنار جهنم.
- **وإما الإصابة بالأذى المعنوي:** وهذا الأذى يحصل عندما تكون المجالسة غير دائمة؛إلا أن الجليس لا يتحاشى التعامل مع جليس السوء مما قد يسبب له أذى معنويا في الوسط الاجتماعي؛بسبب سوء سمعة جليسه،وكما أن كلامه صلى الله عليه وسلم قد يحمل معنى آخر وهو الاضطرار لمشاهدة المعصية دون محاولة التغيير نتيجة المجاملات الاجتماعية التي يعتادها الناس،وهو اختناق للفضيلة بريح المعصية المجهور بها دون رادع.

"ومن جرب مجالسة أهل الدنيا وأهل الغنى المادي، وأهل الكبر والمناصب وكان مؤمنا صالحا؛فإنه لابد وجد نفرة شديدة من مجالسهم، ووجد ظلمة تغشى تفكيرهم،وحديثهم،وفرَّ في النهاية من مجالسهم كما يفر السليم من الأجرب"[704].

فالتأثر الاجتماعي بين الأفراد حاصل بسبب التفاعلات الاجتماعية المختلفة التي يعيشها الناس، فكان إرشاد النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الاختيار الأمثل للجليس الصالح من أجل أن يتعاطى الناس مكارم الأخلاق فيما بينهم، فيتأثر كل فرد بأخيه مما يشكل في النهاية مجتمعا فاضلا؛ تنشر فيه الفضيلة، وتُستهجن فيه الرذيلة إذا ما ظهرت بين الناس فيقضى عليها في مهدها.

وعليه فإن من أهم الأسباب المعينة على التجمل بمكارم الأخلاق؛ هو الرفقة الصالحة التي تعين معاشرتها على اكتساب الأخلاق الإسلامية والتفاعل بها اجتماعيا؛ دون أي ضغط اجتماعي أو تحت اسم التمدن والتحضر؟

---

[702] –سبق تخريجه ص:188.

[703] –سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[704] –حسن أيوب،السلوك الاجتماعي في الإسلام: ص: 369.

المطلب الثاني:حسن المعاشرة مع الناس

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :**"أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَالَ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ قَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ"**[705].

إن هذه الزيارة من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل الجدال بالباطل .كما اعتادوا والدافع لهم هو الحقد والبغض عليه، وعلى رسالته الخاتمة؛ التي تعني نزع القيادة منهم ووضعها في هذا الدين الجديد،وعند دخولهم عليه . صلى الله عليه وسلم . دعوا عليه بالموت بقولهم السام عليكم والذي يعني الموت لك تعريضا منهم،وهذا راجع إلى تشابه حروف تحية الإسلام والتي هي السلام والتي تعني الأمان والسلم والمسالمة بكلمة السام،بحكم أن حروف الكلمتين متقاربة،ورغم ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم فهم كلامهم كما فهمته عائشة رضي الله عنها، لكن ردهما على هذه الكلمة كان مختلفا، حيث كان:

- **رد النبي صلى الله عليه وسلم:** كان بمثل ما قالوا تعريضا حيث قال: " **وعليكم**"أي وعليكم السام بمثل ما دعوتم،دون أن يفصل معنى قوله.
- **رد السيدة عائشة رضي الله عنها:** كان بمثل ما قالوا تصريحا مع المبالغة حيث قالت :**"عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ"** فلقد أضافت اللعنة عليهم والدعاء عليهم بغضب الله،فنهاها النبي صلى الله عليه عن هذا الرد العنيف الذي هو تقليد لمن أعميت أبصارهم وبصائرهم عن الحق،وأمرها بالرفق وعدم العنف والفحش في الرد، ونبهها إلى أن التصرف في مثل هذه المواقف يتطلب الحكمة والرزانة . رغم الإساءة العظيمة التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم . وحسن الإجابة حيث لا يلوث الإنسان لسانه وشخصه مع من تلوثوا بالسوء والفحشاء فقال:" **مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ**"، ثم نبهها لما لم تنتبه إليه وهو رده عليهم بمثل ما قالوا،فقال: **"أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ"** ويعني

---

[705]–صحيح البخاري، كتاب الأدب،باب لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم فاحشا ولا متفحشا، رقم الحديث: 6030ص:1109.و كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله ،رقم حديث:6024.ص: 1109، وكتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يستجاب لنا ، رقم حديث:6401،وصحيح مسلم،كتاب السلام،باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ، رقم حديث: 10.(2165). ص: 791.

بذلك طريقة رده عليهم حيث قال في رواية أخرى أوردها الإمام البخاري: **"وعليكم"**[706] أي وعليكم ما قلتم، بمعنى إذا انتم دعوتم علي بالموت فأنا أردها عليكم، لعلمي بمكركم،ثم نبهها إلى موقفه وموقفهم فقال صلى الله عليه وسلم: **"فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ"**[707] بمعنى أن دعاءهم لي بالموت لا يستجاب،في حين أن دعائي لهم بذلك مستجاب . بإذن الله تعالى .

وفي هذا كله توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ومن بعدها من الأمة الإسلامية؛للتعامل بالرفق حتى مع الأعداء؛ولو أرادوا سوءا تعريضا،وهو مما يساعد في استمالة قلوب الناس نحو هذا الدين الحنيف،وهو ما بينه حديث آخر عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ:" **مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ"** [708].فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم نصيب الإنسان من حصوله على الخير بالرفق،الذي يفقد الخير بسبب فقدانه. يقول الإمام النووي شارحا الحديث:"معناه يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب مالا يتأتى بغيره"[709].

فالمسلم الواعي الحصيف لا تنقصه اللباقة في تألف الناس ومداراتهم مع اتقاء شرهم وفحشهم،إن كانوا من السفهاء، فالمؤمن كيس فطن في تعاملاته الاجتماعية، فلا يحس أحد منه جفوة ولا يلمس فظاظة أو غلظة [710] حتى لو كان الذي يتعامل معه سيء الطبع فظ المنطق،لأن المسلم يستمد توجيهاته السلوكية من خلال الشريعة الإسلامية؛ التي تعمل على تهذيب وتشذيب أخلاقه النفسية والاجتماعية،وقد تمثلت تلك التوجيهات في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية منها والفعلية وكذا التقريرية.

---

[706]– صحيح البخاري ، كتاب الأدب،باب الرفق في الأمر كله، رقم الحديث:6030.ص:1109.

[707] –سبق تخريجه ص:192.

[708]–سنن الترمذي،كتاب البر والصلة، باب مَا جَاءَ فِي الرِّفْقِ،رقم الحديث: 2013. ص:335. (واللفظ له) ، قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَابِ عَنْ عَائِشَةَ وَجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي هُرَيْرَةَ. وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ومسند أحمد بن حنبل ، مسند الأنصار،من مسند القبائل، بقية حديث أبي الدرداء رضي الله عنه،رقم الحديث:25259. ص:1873. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل.153/42.

[709]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،362/8.

[710]–محمد علي الهاشمي،شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام،ص: 262.دار البشائر الإسلامية:للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت –لبنان– ط 7، 1417هـ-1997م. بتصرف

فأعظم المسلمين اقتداء به هم أولئك الذين ضاقت الهوة بين سلوكهم وبين مبادئ الإسلام وآدابه وتوجيهاته السامية[711] التي تعمل دائما وأبدا في إعادة صبغ الإنسان بصبغة خاصة ،تعجز بقية النظم البشرية على تحصيلها في البشر،وكل ذلك من أجل بناء مجتمع فاضل بعد أن شكلت الأفراد في قوالب خاصة على مستوى الروح والجسد معا مما "يدعو الإنسان إلى حسن إدراك صلته بالوجود ومكانه منه قبل كل شيء،فإذا بلغ من هذا الإدراك حد الإيمان دعاه إيمانه إلى إدامة تهذيب نفسه وتطهير فؤاده، وإلى تغذية قلبه وعقله بالمبادئ السامية والأنفة،والأخوة والمحبة والبر والتقوى"[712] فيحصل بناء اجتماعي سليم الأسس، مترابط اللبنات حيث يعمل الأفراد من منطلق رسالي،قد تشبع من منهل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا به يندمج في المجتمع مؤثرا فيه مما يحقق "التآلف بين الآحاد وعدم التنافر، فيكون الشخص ممن يألف ويؤلف وإن هذه صفة المؤمن، ولا يقوم البناء الاجتماعي إلا إذا كانت كل لبناته متآلفة، يتماسك بعضها ببعض"[713].

ومنه فإن حسن المعاشرة بين الناس باعتماد مبدأ الرفق في الوسط الاجتماعي؛ مما يجعها مكرمة من مكارم الأخلاق يتجمل بها الأفراد في مجتمعاتهم.

---

[711]-عبد الكريم بكار،مدخل إلى التنمية المتكاملة-رؤية إسلامية-ص: 203.دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت لبنان، ط 2. 1422هـ-2001م. بتصرف

[712]-علي عبد الحليم محمود،عالمية الدعوة الإسلامية،ص:129.

[713]-محمد بن أحمد أبو زهرة ،التكافل الاجتماعي في الإسلام،ص:9-10، دار الفكر العربي: القاهرة. مطبعة جديدة: 1991م.

المطلب الثالث: الصبر على أذية الناس

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" **قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَةً فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجْهَ اللَّهِ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ وَقَالَ رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**"[714].

إن المؤمن ينطلق من مبدأ الثقة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف لا وهو يبلغ عن المولى تبارك وتعالى،ونأخذ عنه هذا التبليغ دون تردد،هذا عما هو في عالم الغيب الذي يستحيل على البشر الوصول إلى فهمه بعقل ولا ظن،فكيف يتردد البشر ويتلكئون فيما يحكم به بين الخلق في عالم الشهادة،وهو ما تسرع به هذا الرجل فقال معلقا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفيء : "**وَاللَّهِ مَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ بِهَذَا وَجْهَ اللَّهِ**" وهو ما أدى إلى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تذكر ما كان بين موسى عليه السلام وقومه فصبر فكان عبرة له،ويكون لنا عبرة لنصبر على ما نلاقيه من أذى الناس.

وعليه فإنه ينبغي الاقتداء بالأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . في الصبر على الأذى ،مع احتساب الأجر على الله ، والعلم أن الزيادة في الدرجات يرتبط بالاحتساب ، بعد تكفير السيئات[715] .

---

[714] صحيح البخاري،كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب مَنْ أَخْبَرَ صَاحِبَهُ بِمَا يُقَالُ فِيهِ، رقم الحديث:6059،ص:1114.

[715] العثيمين، شرح رياض الصالحين،125/1.

المطلب الرابع:الاتسام بخلق التَّوَاضُعِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: **"مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ"**[716].

وجه الشاهد من الحديث الشريف هو قوله صلى الله عليه وسلم :**"وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ"** فالنبي صلى الله عليه وسلم أكد أن التواضع لله تعالى يزيد أهله رفعة،وهذه الرفعة الواردة في الحديث مطلقة غير مقيدة بزمان ولا مكان،وعليه فلعلها تحصل في الدنيا والآخرة عند ارتباطها بالاحتساب عند الله تعالى.

وقد جاء في معنى رفعه الله وجهان [717]:

- أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه.
- الثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا.

وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة بين الناس، وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة [718]، لكن إذا كانت الأغراض مرتبطة بالدنيا فإن الله واضعها ولو ارتفعت فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" **كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ وَكَانَتْ لَا تُسْبَقُ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالُوا سُبِقَتْ الْعَضْبَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ"**[719].

إن الله تعالى يضع كل شيء من الدنيا بعد رفعه فيها،وما تأثر الصحابة رضوان الله عليهم من موقف انهزام العضباء؛إلا لارتباطه بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجههم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مرتبط بشخصه البتة، وإنما هو من متاع الدنيا فقال :**"إِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْفَعَ شَيْئًا مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ"**، والوضع لا يكون إلا بعد الرفع.

وعليه فإن من مكارم الأخلاق التي يليق بالمؤمن الاتصاف بها خلق التواضع لوجه الله تعالى في الوسط الاجتماعي.

---

[716]– صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب،باب اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ. رقم الحديث:2588،ص:925.

[717]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،357/8. بتصرف

[718]– نفسه ،358/8.

[719]– صحيح البخاري،كِتَاب الرِّقَاقِ، بَاب التَّوَاضُعِ ، رقم الحديث: 6501.ص:1185. وكتاب الرقاق، باب التواضع، رقم حديث: 6501. ص: 1185.

المطلب الخامس:عدم المجاهرة بعيوب النفس

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :**"كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ"**[720].

لقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف طريق المعافاة في الأهل والمال والنفس،لكنه استثنى من ذلك أصحاب المجاهرة عن النفس والمال؛وهو ما يرفع المعافاة عنهم ويبقون عرضة للإصابة بالأذية، ثم ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثالا لهذه المجاهرة . والتي تتعدد صورها . عن المرء الذي يكون مستورا عند اقترافه للمعصية، ثم يكشف ستر الله عنه للناس بما عمل؛ وهو ما يتسبب له بالكثير من الأذية النفسية والاجتماعية. يقول الإمام العيني: "فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة فقد أغضب الله تعالى فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس منَّ الله عليه بستره إياه...والمعنى هنا عفا الله عنه"[721].

وللتستر على النفس مقاصد جليلة ومن أهمها؛ حماية المجتمع من انتشار الفواحش والرذائل حين يتهاون ضعفاء النفوس في تعاطيها فيما بينهم،ونشرها دون حياء ولا خوف فتنحل القيود المعنوية التي يفرضها المجتمع على أفراده.

وبمقدار ما تنطوي تلك النفوس على شوائبها ورعوناتها، يغدو أصحابها مجرد أداة للإفساد في الأرض ولإهلاك الحرث والنسل،والسعي وراء مصالحهم وأهوائهم النفسية مهما تحلت ظواهرهم بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة[722].

وبذلك يكون التستر على النفس من باب مكارم الأخلاق التي تزيد المؤمن زينة في مجتمعه، والتي تعمل بدورها في تنظيف المجتمع ذاته من الكثير من التجاوزات ولما"كان نهوض الإنسان بهذه المهمة،متوقفا على تسامي نفسه فوق ذاتها،وعلى تخلصها من عكر الآفات الأخلاقية،وسموم الكبر والأنانية،رسم الله لهذا المخلوق سبيل رياضة نفسية،ودورات تربوية تتكفل – إن هو أخذ نفسه بها –بتصفية نفسه من تلك الشوائب كلها،وتهيئة له للنهوض بواجبه المقدس

---

[720]– صحيح البخاري ،كتاب الأدب،باب ستر المؤمن على نفسه) ، رقم الحديث:6069. ص:1115.وصحيح مسلم،كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه ، رقم حديث:52.(2990).ص: 1054.

[721]– العيني،عمدة القاري ،132/22.

[722]–محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،ص:24. بتصرف

على أحسن وجه،وإنما تمثلت تلك السبل التربوية والرياضية بما قد ألزمه الله به من المبادئ الاعتقادية،وسلكه فيه من أنواع النسك والعبادات التهذيبية،والفضائل الأخلاقية" [723] ما لم تسلكه النظم الوضعية من قبل.

ونخلص إلى أن على المرء التجمل بالمكارم الأخلاقية كما عليه أن يترك نواقضها لأنها تعد من شوائب النفس ورعوناتها، ويمكن أن نجمل هنا بعض الأسباب المؤدية لذلك: كاختيار الجليس الصالح، وحسن المعاشرة مع الصبر على أذيتهم، والاتسام بخلق التواضع وعدم المجاهرة بعيوب النفس.

[723]-السابق ،ص: 25 -26.

المبحث الثاني:القيام بالالتزامات الاجتماعية

توطئة:

إن أخوة الإيمان ليست "شعارات ترفع،ولا تبجحا يقصد به الإعلان والدعاية، وإنما هي رابطة مقدسة لها التزاماتها وتكاليفها وحقوقها،يعرف هذا من آمن بالله واليوم الآخر حق الإيمان، وتمثل حقائق الإسلام حق التمثل، وإننا لنجد أثر هذا الإيمان وثمرة هذا التمثل في صنيع الأنصار الذين ضربوا المثل الأعلى في الحب والإيثار لإخوانهم المهاجرين حين قدموا عليهم مهاجرين بدينهم،لا يملكون شيئا،فقدم لهم الأنصار كل شيء" [724] واستطاعوا بذلك أن يرفعوا من المستوى المعيشي لإخوانهم مما مكنهم من الاندماج في المجتمع الجديد، الذي بدأ يبني نفسه من الأساس، حيث أعاد النبي صلى الله عليه وسلم صياغته من جديد،وبدأت تنبثق عنه مجتمعات صغيرة وكبيرة "شديدة التفاعل وتمارس حياة جديدة تختلف عن الأولى وتتفنن في ابتكار الوسائل، وكل ذلك يعود إلى الاتصالات المستمرة والتأثير المتبادل والانتفاع بالخيرات والتجارب التي توصل إليها أفراد الإنسانية خلال ممارستها للحياة" [725]،مما استلزم وضع التزامات اجتماعية تحفظ توازن العلاقة بين الأفراد.

ولهذا أناط الإسلام أفراد المجتمع المسلم بالتزامات اجتماعية مهمة؛ تعمل على تحقيق وحدة داخلية للمجتمع،نذكر فيما يلي بعضا منها:

---

[724]- محمد علي الهاشمي،شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام،ص:157.

[725]-إدريس خضير،التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث،ص: 146-147. موفم للنشر و التوزيع الجزائر. د ط 2003م.

المطلب الأول:العمل على توطيد العلاقات الاجتماعية

قال تعالى:(**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**) [726] إن الإسلام جعل بين أتباعه رابطة قوية ذابت فيها جميع الروابط الأخرى؛وهي رابطة الأخوة الدينية، فالمؤمن أخو المؤمن بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني، وقد حدد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة؛فضل الله على أمة الإسلام بهذه الرابطة الجياشة بالحب الدافعة إلى التآزر والتعاون ؛ فقد ذكر المؤمنين أنهم كانوا أعداء يقاتل بعضهم البعض فيسطوا بعضهم على بعض،ويزدري بعضهم بعضا، ويستضعف بعضهم بعضا، فجاء الإسلام بتعاليمه فآخى بينهم؛فهدم كل ما من شأنه أن يهدد العلاقة بين الناس، وجعل من هذه الأخوة الحبل الوريد في قيام المجتمع المسلم، وجعل السبيل الوحيد الذي سيساعدهم للحفاظ على هذه الأخوة هو الاعتصام بأصول التشريع، مع العمل على تحقيق الوحدة الداخلية والخارجية للأمة،وهو إماء منه جل شأنه إلى نبذ الفرقة.

فالإسلام لم يكتف بإبراز حقوق الإنسان الطبيعية،بل عنى كذلك بمبادئ اجتماعية قيمة: فنادى بالإخاء،لتكوين رابطة روحية سامية تجعل المجتمع عشيرة واحدة؛ يتعاون أفرادها في سبيل الخير، ودفع الشر، فكل عضو في المجتمع مسئول عن إخوانه، في دائرة اختصاصه، والفرد مسؤول عن الجماعة ،والجماعة مسئولة عن الفرد،ويتظافر الجميع فيما يعود بالنفع الفردي أو الجماعي، لأن الإسلام لا يعترف بالفروق المصطنعة،بل إن اختلاف الألسنة والألوان ليست إلا ءاية من آيات الله ومظهرا من مظاهر قدرته [727] في صناعة التكتلات الاجتماعية؛ والتي تعمل في مجموعها لتكون مجتمعا ما، تحكمه ضوابط وأسس تخدم الجميع، فيسعون للحفاظ عليها حماية منهم لمصالحهم الخاصة والعامة والتي تحافظ على وجودهم كمجتمع.

فالإنسان إذن يتمتع بغريزة فطرية أو شعور تلقائي يدفعه إلى تحقيق التجمع، والاستئناس بأخيه الإنسان الذي يشاركه في السراء والضراء، ويخفف عنه الألم عند وقوعه به،وذلك من أجل صيانة النوع البشري الذي أراد الله له الاستخلاف في الأرض؛ فيعمر به العالم بإبعاد الانقراض [728]

---

[726]–سورة:آل عمران،الآية:103.

[727]– لبيد إبراهيم أحمد، إبراهيم نمير سيف الدين ،عصر النبوة والخلافة الراشدة،ص: 221. مكتبة معارف للنشر و التوزيع ط 3. 1404هـ-1984م.بتصرف

[728]– إدريس خضير،التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث،ص:144. بتصرف

عنه، فمن أجل تكوين رابطة اجتماعية واسعة تحقق وظائفه المنوطة به؛ من أهمها عبادة الله تعالى في الأرض،جعل الله بين الناس آدابا شرعية بمثابة صمامات أمن لحفظ العلاقات الاجتماعية، من أن يتسرب إليها أي تحريش من الشيطان،حيث ألزم كل فرد في المجتمع بالتزامات إذا ما سهر على رعايتها فأدى واجباته وتلقى حقوقه،في إطار شرعي متزن ساعد على حفظ المركب متزنا طول رحلة الحياة.

وإن عدم الالتزام بالواجبات الاجتماعية التي تناط بالإنسان؛ قد يؤدي إلى تحلل عقد المجتمع مما يزعزع الاستقرار الاجتماعي .

هذا،ومن أجل توضيح بعض الالتزامات الاجتماعية التي تناط بالمسلم لتوطيد العلاقات الاجتماعية؛ نذكر على سبيل المثال ما يلي:

1-عدم الهجر بين المسلمين:

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**"[729].

لقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث الهجر بين المسلمين فقال:" **لا يحل**.." وقد حدد صلى الله عليه وسلم أقصى حد لهذا الهجر بثلاث ليال؛ والمعنى أن الحساب بينهم يبدأ من غروب الشمس وقد ربطها بالليل، كما يحتمل الليل أن يبيت المرء هاجرا أخاه لعله مات وتدينه بين أخيه مهاجرة ،ثم بين صفة المهاجرة حيث قال صلى الله عليه وسلم: "**يلتقيان**"وهذا اللقاء يكون في واقع التفاعلات الاجتماعية عادة، فيعرض كل منهما عن أخيه،ثم أكد أن الخيرية حاصلة في الذي يكسر هذا الهجر بالسلام، والخير هنا مطلق الأبعاد.

وإن الغيظ وقر ثقيل على النفس حين تكظمه،وشواظ يلفح القلب ويحقن الصدر بدخان الشر،ولكن حين تصفح النفس، ويعفو القلب، يكون الانطلاق من ذلك الوقر ليرفرف في آفاق النور، فيضفي البرد على القلب، والسلام في الضمير،وهذا هو الشعور بالإحسان، يحسه المسلم وهو يصفح ويعفو عن أخيه،لأن المسلم الحق في إقباله على أخيه صفوحا عفوا عنه لله تعالى،

---

[729]-صحيح البخاري ،كتاب الأدب،باب الهجرة، رقم الحديث: 6077.ص:1116. وكتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، رقم حديث:6237.ص: 1142، وكتاب الأدب،باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر،رقم حديث: 6065،وصحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر ، رقم حديث:23.(2559).ص: 917.

مبتغيا من لدنه العزة والرفعة التي ألمع إليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم [730] من خلال حديثه الشريف،فتكون أول مبادرة للصفح هي إلقاء السلام،فتحصل الخيرية في سليم الصدر منهما، والذي يعفو لله تعالى ويصفح إن كان مظلوما فتحصل به الخيرية بهذا السمو النفسي الذي يتمتع به،ويطلب العفو والصفح إن كان ظالما فيُحصل الخيرية لتواضعه وسعيه لتزكية نفسه،متمثلا قوله جل شأنه:(**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا**)[731] فنزغ الشيطان إذن يؤثر على العلاقات الاجتماعية بين بني آدم؛فلهذا أمر الله سبحانه وتعالى بالعفو والمغفرة؛ منبها عباده على كيد العدو الحقيقي للإنسان، فترقى بذلك العلاقة بين البشر بعيدا عن مكائد الشيطان اللعين، فيلتمس الأخ لأخيه الأعذار،ويتواضع الآخر مزكيا نفسه عن الكبر والتعجرف الذي لا يكون منه إلا الأذى للمؤمنين.

ويقول الإمام النووي:"وإنما عفي عنها في الثلاث؛لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك"[732] لتجدد الأحداث على النفس،فيتضاءل ذلك الغضب الذي يكون مستشريا بصاحبه في الأيام الثلاثة الأولى،إلى أن يتمكن الإنسان من إعادة إمساك زمام نفسه من جديد،فلا يترك لها مجالا للتعدي، بل يرغمها للعودة وإصلاح العلاقة الأخوية من جديد،وتتواصل الحياة صافية هنية.

وعليه فإن ترك الهجر من الأمور التي تسهم في توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس فلا تتراكم الضغائن في نفوس المؤمنين.

2-القيام بالزيارات الاجتماعية:

- **زيارة الإخوة في الله:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم:"**أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لي في هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لاَ غَيْرَ أَنِّى أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**" [733] فمحبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عنه، وإرادته له الخير وأن يفعل به فعل المحب من الخير، ففي هذا الحديث فضل المحبة في

---

[730]- محمد علي الهاشمي،شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام،ص:143. بتصرف

[731]سورة الإسراء،الآية:53.

[732]-النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،333/8.

[733]-صحيح مسلم ،البر والصلة والآدب،باب فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ. رقم الحديث:2567. ص:919.

الله تعالى وأنها سبب لحب الله تعالى العبد [734] ويتأكد مبدأ التحاب بين الإخوان بالزيارات، لأن لها طابع خاص في إطار تكوين العلاقات البشرية؛ولهذا نجد هذا الرجل الوارد ذكره في الحديث الشريف تجشم عناء السفر لزيارة أخ له في الدين، من أجل توطيد علاقته به لوجه الله تعالى،فرفعه جل شأنه بهذا الشعور الوجداني الذي دفعه إلى الانتقال لزيارة أخيه في الله، وجعله من المبشرين في الدنيا بحب الله تعالى، لحبه هو صاحبه لوجهه تعالى، وهذا كله من أجل تحقيق مقصد جليل؛وهو توطيد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد على أساس شرعي،لا تحكمه الأهواء ولا الأغراض الخاصة، فلهذا أرصد الله له الملك عليه السلام ليسأله قائلا:" **هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟**"[735] لأن وجود مقاصد دنيوية للزيارات الاجتماعية لا ترفع من أصحابها هذه الرفعة–رغم أن لها من الآثار الكثيرة على العلاقات الاجتماعية – وكأن هذه الأخوة في الله لها من الدوام والاستمرارية مالا يكون لبقية العلاقات الأخرى التي تنقضي بانقضاء غاياتها.

وغريزة التجمع في النوع الإنساني فطرية؛بحكم أن الإنسان ميال بطبيعته إلى الحياة الجماعية التي توفر له وسائل الحياة،وتضمن له البقاء،فالحياة أخذ وعطاء مشترك بين أفراد الإنسانية كلها،والمجتمع البشري تم بصفة تلقائية نتيجة لميل فطري مزود به كل فرد،وليست الرغبات الفردية أو الأغراض الشخصية هي التي كانت سببا في إيجاده، وإنما كانت ثمرة لذلك التجمع الذي نشأ تلقائيا،فالرغبات لا تبدو جلية إلا في الحياة الاجتماعية،أما الفرد وحده لا قيمة له في الحياة، لأن طاقته لا تستغل جيدا إلا ضمن التفاعل الاجتماعي والتعاون والتبادل المشترك بين الأفراد،وبهذا يستطيع كل فرد أن يفرض وجوده ويحصل على رغباته ويذلل الصعوبات التي تعترضه ويحقق أهدافه التي يطمح إليها [736] نتيجة مستجدات الحياة الاجتماعية من تحقيق للتنافس المحمود من أجل تطوير الحياة الخاصة والعامة، وفق معايير التطور التي تفرضها الاحتياجات البشرية في مختلف مناحي الحياة "فيجب على المسلم مراعاة تلك الأمور، والحفاظ عليها وعلى غيرها من الحقوق والعلاقات الأخرى التي تنبع عن مبدأ الأخوة الإيمانية، فيحقق بها الصدق في المعاملة والإحسان وحسن الجوار،والتكافل بكل أنواعه بين المسلمين" [737] كل ذلك كان انطلاقه مبدأ الأخوة في الله تعالى،والتي تعمل وفق ما أمر به جل شأنه، وتأنف العدول عنه إلى غيره من العلاقات، وعند

---

[734]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،8/(339-340). بتصرف

[735] –سبق تخريجه ص:202.

[736]– إدريس خضير،التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث،ص:148. بتصرف

[737]–عثمان جمعة ضميرة،منهج الإسلام في الحرب والسلم،ص: 45. مكتبة دار الأرقم للطباعة والنشر و التوزيع دوار الكرد. الكويت ط 1: 1402هـ- 1982م.

دراستنا للتاريخ الإسلامي نجد أن التكتلات البشرية أعادت تركيبها الهيكلي نتيجة اعتناقها للإسلام ،فصار الأب والأخ أعداء بسبب الكفر بالله،وصار العدو أخا نتيجة اعتناقه مبدأ التوحيد لله تعالى،بل وأعاد صياغة الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد: فعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:"**كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: "أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلَالًا"**[738]،بل وعد أي تحقير من إنسان لأخيه الإنسان من الجاهلية بمكان كما سيأتي بإذن الله تعالى، وهكذا تبلور المجتمع المسلم بلورة لم يشهد لها نظير في تاريخ البشرية من قبل ولا من بعد نتيجة اعتناق الإسلام.

فالإسلام بلا شك هو أعظم قوة مدنية عرفها العالم حيث أنقذ البشرية من التردي في هاوية الهمجية،وصاغ للمجتمع قواعد جديدة، وأهدى إلى العالم الفكرة، الجديدة التي لم يسبق إليها أحد من الأديان؛ والتي ترمي إلى إدماج الجنس البشري كله في عالم واحد،وقد بلغت هذه الفكرة العالمية الجديدة من القوة حدا جعلها تؤلف بين شعوب لم يكن بينها غير العداوة والشحناء منذ زمن بعيد[739]، وصارت يدا واحدة بناءة تعمل في شكل كتل بشرية؛ للإثراء الاجتماعي من جميع نواحيه لتحقيق حياة أفضل،تربط بينهم حقيقة واحدة وهي الأخوة في الله تعالى؛فأخوة "الإيمان هي الفكرة التي يحتضنها مجتمع الإسلام فتعطيه مقومات الشخصية الاجتماعية المستقلة، التي تجعله رائد البشر إلى طريق الله بعيدا عن أمراض النفوس وأهوائها، والقرآن يقدم هذه الفكرة طاهرة نقية ويرتفع بها إلى أفقها المشرق فيجعل الإيمان بالله أسمى عقيدة ينضوي تحت لوائها البشر جميعا، فإذا بها عميقة أصيلة ممتدة مع الزمن تحيط بالأولين والآخرين"[740] فتضرب في التاريخ البشري طولا وعرضا،لتعطي نموذجا بشريا فذا،يجعل حياته كلها لله تعالى.

وعليه فإن الزيارات الأخوية التي شرعها الإسلام بين أفراده؛هي من الالتزامات الاجتماعية الضرورية في المجتمع المسلم؛والتي تعمل على توطيد العلاقات الاجتماعية بين الأفراد؛ مما ينشئ لنا مجتمعا متماسكا مترابطا متحابا في الله تعالى.

---

[738]-صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنهما، رقم الحديث:3754ص:683.

[739]-علي عبد الحليم محمود،عالمية الدعوة الإسلامية،ص:125. بتصرف

[740]-عبد الفتاح عاشور،منهج القرآن في تربية المجتمع،ص:353-354.مكتبة الخانجي بمصر،ط1، 1399هـ-1979م.

- **عيادة المريض:**عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ :**"مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ" قِيلَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ قَالَ: "جَنَاهَا"**[741].

لقد ربط النبي صل الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف تمتع المؤمن بجني الجنة بزيارة المريض الذي تتوق نفسه لرؤية الناس بعد أن حبسه المرض عن لقائهم، ففي عيادتهم له إيناس من وحشة مرضه، الذي يؤثر سلبا على نفس الإنسان، فترتد هذه الزيارة بطابع طيب في نفس المريض،وكذا في نفوس أهله الذين يحسون بمشاركة إخوانهم في الشعور تجاه المريض؛ وهو ما يقوي الصلات الاجتماعية، ولعظيم الأثر لهذا الواجب جعل الله لصاحبه جني الجنة في الدنيا والآخرة، رضي عنه لصنيعه مع أخيه المريض؛يقول الإمام النووي لشرح معنى الحديث:"يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها"[742] وإكراما للمريض وزواره قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–:" **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي.قَالَ يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ"**[743] فبهذا الحديث الشريف تعهد الله تعالى بحفظ تلك العيادة للمؤمن يوم القيامة حتى تكون استزادة له في أجره مثبطة عنه من وزره.

وعليه نجد أن عيادة المريض من الواجبات الاجتماعية التي يساعد القيام بأدائها على توطيد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم.

- **إجابة الدعوة:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ–صلى الله عليه وسلم– قَالَ :**"شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ"** [744]، لقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن الامتناع عن إجابة الدعوة معصية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ بسبب ما يتركه هذا السلوك من تكافؤ الناس به في مثل هذه المناسبات،في حين هي من المناسبات التي شرعت من أجل اجتماع المسلمين والمشاركة في الخير، وكذا نشر الفضائل

---

[741]–صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآدب،باب فَضْلِ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ. ، رقم الحديث:2568ص:920.

[742]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،341/8.

[743]–صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، رقم الحديث:2569ص:920.

[744]– صحيح البخاري ،كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ، رقم حديث: 5177.ص: 974 ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح،باب الأَمْرِ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَى دَعْوَةٍ، رقم الحديث:1432ص:496.

بين الناس،مع تبادل المكتسبات المختلفة التي يحصلها الإنسان من خلال أيامه العادية، فتأتي هذه المناسبات للربط بين المدعويين في مختلف مناحي الحياة، والاهتداء إلى ما غاب عن البعض من الخبرات، وهو ما يؤدي بدوره إلى تفاعل اجتماعي فعال، الذي ينشأ عنه تماسكا اجتماعيا متينا، وفي هذا الأمر توجيه منه صلى الله عليه وسلم لأمته إلى الأخذ بمكارم الأخلاق، وفيها يقول الإمام العظيم آبادي: "وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَ أُمَّتَهُ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ البهية ونهاهم عن الشمائل الدنية، فإن عدم إجابة الدعوة من غير حصول المعذرة؛ يدل على تكبر النفس والرعونة وعدم الألفة والمحبة "[745] بين أفراد المجتمع مما قد يؤدي إلى زعزعة النظام الاجتماعي العام إذا تواطأ عليه الناس.

فالإسلام جاء لإيجاد مجتمع فاضل تتعاون فيه كل القوى،فيتواجد من خلال ذلك مظهر للمجتمع المسلم الفاضل، حيث يتعاون أفراده على الخير، كما يتعاونون على دفع الشر،وبذلك يكون المجتمع في مظهره العام بيئة صالحة لتترعرع في ظلها الفضيلة وتختفي من نورها الرذيلة [746] بسبب وحدة الجماعة الضيقة إلى أعلاها،ووحدة الصف بسبب اجتماع الكلمة بعد اجتماع القلوب والأجساد،مما يمكن الإسلام من "فرض وجوده وتكميل النقص الذي يعانيه في مسألة الدفاع والحصول على الأغراض"[747].

وحاصله إن إجابة الدعوة دعيمة من دعائم وحدة الصف، وجمع الشتات وتوحيد الجماعة المسلمة؛والتي تحصل بها قوة مانعة دافعة؛أمام ما قد ينتاب مجتمعاتها من اضطرابات،فعلى المؤمن القيام بهذا الالتزام الاجتماعي.

- **المبادرة إلى التعارف على المسلمين:**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :**"أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ:تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"**[748].

---

[745]– العظيم آبادي ،عون المعبود ،ص:1604.

[746]–محمد بن أحمد أبو زهرة ،التكافل الاجتماعي في الإسلام،ص:8، بتصرف

[747]–إدريس خضير،التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث،ص:142.

[748]–صحيح البخاري، كِتَاب الْإِيمَانِ، بَاب إِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنْ الْإِسْلَامِ، رقم الحديث: 12. ص:18. و كتاب الإيمان، باب : إفشاء السلام من الإسلام ، رقم حديث: 28.ص: 21 ، و كتاب الاستئذان، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ، رقم حديث: 6236.ص: 1142، وصحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام ، رقم حديث:63.(39).ص: 39.

وللعمل على توطيد العلاقات الاجتماعية بين الناس؛حدد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف أسلوبا حضاريا للتآلف بين الناس وجمع شملهم:وقد يتمثل في هذا الحديث الشريف من خلال أمرين فعالين وهما:

-إطعام الطعام :لأن في إطعام الطعام تأليف لقلوب المؤمنين -خاصة منهم الفقراء- فيتجلى خير الإسلام بين الناس،فيتهادى الناس ويتضايفون عند بعضهم البعض،لأن من عادة الطعام أن يجمع الأجساد فتجتمع القلوب، وتحفظ الجميل .

-إفشاء السلام: فهذا بدوره يقدر بساطة العبارة وهي " **السلام عليكم**" إلا أن دورها عظيم جليل:وخاصة إن كان هذا السلام مطلقا لكل الناس بحكم رابطة الأخوة بين المسلمين؛ أي للترابط العقدي الذي عقده الإسلام بينهم،وتكرار السلام بينهم من شأنه أن يكشف الغربة عن الفرد في وسط مجتمعه، فيتواصلوا معه في إطار أخوي،ولقد "أدرك النبي الكريم بثاقب نظرته التربوية التي استقاها من تأديب الله إياه، أنه لا يستل سخائم الحقد من الصدور، ولا ينتزع أدران التنافس والحسد من النفوس، إلا أخوة صادقة عالية، تسود حياة المسلمين،وتقوم على المحبة، والتواد، والتناصح، والألفة، والبشر، وينتفي منها الكيد والغل والحسد والتجهم والتباغض، ولذلك دعا إلى إفشاء السلام بين الإخوة،ليكون مفتاح القلوب للمحبة والتلاقي على الخير"[749].

فالمبادرة إلى التعارف بين المسلمين من الأساليب التي تزيل الغربة بينهم،مما يضفي على المجتمع المسلم صبغة خاصة تظللها الأخوة والشعور بالأمان.

- **الحرص على إكرام الناس:**

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :**"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ قَالَ وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"**[750].

---

[749]- محمد علي الهاشمي،شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام،ص:137-138.

[750]- صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره)، رقم الحديث: 6019 ص: 1108. وكتاب الأدب، باب إكرام الضيف، حديث: 6135. ص: 1125، وكتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث: 6475.ص: 1181، وكتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ،حديث:6376.ص:1181_1182،وصحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، حديث:73.(37). ص: 40 ، وكتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، حديث:14.(48).ص: 633.

لقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف إلى خلق جليل؛ وهو الحرص على إكرام الناس،وقد ربط صلى الله عليه وسلم هذا الحرص باستقرار الإيمان في القلب فقال :"**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** "[751]وهو ما يجعل الجوارح تصدقه بالعمل التطبيقي؛فقال مكررا لها في كل مرة :"**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** "[752]لأن خلق سخاء النفس وجودها لا يستطيعه إلا من كان موقنا أنه مدخر لما يدفعه للناس من خير، و قد ميز النبي صلى الله عليه وسلم بين صنفين من المِكْرومين:

-الصنف الأول:هو الجار : فقال صلى الله عليه وسلم: **"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ"**[753] وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بذكر الجار لأهميته ودوام صلته بالإنسان بحكم الجوار الذي تطول مدته،فالتفاعلات الاجتماعية اليومية بين الجيران قد تؤثر في النفس بسبب بعض التداخلات بين المصالح الخاصة ،فلهذا جعله النبي صلى الله عليه وسلم مرتبطا بالإيمان بالله تعالى، بعد أن قدمه على غيره من التفاعلات الاجتماعية الأخرى، فيكون بذلك الاهتمام الخاص الذي يعيشه الجيران فيما بينهم من الواجبات المناطة بالمسلم، تحقيقا منه للترابط الاجتماعي.

-الصنف الثاني وهو الضيف: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"** [754]،وقد والى هذا الصنف؛ الصنف الأول لأهميته أيضا، وضرورة تقديم الخير له، ولم يحدد في هذا الصنف نسبته للمضيف،المهم في الأمر أنه قصد البيت وطلب حق الضيافة،فجعل النبي صلى الله عليه وسلم المبادرة إلى تقديمها له من باب الإيمان بالله واليوم الآخر، من أجل الرفع من مستوى السخاء والجود في الوسط الاجتماعي؛ والذي يعمل بدوره على توطيد العلاقات الاجتماعية في المجتمع، والتي جعلها التشريع مناط التكليف لأفراده، من أجل تحقيق مقاصد يعجز العاد عن إحصائها.

فالتزام شريعة الإسلام تستوجب على المؤمن الإيمان الصادق إلى المبادرة في الحرص على إكرام الناس،القريب منهم والبعيد،وقد جعله الله تعالى خلقا متأصلا في الأنبياء والمرسلين عليهم

---

[751] -سبق تخريجه ص:207.

[752] -سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[753] -سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[754] -سبق تخريجه الصفحة نفسها.

السلام[755] وبقي سائرا في بعض المجتمعات البشرية إلى حين مجيء الإسلام،الذي وطد دعائمه حيث ربطه بالإيمان بالله تعالى، كما أجزل عليه الثواب العظيم.

الحرص على خلق الإكرام في الوسط الاجتماعي؛ هو من الواجبات الاجتماعية التي أنيطت بالفرد المسلم، كواجب اجتماعي أساسي، وجعله مرتبطا ارتباطا وثيقا بالله تعالى؛ من أجل الوصول إلى ترابط اجتماعي متين.

وبذلك نصل إلى أن القيام بالالتزامات الاجتماعية التي يقوم بها المسلم تجاه أخيه المسلم؛ من الأمور التي تساعد على توطيد العلاقات الاجتماعية العامة والخاصة.

[755]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،265/1. بتصرف

المطلب الثاني:رعاية المصالح العامة للمجتمع

عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :**"مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"**[756].

إن الله سبحانه وتعالى جعل للمجتمع البشري أسسا يقوم عليها؛ والتي وسمها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بحدود الله تعالى ،وهذه الحدود هي بمثابة صمامات أمن للمجتمع حتى لا يفقد توازنه نحو أحد طرفي الاتزان.

هذا،وقد حدد النبي صلى الله عليه و سلم صنفين من الناس، حيال الأخذ بحدود الله تعالى وهما :

الصنف الأول:الساهر على قيام حدود الله تعالى :وهو الذي عبر عنه النبي صلى الله وسلم في هذا الحديث الشريف بقوله:" **مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ**" والقائم لفظ استخلص من قيام المرء على قدميه، وهو دليل القوة والحزم والثبات على الشيء، وهنا هو الإنسان الساهر على أن تسير حدود الله تعالى كما أمر بها جل شأنه، بعد أن ألزم نفسه وذويه بها،وقد مثلهم صلى الله عليه وسلم بمن وقع سهمهم في أعلى السفينة؛بحكم أن الأعلى له من الامتيازات ما لا يكون لغيره؛سواء منهم الأعلى في الدين،أو الأعلى في المال؟ وقد مثل الله سبحانه وتعالى هذا العلو والرفعة في الدين والعلم بقوله جل شأنه: **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)**[757] فالله سبحانه وتعالى خص المؤمنين والذين أوتوا العلم عمن سواهم،بالرفعة والعلو بحكم ما لهم من الامتيازات الإيمانية في فهم الوجود،وفهم علاقة الإنسان به ،وهو مالا يحصل لغيرهم من الناس،ولهذا حثهم النبي الله صلى الله عليه وسلم للأخذ على أيدي المخطئين في فهم الوجود ،والذين يتخذون حياتهم عبثا و لهوا.

و بذلك كان الصنف الأول من الناس هم من أناطهم الله سبحانه وتعالى بمهمة ترشيد الأمم من الأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين الذين هداهم الله إلى صراطه المستقيم.

---

[756]–صحيح البخاري،كتاب الشركة،باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث:2493.ص:451.

[757]–سورة: المجادلة،الآية:11.

الصنف الثاني: بالواقع بحدود الله تعالى وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **"كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ..... وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا "**[758].

فمثل النبي صلى الله عليه وسلم هنا المتهاون في حدود الله تعالى العابث بها استهتارا وتجاهلا ،بالأحمق الذي يريد خرق السفينة من أجل استخراج الماء؛زعما منه أنه يتجنب بهذا العمل أذية من فوقه، متغافلا عن خطر هذا العمل على المركب ومن فيه، فكذلك حال المتجاهل لحدود الله تعالى والمدعي حريته في العمل، متناسيا ضبط نفسه بشرعة الله ومنهاجه، مما يسبب له الوقوع فيما حرم الله تعالى، لأنه لم يحترس في تعامله في هذا الوجود مع النعم التي أسبغت عليه، فحولها باستهتاره إلى نقم ، وقد صور لنا النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر لمثل موقفه أبلغ تصوير، فقال:" **الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"**[759] فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد في هذا الحديث الشريف على تحريم تعدي حدود الله تعالى ولو اقترابا منها،ويلزم الوقوف عند حدودها الخارجية، لأن الحوم حولها يؤدي إلى تجاوزها؛ وهو ما يوصل عادة إلى مالا يحمد عقباه، كمثل الذين أصابوا أسفل السفينة، فإذا خرقوا فيها خرقا، غرقوا وأغرقوا من معهم، فكذلك الظالمين إذا تركوا وما أرادوا أذوا أنفسهم والمجتمع من حولهم، وأشاعوا المنكر،بل ووطئوا الخطى على تجاوزه،ولهذا فرض الله تعالى على أولي النهى أن يحرصوا على بقاء التوازن الاجتماعي العام؛وذلك بإدامة المراقبة عن كثب لما يحصل في الوسط الاجتماعي على جميع الأصعدة، حتى لا يتجاسر على أسوار الفضيلة من تسول لهم أنفسهم العبث بحدود الله تعالى.

وهذا المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم هو من الأمثال التي لها مغزًى عظيم ومعنى عال في نفوس المعتبرين من أولي الألباب، فالناس في دين الله كالذين في سفينة في لجة البحر، تتقاذفهم الأمواج هنا وهناك، ولابد أن يكون بعضهم –إذا كانوا كثيرين– في الأسفل وبعضهم في أعلاها، حتى تتوازن حمولة السفينة وحتى لا يضيق بعضهم على بعض، وفيه أن هذه السفينة المشتركة بين هؤلاء القوم؛إذا أراد أحد منهم أن يخرقها فإنه لابد أن يمسكوا على يديه،وأن

---

[758] –سبق تخريجه ص:210.

[759] –صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث:52. ص:(25–26).

يأخذوا على يديه لينجوا جميعاً، فإن لم يفعلوا هلكوا جميعاً، هكذا دين الله وحال المجتمع، إذا أخذ العقلاء وأهل العلم والدين على أيدي الجهلاء والسفهاء نجوا جميعاً، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً.

وإن أي غض للطرف عن هذه الرقابة الاجتماعية؛ يحصل في الأمة تساوي في طبقات الجهال والعارفين سواء، وهو ما يحصل لدينا جماعة جهلاء الذين نفعتهم ويلات الجهل وبلاياه،أو لم يشعروا بالجهل البتة،لكن يبقى قسطاس العدل قائما؛فالأمة لن تفرض وجودها وكيانها كأمة وفرض سلطانها؛ إلا إذا كانت قائمة على تبعاتها،متصدرة لجميع مسؤولياتها [760] في هذا الوجود،وإلا لم تصنف كأمة في قائمة الأمم،وصنفت على أنها مجموعة شراذم من البشر تعيش بقانون الغاب،يسعى كل فرد فيها لتحقيق مصالحه الخاصة فحسب؛دون أي مراعاة لما يحيط به من مجتمع،وهذه الجماعة لا تلبث أن تضمحل،ويفني بعضها البعض عندما تتعارض مصالح الأفراد فيما بينهم.

وتحسبا لمثل هذه النهايات المؤلمة في المجتمعات البشرية حث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف أهل العلم والصلاح على الإرشاد الاجتماعي العام،مع حرصهم على احتواء المغلطين حتى يثوبوا لرشدهم،وهو تأكيد منه صلى الله عليه وسلم على ضرورة حفظ التوازن الاجتماعي العام برعاية المصالح العامة للمجتمع؛وما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا نوع من الرعاية الخاصة التي يوليها المشرع الحكيم للمجتمعات المسلمة،فعن أَبي سَعِيدٍ قال قال رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– : **"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ"** [761] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمن لحفظ التوازن الاجتماعي العام، بحكم أنه يعد رقابة اجتماعية من الأفراد لبعضهم البعض،وتغيير المنكر كما يتضح من هذا الحديث الشريف يكون على ثلاث مستويات،وذلك تبعا لنوع السلطات العامة في المجتمع، وليس لكل إنسان أن يأخذ بالمستويات الثلاثة،وإنما كل يأخذ بقدر استطاعته أو كما وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبذلك يكون الإرشاد الاجتماعي العام يمنع الضال عن شروره، ويسير الخيِّر في طريقه،وذلك بإرشاد الفضلاء فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة تتعاون على الخير ولا تتعاون على

---

[760]– عباس محمود العقاد،حقائق الإسلام وأباطيل خصومه،ص:119–120. منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت د ط ت. بتصرف

[761]–صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث:49ص:41.

شر قط[762] وتقف سدا منيعا أمام أي خلل يظهر في المجتمع المسلم،بواسطة الرقابة الاجتماعية من طرف أفراد المجتمع أنفسهم،والذين يشكلون فيما بينهم جيشا عرمرما حين وقوع الخلل.

يقول الإمام النووي: "وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَجْرَ عَلَى قَدْرِ النَّصَبِ وَلَا يُتَارِكُهُ أَيْضًا لِصَدَاقَتِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَمُدَاهَنَتِهِ وَطَلَبِ الْوَجَاهَةِ عِنْدَهُ وَدَوَامِ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْهِ فَإِنَّ صَدَاقَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ تُوجِبُ لَهُ حُرْمَةً وَحَقًّا وَمَنْ حَقِّهِ أَنْ يَنْصَحَهُ أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وان حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه"[763].

نخلص مما سبق إلى أن رعاية المصالح العامة للمجتمع؛من الالتزامات الاجتماعية المناطة بالمسلم،والتي تعمل على حفظ التوازن الاجتماعي العام،ولعلها ترقى إلى أن تكون فرض عين في بعض الأحيان.

---

[762]–محمد بن أحمد أبو زهرة ،التكافل الاجتماعي في الإسلام،ص:8. بتصرف

[763]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،271/1.

المطلب الثالث:تقديم الإعانات للمسلمين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ"**[764].

فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جاء ليبين عظم العلاقة الوجدانية بين المؤمنين؛ التي تتحرك تجاه بعضها البعض،ثم يجعل لهذا التحرك الوجداني اللاشعوري جزيل الثواب في الدنيا والآخرة، لأن هذا الشعور يتشكل نتيجة العلاقة الروحية بين المسلم وأخيه المسلم؛ بسبب الترابط الإيماني الواحد، والتشاكل العبادي الواحد في نفس كل مسلم على حدة،ثم تطفو على سطح العلاقات الاجتماعية عندما يحس بحاجة أخيه إليه لأن "كل العبادات الإسلامية تتجه إلى تهذيب ضمير المؤمن؛ ليكون متكافلا مع المجتمع الفاضل في غاياته الفاضلة،وإن وصايا النبي صلى الله عليه وسلم تتجه إلى تطهير قلب المؤمن؛ ليكون نور الإخلاص مضيئا له في سبيل النفع الاجتماعي"[765]. فلا يدخر جهدا في تقديم الإعانات لإخوانه،ولهذا نلاحظ في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الواقع التطبيقي –لهذا الشعور في الوجدان الخفي– بين أفراد المجتمع المسلم، منبها على جزاء الإعانات التي يقوم بها الأخ لأخيه في الله،وهي على التوالي:

1. **الإعانة النفسية:** و قد مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله: **"مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"**، والإعانة النفسية نستشفها من معنى لفظ كربة عند الإمام ابن رجب حيث يقول:"وهي الشِّدَّةُ العظيمة التي تُوقعُ صاحبَها في الكَرب، وتنفيسُها أن يُخفَّفَ عنه منها، مأخوذٌ مِنْ تنفيس الخناق، كأنه يُرخى له الخناق حتَّى يأخذ نفساً، والتفريجُ أعظمُ منْ ذلك،وهو أنْ يُزيلَ عنه الكُربةَ، فتنفرج عنه كربتُه، ويزول همُّه وغمُّه، فجزاءُ التَّنفيسِ التَّنفيسُ،وجزاءُ التَّفريجِ التَّفريجُ ،... إنَّ الكُرَبَ هي الشَّدائدُ العظيمة، وليس كلّ أحد يحصُلُ له ذلك في الدُّنيا، بخلاف الإعسار والعورات المحتاجة إلى الستر، فإنَّ أحداً لا يكادُ يخلو في الدُّنيا من ذلك، ولو بتعسُّر بعض الحاجات المهمَّة . وقيل : لأنَّ كُرَبَ

---

[764]– صحيح البخاري،كتاب المظالم والغصب، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه،حديث: 2442. ص: 441 ، و صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم – حديث: 58.(2579).ص: 923 ،و كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ،بَاب فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ،رقم الحديث: 2699،ص:958.وكتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، حديث:71.(2589).ص: 925.

[765]–محمد بن أحمد أبو زهرة ،التكافل الاجتماعي في ألإسلام،ص:15.

الدُّنيا بالنِّسبة إلى كُرَب الآخرة كَلاَ شيءٍ، فادَّخر الله جزاءَ تنفيسِ الكُرَبِ عندَه، لينفِّسَ به كُرَب الآخرة"[766]،وهذا راجع لعظم الكرب التي تضيق بنفس الإنسان،وتزلزل به الدنيا،ليجيء من إخوانه من يستطيع أن يرخي عنه خناق كربته،لتتخفف أو تزول،ويكون جزاؤها تنفيسا من كرب يوم القيامة من لدن الله تعالى،لأن التعاون "في المنهج الإسلامي قد لا يكون له تعلق البتة بالمصالح الشخصية، كما هذا المنهج قد يسمو بشخصية الفرد إلى مستوى الإيثار بأن يقدم مصلحة الغير على مصلحته الشخصية،بل حاجته الضرورية في رضا وحب ورحابة صدر"[767] دون انتظار جزاء ذلك من الإنسان،وإنما يتعلق المؤمن بجزاء ربه.

وبذلك تكون الإعانة النفسية للمؤمنين فيما بينهم من الالتزامات الاجتماعية المناطة بالمسلم.

2. **الإعانة المادية:** قال صلى الله عليه وسلم: "**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**"[768]،لقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم تيسير ضائقات المؤمن في الدنيا والآخرة بتيسيره على أخيه المسلم في ضائقته المالية.

والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال يكون بأحد أمرين[769]:

-إمّا بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجبٌ، كما قال تعالى:(**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**)[770].

-أو بالوضع عنه إن كان غريماً،وإلاّ فبإعطائه ما يزولُ به إعسارُه، وكلاهما له فضل عظيم.

فشعور المؤمن في مثل هذه الحالات هو شعور إيماني محض؛ حيث يرتفع بالإنسان عن ذاته،فيهون المال في وجه أخيه المعسر، فتسمو العلاقة الاجتماعية بهذه الإعانة إلى أفق الإيثار والحب في الله تعالى، ولا "يصبح هذا الهدف واقعا في المجتمع إلا إذا نزعت الأنانية والأثرة من النفوس،ليحل مكانها النزوع إلى الفضيلة،ومحبة الآخرين وإيثارهم على الذات وهذا لا يحصل إلا

---

[766]-ابن رجب ،جامع العلوم والحكم.قةسلا ص:364.

[767]-محمد السيد محمد الزعبلاوي،تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس،ص: 168.ملتزم الطبع و النشر والتوزيع مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ط3: 1417ه 1997م.

[768] سبق تخريجه ص:214.

[769]-ابن رجب ،جامع العلوم والحكم. ص:365. بتصرف

[770]- سورة البقرة،الآية:280.

إذا كانت الجماعة هدفا لما يغذي هذه النفوس ويحييها بهذا الخلق" [771] الجياش بالحب والتعاون والإخاء.

وبذلك تكون الإعانات المادية بين المسلمين من الالتزامات الاجتماعية الواجب تعاطيها بين أفراد المجتمع المسلم.

3. الإعانة الأخلاقية: وفي نفس سياق الإعانات ؛قال صلى الله عليه وسلم في الحديث السالف الذكر:"**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**"[772].

إن الإعانة الأخلاقية يمكن تضمينها ضمن الإعانة النفسية؛إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم خصها بالذكر،أو كرر ذكرها لأهمية القيام بها في الوسط الاجتماعي،لأن النفوس البشرية عادة تنتابها زلات في الحياة الدنيا، فحث الرسول صلى الله عليه وسلم على سترها عليهم، مما يمكنهم من استدراك أخطائهم في ستر الله تعالى،مع الحرص على حفظ نظافة المجتمع من تسرب مثل هذه التجاوزات، فلا تكون مطية سهلة لارتكابها على ضعفاء النفوس ممن تستهويهم الشياطين ببعض ما أنعم الله عليهم من نعم، فيحولونها بطيشهم إلى نقم عليهم، حينما يستعملونها فيما نهى الله عنه.

ولعظم الستر على المؤمن أجزل لها الجزاء يوم القيامة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :"**لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" [773]،فقد ربط النبي صلى الله عليه وسلم ستر العبد لأخيه بالدنيا بحكم أنها دار بلاء وامتحان،مما قد يؤدي ببعض الناس إلى الفشل في الامتحان،وجعل له مقابل ستر أخيه لرسوبه في امتحان الدنيا بأن يستر الله عليه زلاته بأن لا يفضحه أمام الخلائق يوم القيامة، وربما أدى هذا التستر إلى العفو الكلي عن الزلة وكأن العبد لم يعملها فلا يحاسب عليها، وأي خير أكبر من ستر الآخرة الذي تكون نتيجته الجنان.

---

[771]-أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي،المسؤولية الخلقية والجزاء عليها- دراسة مقارنة -ص:338-339. شركة الرياض للنشر والتوزيع. الرياض. مكتبة الرشد للنسر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. الرياض. ط1: 1417هـ-1996م.

[772] سبق تخريجه ص:214.

[773]-صحيح مسلم،كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ،بَاب بِشَارَةِ مَنْ سَتَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْبَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ،رقم الحديث 2590. ص:925.

فالمسؤولية الخلقية تجري"مجرى التشريع في الإسلام في استهداف هيمنة المعروف في المجتمع، وفشو الفضيلة فيه؛لذا تنيط المسلم أحكاما تجعل منه أداة فعالة في الأمر بالمعروف والدعوة إلى الفضيلة وإصلاح المجتمع"[774].

ولقد أسهم تطبيق الإعانات الأخلاقية "في المجتمع المسلم في إقرار النظام الخلقي وحفظ كرامة الإنسان،وحماية الفضائل،ومحاربة الرذيلة،وكان هذا كله ضمانا كافيا لحماية الجماعة المسلمة من الأهواء والشهوات، والقضاء على المفاسد في مكمنها قبل ظهورها وانتشارها" [775] وذلك بالستر والنصيحة والتوجيه،والإصلاح الداخلي للنفوس،فتعطى لها فرصة لاستدراك الأخطاء وتصحيح الزلات،وربما كانت فاتحة خير للمؤمن في الرجوع إلى ربه،رجوعا حسنا.

يكون تعاطي الإعانات الأخلاقية في الوسط الاجتماعي من الالتزامات الاجتماعية التي يحسن بالمسلم التزامها.

ونصل إلى أن الإسلام جعل بين المسلمين رابطة التعاون فيما بينهم على ثلاثة مستويات:النفسية منها والمادية والأخلاقية،وهي من الالتزامات الاجتماعية المشرعة في المجتمع المسلم.

نخلص في هذا المبحث إلى أن القيام بالالتزامات الاجتماعية المختلفة في المجتمع، هي من الآداب التي شرعها الإسلام بين أفراد مجتمعه، ليحقق به أهدافا وغايات جد عظيمة ليبقى المجتمع المسلم قائما ظاهرا بين الأمم.

---

[774]-أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي،المسؤولية الخلقية والجزاء عليها- دراسة مقارنة-ص:339-340.

[775]-نفسه ،ص:275.

المبحث الثالث:الحرص على الاستقرار الاجتماعي

توطئة:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **"الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"**[776].

لقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف المؤمن لأخيه المؤمن كالبنيان، ويعني بذلك أن البنيان إذا كان متماسكا متراصا شكل في النهاية معلما أثريا أو بناء يعبر عن معلم، فكذلك ألمح النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التمثيل إلى ضرورة التراص والتشابك بين المسلمين ليشكلوا في النهاية معلما حضاريا قياديا يهتدي به الناس؛فيحتمون في ظلاله من ظلمات الجهل والطغيان إلى نور الهدى والرشاد، فالتماسك هنا يعبر عن القوة، والتراص يعبر عن النظام؛فإذا اجتمعت القوة والنظام في الأمة كانت سدا منيعا لأبنائها –بل وللضعفاء من الناس في الأرض– من الضربات الخارجية وكذا من التصدعات الداخلية للمجتمع؛ فتكون كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[777]؛ فالمؤمن يشارك أخاه المؤمن،بل ويهتز له كما تهتز الجدران لبعضها البعض عند حدوث أي اهتزاز في أحد أطرافها [778]، فالعلاقة الحميمية التي زرعها الإسلام بين أفراده؛تحمل في طياتها أسمى معاني الإنسانية، حيث مثل النبي صلى الله عليه وسلم الأمة المسلمة المترامية الأطراف بالجسد الذي تتجمع أعضاؤه متقاربة متماسكة،فلا يحس مؤمنا بضيم أو أذى في أقصى أطراف الأمة؛ إلا أحس به أخوه في الطرف الآخر مع بقية الأطراف وناهض لأجله،وأعلى صوته مسندا له بسبب مصابه،وكأنه هاهنا قريب منه قرب الأعضاء الجسدية لبعضها البعض.

وعليه دل الحديثان الشريفان باجتماعهما على الترابط الحقيقي الموجود في أمة الإسلام، وهما:

---

[776]– صحيح البخاري،كتاب المظالم ،باب نصر المظلوم. ، رقم الحديث: 2446ص:442. و كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث:481.ص: 103، و كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، رقم حديث:6026.ص: 1109،وصحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم – حديث:65.(2585).ص: 924.

[777]– صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث: 6011 ،صحيح مسلم،البر والصلة والآداب،باب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، رقم الحديث:2586ص:924.

[778]–النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،356/8. بتصرف

-الترابط الوجداني: وهو ذلك الإحساس المرهف الذي يتمتع به كل مؤمن تجاه أخيه المؤمن، فيتحرك ويتألم،بل ويفرح لكل ما يلقاه أخاه في هذا الوجود.

-الترابط الجسدي والمادي : وهو الذي نراه مترجما في المجتمع المسلم في مناحي شتى؛وخاصة ذلك الترابط الظاهر في أداء الشعائر التعبدية المختلفة،فكل هذا التوحد في كيفية الأداء؛إنما يدل على وحدة القلوب أولا ثم ترجمة ذلك باللسان،وما الاجتماع على أداء العبادات إلا دليل ذلك.

واختلاف مظاهر الترابط في أداء العبادات متعددة؛فمرة يكون الترابط بوحدة الصف في الصلاة،ومرة يكون الترابط في تحقيق التكافل بأموال الزكاة، وأخرى في الالتحام في صفوف الجهاد،وإلى غير ذلك من الأمور التي تدل على الترابط الحقيقي الموجود بين أفراد المجتمع المسلم،وما كان للأجساد أن تترابط لولا ترابط القلوب المفعمة بالإيمان والأخوة في الله.

وفي الحديثين الشريفين تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه، فإن البناء لا يتم ولا تحصل فائدته إلا بأن يكون بعضه يمسك بعضاً ويقويه،وإن لم يكن ذلك انحلت أجزاؤه وخرب بناؤه، وكذا المؤمن لا يشتغل بأمر دنياه ودينه إلا بمعاونة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيام بكل مصالحه، وعن مقاومة مضادّه فحينئذٍ لا يتم له نظام دنيا ولا دين ويلحق بالهالكين، والذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف؛فالتراحم المراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر،والتوادد المراد به: التواصل الجالب للمحبة: كالتزاور والتهادي، والتعاطف المراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه،وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء،لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، فإذا أخل المرء بشيء من التكاليف شان ذلك الإخلال الأصل، وذلك الجسد أصل: كالشجر وأعضاؤه كالأغصان،فإذا اشتكى عضو من جسد اشتكت الأعضاء كلها بالاهتزاز والاضطراب[779]،مسندة ومعضدة للعضو المتضرر.

وبذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى معنى عظيم في ارتباط كل فرد بأمته ارتباط الجزء بكله،وهذا الارتباط يقتضي أمورا كثيرة منها ما جاء نصا هنا،ومنها مما يقتضيه التشبيه؛ ومن هذا أن الفرد منظور إليه في النظر الاجتماعي العام بما ينظر به إلى أمته،سواء أسواها في المستوى الذي هو فيه من رقي وانحطاط،أم كان أسمى منها أو أدنى،فقيمته في النظر الاجتماعي العام هي قيمتها؛

---

[779]-محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي الأشعري المكي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، 3/(3-4). دار الكتاب العربي .بيروت – لبنان . د.ط.ت. بتصرف

فالأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها؛لا تعد أمة بين الأمم، ولا ينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والاندحار، وأن الفرد الذي لا يحافظ على ذلك من أمته لتأخرها في سير الزمان بما أحاط بها من ظروف الحياة،وإن تحلى بأعظم وأحسن ما يتحلى به الراقون من أمة أخرى؛لا ينظر إليه إلا بالعين التي ينظر بها إلى أمته [780] مهما حاول هو البروز بمفرده، وكان حاذقا بعيدا عن أمته التي هو جزء منها،لأنه لا يمكنه أن ينفصل عنها مهما حاول ذلك، ولن تتبدل نظرة الأمم إليه.

هذا،ونظرا لحقيقة العلاقة بين أفراد أمة الإسلام —حاضرها وماضيها بل ومستقبلها- كان لزاما عليها أن تحافظ على هذه العلاقة -التي هي أسمى من علاقة النسب- فردا وجماعة، قائدا ومنقادا،امرأة ورجلا،من أجل القيادة العظمى التي أنيطت بها في هذه الأرض،لقوله جل شأنه : **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)** [781]

فالتوجيه العام للناس هو المسئولية الأولى المناطة بهذه الأمة؛بعد تحديدها لمقصد وجودها وهو عبادة الله تعالى وحده،وعليه يمكن تلخيص بعض آليات الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي العام في المجتمع المسلم—وهذا على سبيل المثال لا الحصر-وهو ما سنحاول بيانه من خلال ما يلي:

---

[780]-عبد الحميد بن باديس،مجالس التذكير من حديث البشير النذير،ص: 103-104.دار البعث للطباعة والنشر. قسنطينة (الجزائر) ط: 1 ،1403هـ-1983م. بتصرف

[781]- سورة آل عمران،الآية: 110.

المطلب الأول:السعي إلى الإتحاد و الوفاق الاجتماعي

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"لَا تَحَاسَدُوا**[782] **وَلَا تَنَاجَشُوا**[783] **وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا**[784] **وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**[785] **وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ**[786] **وَلَا يَحْقِرُهُ**[787] **التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ"**[788]

إن الإتحاد والوفاق بين المسلمين من ضرورات الحياة،لأن التخلق بالاتحاد يكسب الأمة اتجاها نحو صوب واحد في تدبير شؤون مجتمعها؛ فيبذل كل فرد منتهى ما عنده من الآراء والمساعي لنفع الجميع،كما يكسب أعمالها صفة الصلاح؛إذ يتعاون الجميع على ما يبدو لهم من تطلب الصلاح بالدراسة والتأمل؛ فلا يعدموا التوفيق إلى الرشد، ويدفع عنهم التخاذل والتخالف،مما يكسب شوكة الأمة هيبة في أعين العدو؛ حتى لا يطمع في ثُغرات الخلاف بين أفرادها،فيستدني بعضهم دون بعض ويستخدمه في خضد شوكة الجميع[789].

ومن أجل تحقيق الاتحاد في المجتمع، وضع النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الحديث الشريف أسسا للتفاعل الاجتماعي بين الأفراد حيث أكد على:

1-النهي عن الأذية بين المسلمين: وقد بينه قوله صلى الله عليه وسلم: **"لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ"** لأن مثل هذه الأذية الواردة في هذا الحديث الشريف من شأنها أن تزعزع علاقة الأفراد فيما بينهم، لكن غياب هذه التصرفات من الوسط الاجتماعي، من شأنه أن يستل سخيمة البغضاء والحقد من النفوس؛ فيصير مجتمعا

---

[782]- **الحَسَدُ**: أَنْ يرَى الرجُل لِأَخِيهِ نعْمة فيَتَمنَّى أَنْ تَزُولَ عَنْهُ وَتَكُونَ لَهُ دُونه. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 383/1.

[783]-**النجش**: أَن يُرِيد الْإِنْسَان أَن يَبِيع بياعة فتساومه بهَا بثمن كثير ليَنْظر إِلَيْك نَاظر فَيَقَّع فِيهَا بمعنى أن تزيد في ثمن سلعة ولا رغبة لك في شرائها. الجرجاني، التعريفات ،ص:259.والجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 61/5. بتصرف

[784]-**التَّدَابُر**: أَيْ لَا يُعْطِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَخَاه دُبُرَهُ وقفَاه فيُعْرض عَنْهُ ويهْجُره. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 97/2.

[785]-**البيع على بيع أخيه**:مثاله أن يقول لمن اشترى شيئا في مدة الخيار افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه ونحو ذلك وهذا حرام يحرم أيضا الشراء على شراء أخيه وهو أن يقول للبائع في مدة الخيار افسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن ونحو هذا". النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،376/5.

[786]- **خذل**: تَرْكُ الْإِغَاثَةِ والنُّصْرَةِ.. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 16/2.

[787] **الحَقْرُ**: حَقُرَ الرجُل إِذَا صَارَ حَقِيرًا:أي ذليلا.وهو من الاستصغار والإذلال. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر.312/1 . وابن منظور، لسان العرب،537/2.بتصرف

[788]-صحيح مسلم،كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ،بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ،رقم الحديث:2564. ص:918.

[789]-محمد الطاهر بن عاشور،أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،ص:135. بتصرف

أخويا، وهو المبدأ الذي حدده النبي صلى الله عليه وسلم بين المسلمين، لأن ترك الأذية بين المسلمين هو ما يساعد على الاتحاد والوفاق الاجتماعي.

2–تقرير مبدأ الأخوة بين المسلمين :وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم: **"وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ"** [790]؛فهذا التقرير الواضح لحقيقة العلاقة بين أفراد المجتمع المسلم؛يضفي عليها طابعا قدسيا،مما يضطر كل فرد توخي الحذر عند التعامل مع غيره من المسلمين،فيعتبر في علاقاته الاجتماعية ما يعتبره في علاقاته الأسرية،ويعمم مسعاه من أسرته إلى محيطه الاجتماعي، فيسقط مجتمعه من نفسه مسقط أسرته؛ فيحصل من النتائج الاجتماعية ما يحصله من الأسرة من وفاق واتحاد داخلي، فيحيى في مجتمعه آمنا مستقرا، من خلال التبادل المنفعي على جميع الأصعدة، لأن الإسلام جعل "رابطة دينه الحق مقدسة تصغر أمامها الروابط كلها ودعا الناس لأتباعه ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح حتى يستتب للمسلمين إقامة هذه الجامعة فلا تخترقها جامعة أخرى تثلمها" [791] من الروابط الأخرى كرابطة القبيلة أو اللغة أو غيرهما من الروابط، فعلى الأمة أن "تعرف مزية الوحدة فتكون متحدة متوافقة وتصبح كالجسد الواحد تراه عديد الأعضاء والمشاعر، ولكنه متحد الإحساس متحد العمل فإن الناس إذا كانوا سواء متحابين انتفت عنهم دخايل الفساد بينهم" [792]،وعم الوفاق والاتحاد.

وبهذا تكون الأخوة هي الرابط الحقيقي بين أفراد المجتمع المسلم.

3–ضرورة قيام كل فرد مسلم بحق العلاقة الأخوية: وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم: **"...لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ"**[793]، فبعد أن حدد النبي صلى الله عليه وسلم أسس التعامل بين المسلمين بتقرير مبدأ الأخوة بينهم، أمر بضرورة التزام كل فرد بواجباته تجاه أخاه؛ وقد تمثل هذا الواجب في أمور عظام :

- **الأمر الأول :النهى عن الظلم بشتى أنواعه** : وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم :**"لَا يَظْلِمُهُ"**[794] وهذا لما للظلم من عواقب وخيمة في الدنيا والآخرة؛فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ

---

[790]–سبق تخريجه ص : 220.

[791]– محمد الطاهر بن عاشور،أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ،ص:108.

[792]–نفسه:133.

[793]–سبق تخريجه ص : 220.

[794]–سبق تخريجه ص:221.

اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **"الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"** [795] فجعل الله سبحانه وتعالى الإنسان في ظلمات يوم القيامة؛ نتيجة ظلمه بغضه لطرفه عن حق أخيه المسلم في الدنيا،فكان أن أوقعه الله تعالى في ظلمات يوم القيامة.

فالواجب الأول الذي أنيط بالمسلم تجاه أخيه هو ترك التعامل بالظلم معه.

- **الأمر الثاني:النهى عن خذلان الأخ في الدين:** وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم:" **وَلَا يَخْذُلُهُ**"[796] والنهى المقصود عن خذلان المسلم عند حاجته المادية أو المعنوية،فألزم الشارع الحكيم على المسلم أن يعين أخاه المسلم ماديا ويسنده معنويا؛ فيكون له بمثابة الأخ في النسب؛ الذي يبذل من أجل نصرة ومواساة أخيه وذويه بالنفس والنفيس،يقول الإمام ابن عاشور:" لم تزل فكرة التآلف والتناصر تخامر عقول البشر،من عهد نشأته في هذه الأرض؛ من حيث ما في طبعه من اتساع المطمع؛وقلة المقدرة فلذلك كان بطبعه محتاجا إلى إسعاف بعضه بعضا؛بمكملات ما يعجز عن نواله من جلب الملائم ودفع المؤلم،وبذلك كان مدنيا بالطبع،أي محتاجا إلى التجمع والتحبب للتمكن من الاستنجاد عند احتياجه إلى النوال أو الدفاع"[797].

إن التناصر بين المسلمين من أهم أسباب تحقيق الوحدة الداخلية بينهم،بل وحمايتهم من الاعتداءات الخارجية عليهم.

- **الأمر الثالث:النهي عن الازدراء المعنوي والمادي بين المسلمين:** وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم :"...**وَلَا يَحْقِرُهُ**" [798] النهي عن احتقاره هو تنبيه عن التقليل من القيمة الاجتماعية للشخص؛وهذا كثيرا ما يحدث عند المقارنات المادية بين الناس أو عند عجز جسدي؛فيظهر الإنسان ازدراءه لأخيه المسلم،وهو ما شدد الله تعالى في النهي عنه في قوله جل شأنه :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**) [799] فالله جل شأنه يأمر

---

[795] -صحيح البخاري،كتاب المظالم،بَاب الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،، رقم الحديث:2447.ص:442.

[796] -سبق تخريجه ص:221.

[797] -محمد الطاهر بن عاشور،أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،ص:104.

[798] -سبق تخريجه ص : 221.

[799] -سورة: الحجرات،الآية:11.

المتسمين بالإيمان، أن يأتمروا بأمره في نهيه عن تعاطي الازدراء فيما بينهم،وقد بين أن أي ازدراء للأخ في الدين هو ازدراء للنفس فقال :(**وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ**)[800] تنبيها منه جل شأنه على خطورة هذا السلوك بين أفراد المجتمع،لأن التقليل من قيمة الأخ في الله هو تقليل لقيمة المجتمع المسلم كله،وقد برز ذلك جليا عندما وسم المعرض عن التوبة عن هذا السلوك بالظلم.

هذا،وإن دراسة "الحضارات توقفنا على حقيقة كبرى،وهي أن مصير الإنسان كان يتوقف دائما على أمرين:علاقته بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، والبعد الروحي الأخلاقي هو المركز والمحور في هاتين العلاقتين، وحين ينحط الإنسان يتحول عن عبادته لربه إلى عبادته لذاته وشهواته،وتسود علاقته بالآخرين القوة بدل الرحمة،والتعانف بدل التفاهم" [801]،ويتحول بذلك المجتمع البشري إلى مجتمع الغاب،فلا يعترف فيه إلا بقوانين وضعية مصطنعة لا تخدم إلا شريحة معينة من المجتمع،في حين تبقى بقية الشرائح مزدراة ومهمشة من طرف ممن فتح الله عليهم من فضله،وهو ما يشكل بعد ذلك صراعات واضطرابات داخلية، تؤدي بداهة إلى زعزعة النظام العام للمجتمع،فيتآكل المجتمع داخليا،من غير مسعف إلا الله تعالى.

إن الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع عامل مهم في تحقيق الوحدة الداخلية للمجتمع.

- **الأمر الرابع: ارتباط احترام العلاقة الأخوية بالإيمان بالله تعالى**:وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم:"**التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**"[802]، يقول الإمام ابن دقيق العيد: "معناه أن الأعمال الظاهرة لا تحصل التقوى، وإنما بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته، ونظر الله تعالى أي رؤيته محيطة بكل شيء"[803].

فقد ن به النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام إلى أمر جليل في حقيقة الالتزام بهذه الواجبات، وأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بتقوى الله تعالى،فيشير بذلك إلى ضرورة العناية الشديدة بها فردد ذلك:"**ثلاث مرات**"[804]،حثا منه صلى الله عليه وسلم لاستئصال هذا الخلق الذميم من

---

[800]- سورة الحجرات، الآية:11.

[801]-عبد الكريم بكار،مدخل إلى التنمية المتكاملة-رؤية إسلامية-ص:205.

[802] -سبق تخريجه:ص:221.

[803] -ابن دقيق العيد،شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص: 207. خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبيدة وليد بن محمد بن سلامة المصري السلفي.دار الآثار للنشر والتوزيع. ط1: 1426هـ-2005م.

[804] -سبق تخريجه:ص:221.

النفس؛ حتى يستطيع المسلم النهوض بهذه التكاليف الاجتماعية،ثم أكد صلى الله عليه وسلم على أن أعلى مراتب الشر هو أن يزدري المسلم أخاه المسلم قائلا: **"بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ"** [805]، ويقول ابن دقيق العيد أيضا:" تحذير عظيم من ذلك لأن الله تعالى لم يحقره إذ خلقه ورزقه؛ثم أحسن تقويم خلقه،وسخر ما في السموات وما في الأرض جميعاً لأجله،وإن كان له ولغيره فله من ذلك حصة،ثم إن الله سبحانه سماه مسلماً ومؤمناً وعبداً،وبلغ من أمره إلى أن جعل الرسول منه إليه محمداً صلى الله عليه وسلم،فمن حقر مسلماً من المسلمين، فقد حقر ما عظم الله عز وجل وكافيه ذلك" [806]، فظاهرة الاحتقار بين المسلمين قد تؤدي بتراكمها في النفوس إلى الاعتداء على دم المسلم وماله وعرضه، وقد جعل الله تعالى كل ذلك حراما بحرمة ذات المسلم؛ وهذا من أجل الوصول بالمجتمع إلى مجتمع الفضل والرقي .

فالاحترام المتبادل بين أفراد أمة الإسلام من شأنه أن يؤدي إلى الاتحاد والوفاق فيما بينهم.

وبذلك يكون قيام كل فرد مسلم بحق علاقة الأخوة من الأمور التي تساعد على الاتحاد والوفاق الاجتماعي.

ونصل مما سبق إلى أن الاتحاد والوفاق الاجتماعي يكون مسعى من مساعي الاستقرار الداخلي في المجتمع المسلم.

---

[805] –سبق تخريجه:ص:221.

[806] – ابن دقيق العيد،شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ص:207.

المطلب الثاني:إصلاح ذات بين المسلمين

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :**"أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا بَلَى قَالَ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ"**[807].

إن أركان الإسلام من الأمور العظيمة في التشريع الإسلامي، لأن لها أبعادا عقائدية واجتماعية ونفسية وأخلاقية عظيمة، استطاع الإسلام من خلالها جمع كلمة أقوام متناحرة ووحد بها صفوف أمم كانت متفرقة المشارب عبر أزمنة متقاربة ومتباعدة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم نبه في هذا الحديث الشريف إلى ما يفوق عظمة آثار هذه الطاعات،وقد حصرها صلى الله عليه وسلم في صلاح ذات بين المسلمين؛بسبب ما يؤول به فساد ذات البين إلى شتات ما جمع في دهور، والتفرق بعد التوحد من خلال أجيال، فأكد أنها تنزع من صاحبها كل معاني النزعات الدينية التي تربط المسلم بربه جل وعلا، فقال صلى الله عليه وسلم: **"هِيَ الْحَالِقَةُ"**،وقد جاءت زيادة في رواية أخرى للإمام الترمذي لتؤكد أنها تحلق الدين كله فقال صلى الله عليه وسلم:" **هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ"** [808] والمقصود بالدين هنا هو كل ما جاء به الإسلام،فنبه صلى الله عليه و سلم إلى خطر هذا الفساد الذي يأتي على إفساد منتجات الأمة خلال أجيال متعاقبة،وهو ما أشار إليه جل شأنه في قوله تعالى:(**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)** [809]فالريح هنا تعبر عن القوة؛ والإمام ابن عاشور معبرا عن ذهابها قائلا: "وذهاب الريح جعل مثلا للانهزام والانخذال تجاه العدو" [810] فالقوى إذا كانت متساوية،بحكم الإيمان بالله تعالى،وكانت في اتجاهين متعاكسين؛ تآكلت فيما بينها إلى أن تضمحل،وتذوب بسبب جسارة عناصرها المتضادة،في حين إذا اتحدت وأخذت

---

[807]- سنن أبي داود،كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، رقم الحديث: 4919ص:533. سنن الترمذي الجامع الصحيح،أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه -باب، رقم الحديث: 2509. ص:408 (اللفظ له) (قال أبو عيسى هذا حديث صحيح ويروى عن النبي صلى الله عليه و سلم هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين، وتنوير الحوالك على موطأ مالك، كتاب حسن الخلق ، باب مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الْخُلُقِ،ص: 652.ومسند أحمد بن حنبل،مسند الأنصار، من مسند القبائل، من حديث أبي الدرداء عويمر،رقم الحديث:27508. ص:2043.والأدب المفرد للبخاري،باب إصلاح ذات البين رقم الحديث: 404، 519/1. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل.500/45.

[808]-سنن الترمذي الجامع الصحيح،أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه - باب، رقم الحديث: 2509. ص:408 (قال أبو عيسى هذا حديث صحيح ويروى عن النبي صلى الله عليه و سلم هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين،قال الشيخ الألباني: حديث حسن. الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 4/1.

[809]- سورة الأنفال،الآية:46.

[810]محمد الطاهر بن عاشور،أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،ص:135.

اتجاها واحدا ضد أعداء الله فإنها تشكل فيما بينها ما لا يشكله الجيش العرمرم،وهو ما عبر عنه تعالى بقوله جل شأنه:(**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**) [811]، فهذه الغلبة تحصل بسبب معية الله تعالى،في حين أن القوتين المتساويتين المتضادتين،فإنهما تتركان لنواميس الطبيعة مما يجعل فناؤهما أكيدا؛ لغياب التأييد الإلهي لكلا الطرفين،فيصير **"الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ"**[812] أو كما قَالَ صلى الله عليه وسلم، وهو الحكم الإلهي الصارم بسبب حلق الدين في مثل هذه المواقف، وذهاب الأثر الذي أنيطت الأمة عند تشريعه فيها بداية، فما يبقى من الدين إلا الحركات والسكنات؛ التي لا تشكل شيئا في ميزان الشرع، كما لم تشكل شيئا في مصير المنافق الذي يظهرها ويخفي كفرا في نفسه،ولهذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يذكر ويشدد دائما على ابتغاء الصلاح؛الذي يعمل دائما وأبدا على بناء صرح أمة التوحيد،مهما كانت النقائص التي تعتريه في جانب من جوانبه،والله سبحانه وتعالى "ما شرع شيئا من العبادات التي أمر بها؛إلا إيقاظا للرقابة الإلهية في كيان الإنسان كي تحجزه عن مطامح الظلم والأذية للآخرين"[813].مما يشكل اضطرابا اجتماعيا خطيرا،قال صاحب كتاب تحفة الأحوذي حاكيا عن ظلال كلمة حالقة: "فِي النِّهَايَةِ الْحَالِقَةُ الْخَصْلَةُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْلِقَ أَيْ تُهْلِكَ وَتَسْتَأْصِلَ الدِّينَ كَمَا يَسْتَأْصِلُ الْمُوسَى الشَّعْرَ وَقِيلَ هِيَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ وَالتَّظَالُمُ،...فِيهِ حَثٌّ وَتَرْغِيبٌ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَاجْتِنَابٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِيهَا لِأَنَّ الْإِصْلَاحَ سَبَبٌ لِلِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ ثُلْمَةٌ فِي الدِّينِ فَمَنْ تَعَاطَى إِصْلَاحَهَا وَرَفَعَ فَسَادَهَا نَالَ دَرَجَةً فَوْقَ مَا يَنَالُهُ الصَّائِمُ الْقَائِمُ الْمُشْتَغِلُ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِهِ" [814] لأن فيه استقرار عام للناس جميعا،كما يستقر المرء في عبادته لربه.

وإصلاح ذات بين المسلمين يقوم على عدة دعائم نذكر منها:

---

[811]- سورة البقرة، الآية:249.

[812]-صحيح مسلم،كتاب القسامة،باب صِحَّةِ الإِقْرَارِ بِالْقَتْلِ وَتَمْكِينِ وَلِيِّ الْقَتِيلِ مِنَ الْقِصَاصِ وَاسْتِحْبَابِ طَلَبِ الْعَفْوِ مِنْهُ،رقم الحديث: 1680. ص:614. صحيح مسلم،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما - حديث:14.(2888).ص: 1020.

[813]-محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،ص:27.

[814]- المباركفوري، تحفة الأحوذي ،1943/2.

1. **السعي لتحقيق الألفة بين المسلمين** :عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :"**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ** "[815].

إن الألفة بين المسلمين قائمة قيام أصول التشريع الإسلامي بينهم، لكن تعتري هذه العلاقة الأخوية بعض المنغصات الاجتماعية والنفسية بسبب ما يحدث من منازعات يزرعها الشيطان بين بني آدم على الدنيا، فالشيطان –عليه لعنة الله وملائكته أجمعين– قد سلطة الاستعباد للبشرية في مجموعها –رغم وجود بعض الديانات الإلحادية المتناثرة هنا وهناك– فيرضى– كما أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف– أن يستخدم الهوى وحب الدنيا في نفس البشر؛ ليوقع بينهم العداوة والبغضاء،فوضع النبي صلى الله عليه وسلم أسسا وقائية لحماية الجماعة المسلمة من شراكه،وذلك بتنبيه المسلم إلى أهم باب يدخل به الشيطان إلى نفسه وهو الظن فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا** "[816]؛ وإياكم هنا للتحذير من خطر ما يعقب الأمر الذي عبر عنه اللفظ، ثم نبه النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن الخطر يكمن في أن"الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ" فهو أعلى مستويات الكذب خاصة إذا ترجم هذا الظن باللسان،فسيرفع إلى أعلى مستويات الكذب وهو تنفير من هذا السلوك المستهجن،والذي يؤدي التسليم له إلى أمر أشد خطورة منه؛ وهو التجسس والتحسس فيجعل الإنسان عبدا لظنونه الشيطانية،فيتتبع عورات الناس وعثراتهم عن كثب مما يشغله عن نفسه،وعن الكثير من مصالحه الدنيوية والأخروية،وهذا السلوك يطلع الإنسان عن دقائق وتفصيلات حياة الناس،مما قد يؤدي إلى الحسد الذي يبدأ معه الاضطراب الاجتماعي في التعامل،وذلك بالمقاطعة والبغض؛مما قد يكون سببا في التحالف مع أعداء الإسلام؛نتيجة هذه المقاطعة وهذا البغض من أجل الانتقام، وحب أذية المسلم الذي هو أخ في الله، وله من الحقوق ما غفل عنه المستعبد من الشيطان الرجيم .

---

[815]–صحيح مسلم،كتاب صفة المنافقين وأحكامهم،باب تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا،رقم الحديث:2812. ص:1000. و صفة المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان، رقم حديث: 2813. ص:1000.

[816]–صحيح البخاري،كتاب الأدب،باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث:6064.ص:1115.

والإسلام جاء لتوحيد "كلمة المسلمين وجمع صفوفهم المبعثرة تحت راية واحدة،فهو يدعو إلى الوحدة الفكرية،والوحدة المنهجية،والوحدة الحركية،وأعداء الإسلام يعلمون خطورة هذه الوحدة على أهدافها ومطامعها،لذا فهم يجهدون أنفسهم ليل نهار من أجل تفرقة الأمة الإسلامية الواحدة في أحزاب وجماعات وعناصر وفئات" [817] وشيع؛ كل يسعى ليُعلي مبتغاه،ناسيا أن خصمه هو أخاه. وقد علم أن المولى عز وجل نهى "المسلمين أن يختلفوا – لأن ذلك يقود إلى الصراع ،وفي أتون الصراع يعذب المسلمون بعضهم بعضا، ويذيق بعضهم بأس بعض،إن الحرية واجب وفريضة في الإسلام، ولكن الحرية تستوجب المسئولية وضبط النفس والقيام بالواجبات،ولا تعنى الحرية التخريب والتشتت والتشرذم، فالمؤمنون أمة واحدة،تتبع كتابا واحدا وتدين بملة واحدة وشريعة عصماء، ليلها كنهارها لا يضل عنها إلا هالك،هي إذن حرية في إطار الشريعة وفى إطار الهدف القرآني،وليست حرية سائبة بلا شروط أو قيود، هي حرية الالتزام بالقيم وبالحلال والحرام كما جاء بيانه في الكتاب الحكيم"[818].فأصل الناس واحد ودينهم واحد.

قال تعالى :(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) [819].فلما "كانت هذه الجامعة جامعة فطرية؛ لم يكن من شأن الناس أن يختلفوا فيها،وكانت خليقة بأن تكون سبب اجتماع لا سبب تفريق،وأصبحت الجوامع الأخرى بالنسبة إليها جوامع فرعية؛يقتصر عملها على أن تيسر لأصحابها التعارف والتكاتف والتداعي إلى الانضمام إلى الجامعة الكبرى؛حتى ينضم الجميع في النهاية إلى الجامعة الكبرى؛ كما يمد بعض الأودية بعضا حتى ترعوي إلى النهر العظيم،فيظهر لك معنى قوله تعالى:(..**لتعارفوا**..)فيلوح لك معنى هذا التعليل الذي لم يفصح عنه المفسرون إفصاحا تاما، إذ يجيش للسامع أن يقول أن التعارف يكون في حالة عدم التشعب الآكد وأظهر،فكيف جُعل التشعب علة للتعارف،فنقول له إن الآية تلوح إلى أغلاط البشر إذ جعلوا أواصر الشعب وأواصر القبيلة أسبابا للتخالف والتفرق والتقاتل. رام الإسلام أن يصير بالناس إلى أن يكونوا أمة

---

[817]– ثائر إبراهيم خضير الشحري،الوسطية في العقيدة الإسلامية،ص82-83. منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1: 1426هـ- 2005م .

[817]–زكريا بشير إمام، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم –القضايا والنظريات- (دراسة تحليلية). ص203. مكتبة روائع مجدلاوي. عمان. المملكة الأردونية الهاشمية.ط1: 1420هـ-2000م.

[818]–نفسه،ص203.

[819] –سورة الحجرات،الآية:13.

واحدة كما أنشأهم الله تعالى،فكان ذلك شهادة له بأنه دين الفطرة وأنه الراجع بالناس إلى أصل فطرتهم ووحدتهم"[820].

إن السعي لتحقيق الألفة بين المسلمين وسيلة من وسائل إصلاح ذات بين المسلمين، والذي بدوره يؤدي إلى الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي العام.

2-الأخذ بمبدأ التناصح بين المسلمين:عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" **الدِّينُ النَّصِيحَةُ"قُلْنَا لِمَنْ قَالَ:"لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**"[821] وقد شرح الإمام النووي الحديث بقوله: "النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه؛ فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من لاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب، وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط، قال: ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة... نصيحة عامة المسلمين، وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم؛ فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل،وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص،والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة،وترك غشهم وحسدهم،وأن يحب لهم ما يجب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه"[822].

هذا، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم -من خلال ه ذا الحديث الشريف- أسلوبا حضاريا لتحقيق صلاح ذات البين في المجتمع المسلم،وذلك بفتح باب المناصحة بينهم في جميع مجالات الحياة الإسلامية العلمية منها والدينية والدنيوية،من أجل أن يستقيم أمرهم وتقل عثراتهم،ويكون المسلم بذلك عونا لأخيه في إصلاح نفسه،في غير فضيحة ولا شماتة، وإنما بالنصيحة والحوار الأخوي، وفي إطار ديني؛يحفظ به المؤمن مودة أخيه في الله؛ فيستحق بذلك ألفة اجتماعية، تنزع من النفوس المؤمنة سخائم الحقد وظن السوء والمحاربة النفسية.

فالسعي لتحقيق الوحدة الداخلية للمسلمين يبدأ بالتناصح والتزام حدود الشرع في التفاعل الاجتماعي،فلا يطلق المسلم على أخيه المسلم كلامه بغير بنية،وإنما ينصحه ويسمع من أخيه

---

[820]-محمد الطاهر بن عاشور،أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،ص:108-109.

[821]-صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ. رقم الحديث:55. ص:43.

[822]-النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ،1/(284-285).

حجته،ولهذا أجمل النبي صلى الله عليه وسلم جميع أحكام الدين في النصيحة؛ بحكم ما تقوم به من تقييم الاعوجاج، والتزويد بما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم،ولكن إذا تحولت النصيحة إلى تتبع عورات الناس،وكشف عثراتهم أمام بعضهم البعض،فيبدأ التراشق بالعيوب في الوسط الاجتماعي، فإن الموضوع يتحول إلى غير مقصده،فيصير بذلك ضربا في الأعراض مما يهون انتهاكها بل ربما دفع الغلو في ذلك إلى استحلال دماء المؤمنين بغير بينة أو حجة،لأنه لم يتثبت مما قال ولم يحفظ لسانه عن أعراض المسلم الذي" **دمه وماله وعرضه**"[823]حرام بحرمة الإسلام،فلا تنتهك لمجرد أنه تشيع لفرقة ما، أو قال ما لا يهوى غيره، والرسول صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:"**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ**" [824]،وهذا حصانة للمسلم في أمة الإسلام له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم وحسابه بعد ذلك على الله؛فغيب القلوب لا يعلمها إلا الله تعالى،ومن تحصن بذلك فقد أعطي الأمان من الله ورسوله،والويل بعد ذلك لمن خفر الله في ذمته،فلا يحق للناس أن ينصّبوا أنفسهم أربابا على الناس،يحاسبونهم في كل ما يفعلون ويذرون.

"ومن هنا ندرك خطورة ما يقع فيه كثير من المتمسلمين الحمقى المغرورين من تكفيرهم لكل المسلمين والعلماء العاملين، وتنصيب أنفسهم آلهة في الأرض يحكمون على الناس بأهوائهم وجهالاتهم أحكاما تنفر المسلمين منهم، وتنفر الناس من إسلامهم وأشكالهم وأخلاقهم"[825].

التناصح بين المسلمين بالخير وفي غير فضيحة ولا تشهير؛ من الأمور التي تساعد على الإصلاح بينهم كما تؤلف بين قلوبهم.

ونصل مما سبق إلى أن إصلاح ذات بين المسلمين؛ بالسعي لتحقيق الألفة بينهم وكذا نشر التناصح بالخير في غير فضيحة ولا تشهير: من المساعي الفعالة لتحقيق الاستقرار الداخلي في المجتمع المسلم.

المطلب الثالث: اجتناب الفتن

---

[823]-صحيح مسلم،كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ،بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ،رقم الحديث:2564. ص:918.

[824]-صحيح البخاري،كِتَاب الصَّلَاةِ ، بَاب فَضْلِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ يَسْتَقْبِلُ بِأَطْرَافِ رِجْلَيْهِ قَالَ أَبُو حُمَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،رقم الحديث:391. ص:(88-89). و كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر - حديث:3024.

[825]-حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام: ص378.

عن أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي قَالَ يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**"[826].

إن للفتن خطرا عظيما على حياة الشعوب والأمم،بسبب ما تتركه من آثار في هلاك الحرث والنسل،بل واستئصال للدين من الأمة،وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم عن زمن فشو هذه الفتن في المجتمعات،وأرشد إلى السبيل إلى المخرج منها وهو الفرار بالدين والرضى بما قلَّ من العيش فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ**"[827]فيوشك يدل على اقتراب زمن تخير الناس الوعر من الأراضي؛ للحياة فرارا بالدين من الفتن، وذلك لضمان در الحليب من الغنم والأكل من لحمها، مع ملازمة الوعر من الأراضي التي بها الماء،لأن عادة الفتن تحصل في الأراضي سهلة المطية حيث يكثر التنافس فيها على أعراض الدنيا، فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم للفكاك منها إلى تحمل قشف العيش،والبعد عن هذه التفاعلات الاجتماعية التي تمور بالأمم مور الرحا بالحَب.

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذا الحديث الشريف إلى عدة إجراءات فورية لتجنب الفتن فور وقوعها، نذكر منها :

1-ترك الخوض في الفتن: إن في نبأ النبي صلى الله عليه وسلم عن وقوع الفتن في المجتمعات تنبيها عظيما على خطرها مما جعله يفاضل بين أوضاع الناس الخائضين فيها،وهو ما جاء في بعض طرق هذه الرواية الشريفة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[826]- صحيح البخاري ،كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث: 3601.ص: 657، و كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، حديث:7081.ص: 1284، و كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، حديث:7082.ص: 1284، و صحيح مسلم،كِتَاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، بَاب نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ، رقم الحديث2887، ص:1020.

[827]-صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق،باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال،رقم الحديث:3300.ص:604.

وَسَلَّمَ: "**سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**"[828] والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شرا ممن فوقه على التفصيل المذكور[829].

فقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ**" يدل على أن جُل الخيرية حاصلة في هذه الفئة دون غيرها؛فالذي يمسك لسانه ويده وأهله وماله عن الخوض فيها أفضل الحالات، ثم نبأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن درجة أقل منها في الخيرية فقال :"**وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي**" فهذا تنبيه على الذي يتفرج عليها ويتتبع أحداثها،خير ممن يتفاعل معها ويتشيع لأحد أطراف مثيرها، ثم يذكر بعدها أقرب للسوء ممن سبق فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي** " والمقصود هنا بالماشي هو الذي يتفاعل مع الفتن؛لكن باحتشام مراقبا ومتحررا –في نظره– لما يقوم به،لأن المشي يدل على التؤدة والتريث في اتخاذ القرارات،لكن هذا الأمر لا يحبذ حال وقوع الفتن،وإلا لما كان القائم والقاعد أفضل درجة من درجة هذه الفئة،فالمطلوب في مثل هذه الحالات المقاطعة الفورية والتامة لما يدور من أحداث الفتن، أو مما قد يؤدي إلى ضياع الدين،عند السعي في أحد سبيلي الغي والضلال.

هذا،وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على أسوأ هذه الأنواع فقال:" **مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ**" وهو الساعي لها،والمقصود بالمستشرف هنا هو من انتصب لها وواجهها،فلا يكون إلا أن تنتصب له هي وتأخذه وتصرعه [830]، والمستشرف للفتن هو الذي يتشيع ويحارب ويدافع من أجل انتصار فكرته بشتى أنواع الانتصارات المادية والمعنوية،بل والدينية فربما استعمل الدين ليُحل إراقة دماء المسلمين فيما بينهم،ناسيا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك؛فعَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ:"**ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:"إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**" [831]فهذا القاتل كان ساعيا لقتل أخيه حتى أزهق روحه فله

---

[828]– صحيح البخاري،كتاب الفتن،بَاب تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ،رقم الحديث7082.ص:1284.

[829]– المباركفوري، تحفة الأحوذي ،1782/2. بتصرف

[830]– العظيم آبادي ،عون المعبود ،ص:1826. بتصرف

[831]– صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، بَاب وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَسَمَّاهُمْ الْمُؤْمِنِينَ،رقم الحديث : 31.ص: 21. وكتاب الديات، باب قول الله تعالى: ومن أحياها، رقم حديث: 6875.ص: 1246، صحيح مسلم،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا

النار،وذلك المقتول الذي كان يصبو لما ناله من أخيه؛ فمات على نيته وفعلته فهو في النار أو كما فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن الذي يقود الفتن ويخوض فيها؛ تقوده هي وتأخذه بجريرته،فلا يستطيع الانفكاك منها،فتأتي على الأخضر واليابس،وصدق الله تعالى حين قال:(**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**)[832] وهذا لما تخلفه من آثار على جميع الأصعدة؛ وما أشد من القتل إلا استباحة الأعراض والأموال والدماء، والعبث بممتلكات الأمة بأيدي سفهاء الأحلام؛ ليس لهم من فهم للدين ولا تشبع بروح الإيمان التي تحفظ على الأمم –حتى الكافرة منها– أموالها وأعراضها ودماءها إذا ما سمحت بتبليغ كتاب الله للناس،وهو الزمن الذي نبأ عنه صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:"**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لاَ يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ وَلاَ الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ" فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ:"الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**"[833] فالقتل والموت مقتولا يصيران هواية أو نوع بطولة،أو أي شيء المهم أنه موضة على كل إنسان اجتيازها،فما تكون نتيجتها إلا النار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقاتل والمقتول.

لقد صار بعض المتشبعين بروح القانون الوضعي والثقافة الدخيلة المتتلمذين على أفلام الرعب والخيال؛ يدعو إلى الموت من أجل الموت لا غير، فالموت قتلا في نظرهم بطولة،وهل سفك الدماء البريئة مروءة يتنافس عليها المسلمون؟ وهل العبث بتراث الأمة يعتبر تحضر؟أو قتل النفس المؤمنة ديمقراطية؟ فإذا لم يكن هذا هو الفساد؟ فما هو الفساد؟ أيفعل بالأمة الإسلامية ما عجز التتار عن فعله في العصور السابقة؛بسبب تخلف السلاح والعجز عن طرد الفساد، لكن تتار العصر قد تدرب من خلال الأفلام الكرتونية المستوردة على جميع أنواع الفساد،بل صار محترفا في تقليدها،فلهذا أرشد النبي صلى الله عليه و سلم إلى ضرورة هجرة هذه الأماكن التي اختلط فيها الحابل بالنابل،ونبأ أن أي خوض فيها يلقي صاحبه في النار، فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى الهروب إلى الملاجئ والحصون المادية والمعنوية؛التي تعزله عن مثل هذه المواقف الرهيبة،والتي يُذهب

تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم حديث: 2888.ص: 1020،وكتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب صحة الإقرار بالقتل، رقم حديث:1680.ص: 614.

[832]– سورة البقرة،الآية:191.

[833]–صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلاَءِ.رقم الحديث: 2908. ص:1028.

الخوض فيها بالدين،فيلتزم المؤمن تلك الأماكن إلى أن يدركه الموت وهو طاهر اليدين و اللسان، فنسأل الله السلم والسلام والأمن والأمان لأمة الإسلام .

وإن عدم "التنازع له صلة وثيقة بطاعة الله ورسوله،فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه،وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم –مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة– فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر،إنما هو الذي يجعل كل صاحب وجهة يصرُّ عليها؛ مهما تبين له وجه الحق فيها ! وإنما هو وضع "الذات" في كفة،والحق في كفة ؟ وترجيح الذات على الحق ابتداء ! ."[834].

وعليه فإن ترك الخوض في الفتن وسيلة من الوسائل المساعدة على دحض مؤمرات المتآمرين ضد أمة الإسلام.

2–التقليل من التفاعل الاجتماعي حال الفتن : وقد دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم:" **أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ** "[835].

لقد وصلنا فيما سبق إلى أن الفتن إذا ظهرت في مجتمع ما أهلكت الحرث والنسل فيه؛والله لا يحب الفساد،وللتقليل من استفحال الفتن في المجتمعات أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى ضرورة الحد من أسبابها،وأهم أسبابها هو كثرة تجمع الناس عليها مع تعمقهم فيها،وكثرة التفاعل الاجتماعي الذي يزيد من إشعال نارها،فأرشد النبي صلى الله عليه و سلم إلى أسلوب حضاري فعال وناجع في قطع ذيولها،وذلك من خلال قوله صلى الله عليه و سلم:"**أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ**" [836]وهذا الكلام يعطي حلا فوريا لإعادة الاستقرار الاجتماعي، وذلك بإعادة كل إنسان إلى محيطه الأصلي–أو أصل والده– وإلى مصدر رزقه ويجعله المعتمد في حياته إلى أن تضمحل الفتن، أو يموت هو بعيدا عنها،فتشتيت العناصر التي تعمل على تفعيل بذور الفتنة من حيث تعلم ومن حيث لا تعلم؛ من شأنه أن يمزق أواصر الفتنة بتشتيت عناصرها مما لا يبقي لها على أثر البتة،فيبقي مسرح الأحداث خاويا على عروشه، فلا يجد الغراب إلا الخواء لينعق

---

[834]–احزمي سامعون جزولي،الحياة في الفران الكريم،ص:1014.

[835]–سبق تخريجه ص:232.

[836]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

فيه فيرجع عليه صداه، بعد أن أقفل كل فرد راجعا إلى مصلحته، فلا يلبث هو أيضا أن يترك المكان خاويا، ليبحث له عن موطن جديد يصنع من نعيقه سيوف الفناء،ويبقى الموطن الأول خاويا، ويسمع به أهله فيعاودوا الاجتماع فيه بعد أن يرحل مثيروا الفتنة، ويصبح المجتمع آمنا بعد ذلك، فيواصل من بقي على عهد الله ورسوله البناء والتشييد؛ ويصلح ما أهلكه تتار المجتمعات الذين يبغون الفتنة في أهله تحت شعارات عدة، وفي أثواب مختلفة، فلينتبه المؤمن لدينه حتى لا يلطخ لسانه ويده بما حرمه الله عليه من أخيه المسلم.

وبذلك يكون التقليل من التفاعل الاجتماعي حال الفتن وسيلة من الوسائل الوقائية لقطع دابرها.

3-كسر السلاح حال الفتن:

ومما دل عليه الحديث أيضا الحث على كسر السلاح حين وقوع الفتن، وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم حين سئل من أحد الصحابة رضوان الله عليهم : **"يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ"** [837]،فنلاحظ من خلال هذا الحديث الشريف أنه توجد فئة ممن ليس لهم ما يلتجئون إليه -إلا الله تعالى- وهو ما تفطن إليه بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عن مسلكهم،فأرشد هذه الفئة التي ترغمها الظروف للبقاء وسط سعير الفتن إلى أن تلقي سلاحها بقوله صلى الله عليه وسلم:" **يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ"** [838]وهذا من أجل أن لا يأخذه أي دافع للخوض في الفتنة،فإذا تأثر وجد نفسه أعزل فيعتزل مرغما، ثم أكد عليهم ضرورة الهروب منها بشتى الوسائل فقال صلى الله عليه وسلم: **"ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ"**[839] ثم أكد على خطر الموقف وضرورة الأخذ بأمره فقال: **"اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ"**[840].

ثم تفطن صحابي آخر إلى أن من الناس من يقحم في هذه الفتن قهرا؛ لتكثير السواد أو لغيره من الغايات،فيدركه الموت وهو في أحد الصفين مرغما فقال الرَجُلٌ :" **يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ**

---

[837]-سبق تخريجه ص:232.

[838]-سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[839] سبق تخريجه ص:232.

[840] -سبق تخريجه الصفحة نفسها.

يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي" [841] هذه فئة أخرى ممن يقحمون في الفتن قهرا فيقتلون وهم في أحد الصفين،حجتهم في ذلك أنهم أرغموا؛ولهذا رفع عنهم النبي صلى الله عليه و سلم الحرج، قائلا:" **يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** "[842] إذن لا ينجي المرء من أمر هذه الفتنة إلا أن يكون مكرها وإلا كان من أصحاب النار.

ويكون بذلك كسر السلاح حال الفتن هو كسر للغضب في النفوس، فيقي الإنسان نفسه من المشاركة في سفك دماء المسلمين من قريب أومن بعيد.

ومما سبق نصل إلى أن وقوع الفتن يوقع أصحابها في رحاها من قريب أو من بعيد؛ولهذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى ضرورة اجتنابها بشتى الوسائل الوقائية:فأمر بعدم الخوض فيها،وكذا أرشد إلى التقليل من التفاعل الاجتماعي حال وقوعها؛ من أجل الحد من آثارها،وختاما أمر بكسر نار الغضب في النفوس؛ حتى تستقر الأوضاع الاجتماعية،وتنتهي بأقل الأضرار،وأقل الخسائر على جميع المستويات.

---

[841] سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[842] سبق تخريجه الصفحة نفسها.

المطلب الرابع:الحرص على حقن دماء المسلمين

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِنًى: **"أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ أَفَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ بَلَدٌ حَرَامٌ أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا"**[843].

في الحديث تأكيد حيث جمع بين حرمة الزمان واحترام المكان في تشبيه حرمة الأموال والأبدان[844].

لقد سبق وتبين لنا أن الذي يتصدى ويواجه الفتن سواء مؤيدا أو متفرجا فإنه يقع فيها لا محالة،وفي هذا الحديث الشريف بين النبي صلى الله عليه وسلم عظمة حرمة المسلم،من خلال التدرج مع الصحابة رضوان الله عليهم في تقريب مفهوم هذه الحرمة سائلا:" **أي**..." للتنبيه على عظم ما يأتي بعد هذا السؤال،ثم أجاب هو قائلا:" **هذا يوم حرام**"...ثم تابع، الأسئلة... إلى أن بين لهم عظمة حرمة اليوم الذين كانوا فيه والذي وقع في شهر حرام في بلد الله الحرام.

وهذه الحرمة توارثها الناس كابرا عن كابر منذ آدم عليه السلام،ثم أكد لهم في النهاية على حقيقة العلاقة بين المسلمين قائلا:" **فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ** " فهذه الأمور الثلاثة التي هي رأس مال المسلم جعلها الله محرمة :" **كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**" فعظمة حرمة هذا اليوم في هذا البلد تساويها حرمة المسلم في القيمة والخلود إلى يوم القيامة،ولا يستطيع أحد أن يستحلها بأي فتوى أو فكرة أو اتجاه تشيعي،عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" **لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**"[845] فجعل النبي صلى الله عليه و سلم التقاتل بين المسلمين يخرجهم من

---

[843]- صحيح البخاري،كِتَاب الْأَدَبِ ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ إِلَى قَوْلِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ }،رقم الحديث: 6043،ص:1111. وكتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ، رقم حديث: 1739.ص: 316-317، وكتاب المغازي، باب حجة الوداع ، رقم حديث:4403.ص: 792، وكتاب الأدب، باب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يسخر ، رقم حديث:6043.ص: 1111،وكتاب الحدود، باب : ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق ، رقم حديث:6785.ص: 1231.

[844]- العظيم آبادي ،عون المعبود شرح سنن أبي داود،ص:852. بتصرف

[845]-صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى { ومن أحياها } / المائدة 32،، رقم الحديث:6868.ص:1246. وكتاب العلم باب الإنصات للعلماء ، رقم حديث: 121.ص: 40، وكتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ، رقم حديث: 1739.ص: 316-317، وكتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ، رقم حديث: 1741.ص: 317، وكتاب المغازي، باب حجة الوداع ، رقم حديث: 4403.ص: 793، وكتاب المغازي، باب حجة الوداع، رقم حديث:4405.ص: 794،وكتاب الأضاحي، باب من قال الأضحى يوم النحر،حديث:5550.ص: 1039،

محيط الإيمان إلى محيط الكفر فقال:" **لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا** "[846] كفر بنعمة الأخوة،وكفر بما أمر به صلى الله عليه وسلم؛ فتضرب رقاب توحد الله تعالى في الأرض من أجل نصرة شيعة من الناس، أو من أجل اختلاف في فهم آية، أو تفسير موقف أو....، و كل شيء يستخدم لإبادة المسلم الذي يرضى الله جل شأنه بزوال الدنيا وما فيها إلا هو؛ لأن الدنيا خلقت من أجل الإنسان، والإنسان خلق من أجل عبادة ربه وبقتله تزال هذه العبادة، ويختل التوازن العبادي في الأرض،ويفسح المجال واسعا أمام الإلحاد ليستشري إلى النفوس الضعيفة بحكم فشل الإسلام كدين لحل مشكلة العالم لأن أهله يتقاتلون عندما يختلفون؟

يقول الإمام العيني:" فمن أظهر شعائر الدين أجريت عليه أحكام أهله،ما لم يظهر منه خلاف ذلك فإذا دخل رجل غريب في بلد من بلاد المسلمين بدين أو مذهب في الباطن؛ غير أنه عليه زي المسلمين حمل على ظاهر أمره على أنه مسلم حتى يظهر خلاف ذلك" [847] في الوسط الذي يعيش فيه.

لأن "الإسلام في الوقت نفسه ليس كما يزعم الأكثرون،عنيفا ولا متعطشا للدماء، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضا، حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة، فنبي الإسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هي محاولة فاشلة،بل هي مقاومة لسنَّة الوجود، ومعاندة لإرادة رب الوجود ...ومن هنا نشأت القاعدة الإسلامية المحكمة المبرمة في القرآن قاعدة حرية العقيدة (لا إكراه في الدين)، ومن هنا رسم القران أسلوب الدعوة ومنهاجها؛ فجعلها دعوة بالحجة والنصيحة في رفق ولين"[848].

إن حقن دماء المسلمين أمر واجب،وهو ما يساعد على الاستقرار الاجتماعي العام، لأن استباحة دماء المسلمين فيما بينهم تخرجهم من دائرة الإيمان إلى مجال الكفر والعصيان،فيتبين أن الحرص على الاستقرار الاجتماعي من آداب التفاعلات الفردية بين أفراد المجتمع،والتي تظهر في الكثير من الوسائل الوقائية كما سبق تفصيله.

وكتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك – حديث: 6122.ص: 1130، وكتاب الحدود، باب : ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق، رقم حديث:6785.ص: 1231-1232، وكتاب الديات، باب قول الله تعالى : ومن أحياها ، رقم حديث: 6868.ص: 1246، و كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا ترجعوا ، رقم حديث: 7077.ص: 1284، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، رقم حديث: 7447.ص: 1346-1347، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض "،حديث:118.(65).ص: 46.

[846] –سبق تخريجه ص:237.

[847] – العيني، عمدة القاري ،4/(125-126).

[848] –محمد عبد الله دراز،الدين–بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان– ص:183.دار القلم، شارع السور–الكويت– د ط، 1400هـ–1980م.

وفي نهاية هذا الفصل نصل إلى أن التجمل بالمكارم الأخلاقية وترك مساوئها التي تعد من شوائب النفس ورعوناتها،مع القيام بالالتزامات الاجتماعية المختلفة في المجتمع، وكذا الحرص على الاستقرار الاجتماعي كلها من آداب التفاعلات الفردية بين أفراد المجتمع المسلم؛ ليحقق بها أهدافا وغايات جد عظيمة فيبقى قائما ظاهرا بين الأمم.

الباب الثاني

آثار الآداب النبوية

على الفرد والمجتمع

الباب الثاني:آثار الآداب النبوية على الفرد والمجتمع

توطئة:

إن الإسلام في تشريعاته السامية عمل منذ مجيئه على بناء الفرد والمجتمع المتحضرين: فخص الفرد بآداب نبوية تحمل في طياتها قيما حضارية تنهض بالإنسان من مستوى البهيمية [849] الذي كان يعيشه في الجاهلية، إلى مستوى يليق والتكريم الإلهي له؛ وال ذي تجلى عند بداية خلقه حين أسجد له الملائكة الكرام، مع إناطته بمهمة الاستخلاف في الأرض ليصلح حاله وحال من وُلي عليهم، كما عنى عناية خاصة ببناء المجتمع المسلم، وقد كانت بداية بناء المجتمع المسلم في المدينة المنورة حيث ظهرت دعائم المجتمع الأساسية أكثر مما كانت عليه في مكة،وبدا ذلك واضحا في ظهور مقومات الدولة:القائد، والأرض، والدستور،وإن من أهم الضوابط التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجتمع الجديد هو:كتابة وثيقة رسمية تضبط علاقة المسلمين فيما بينهم، ووثيقة أخرى تضبط علاقة المسلمين بغيرهم ممن يجاورهم من أهل الذمة، وبذلك استطاع النهوض بالعرب من مجتمع لا يناسب إلا تسميته: مجتمع جاهلي، إلى مجتمع لا يليق به إلا القول بأنه مجتمع فاضل ومتحضر؛ يصلح لقيادة الأمم بعد ذلك،وهو ما حدث بالفعل بعد برهة زمنية قصيرة.

لأن في إعداد الإنسان روحيا يتكون المجتمع الخيِّر،والمجتمع ما هو إلا مجموع الأفراد،وأفراد المجتمع هم لبناته، التي تبنى به، لتبنى الحضارة التي تتضافر المجتمعات في بنائها محمِّلة خصائصها العامة للمجتمع، وعليه لزم المسلم أن يتحلى بالمبادئ الأخلاقية ويلتزم بالعلم [850] النافع المحصل من الدستور الخاتم، ليستشف منه وجهته في هذه الحياة، قال الإمام ابن عاشور: "أهم مقصد للشريعة من التشريع انتظام أمر الأمة وجلب الصالح إليها ودفع الضر والفساد عنها،وقد استشعر الفقهاء في الدين كلهم هذا المعنى في خصوص صلاح الأفراد،ولم يتطرقوا إلى بيانه وإثباته في صلاح المجموع العام،ولكنهم لم ينكر أحد منهم أنه إذا كان صلاح حال الأفراد وانتظام أمورهم مقصد الشريعة،فإن صلاح أحوال المجموع وانتظام أمر الجامعة أسمى وأعظم،وهل يقصد إصلاح البعض إلا لأجل إصلاح الكل،بل وهل يتركب من الأجزاء الصالحة إلا مركب صالح"[851].

---

[849] –وخير مثال على هذا المستوى ما يظهر في نكاح الاستبضاع الذي كان من أنواع الأنكحة الفاسدة في الجاهلية.

[850] –صالح بن غانم السدلان،الضرورة إلى العلم الشرعي،ص:95. بتصرف.

[851] – محمد الطاهر بن عاشور،مقاصد الشريعة الإسلامية،ص:86-87.

فلهذا شرع الإسلام آدابا كثيرة بكثرة توجيهاته؛والمصاحبة لكثرة متطلبات الإنسان في هذه الحياة،وذلك من أجل تحصيل آثار هامة على مستوى الفرد وكذا على مستوى المجتمع.

وآثار الآداب النبوية التي تعرض لها البحث في الشطر الأول منه كثيرة،وتجنبا للإطالة في الموضوع حاولت أن أذكر أهم الآثار المشتركة والتي تعمل الآداب النبوية لتحصيلها في الفرد وكذا في المجتمع، وقد حصرناها في فصلين وهما على التوالي:

الفصل الأول: آثار الآداب النبوية على الفرد.

الفصل الثاني:آثار الآداب النبوية في المجتمع.

الفصل الأول

آثار الآداب النبوية

على الفرد

الفصل الأول: آثار الآداب النبوية على الفرد

توطئة:

قال تعالى :(**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**)[852]؛ لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون الإسلام مخاطبا لفطرة الإنسان، فكلما كلفه راعى فيه جبلته التي خلق عليها.

وقد جاء الإسلام بتعاليم إلهية من أجل تعريف الإنسان على ذاته وتبصيره بأصل خلقته وخصائصه، ومدى أهميته وخطورته في هذا الكون الذي يعيش فيه، وبأنه أهم العناصر الحضارية وأخطرها في هذا الوجود، فهو المحور الذي تدور عليه حركة معظم الموجودات المتماوجة من حوله، كونه السيد المكلف بتسييرها وتسخيرها نحو هدف جد عظيم وخطير [853] في حياته وحياة من في هذه الدنيا معه،فالرسالات السماوية جاءت لتخط للإنسان طريق النجاة من النار،والفوز بالجنة ومن أهم الإجراءات التي قام بها الإسلام منع الرهبانية،وتعامل مع الإنسان في إطار فطرته التي فطر عليها، ليحقق بذلك التوازن النفسي والجسدي له، فلا إفراط ولا تفريط،فكان أول ما توجهت الشريعة الإسلامية في أحكامها التكليفية أنها جعلت التكاليف الشرعية مناسبة للتكوين النفسي والجسدي له،وجاءت بآداب ترفع الإنسان إلى مستوى عال يليق ووظيفة الاستخلاف في الأرض،التي أنيطت به دون غيره من المخلوقات،وهذه الآداب لها آثار على مستوى الفرد،فجاء هذا الفصل ليحاول الكشف عن بعض هذه الآثار التي تعمل الآداب النبوية لتحقيقها على مستوى كل فرد على حدة،لتشكل بعد ذلك مجموعة أفراد ذات خصائص متقاربة السمات والصفات،وكذا متقاربة في أسلوب الحياة الذي يطبعه طابع الربانية في الحركات والسكنات، وبذلك يصل إلى تشكيل ـ كنتيجة راجحة للمنطلق الأول عند إعداد الأفراد لهذه المهمة ـ مجتمع يتمتع بطابع رباني يتميز به في وسط بقية المجتمعات التي تختلف مشاربها عن هذا المشرب العذب.

وقد تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: آثار الآداب النبوية في إعداد الإنسان الرباني

المبحث الثاني: آثار الآداب النبوية في تحقيق اللياقة السلوكية للفرد

---

[852] – سورة: الروم، الآية 30.

[853] –محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن،ص:41- 42. بتصرف.

المبحث الأول: آثار الآداب النبوية في إعداد الإنسان الرباني

عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قال ذات يوم في خطبته:"**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**" [854]، إن الله سبحانه وتعالى يؤكد في هذا الحديث الشريف حقيقة الفطرة التي فطر الناس عليها؛ وهي فطرة التوحيد ،وقد شرح الإمام النووي الحديث بقوله: "مسلمين، طاهرين من المعاصي، مستقيمين منيبين لقبول الهداية،إلا أن الشياطين أتوهم واستخفوهم فذهبوا بهم إلى العصيان،وأزالوهم عما كانوا عليه من الاستقامة، وجالوا معهم في الباطل"[855] ووعدوهم ومنوهم الأماني، حتى نسوا حظا مما ذكروا به،فجاء الإسلام منقذا لهم من هذا التيه،وشرع لهم من الدين ما يعود بهم إلى حقيقتهم الإنسانية وارتباطهم بالله تعالى في هذا الوجود؛قال تعالى:(**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**[856] **بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**)[857] فالأنبياء والرسل صادقوا العهد مع الله تعالى؛ فما كان لهم أن يدعو الربوبية لأنفسهم،ولكن يحرصون على أن يحفزوا الناس ليكونوا شديدي الحرص على التمسك بالدين الذي يقر بالوحدانية لله تعالى، وهو ما سلكه النبي صلى الله عليه وسلم مع أمته حيث حرص أن تكون لها وجهة لله تعالى، وهو ما تجلى في الآداب النبوية التي تضافرت توجيهاتها؛ من أجل إعداد إنسان مثالي يُقتدى به في الأرض، ويوجه من اجتالتهم الشياطين عن طريق ربهم جل شأنه،ففي إعداد الإنسان المثالي عملت مجموعة آثار مترابطة لتحقيقه،فالربانية "قد تحرم الإنسان من بعض اللذائذ العاجلة، وبعض المنافع القريبة، ولكنها تحميه بهذا الحرمان من شرور ومخاطر كانت ستعود بالضرر المؤكد عليه،أو على مجتمعه،أو على الإنسانية ... وهي مع هذا تمنحه- في مقابل هذا الحرمان الجزئي الموقوت- سكينة نفسية، وطمأنينة روحية،لا تقدر قيمتها بمال،لأنها هي سر السعادة التي ينشدها كافة البشر، فلا يجدها إلا القليل" [858]،قال

---

[854]-صحيح مسلم،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار،رقم الحديث:63.(2865). ص: 1013.

[855]- النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ، 191/9.

[856]-**الرباني**:هو الشديد التمسك بدين الله وطاعته. الزمخشري جار الله.الكشاف،440/1.

[857]-سورة آل عمران،الآية:79.

[858]-يوسف القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام،ص:27.مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع،بيروت شارع سوريا.ط:3، 1405هـ-1985م.

تعالى:(**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[859]. لقد عبر الله سبحانه وتعالى عن الضلال بالموت لانعدام الإحساس بحقيقة الحياة،والأهداف التي جعلت منها الدنيا،ثم عبر عن الهدى بالنور وكأنه مصباح تتلاشى أمامه ظلمات الليل؛فيهتدي الإنسان إلى مبتغاه خلاله "كأن للإنسان حياة في ذاته، ثم جعل له الحق نورا يمشي به، كأن الحياة متنقلة في أشياء، ويحتاج الإنسان إلى حياة، ويحتاج إلى نور تتضح به مرائي الأشياء...ويترك الحق سبحانه وتعالى في أقضية الكون الحسية أدلة على الأقضية المعنوية... وهذا ما يجعل الإنسان يرى الأشياء، ومعنى رؤية الإنسان للأشياء أن يتعامل معها تعاملا نفعيا غير ضار...ويوضح الله أن الإنسان بدون قيم هو ميت متحرك، ويأتيه المنهج ليحيا حياة راقية، ويوضح سبحانه لكل إنسان: احرص على الحياة الثانية الخالدة التي لا تنتهي وذلك لا يتأتى إلا باتباع المنهج، وإياك أن تظن أن الحياة فقط هي ما تراه في هذا الوجود لأنه إن كانت هذه هي غاية الحياة لما أحس الإنسان بالسعادة"[860].

وفيما يلي نتبين نماذج لسلوكات تعمل على إعداد الإنسان الرباني وهذا على سبيل المثال لا الحصر:

---

[859]-سورة الأنعام،الآية:122.

[860]-محمد متولي الشعراوي،جدد إيمانك، ص 116.أعده وعلق عليه وقدم له:عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي.المكتبة التوفيقية القاهرة مصر د ط ت

المطلب الأول:أثر كثرة الذكر في إعداد الإنسان الرباني

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:**"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ فَقَالَ سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ"** [861]،لقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم انتباه أصحابه لقدرة الله سبحانه وتعالى في الآيات الكونية،ثم نبه كل متذكر موحد لله تعالى فقال:**"سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ"** وهي كلمة مشتقة من الفرد بمعنى الوحدانية، ونسبها هنا للناس لتعلق قلوبهم بهذه الوحدانية في حياة يسودها توحيد الله تعالى وتبجيله، وبذلك جعل السبق لهؤلاء الذين يتخذون من حياتهم منافسة على ذكر الله تعالى؛ وذلك في طاعاتهم له جل شأنه فهم السباقون إلى إجلال كتاب ربهم وسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم،وإلى فهمه والعمل به في كل آن وحين،وهم الذين يقصدون بكل ما هو في الوجود مطية يمتطون بها إلى الآخرة،قال تعالى:**(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)** [862] فالله سبحانه وتعالى يأمر النبي القدوة – للبشرية جمعاء- بإبراز منهجه في الحياة والذي ربطه به جل شأنه؛ فكل ما يتقدم به في هذا الوجود من صلاة ونسك،بل ومن حياة وما تحويه من ملذات وآلام وأعمال وقرابين فهي لله رب العالمين،وأكثر من ذلك بل وخاتمة هذه الحياة كيفما كانت فهي له خالصة سبحانه وتعالى،وبذلك تتشكل لدى الإنسان معاني الحياة الحقيقية وهي حياة تظللها ربانية المصدر وربانية المتجه وربانية المصير، فلا يلتفت إلا ليحصل ما يبلغ به المرتقى الحقيقي الذي تضبب عليه حينا من الدهر؛ حين اجتالته الشياطين عن سبيل ربه عز وجل، والإسلام هو المنقذ والموجه ليعود به إلى أصله ويذكره بمهمته المرتبطة ارتباطا وثيقا بالمولى عز وجل؛ وهي العبادة خلال فترة تواجده على الأرض.

فرسالتنا "لأنفسنا وللإنسان أن يكون الله ـ عز وجل ـ غاية كل فرد من العباد،أن يكون ابتغاء رضاه،والسبق إلى مغفرته وجنته، والسير على مدارج الإيمان والإحسان لمعرفته، والوصول إليه، والنظر إلى وجهه الكريم،منطلق الإرادة وحادي المسارعة، وقبلة الرجاء.هذا معنى أن الإسلام دعوة إلى الله، دعوة إلى الاستسلام بين يديه، نحب لقاءه، ونطيع أمره،ونقبل حاكميته،ونجاهد لإعلاء كلمته، ونطلب الاستشهاد في سبيله، ونحن بهذا فقط نكون قدرا من قدر الله،الغاية الإحسانية إذن هي كلمة الإسلام،واقتراحه، وثمرته الموجهة إلى كل فرد. والأهداف الجماعية

---

[861]– صحيح مسلم،كِتَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، بَاب الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، رقم الحديث:4.(2676)، ص:953.

[862]–سورة:الأنعام،الآيات:162-163.

للأمة"[863] وذلك من أجل التحرر "عن الجاهلية، ونجاح في الاقتصاد، وظهور في الأرض، شروط ضرورية ليسمع الإنسان تلك الكلمة، ويقبل ذلك الاقتراح، ويجني تلك الثمرة،فذلك السباق الذي عرضه الله على كل منا إلى مغفرته وجنته ورضاه،والنظر إلى وجهه هو رسالتنا إلى العالم الشقي بحضارته المادية، المهدد بالعنف الجاهلي النووي، المتخبط بزعامة الجاهلية وكيدها وجهلها بالله في مشاكل تؤذن بسقوط الحضارة الإسلامية المرجو بناؤها،ما هي بديل لحضارة المادة من حيث صناعتها وإنجازاتها الاجتماعية والسياسية والحياتية، بل تكون استمرارا على شكل جديد لنفس الحضارة المادية"[864].

وبذلك تكون كثرة الذكر لله تعالى محفزا قويا على تكوين الإنسان الرباني.

---

[863]-عبد السلام ياسين،المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا،ص 15.الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع.بيروت لبنان.ط 3: 1414هـ-1994م.

[864]-نفسه،ص15-16.

المطلب الثاني:أثر التكيف مع أعراض الدنيا في إعداد الإنسان الرباني

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" **خَطَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**"[865]،إن من أهم ما يصبوا إليه هذا الحديث الشريف هو تبصير الإنسان بحقيقة الحياة الدنيا،وعلى أنها دار بلاء وفناء،وأن الآخرة خير وأبقى،فقد أجرى النبي صلى الله عليه وسلم مقارنة بينهما ليؤكد هذه الحقيقة بشكل واقعي تخطيطي حيث ثم مضي ليرتقي بالإنسان إلى أفق عال، فيحقق التوازن في حياته،وليسمو به إلى أصله الحقيقي وهي الروح، فيحقق بذلك صحة نفسية له،وبها يسلم من نهش عرض الحياة الدنيا،مبينا أن تلك الأعراض ماهي إلا امتحان له؛ ليمضي ووجهته الدار الآخرة.

وقد أمعن النبي صلى الله عليه وسلم في إصلاح نفس الإنسان ليرفعه إلى الأفق أكثر،فينظر إلى الحياة الدنيا بعين سليمة من سلامة قلبه.

فالإنسان في دار بلاء وهو معرض فيها إلى عوارض حسية ومعنوية،لا يلبث أن ينكشف عنه واحد إلا صادفه آخر،وحتى لو سلم منها جميعا باغته الأجل[866]،وهذه العوارض لها شدة وأثر في نفس الإنسان،ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**" وقد عبر صلى الله عليه وسلم:"بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك"[867]؛وبذلك يؤكد أن الإنسان في خضم معترك الحياة وهو يتعايش مع ابتلاءاتها وعوارضها،لزمه أن يضع نصب عينيه الموت الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد قال تعالى:(**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ**) [868]،فالموت أقرب العوارض على الإطلاق فعلى الإنسان الاستعداد له في كل لحظة وحين، ومن كانت هذه هي حاله كانت نفسه سليمة صالحة؛لا تتهافت على الدنيا تهافت النحل على الزهر، وإنما هو قصدا ومحاسبة حتى يوافيه الأجل، وهو مستعد له كل الاستعداد.

---

[865]- صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم الحديث :6417. ص: 1173.

[866]- ابن حجر ، فتح الباري، 330/11.بتصرف

[867]-نفسه .

[868]-سورة الواقعة، الآية 85.

لقد عد النبي صلى الله عليه وسلم محاسبة النفس ضرورية من أجل التقييم الفعلي للنفس؛ ليحافظ الإنسان بذلك على توازنه النفسي في الأخذ والترك،لأنه يستدرك أخطاءه عند محاسبة نفسه، وهو ما يخفف حسابه،بل وإن المحاسبة ترتقي بصاحبها إلى مرتبة المميزين.

ولجعل الإنسان ذا صحة نفسية عالية،عملت الآداب النبوية على مستوى نفس الإنسان لترفعه إلى مستوى عال، يقول السيد قطب: "الروح هو الذي يرسم الأفق الأعلى الذي يتطلب الإسلام من معتنقيه أن يتطلعوا إليه،وأن يحاولوا بلوغه،لا بتنفيذ الفرائض والتكاليف فحسب،ولكن بالتطوع الذاتي لما هو فوق الفرائض والتكاليف،وهذا الأفق عسير المرتقى،وأعسر من ارتقائه الثبات عليه،لأن نوازع الحياة البشرية وضغط الضرورات الإنسانية لا يطوعان للأكثرين من الناس أن يرقوا إلى هذا الأفق العالي،ولا أن يصبروا عليه طويلا،إن ارتقوا إليه في فورة من فورات الشوق والتطلع،فلهذا الأفق تكاليفه العسيرة،وهي تكاليف في النفس والمال،وفي الشعور والسلوك ،ولعل أشد هذه التكاليف مؤنة هي تلك اليقظة الدائمة التي يفرضها الإسلام على ضمير الفرد،والحساسية المرهفة التي يثيرها في شعوره،اتجاه الحقوق والواجبات،لذاته وللجماعة التي يعيش فيها، وللإنسانية التي ينتسب إليها،وللخالق الذي يراقبه في الصغيرة والكبيرة، ويعلم سره ونجواه"[869] مصورا معنى الربانية الحسية والمعنوية في كل حياته.

وبذلك يكون للتكيف مع أعراض الدنيا وكذا الاستعداد ليوم الرحيل أثر في إعداد الإنسان الرباني.

[869]-سيد قطب،العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص:126، دار الشروق،بيروت، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة،ت: 1413 هـ 1993 م.

المطلب الثالث:أثر حفظ الإنسان لله في نفسه لإعداد الإنسان الرباني

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ :**"كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:"يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"** [870]. إن النبي صلى الله عليه وسلم يغرس في نفس هذا النشأ –الذي تحول بعد ذلك إلى حبر الأمة– أن يكون إنسانا ربانيا في حياته كلها؛مبينا له كيفية تطبيق الربانية في دقائق الحياة اليومية، وخاصة منها الحياة الوجدانية،حيث ربطه بالله تعالى في كل حركاته وسكناته،وقد تبين ذلك جليا من خلال المغزى العميق لهذا الحديث الشريف، الذي يجدر بنا أن نسميه حديث الحفظ،وأجدر أن تحفظ هذه الكلمات الذهبية وتنقش في الصدور؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نبه إلى ذلك بقوله لابن عباس:" **يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**" فأي شيء كان علما فهو للحفظ والتطبيق المباشر له.

هذا، وقد باشر النبي صلى الله عليه وسلم بتعليمه تلك الكلمات والتي تبينت فيما يلي:

حفظ الله بعدم التجاسر على محارمه :وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم: " **احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**" فأمره بأن يراعي بهذا الحفظ محارم الله التي حرمها على الثقلين ولا يتجاسر عليها، وضمن الله للإنسان بذلك حفظه من الوقوع في المعاصي حفظا لدينه،وهذا المعنى يتبين جليا من خلال حديث: النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ حيث قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **"الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ"** [871]، لأن الحفظ لا يكون لشيء واضح جلي للناس كما هو الحال مع الحلال والحرام الواضحي الحكم،وإنما الحفظ يكون للشيء المختفي عن الأنظار وهي الشبهات التي لا يميزها كثير من الناس،فأمر صلى الله عليه وسلم أمته–

---

[870]– جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الحَوْضِ،رقم الحديث 2516. قَالَ الإمام الترمذي:"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".ص 409.الألباني:صحيح.الألباني،سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،تحت رقم الحديث:2383. 497/5. ومسند أحمد بن حنبل،ومن مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب،رقم الحديث: 2803. ص:235.والمستدرك على الصحيحين للحاكم،كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، ذكر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، 541/3. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل.488/4.

[871]– صحيح البخاري، كتاب الإيمان،باب فضل من استبرأ لدينه،رقم الحديث:52. ص: 25–26.

من خلال ابن عباس- بالإستبراء لدينها وذلك بحفظ الله تعالى في حركاتها وسكناتها، فيضمن لها الحفظ من الوقوع في الزلات والمعاصي بصدق نيتها في التوجه لله تعالى في هذه الحياة، وهذا ما مثله الامام ابن القيم بعقدرمقارنة بين المؤمن الذاكر الذي لا يطمئن إلا بذكر الله تعالى، ولا يسكن إلا بمعرفته وحبه،وهو كادح إليه كدحا فملاقيه،ولابد من لقائه،ولا صلاح له إلا بتوحيد محبته وعبادته وخوفه ورجائه، فإلهه الحق لابد له منه في كل وقت وفي كل حال، وأينما كان فنفس الإيمان به ومحبته وعبادته وإجلاله وذكره هو غذاء الإنسان وقوته،وصلاحه وقوامه كما عليه أهل الإيمان،ودلت عليه السنة والقرآن، وشهدت به الفطرة والجنان؛فتكون عبادته ومعرفته وشكره قرة عين الإنسان، وأفضل لذة للروح والقلب والجنان، وأطيب نعيم ناله من كان أهلا لهذا الشأن،فأوامره سبحانه،وحقه الذي أوجبه على عباده، وشرائعه التي شرعها لهم، هي قرة العيون ولذة القلوب،ونعيم الأرواح وسرورها، وبها شفاؤها وسعادتها وفلاحها، وكمالها في معاشها ومعادها،بل لاسرور لها ولا فرح ولا لذة ولا نعيم في الحقيقة إلا بذلك؛فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ماهي عليه[872] .

وبذلك يكون الحفظ الوارد في بداية الحديث هو عدم التجاسر على أحكام الإسلام مع حفظ حدود الشرع قدر الاستطاعة؛ ليضمن الله تعالى لعبده الحفظ من المعاصي ومن ثم الحفظ من العذاب.

1. **حفظ الله تعالى بالتوكل عليه حق التوكل:** وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم: " **احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ** "[873]وهو أمر بأن يحفظ الله في النفس بكثرة الذكر مع استحضار عظمة الله تعالى وقدرته وقوته جل شأنه وأنه قوي عزيز،ويكون ذلك بكثرة التأمل في الوجود – حاضره وماضيه – ليحصل بذلك على الدعم الإيماني فيفقه الحركة الحقيقية للكون،وبهذا الحفظ العميق لله تعالى في النفس يتولد التوكل الحقيقي فيها؛ وهو ما يضمن به الإنسان وجود الله تعالى اتجاهه،فلا يضيره من صعد أو نزل، ثم فصل له النبي صلى اله عليه وسلم كيفية تحصيل هذا الحفظ حيث قال :**"إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"** [874] فسؤال الإنسان الله حاجته يغنيه عن الخلق جميعا بعد أن يجد الله تجاهه،وكذا أمره بحفظ الله

---

[872]-ابن القيم. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ص25-36. بتصرف

[873]-سبق تخريجه ص :252.

[874]-سبق تخريجه الصفحة نفسها.

وذلك بالاستعانة بالله تعالى فيما يعجزه وضمن له بهذه الاستعانة أن يجد الله تجاهه ليفك عنه محنته.

وبذلك يكون الحفظ الثاني الوارد في الحديث الشريف؛بمعنى التوكل على الله حق التوكل،والاستعانة به جل شأنه عند كل عزم.

2. **الواقع التطبيقي لحفظ الله تعالى:** وهو ما بينه قوله صلى الله عليه وسلم:" **وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ** "[875] لقد نبه صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام إلى أمر خطير وضروري؛لكثرة وقوعه في المجتمع البشري دون أن يفسر على حقيقته، وهو ما اعتاده الناس من التحصيلات والفوائد والأرباح والمنافع المستجلبة بواسطة الخلق؛ أنها لم تكن لتحصل لولا إذن الله تعالى في ذلك،وكذا ما يحصل للإنسان من مكبات نتيجة الضغوطات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من الظروف الخارجة عن إرادته، ويكون السبب في حصولها خلق أيضا، ما هي إلا أسباب اجتمعت لتُحصل مراد الله تعالى في ذلك،وبهذه القاعدة النفيسة يحصل الإنسان على استقراره النفسي،لشعوره العميق بقدرة الله الواسعة التي تدل على انه قيوم السماوات والأرض، يعلم ما فيهما وما يعزب عنه منها شيء، فالتسليم لله تعالى في هذا الوجود سبب رقي الإنسان إلى مستوى رفيع مما يجعل نفسه مطمئنة، مندفعة لتحصيل ما يرضي ربها،وتقوم بوظيفتها دون أن تلتفت إلى الخلق من حولها فلا تحيد بعد عن طريق المولى جل شأنه.

وبذلك تكون المنافع والمضار التي تحصل للإنسان في الوجود؛هي من قدرة الله تعالى ومشيئته،لتدل على هيمنته على الوجود لأنه هو الرب الخلاق المتعالي.

فالحفظ الحاصل بين العبد ومولاه؛له دور فعال في إعداد الإنسان الرباني الذي يجعله الله تعالى أنموذجا يُقتدى به.

---

[875]-سبق تخريجه ص :252.

المطلب الرابع:أثر اقتراف المعاصي في نزع نور الربانية من نفس الإنسان

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :"**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**" [876]،لقد صور لنا النبي صلى الله عليه وسلم الحالة النفسية لذلك المؤمن الذي يؤمن بالله سبحانه وتعالى،وبهذا النور الذي يستنير طريقه في هذه الحياة وهو نور الهدى والإيمان، ثم بين أن هذا النور يسلب منه عندما يواقع المعاصي، فزوال الإيمان أو بالأحرى الصحة النفسية السوية للإنسان تحصل له عندما يقدم على إفساد في الأرض، لأنه تحدى ربه وأغلق قلبه دون نداء نور الإيمان الذي كان يسطع فيه،وأقبل على شهوته مطيعا شيطانه عاصيا لربه، ونَفيُ النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان عن فاعل هذه الكبائر، وهو ما وضحه الامام ابن حجر بقوله: "(قَوْلِهِ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ) أَيْ ليس بمستحضر في حالة تلبسه بالكبيرة جلال من آمن به، فهو كناية عن الغفلة التي جلبتها له غلبة الشهوة...فإن المعصية تذهله عن مراعاة الإيمان وهو تصديق القلب،فكأنه نسى من صدق به" [877]،فمهما كانت درجة إيمان الإنسان فإنه يفقدها عند تجاسره على حرمات الله تعالى،فيفقد بهذه السلوكيات: من الزنا أو شرب الخمر أو السرقة: إيمانه، لأن هذه المعاصي تخرج الإنسان من حالته الإنسانية السوية في التعاملات الاجتماعية والأخلاقية في الوسط الاجتماعي –بحكم الفطرة التي خلق عليها–إلى حالة مرضية غير طبيعية،والله تعالى قد"ميز نوع الإنسان بالاهتداء إلى الفضائل والكرمات واستخلاصها من سائر ما يحث بها من شريف الخصال ورذيل الفعال. وجعل له العقل الذي يعتبر الأعمال باعتبار غاياتها ومقارناتها وأخذه منها لبابها كيفما اتفق" [878]،فالإنسان إذا فقد عناصر بشريته وبدأ بالإفساد في الأرض، فإنه يعتبر في نظر الإسلام مريضا ولابد من علاجه، بشتى الطرق، بداية من الوعظ والإرشاد ونهاية بالعقوبة التي هي آخر الأدوية في علاج مرض استفحل في النفس.

---

[876]– صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر، رقم الحديث: 6772. ص: 1230. و كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه، رقم حديث: 2475.ص: 448،وكتاب الأشربة، باب قول الله تعالى: إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس، رقم حديث: 5578. ص: 1043، و كتاب الحدود، باب السارق حين يسرق ، رقم حديث: 6782.ص: 1231، و كتاب المحاربين من أهل الكفر و الردة، باب إثم الزناة ،رقم حديث: 6809.ص: 1235،وكتاب المحاربين من أهل الكفر والردة،باب إثم الزناة،رقم حديث: 6810.ص:1235، صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي و نفيه ، رقم حديث:100.(57).ص: 43-45.

[877]– ابن حجر ، فتح الباري، 85/12.

[878] – ابن عاشور،مقاصد الشريعة الإسلامية، ص:155- 156.

فما التشريعات التي قضاها الإسلام على العباد إلا مدارج الكمال الإنساني،ومن أهم هذه التشريعات: العبادات التي فرضها عليهم؛فالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، تدريبات عملية على مكارم الأخلاق. فالإسلام في كل أوامره ونواهيه يعمل على تطهير النفس من أمراضها التي تعود بها القهقرى إلى مسالك الشيطان اللعين، ولا يريد من المسلم أن يكون سليما معافى فقط، ولكن يحب –إلى جانب الصحة النفسية– أن تكون له إرادة وقوة يرهب بها أعداء الله تعالى، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**" [879]، وشرح الإمام النووي معنى القوة هنا قائلا: "المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة،فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد،وأسرع خروجا إليه، وذهابا في طلبه،وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى،وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات،وأنشط طلبا لها، ومحافظة عليها، ونحو ذلك" [880]؛ فالإسلام ينظر إلى التفوق –في جميع مجالات الحياة– على أنه من أفضل القربات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى، لأنه يجعل من المؤمن يحتل الصدارة في العالم، فيُبلغ رسالة ربه في جميع بقاع الأرض بقوة وعزة نفس، لهذا المقصد وغيره أمر الله سبحانه وتعالى أتباع الإسلام بضرورة القوة العسكرية، قال جل شأنه :(**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**)[881]، فالتفوق العسكري ضرورة حضارية من أجل تبليغ رسالة الإسلام إلى من لا يعترفون إلا بالقوة والقهر،والنبي صلى الله عليه وسلم أكد أن أحب المؤمنين إلى الله تعالى هو المؤمن القوي،فالقوة في جميع مجالات الحياة متطلب حضاري لابد منه وإلا وسم المسلمون – كما هو حالهم اليوم– بالتخلف،وما أراد منهم ربهم بهذه الرسالة إلا التفوق والقوة من أجل أن يتقلدوا المنصب الذي أنيط بهم عند بدء الخليقة، قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)[882]، فالخلافة في الأرض تتطلب وجود قوة وثبات، والخلافة في حد ذاتها تعني

---

[879]–سبق تخريجه ص:157.

[880]– النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ، 432/8.

[881]–سورة:الأنفال، الآية 60.

[882]–سورة: البقرة، الآية 30.

"العمل بمقتضى التكريم الإلهي، فلا يهبط الإنسان عن مستوى الإنسانية،ولا يتنازل عن الأفضلية التي فضله بها خالقه على كثير مما خلق"[883].

إن لاقتراف المعاصي أثر خطير في نزع نور الإيمان من الإنسان؛ مما يجعله يتوه عن سبيل الربانية،وهو ما يكون سببا في دخول الكثير من الناس في ضلال عميق،لا يستفيق منه إلا من رحم الله.

وصلنا في هذا المبحث إلى أن الآداب النبوية ترتبط بحياة الإنسان ارتباطا وثيقا، حيث تكون كثرة الذكر والتكيف مع أعراض الدنيا وكذا الاستعداد ليوم الرحيل، مع الحرص على الحفظ الحاصل بين العبد ومولاه، وتجنب المعاصي هو ما يُمِّكن من تحصيل إنساني رباني مثالي يَقتدى به البشر في الأرض.

[883]- علي أحمد مدكور، منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، ص271. مكتبة الفلاح الكويت. ط1. 1407هـ- 1987م.

المبحث الثاني:آثار الآداب النبوية في تحقيق اللياقة السلوكية للفرد

توطئة:

عَنْ أنس–رضي الله عنه–أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **"مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ"**[884]،يقول الإمام المباركفوري:"لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شانه فكيف بالإنسان" [885] فهو من باب أولى في التزين بمكارم الأخلاق، فالفحش يعبر عن ذميم الفعال والأقوال، ولهذا أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن أي قبح في الفعل أو القول، وفي أي موقف يعيشه الإنسان فإنه يشينه،في حين أن الحياء النابع من الاحترام وتشبع النفس بالإيمان، يدفع إلى غض الطرف عن أخطاء الناس،وعدم مواجهة الخلق بالسوء، وهو ما يزين المواقف التي يقفها الناس عادة–حتى لو كانت مواقف خصومات–وفي هذا حث من النبي صلى الله عليه وسلم للاهتمام بتزيين الأخلاق بالحياء، والحرص على ألا يدخلها ما يشينها من ذميم الأفعال والأقوال، وهو ما وضحه محمد قطب بقوله: " فالنفس البشرية لاتستعصي على الارتفاع حين تجد التوجيه والترغيب، ولكنها حين تترك وشأنها، أو حين تجد المغريات الدائمة للهبوط، فلا شك أنها تهبط، حتى تصل إلى مستوى الحيوان" [886] فلا يميز صاحبها بين الجميل والقبيح،ولا بين الخير والشر.

إن الإنسان عليه أن يختار من الأخلاق أحسنها لأن لها تأثير مهم على سلوكه كما هو معروف في علم النفس،وهي مولدة الصفات المستقرة داخل النفس؛ فهناك ترابط بين نفس الإنسان وبين سلوكه، فصلاح الفعل نابع عن النفس الصالحة،فتأتي أهمية الأخلاق إذن في كونها تهذب وتصقل النفس البشرية لمالها من معان سامية.والأخلاق تغرس في نفس الإنسان ولغرسها أهمية بالغة، حيث أنها تستطيع أن تغير الإنسان وأفعاله تغييرا جذريا، فإذا ما تغير الإنسان بفعل الأخلاق الصالحة فإنها ستجعل منه فيصلا بين الحق والباطل، فيقدم على الفعل الصالح لأنه يرجو منه الخير في الدنيا والآخرة، وينصرف عن الفعل الشرير،وبذلك تصبح الأخلاق ميزانا يزن به تلك الأفعال بخيرها

---

[884]– جامع الترمذي،كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الفحش والتفحش،رقم الحديث 1974.قَالَ أَبُو عِيسَى: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ".ص330. وسنن ابن ماجه،كتاب الزهد،باب الحياء،رقم الحديث: 4185. ص:452.ومسند أحمد بن حنبل،ومن مسند بني هاشم، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، رقم الحديث: 12689. ص:874.وصحيح ابن حبان،كتاب البر والإحسان، باب الرفق، ذكر الأمر بلزوم الرفق في الأشياء إذ دوامه عليه زينته في، رقم الحديث : 551. ص:311 . قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، مسند الإمام أحمد بن حنبل.118/20.

[885]– المباركفوري، تحفة الأحوذي، 1649/2.

[886]–محمد قطب،الإنسان بين المادية والإسلام: ص221.

وشرها. ومن الطبيعي أن معرفة الأخلاق وموازينها لا تكفي إن لم تنعكس على أفعال الإنسان،إذ أن المعرفة بها وحدها غير مجدية ما لم يصاحبها تطبيق لها، فتنعكس آثارها وتظهر معانيها على الفرد والمجتمع، والأخلاق الإسلامية ليست أخلاقا ينتفع بها في الحياة الدنيا فقط، وإنما ترجح لحاملها والمتحلي بها حسناته يوم القيامة،وتتحقق من خلالها جملة أمور [887] كلها تضيف زينة له في الوسط الاجتماعي .

وفيما يلي نورد بعض الآثار التي تتركها الآداب النبوية على سلوك الفرد ونفسه:

[887]–سعدون محمود الساموd. وهدى علي جواد الشمري:أساسيات التربية الإسلامية،ص: 164. مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع عمان، الأردن. د ط: 2003م.بتصرف

المطلب الأول:آثار الآداب النبوية في إيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة

إن لكثير من السلوكات الاجتماعية أثر في الرقي بسلوك الفرد، نذكر منها:

- **أثر حفظ دين الله في تحقيق اللياقة السلوكية للفرد:**

عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**"[888] .

إن الإسلام أول ما توجه في إصلاح الإنسان توجه إلى إصلاح نفسه [889]: عقيدته وأسلوب تفكيره،وأكد النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة ذلك في حياة الإنسان ،وقد حصرها في:"**الْقَلْبُ**"،لأن بصلاح القلب تحفظ الجوارح دين الله سبحانه وتعالى،وتتوقى من حرماته؛ يقول الإمام ابن باديس: "وصلاح القلب بمعنى النفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة؛وإنما يكونان بصحة العلم وصحة الإرادة، فإذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله؛ بجريان الأعضاء كلها بالأعمال المستقيمة، وإذا فسدت النفس من ناحية العقد أو ناحية الخلق أو ناحية العلم أو ناحية الإرادة؛فسد البدن وجرت أعمال الجوارح على غير وجه السداد،فصلاح النفس هو صلاح الفرد،وصلاح الفرد هو صلاح المجموع،والعناية الشرعية متجهة كلها إلى إصلاح النفوس، إما مباشرة وإما بواسطة،فما من شيء مما شرعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان؛ إلا وهو راجع عليها بالصلاح، وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء إلا وهو عائد عليها بالفساد، فتكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل وشرع الشرائع"[890] لتكييف البشر وفق تعاليم إلهية مضبوطة.

هذا، وقد خص النبي صلى الله عليه وسلم القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية،وبفساده تفسد،وهو تنبيه على عظم قدر القلب،وعليه فهو حث على السعي لصلاحه،لأن الفهم يتعلق به وهو من مهامه التي خصه الله بها [891]، وصلاحه وسلامته تعمل على صلاح الجسد بعد ذلك؛فهما كالسبب والمسبب،فإذا صلح هذا صلح ذاك كنتيجة له،والعكس غير صحيح،وإذا فسد ذاك علم أن سببه فساد القلب بداهة، ولهذا أولى الإسلام عناية كبيرة

---

[888]- صحيح البخاري، كتاب الإيمان،باب فضل من استبرأ لدينه،رقم الحديث: 52. ص:25-26. وصحيح مسلم،كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث:107.(1599).ص: 572-573.

[889]- لم أشأ التعرض للفرق بين النفس والقلب، لأنه موضوع يطول وليس المقام مقامه،وإنما أقصد بالنفس هو ما يوجه الإنسان في سلوكاته.

[890]-عبد الحميد بن باديس،مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ص: 108.من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف.ط: 1، 1402هـ-1982م.

[891]- ابن حجر ، فتح الباري ، 190/1. بتصرف

لصحة القلب ،وما الكفر والنفاق وارتكاب المعاصي إلا أمراض نفسية خبيثة؛ استفحلت في قلوب بعض الناس، استطاع الشيطان—اللعين- من خلالها أن يجر بني آدم بها جرا إلى جهنم وبئس القرار.

إن علمنا بأن الله هو أعلم بمن هو أهدى سبيلا يدعونا إلى الحرص على ذلك؛ لأن مراقبة الله في سلوكنا يهدينا إلى تقويمه حتى نكون على الصراط المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه وهو أهدى الطرق وأقربها إلى الله تعالى،وما ذلك الصراط المستقيم إلا القرآن العظيم والهدي النبوي الكريم، وسلوك السلف الصالح وذلك هو دين الإسلام [892] الذي جاء لهداية الناس كافة،ويوجه البشرية المحتالة من الشياطين إلى طريق رب العالمين.

فحرص الإنسان على حفظ دين الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، هو من الأمور التي تعمل على الارتفاع بسلوك الإنسان ورقيه .

- **أثر فرض الرقابة الذاتية على السلوك في تحقيق اللياقة السلوكية:**

وقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التفريق بين الخير والشر، عندما سئل عن ذلك،فعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: **"سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ:"الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ"**[893]، شرح الإمام النووي البر بقوله:" الْبِرُّ يَكُونُ بمعنى الصلة،وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة،وهذه الأمور هي مجامع الخلق"[894].

لقد أجمل النبي صلى الله عليه وسلم الأخلاق الحسنة كلها في كلمة البر،ثم بين أن أي اضطراب في نفس الإنسان إثر تصرف سيء هو تعبير عن إثم،ليتحاشاه الإنسان بعد ذلك في معاملاته، وهذا المنبه الذاتي الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم للفرد على نفسه،هو من الأمور التي تعمل على رقي سلوك الإنسان "ومعلوم أن العودة للنفس سواء على مستوى الفرد أو الجماعة لنقد ذاتها وتقويم مسارها يعتبر من أهم الخطوات،تجاوز بحار الفشل والمعوقات والعقبات إلى شواطئ النجاح والفوز والتقدم والسؤدد"[895] في الحياة الدنيا والفوز بنعيم الآخرة.

---

[892] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ص:198.بتصرف

[893] –صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب البر والإثم، رقم الحديث: 2553. ص:915-916.

[894] – النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم 326/8.

[895] – خالد فائق العبيدي،القوانين القرآنية للحضارات-دراسة قرآنية لأحداث التاريخ-،ص: 255. منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ط1: 2005م-1426م.

ففرض الرقابة الذاتية على سلوك المؤمن،هو من الأمور التي ترقى به، وتجعله يتخير من الأخلاق أحسنها حتى لا يعيش مضطربا بسبب اقترافه الآثام.

- **أثر نزع بذور النفاق من النفس للرقي بالسلوك الإسلامي:**

عن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما–قال:قال النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**" [896] لقد عد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممارسة بعض السلوكات المخلة بشخصية الفرد المسلم–التي سمتها الانضباط والوقار– خصال من النفاق،لأن مخالفة الظاهر للباطن نوع من الأمراض النفسية التي لابد أن يعالجها المرء إذا ما وجدها في نفسه، وإلا صار منافقا خالصا،فوجود إحدى هذه الصفات في الإنسان يصنفه في خانة المرضى نفسيا، ومن شأن المرض التضخم والزيادة، إذا لم يحاول المرء التعجيل بمعالجته، فكذلك من وجدت في نفسه خصلة منبوذة،فهي من خصال النفاق، فعليه أن يعالجها، وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن العلاج بقوله:" **حَتَّى يَدَعَهَا**" وكأنه أشار إلى أن الخصلة يمكن أن تتضخم وتصير خصالا إذا أهملها صاحبها، ولكن إذا سارع بعلاجها رجع لحالته الصحية العادية،وأكد بذلك أن الإنسان الذي يخادع الناس بفعله: منافق، وبين أن وجود خصلة واحدة فيه من هذه الخصال نوع من النفاق،الإمام الغزالي أنه إذا: "نمت الرذائل في النفس وفشا ضررها،وتفاقم خطرها،انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه، وأصبح ادعاؤه للإيمان زورا،فما قيمة دين بلا خلق؟وما معنى الإفساد مع الانتساب لله؟" [897].لأن الإنسان بهذه السلوكات المتناقضة بين ظاهره وباطنه تشكل منه إنسانا مريضا نفسيا يحتاج إلى علاج.

وقال الإمام ابن حجر:"ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث أنها منبهة على ما عداها، إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث:القول،والفعل،والنية فنبه على فساد القول بالكذب،وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف" [898]، وهو تأكيد منه على ضرورة الاهتمام في إصلاح سلوك الفرد من ناحية:القول،والفعل والنية،وبذلك يكون متحضرا،وإلا فهو ما يزال مشاكسا بتصرفاته غير السوية لنفسه ولمجتمعه،ولهذا عد الله سبحانه وتعالى الإنسان المتخلف

---

[896]– صحيح البخاري، كتاب الإيمان،باب علامة المنافق،رقم الحديث: 34.ص:22، و كتاب الجزية،باب إثم من عاهد ثم غدر، رقم حديث:3178. ص: 584، وصحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ، رقم حديث:106.(58).ص: 44-45.

[897]– محمد الغزالي، خلق المسلم، ص12. دار الريان للتراث، القاهرة . ط1، 1408هـ- 1987م.

[898]– ابن حجر العسقلاني،فتح الباري ، 134/1.

أشد الناس كفرا ونفاقا،قال تعالى: (**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**) [899]، فالمنافق لا يعي حقيقة الدين،فإذا وعاها ما كان له أن يعاند ويكابر،وبذلك عده الإسلام متخلفا ولهذا سماه القرآن الكريم أعرابي المقابل للمتمدن أي المتحضر،وهي مقابلة لطيفة، ليبين الله تعالى بها أن الإنسان المتحضر لا يمكنه أن يسلك سلوكات مخلة بشخصيته،مهما كان مكان سكناه:مدينة أو ريفا،فهو متحضر بسلوكه،ومتخلف بسلوكه لا ببيئته ومقر إقامته؛والإسلام "جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب،وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته،كما أنه عد الإخلال بهذه الوسائل خروجا عليه وابتعادا عنه،فليست الأخلاق من مواد الطرف،التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين، ويحترم ذويها،وقد أحصى الإسلام بعدئذ الفضائل كلها،وحث أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة" [900]، ليبني بها نفسه وينشد بها الكمال في شخصه،متحاشيا بفعله هذا إضلال الشياطين له.

يقول محمد قطب:"ومن هنا تجيء قيمة الإسلام الذي أشرق على الحياة من أعلى، ووضع الإنسان في مكانه الصحيح بعد أن وفق بين نزعاته الداخلية والخارجية أجمل توفيق. وقد كان لهذا التوفيق أثره الحاسم في تهذيب النفس البشرية والارتفاع بها عن مستوى الغريزة والضرورة"[901].

النفاق مرض من الأمراض النفسية التي تحول دون الوصول لليقة السلوكية، لأنها لا تطابق بين الظاهر والباطن؛ فلهذا حث الإسلام على استئصال خصال النفاق من النفس لحصول الصحة النفسية للمسلم،فيكون ظاهره معبرا عن باطنه.

- **أثر الصدق في القول والفعل في الرقي بسلوك الإنسان:**

ولقد عد الإسلام الصدق في القول والعمل من أهم السلوكات التي تهدي إلى خير الدنيا والآخرة؛ فعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– قال:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى**

---

[899]–سورة: التوبة ، الآية 97.

[900]– محمد الغزالي،خلق المسلم، ص13.

[901]–محمد قطب،الإنسان بين المادية والإسلام،ص:223.

يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" [902]، ومعنى الحديث أورده الإمام النووي بقوله: "أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبرُّ اسم جامع للخير كله...وأما الكذب فيوصل إلى الفجور، وهو الميل عن الاستقامة" [903] فبالصدق يحفظ الإنسان توازنه النفسي،وكذا توازنه الاجتماعي كإنسان متحضر.

ودائما في سبيل ترقية سلوك الإنسان وتحسينه وتهذيبه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ"** [904] ،فالإنسان إذا حلف من أجل أن يكسب متاع مادي أو معنوي،أو من أجل أن يتنصل من مسؤولياته التي أنيطت به كإنسان،فيعالج تقصيره باليمين الفاجرة،فهو إنسان فاشل مخادع، استحق غضب الله يوم القيامة.

فالصدق إذن في القول والعمل يهدي إلى كل سلوك حضاري.

- **أثر المناسك التعبدية في تحقيق اللياقة السلوكية:**

إن العبادات "التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركانا في الإيمان به ليست طقوسا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة، ويكلفه بأداء أعمال غامضة وحركات لا معنى لها. كلا، كلا، فالفرائض التي ألزم الإسلام بها كل منتسب إليه،هي تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة،وأن يظل مستمسكا بهذه الأخلاق،مهما تغيرت أمامه هذه الظروف،إنها أشبه بالتمارين الرياضية التي يقبل الإنسان عليها بشغف، متلمسا من المداومة عليها عافية البدن وسلامة الحياة"[905] .

---

[902]- صحيح البخاري ،كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، رقم حديث: 6093.ص: 1119، وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب،باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله،رقم الحديث: 2606.ص: 930.

[903]- النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ، 376/8.

[904] -صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى { إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم } / آل عمران 77 ،رقم الحديث: 6676.ص: 1212.وكتاب تفسير القرآن، سورة آل عمران ،باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا، رقم حديث:4553.ص: 821-822،وكتاب الأحكام،باب الحكم في البئر ونحوها، رقم حديث:7183.ص: 1301، وصحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، رقم حديث:109.ص: 56-57.

[905]- محمد الغزالي، خلق المسلم، ص7.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ :**"بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ"**[906] .

إن العبادات في الإسلام شرعت من أجل تهذيب النفوس وتربية روح المساواة وروح الاجتماع بين الناس،وإذا كانت العبادات لا تحقق تلك الأهداف التهذيبية فهي ليست عبادة خالصة يقبلها الله تعالى ويثيب عليها [907] لأنها لم تحقق مقاصدها التي شرعت من أجلها،فليس "المقصود بهذه العبادات – فرضها ونفلها:أن تصل المسلم بخالقه لحظات أدائها فقط،ثم ينفرط– هذا العقد بعد ذلك،يخلد إلى الأرض،ويتبع هواه كلا،فإن مهمة هذه العبادات أن تغرس في ضمير مؤديها روح تقوى الله جل شأنه، وأن تمنحه شحنة روحية تذكره بالله كلما نسي، وتقوي عزمه كلما ضعف،وتنير طريقه كلما انطفأت من حوله المصابيح" [908] وتكون هي هادية لكثير من أعمال البر، وحاجزة عن كل شر،من أجل أن يحيا الإنسان في الإسلام حياة هنية.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا"** [909]، نلاحظ من خلال هذا الحديث الشريف؛ أن الله سبحانه وتعالى جعل من الطهارة الحسية شطرا من الإيمان الوجداني، بحكم أنها تكون بمثابة تهيئة جسدية ونفسية لدخول العبادة الحقيقية،وجعل من الاشتغال بالذكر مجلبة للثواب العظيم بعظم ما بين السماء والأرض،وتلك الحركات الحسية المصاحبة للتفاعل الوجداني في الصلاة تكون نورا لصاحبها في الدنيا فهو يهتدي بها إلى محاسن الفعال التي بدورها تهدي إلى نور الآخرة، وبذلك يتطهر من أمراضه النفسية التي تحول دون وصوله إلى ربه الذي خلقه، "فالإبعاد عن الرذائل، والتطهير من سوء القول وسوء العمل،هو حقيقة الصلاة" [910] وهو ما يتجلى واضحا من قوله تعالى:(**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا**

---

[906]–صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب أركان الإسلام ودعائمه العظام.رقم الحديث:16، ص:30-31.

[907]–محمد بن أحمد أبو زهرة ،التكافل الاجتماعي في ألإسلام،ص:13.بتصرف

[908]– يوسف القرضاوي،الخصائص العامة للإسلام، ص:29.

[909]–صحيح مسلم ،كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، رقم الحديث: 223. ص:100.

[910]– محمد الغزالي، خلق المسلم، ص7.

تَصْنَعُونَ)[911]،وهذا النهي عن المنكر يتجلى فيما تتركه الصلاة من أثر في نفس المقبل عليها بلبه وبخشوع لله تعالى، فتُخلف له نورا في نفسه. ثم أكد صلى الله عليه وسلم أن **الصدقة** المادية برهان على صدق توجه الإنسان إليه جل شأنه، ليكون له الصبر بعد ذلك ضياء أمل يلمح في أفق الرحمة،ودليل كل ذلك وموجهه القرآن الذي تستمد منه الهداية إلى الحق،ثم ترك الخيار بعد ذلك للإنسان ليختار أحد الطرق:سبيل النجاة،أو الانكباب في نار جهنم " فكأنه ليست هذه العبادات المفروضة؛إلا بمثابة التربية للعبادة الكبيرة المنشودة، فكل من يتلقى هذه التربية على أحسن وجه؛يؤدي العبادة الحقيقية على الوجه المراد،ولهذا جعلت هذه العبادة عين الفريضة في الإسلام،وقيل أنها أركان الدين أي دعائمه التي يقوم عليها بناؤه"[912].

هذا،والصوم كذلك لا يخلو من مقاصد نفيسة؛فهو يعمل على تهذيب النفس وتعويدها على ترك الحلال مما يبعث النفس على ترك الحرام،وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**"مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"** [913]،فالنبي صلى الله عليه وسلم نفى الصوم عن تارك الحلال الآتي الحرام،جاء في فتح الباري: "ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش،بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة" [914]،وبذلك تقوى إرادة المسلم في التخلي عن الخوارم، وتعويد النفس الصبر على محاسن الأخلاق، فتصبح كالجبلة في النفس فلا يُعد مريضا، لأن الإسلام لم ينظر إلى الصوم "على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة،بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائما من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة"[915]،ليمضي بهذه النفس نحو الصحة والسلامة النفسية التي تحمي صاحبها من خزي الدنيا والآخرة،فالطاعات إذن"هي مدارج الكمال المنشود، ورواسد التطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها، ولهذه السجايا الكريمة —التي ترتبط بها أو تنشأ عنها- أعطيت منزلة كبيرة في دين الله،فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه، وينقي لبه ويهذب بالله وبالناس صلته،فقد هوى"[916].

---

[911]-سورة العنكبوت، الآية: 45.

[912]-أبو الأعلى المودودي،مبادئ الإسلام،ص :18.نشر وتوزيع مكتبة رحاب-الجزائر- 1406هـ،1986م، طبع بمطابع البعث-قسنطينة-(الجزائر)

[913]- صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب قول الله تعالى واجتنبوا قول الزور، رقم الحديث 6057.ص: 1113. و كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، رقم ،حديث:1904.ص: 345.

[914]- ابن حجر ، فتح الباري، 169/4.

[915]- محمد الغزالي، خلق المسلم، ص8.

[916]-نفسه: ص9.

فالعبادات تنظم سلوك الإنسان "وعمله وفكره وشعوره،وإنها لتدفعه إلى فعل الخير وما ينبغي، وتحول بينه وبين ما لا ينبغي فعله في علاقاته مع أفراد مجتمعه، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وجعل الكون معاشا له، فهو سبحانه وحده الذي يقدر أن ينظم للإنسان شؤون حياته، فيما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم،من آيات بينات،وإيجاد الصلة بين الله سبحانه وبين عباده مرتبط بالمحافظة على الفرائض الدينية، فهي التي تدفع الفرد لأن يتلقى عن الله سبحانه ويرجع إليه في كل سلوك – فردى أو اجتماعي– ويترك غير هذا المصدر، لثقته بأن الله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير بدقائق الأشياء،فهو وحده الذي يهدي إلى النظام الأمثل للحياة والأحياء"[917].

وبذلك نصل إلى أن للشعائر التعبدية أثرا هاما في تدريب السلوك العملي للإنسان؛ حيث تساعده على اكتساب محاسن الأفعال والأقوال، وتصقله من مساوئها.

- **أثر التحكم في النفس عند الضغوطات الاجتماعية للرقي بالسلوك الفردي:**

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **–:"أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا:السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةَ: عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قَالَ:مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ قَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا. قَالَ: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ"** [918] نلاحظ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن أي ردة فعل إثر استفزاز بعض الناس،وتحت أي ضغط اجتماعي،فالإسلام دين حضارة وسلوك ولا يرضى لأهله النزول دون مرتبة البشرية المتحضرة،فهذا جَهل على المسلم لأنه لا يعي ما يفعل أو ما يقول، فلماذا ينزل المسلم دون مرتبته التي خصه الإسلام بها وهو يعي ما يقول ويفعل؟ ويكفي الرد عليه بالرفق مثلما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مثل هذا الموقف وغيره .

وبهذا يمضي الإسلام قدما للارتفاع بهذا الإنسان المكرم إلى مستواه الذي وضع له بداية،ويجعل من اللياقة السلوكية زينة يتزين بها المرء كما يتزين باللباس في الأعياد والمناسبات الرسمية.

نستنتج مما سبق أن السلوك البشري يرتقي عند لزومه آداب الإسلام؛ في تحكمه في نفسه عند وقوعه تحت الضغوطات الاجتماعية.

---

[917]–محمد السيد محمد الزعبلاوي،تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس،ص:165–166 .

[918]–سبق تخريجه ص:192.

- **أثر ضبط النفس حال الغضب في الرقي بالسلوك الإنساني:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" **أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أَوْصِنِي قَالَ:لَا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ لَا تَغْضَبْ"**[919] إن الإنسان في حال الغضب تتغير حالته النفسية؛ ومن ثم يتغير سلوكه في الوسط الاجتماعي؛ مما يستنزله عن مكانه المرموق،لأن حالته النفسية تتغير حالة الغضب، وبها تتغير حالته الجسدية حيث يتغير لونه بسبب "تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن؛ كتغير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن غير ترتيب،واستحالة الخلقة حتى لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان له من غضبه حياء، من قبح صورته واستحالة خلقته هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر،لأنه يولد الحقد في القلب والحسد وإضمار السوء على اختلاف أنواعه،بل أولى شيء يقبح منه باطنه، وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه، ولهذا كله أثره في الجسد، وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش الذي يستحيي منه العاقل، ويندم قائله عند سكون الغضب عنه، ويظهر أثر الغضب أيضا في الفعل بالضرب أو القتل، وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فيمزق ثوبه ويلطم خده، وربما سقط صريعا،وربما أغمي عليه،وربما كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة، ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله صلى الله عليه وسلم " **لا تغضب"** من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسدة؛ مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته, وهذا كله في الغضب الدنيوي" [920]، وقد كان لصورة الغضب واقع تطبيقي في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فعن سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ أَمَجْنُونٌ أَنَا اذْهَبْ"** [921] فالرجل لم يع ما يفعل من شدة الغضب،حتى رد على قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يكترث لما يقول،بل عد الاستعاذة من الشيطان الرجيم نوعا من الجنون؛فالرجل فقد توازنه النفسي مما أدى به

---

[919]- صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ، رقم الحديث 6116.ص: 1122 .

[920]- ابن حجر، فتح الباري ، 10/734-735.

[921]- صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب ما ينهى من السباب واللعن ، رقم الحديث: 6048.ص: 1112 . وكتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث:6115.ص: 1122، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث: 3282.ص: 601 ،وصحيح مسلم،كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، رقم حديث:2373.ص: 855.

إلى فقدان توازنه السلوكي حتى مع ما نصحه به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،فبسلوكه هذا خرج من شخصيته البشرية السوية إلى شخصية أخرى صار يتعارف بها في المجتمع، وأصبح يتحاشاه الناس بسببها، لأنه لا يتمالك نفسه حالة الغضب،فعن أبي هريرة—رضي الله عنه- قَالَ:قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**"[922]، فهو سريع الغضب ودائم الخصومة، مما أرداه عن مكانته الأخلاقية وصار من أبغض الرجال عند الله،في حين أن الشديد بالصرعة الذي يصرع غضبه النفسي،ويمتلك زمامها بعقله،فلا يتصرف إلا بما يرضي الله تعالى.

إن لضبط النفس حال الغضب أثر هام في الرقي بسلوك الإنسان.

وعليه فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حث على آداب أخلاقية يتوخى منها آثارا على مستوى سلوك الإنسان؛وهذه الآداب تعمل في مجموعها لإيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة،والمتحضرة في حلها وترحالها، ذات سلوك راق .

[922]- صحيح البخاري، باب الحذر من الغضب ، رقم الحديث 6114. 127/4. وصحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب - حديث:2609.ص: 931.

المطلب الثاني:أثر اللياقة السلوكية في حصول الخيرية في المسلم

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ:" **لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**" [923]، وهذا تأكيد من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن اللياقة السلوكية مستجلبة للخير،فهي تقتضي حصول الخيرية في صاحبها فور اتسامه بمحاسن الأخلاق،وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقعا تطبيقيا لهذه الخيرية.

وعد الإسلام حسن الخلق من أفضل ما أعطي المؤمن، فرسالة السماء تسعى- بكل ما أمرت به أتباعها- للحصول على الإنسان المثالي، فهي في كل أمر تشذب وتهذب النفس الإنسانية من أمراضها التي اكتسبتها اكتسابا من المحيط الاجتماعي الذي تعيش فيه، وفيما يلي نماذج لآثار بعض الآداب النبوية التي تعمل على تحصيل الخيرية للإنسان.

- **أثر اللياقة السلوكية في النجاة من النار:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا:الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ:إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**" [924]، فالإسلام لم يقف عند بيان فضل الرفق ومكارم الأخلاق فيجعلها نافلة من جاء بها كانت له زيادة في الأجر،ومن لم يأت بها لم تضره،بل جعل تركها سببا فعليا في خسران أجر العبادة يوم القيامة،فالموقف رهيب جدا: يأتي المرء بصلاة وزكاة وصيام ثم يقضي بها ما جنى عليه فعله؛فالإنسان إذا أمسك لسانه بداية وهذب أخلاقه ما كان له أن يخسر ما قضى السنين في جمعه،ويوم القيامة يعدل بين كل متخاصمين،حتى بين الأنعام[925]، فكيف بين بني آدم الذين زودهم الله بالعقل، وذكرهم بالوحي؛فالمفلس إذن هو مفلس الأخلاق في الدنيا،ويكون إفلاسه وبالا عليه يوم القيامة فيفلس من حسناته؛التي قضى دهرا يجمعها وقد شرح الامام النووي صورة هلاك الإنسان يوم القيامة بسبب سوء أخلاقه

---

[923]- صحيح البخاري ،كتاب الأدب ،باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث: 6035. ص: 1110. و صحيح مسلم،كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم ، رقم حديث:68.(2321).ص: 840.

[924]-صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ، رقم حديث:2581.ص: 923.

[925]- ينظر:صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم،رقم الحديث: 2582. ص: 923.

بقوله:"فَهُوَ الْهَالِكُ الهلاك التام،والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه،فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم، فوضع عليه،ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"[926].

وبذلك "يمكن القول إن وظيفة علم الأخلاق هي وضع المثل العليا للسلوك الإنساني،وذلك لأنه يضع القواعد التي تحدد استقامة الأفعال الإنسانية وصوابها، ويدرس الخير الأقصى الذي يمكن أن تقول إنه يتمثل في السعادة الدنيوية والأخروية للإنسان.وأن السبيل إلى السعادة في الدارين هو التزام العمل طبقا للفضائل التي أشار إليها الإسلام.بل يمكن أن نطرح قولا مؤداه أن الفضيلة تؤدي إلى السعادة، وإن السعادة تؤدي إلى الفضيلة وأن العلاقة بينهما علاقة تبادلية دائرية"[927].

فاللياقة السلوكية ضرورة حضارية،لا يمكن اعتبار أي أمة متحضرة إذا لم يتمتع أفرادها بهذه الخصيصة؛ التي هي من المميزات الحضارية للمجتمعات الراقية، وهي في الوقت نفسه تكون وسيلة هامة في النجاة من النار.

- **أثر اللياقة السلوكية في الحفاظ على الشخصية الإسلامية:**

عن أبي سعيد الخذري—رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**"لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ"** [928]، فهذا الحديث يؤكد عقدة النقص التي تعتري المسلم ضعيف الإيمان في حب تقليد أهل الكتاب، وقد بين العلامة ابن خلدون العلة في حب التقليد بين الناس فقال: "المغلوب مولع أبدا بتقليد الغالب؛في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده،والسبب في ذلك:أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه:إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه؛أو لما تُغالط به من انقيادها ليس لغلب طبيعي،إنما هو لكمال الغالب،فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به،وذلك هو الاقتداء؛أو لما تراه والله أعلم،من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس،وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تُغالط أيضا بذلك عن الغَلَب،وهذا راجع للأول.ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها،بل وفي سائر أحواله...حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى،ولها الغلب عليها،فيسري إليهم من هذا التشبه

---

[926]– النووي، المنهاج على شرح صحيح مسلم ، 352/8.

[927]–محمد شحاته ربيع،التراث النفسي عند العلماء المسلمين، ص:31-32 . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة. د ط: 2004م.

[928]– صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب قول النبي لتتبعن سنن من كان قبلكم،رقم الحديث7320.ص: 1325.

والاقتداء حظ كبير...فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم،حتى في رسم تماثيلهم في الجدران والمصانع والبيوت،حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء" [929]، وهذا الاستيلاء ليس لزاما أن يكون استيلاء عسكريا،وإنما يمكنه أن يكون استيلاء معنويا نفسيا، بسبب مركب النقص الذي يعيشه بعض المسلمين من غربة في الدين والأخلاق، فلم يجدوا بدا من أن يتشبهوا باليهود والنصارى –كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم – تاركين تراثهم الضخم الذي تعج به المكتبات العربية والإسلامية،وآثار المسلمين الذين كانوا في حقبة زمنية ليست بالقليلة تحكم البلاد والعباد وتنشر العدل والأخلاق،وكانت أفضل أمة حكمت الأرض في التاريخ البشري وذلك بشهادة المولى تبارك وتعالى:(**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**)[930]،فالخيرية حاصلة في هذه الأمة إلأى يوم القيامة، لكن الشباب المسلم ذهل عن تراثه وانطلق إلى بريق الحضارة الغربية الزائف، وترك أمته،وإن معظم المسلمون يقلدون الغرب رغم علمهم التام بتأخر الغرب في المستوى الأخلاقي، متجاهلين بذلك كل تراثهم الديني والأخلاقي العريق، فأصبحوا لا قبلة لهم سواه،والله المستعان على ذلك، فالضعف "الذي أصاب الجسد الإسلامي، والذي من أعراضه موت خلاياه...وهو الشعور بالتميز والتفوق الحضاري، ليس تفوق فرد على فرد،وإنما تفوق مجتمع على مجتمع،وحضارة على حضارة، فالمسلم لم يعد يشعر بأنه يحمل شيئا يحتاج العالم إليه،وهذا الأمر بحاجة إلى التأمل،ومسلم اليوم لا يشعر ولا يدرك،أي:لا هو مقتنع غيبيا ولا عقليا،لأن غيبته فقدت السند العقلي،ومن يدرك الحقائق لا يغتر بأقوال من زعموا الكمال،لأنهم يتكلمون بالبطلات وهم منهزمون، ولا يفطنون إلى الذي ينقصهم،أو ينقص آليتهم الاجتماعية، حتى يستطيع الفرد في المجتمع أن يكون منسجما بين سلوكه وأفكاره" [931]. فمسلم اليوم أصبح لا هوية له إلا الانتماء إلى الغرب بكل ما يميزه كشخص عن شخص آخر، فصارت جثته هنا،وروحه هناك، كلامه متخضرم بين هنا وهناك، لكن أخلاقه من هناك،وما أدراك ما هناك؟بل صار يتكبر على أهله بما حفظه من الغرب من كلام ومن عري باسم الحضارة، والأدهى والأمر أنه أضحى الكثير من الكتاب المسلمين يدعون إلى خلع الحياء، مصورين أن الحضارة هي

---

[929]– عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون،المقدمة،ص: 149.دار الفكر المعاصر للطباعة النشر والتوزيع.بيروت.لبنان.د ط: 1424هـ-2004م.

[930]–سورة آل عمران ، الآية: 110.

[931]– جودت سعيد، فقدان التوازن الاجتماعي، ص14. المطبعة العربية.ط1(في الجزائر) .د.ت.

ما انتهجه الغرب في حلهم وترحالهم، وهو"لا يعلم كيف تنطلق الحيرة وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان،في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام...تحت عنوان من شتى العناوين في جميع الأزمان..هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلة الموازين.... ولكن ماذا؟ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري وخلو القلوب من الإيمان بالله"[932]، فالمؤمن عليه أن يحدد هويته ووجهته "فلا يتلجلج ولا يتردد ولا يتحير بين شتى السبل وشتى الاتجاهات.إنه ليست هنالك مناهج متعددة للمؤمن أن يختار واحدا منها،أو يخلط واحدا منها بواحد..كلا!إنه من لا يدخل في السلم بكليته،ومن لا يسلم نفسه خالصة لقيادة الله وشريعته"[933]يعتبر منافقا يخادع نفسه وأهله، حتى يفيق ويدع هذه الخصال.

والإسلام منع من كل ما يُخل بشخصية الفرد،حتى لو كان تقليدا في بعض ممارسات الحياة اليومية،ويكفينا أن نقرأ نص صاحب الظلال عما خلفته الحضارة الزائفة على المجتمع الغربي الذي طال على المسلم الزمان وهو متجه إليه كقبلة له في هذه الحياة،حتى إننا لنرى المرأة تضرب بحجابها وعفتها عرض الحائط،مقلدة في زيها ومشيها وكلامها للكتابية،مبينة أن موقفها حضاري بلا نقاش،والنبي صلى الله عليه وسلم يبغض هذا النوع من الناس، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ:"**لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**"[934]،وما يصدق على المرأة يصدق على الرجل،فإن الشباب المسلم بهذا التقليد يخرج من حرام ليدخل في آخر:من تغيير لخلق الله، وتعاطي ما حرم الله،هذا كله باسم الحضارة والتقدم والتقليد الحضاري،ناظرين للإسلام على أنه نوع من الرجعية والتخلف، في حين هو دين التقدم والتطور الحضاري منذ ما يربو عن خمسة عشر قرنا،وهو أول من دعا إلى الرقي الحضاري وجعله ضرورة لابد منها في حياة البشرية، وما ضربه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في مجال ملك العالم لا يخل منه كتاب يتحدث عن الحضارة،وما البريق الاشهاري للحضارة الغربية إلا زيف أخذ بألباب المهطعي المقنعي رؤوسهم لكل ناعق يخالف ممتلكم العريق؛وما الإسلام إلا قيم حضارية بنى النبي صلى الله عليه وسلم به العالم بعدما كان يعج بأباطيل الجاهلية، وترهات الكنائس المحرفة لكتاب الله تعالى دهرا،فقد أخرج رجالا من براثين الانحلال الخلقي،ورفعهم من

---

[932]- سيد قطب، في ظلال القرآن ، 1 / 210.

[933]-نفسه.

[934]- سبق تخريجه ص:270.

مستوى البهيمية إلى مستوى لا يليق عنه إلا القول بأنه هو الإنسانية الحقة،وما ذاك إلا لأنه دين الحضارة والقيم العليا، وهذا الغرب الذي نراه اليوم على شفا الانهيار الحضاري بسبب انهيار القيم العليا فيه وكما يقول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت إن ذهبت أخلاقهم هم ذهبوا

فإن فهم "ما يأمر به الله هو الذي يقتضيه العقل والفطرة، وعين الصواب، فالوصول إلى هذه المرحلة وتحصيل هذا الوعي يعطي لذلك الذوبان بريقا خاصا لا يملك الإنسان أمامه إلا الاعتراف والإقرار،فهذا النوع من الوعي لأمر الله هو الذي يعطي التوازن للإنسان في جميع المستويات:في الأسرة، والمجتمع الخاص،والمجتمع العالمي وكلما زاد الإيمان بالغيب، والإيمان بالشهادة،وتواطأ الجانبان في الموضوع زال الجانب السلبي، وحلت الفاعلية محله"[935]، وأصبح المؤمن هو الأقوى، وهو السيد لأنه يحمل رسالة السماء المحفوظة من التحريف البشري–وهذا لا يوجد في أي أمة أخرى غير أمة الإسلام–وعندما يعي المسلم هذا الوعي يُعرف رسالته إلى العالم الذي ما فتئت تنهشه أعراض الدنيا، وتتكالب عليه خرافات الكنائس.

إن الإسلام وهو يبني الفرد فإنه يراعي الكثير من الخصائص التي يتمتع بها،لكن في نفس الوقت يحارب كل ما يؤثر في شخصه ويحرفه عن جادة الصواب،ومن أهم ما حافظ الإسلام عليه في الإنسان هو: شخصيته،إذ كره له أن يكون نسخة طبق الأصل لغيره في أي شيء، حتى في إطار المعاملات التي كثيرا ما يكتنفها التقليد، يقول الزمخشري موضحا حال المقلد:" أمع الإمعة الَّذِي يتبع كلَّ ناعقٍ يتبع كل ناعق ويقول لكل أحد أنا معك لأنه لا رأي له يرجع إليه، ومعناه:المقلد الذي يجعل دينه تابعا لدين غيره بلا رؤية ولا تحصيل برهان...وفيه إشعار بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق فضلا عن الاعتقادات والعبادات" [936]،لأن المقلد غير واع لها وغير مقتنع بالآثار المحصلة منها،حتى إن الواحد منهم لا يفهم الكثير من مقاصد ما يقوم به،المهم عنده أنه يقلد من يحب،وهذا المعنى جنى الكثير علينا –في الوقت الحاضر– الكثير من الويلات، فالإسلام نهى بداية عن التقليد اللاواعي بين المسلمين، لكن الأمر اليوم صار أدهى وأمر،فقد أصبح المسلم يقلد الكافر معتدا في نفسه أنه هو الأفضل،فهو يقلده في كلامه،وفي لباسه،وفي أخلاقه،بل بعض المسلمين أصبحوا يقلدون حتى فيما حرم الله،فهم يشربون الخمر ويتعاطون المخدرات،متباهين بذلك لأنهم ينظرون إليه على أنه تقدم حضاري. فالمسلمون "لم يكن تأخرهم

---

[935]– جودت سعيد، فقدان التوازن الاجتماعي، ص38.

[936]– **الإمعة** : الَّذِي يتبع كلَّ ناعقٍ ، الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر، 57/1.

لإيمانهم،بل بترك الأخذ بالأسباب الذي هو من ضعف إيمانهم،ولم يتقدم غيرهم بعدم إيمانهم بل بأخذهم بأسباب التقدم في الحياة،وقد علموا أنهم مضت عليهم أحقاب وهم من أهل القسم الأول بإيمانهم وأعمالهم،وما صاروا من القسم الثالث إلا لما ضعف إيمانهم وساءت أعمالهم وكثر إهمالهم،فلا لوم إلا عليهم في كل ما يصيبهم"[937].

وعليه فالإسلام يمنع المسلم من التقليد اللاواعي، والذهول عن ممتلكاته لأن ما يحمله من قيم حضارية تعجز الأمم –حتى لو اجتمعت–أن تأتي بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا،وما تعاليمه إلا الحضارة التي شاءت إرادة الله تعالى أن تكون في هذه الرسالة الخاتمة.

[937]–عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ص:82.

المطلب الثالث: أثر العناية بالفطرة في الحفاظ على الشخصية الإسلامية

جاء الإسلام من أجل إصلاح الفرد في إطار جماعته،ولكي يحقق ذلك فقد اهتم بالإنسان منذ نشأته الأولى، وأكد ضرورة التوجيه الأسري لحياته:في استقامته—أو انحرافه–في مستقبله، فعن أبي هريرة —رضي الله عنه–قَالَ:قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**" [938].إن مرحلة الطفولة من أخطر مراحل حياة الإنسان،وأهمها:لأنها تتميز عن غيرها من المراحل بمميزات جليلة؛فالطفل كالصفحة البيضاء النظيفة من كل ما يشين كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم،وهذه المرحلة أساس لمراحل حياة الإنسان الأخرى، وفيها أساس التفتح الإنساني:فتنمو مداركه، وتبرز وتتحد مشاعره،وتتبين أحاسيسه،وتنمو استعداداته،وفيها تتفتق مواهبه،وتبرز مؤهلاته، وتتجاوب فاعليته مع الحياة،سلبا أو إيجابا،وتتحدد ميوله واتجاهاته،نحو الخير أو الشر، وتأخذ شخصيته بالبناء والتكوين،لتصبح–فيما بعد–متميزة عن غيرها من الشخصيات الأخرى... فالطفل عجين صالحة للتشكيل، وأرض بكر؛كل ما يغرس فيها من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، يؤتي أكله في مستقبل حياته؛فإذا أرادت أمة من الأمم أن تصلح فردها ومجتمعها فالإسلام وجهها إلى الحل،فلا نتصور في بناء صرح كبير—وأعني بذلك بناء حضارة أمة— بوضع اللبن على أنقاض بناء تهدم ويوشك على الزوال،فإذا ما حاول مجتمع ما إصلاح نفسه،فعليه أن يبدأ بالإنسان في المهد،وبذلك يستطيع—بإذن الله تعالى— الحصول على ثمرة ناضجة،تعمل على الرقي الحضاري واستمراره،لا على هدمه واستئصاله،كما نلاحظه اليوم في المجتمعات الغربية التي ضرب شبابها القيم الحضارية عرض الحائط،معطيا أسوأ صورة عرفتها البشرية في مجتمع قبل هذا —ورغم كل ذلك فهي قبلة شبابنا– فهي جمعت بين معاصي الأمم الغابرة؛ التي أهلكها الله تعالى بمجرد إصرارها على معصية واحدة منها،فقوم سيدنا لوط عليه السلام أهلكهم بانحرافهم الجنسي الطبيعي الذي ما تم الإعلان عنه إلا جاء استئصالهم بغتة وهم في غمرة ساهون،وهذا الغرب اليوم يدعو إلى الانحراف الجنسي علنا، ويطالب حكوماته بعقد الزيجات بين الجنس الواحد، وفوق هذا يعتبرونه حقا من حقوقهم. والاستكبار الذي أهلك الله به فرعون وقومه،أيضا نرى الغرب–الذي يلبس ثوب الحضارة معكوسا–يؤكد الطبقية في المجتمعات، بل ويفخر بتقسيمه العالم إلى عدة طبقات:فهذه الدول المتقدمة،وهذه الدول السائرة في طريق

---

[938]– سبق تخريجه ص:49.

النمو،...والعجيب في الأمر أنه يضع نفسه في أعلى المراتب؛ رغم ما ابتلي به من انحطاط خلقي، ويضع الإسلام والمسلمين—وما يحمله تراثهم الأخلاقي العريق- دونه في المرتبة، متناسيا أنه على شفا حفرة من الانهيار الحضاري الزائف،كما حدث للنظام الاشتراكي قريبا والله المستعان .

"ومن هنا كانت ضرورة ترسيخ وتأصيل قيم الإسلام وأخلاقياته في نفوس النشء، حتى يشبوا قادرين على التصدي للنزاعات المادية أو الفلسفات المادية البغيضة؛ التي تنتشر وتسود في المجتمعات الأوربية، والتي تكتب على إنسان هذه المجتمعات البؤس النفسي، والقنوط والسخط وعدم الرضا، وبرغم ما يتمتع به من إمكانيات مادية"[939].

ولهذا دعى الإسلام إلى ضرورة الاهتمام بالأسرة لتحضن الطفل وتقوم معه بعملية التربية الصالحة، وأول عناية لذلك هو الاختيار الحسن بين الزوجين:

1.اختيار الزوج: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" **إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**"[940] إن هذا الحديث الشريف حدد معيارين لاختيار الرجل للزواج:

- **المعيار الأول هو الدين**:ويكون تسمك الرجل بالشعائر التعبدية .وهذا يدل على أن المحافظ على شعائر الله، يمتاز بتقوى الله ويرعى حقوق الحياة الزوجية.
- **المعيار الثاني هو الخلق:** والأخلاق هي السلوكات الاجتماعية التي يقوم بها الفرد تجاه مجتمعه[941].

فيكون تمتع الزوج بهذين المعيارين وسيلة من وسائل المحافظة على استقامة الفطرة.

2.اختيار الزوجة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ [942] بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**" [943] .لقد ركز النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار الزوجة على ذات الدين فقال:" **فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ**" لأن المرأة المتمتعة بالدين تساعد على غرس أصول الدين والأخلاق في نفس الطفل،بحكم كثرة

---

[939]–عبد الرحمان العيسوي،جنوح الشباب المعاصر ومشكلاته، ص85-86. منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان. ط1: 2004م.

[940]–سنن الترمذي كتاب النكاح،باب ما جاء إذا جاءكم من تضرون دينه فزوجوه، وسنن ابن ماجه،كتاب النكاح، باب الأكفاء،حديث: 1963-1899، والمستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب النكاح، حديث :2625-1899،

[941]– ينظر بعض الأخلاق التي يُفترض أن يلتزمها المسلم في الفصل الرابع من هذه الأطروحة.

[942]– فَاظْفَرْ: أَيْ فُزْ بِنِكَاحِهَا. العظيم آبادي، عون المعبود، ص:909.

[943]–صحيح البخاري، كتاب النكاح،باب الأكفاء في الدين،رقم الحديث:5090. ص: 959، وصحيح مسلم،كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، حديث:53.(1466).ص: 510.

احتكاكها به، وهو أيضا ما يساعد للحفاظ على مسار الفطرة،فالإسلام عندما بنى المجتمع الإنساني بناه على أسس متينة،وقد بين دور الأسرة في تشييد هذا البناء، "فقد عرف الإسلام قيمة الأسرة، ودورها في بناء الفرد السوي القوي المؤمن،وبالتالي اعتبرها النواة الصالحة لتكوين المجتمع الصالح، وبقائه"[944]، فيُخرج بذلك أفرادا ذوو لياقة حضارية، تعرف للصغير قدره،وللكبير أسلوب التخاطب معه،لأنها "تعتبر الهيئة الأساسية التي تقوم بعملية التطبيع الاجتماعي للجيل الجديد،أي تنقل إلى الطفل خلال مراحل نموه جوهر الثقافة لمجتمع معين،إذ يقوم الأبوان ومن يمثلهما بغرس العادات والتقاليد والمهارات والقيم الأخلاقية في نفس الطفل"[945] لتترك آثارها على سلوكه ومظهره في مستقبله القريب، فالقرآن "العظيم قد زود أسلافنا بمنهج فكري فذ قادر على فهم وتفسير وتحليل تحولات الأمم والمجتمعات وسبر أغوار الحقائق، والسنن الخاصة بالتحولات الحضارية الكبرى بشكل موضوعي لا مراء في موضوعيته، وتطابقه مع الواقع وعلميته وقدرته المتميزة على كشف التناقضات الداخلية في المجتمعات، وكيفية نموها وعوامل وجودها في الحضارات، مع توضيح تام لاتجاهات التطور التاريخي. إن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته، ونمط حياته وحياة الصدر الأول من أصحابه، لتمثل التجسيد العلمي الواقعي لذلك المنهج الفكري، وحين يتعامل العقل المسلم المعاصر مع الكتاب المجيد بتأمل وتدبر وإدراك معاصر سليم بحثا عن كلياته وغاياته ومقاصده، للوصول إلى منهجية كاملة تشكل ناظما وضابطا لحركة الحياة والإنسان ينسجم مع دورة الكون والوجود، فإن حل الأزمة العقلية الكبرى يصبح في متناوله. وحين يضيف إلى ذلك فهما للسنة وإدراكا يستوعب مرامي وغايات التطبيق النبوي للوحي الإلهي، وتحويله إلى واقع حي بحياة الناس ويمارسونه، فإن حجب الجهل، وظلمات الأحقاد والصراع، وتبديد الطاقات، سوف تنقشع بإذن الله عن هذه الأمة ويرتقي الإنسان المسلم فوق عامل العجز الذاتي؛ ليكون قادرا على إقناع الإنسان المعاصر بكل تعقيداته العقلية والثقافية، والأخذ بيده نحو الهداية والفلاح من خلال إدراك الكليات الإسلامية وتمييز الثوابت عن المتغيرات وإدراك المقاصد وتحديد الغايات"[946].

إن الاعتناء بالفطرة منذ نشأة الإنسان؛ يساعد على تشكيل الشخصية الإسلامية المتميزة في وسط باقي الشخصيات.

---

[944]– عبد الرحمن عيسوي، علم النفس الأسري وفقا للتصور الإسلامي والعلمي، ص131. ،دار النهضة العربية. بيروت. د ط:1993م.

[945] – محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، ص1. دار النهضة.بيروت. لبنان. دط ت.

[946]–طه جابر العلمواني في مقدمة كتاب:كيف نتعامل مع السنة: للقرضاوي،ص: 17– 18.

وبذلك يكون الحرص على حفظ الإنسان لدين الله في كل صغيرة وكبيرة، مع فرض الرقابة الذاتية على السلوك، و استئصال خصال النفاق من النفس، والحرص على الصدق في القول والعمل، مع الحفاظ على أداء الشعائر التعبدية بشكل مواظب، وكذا ضبط الإنسان نفسه عند وقوعه تحت الضغوطات الاجتماعية، كلها وسائل تعمل في مجموعها لإيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة،والمتحضرة في حلها وترحالها.

ونصل في هذا الفصل إلى أن الآداب النبوية ترتبط بحياة الإنسان ارتباطا وثيقا، حيث تمكننا من تحصيل إنساني مسلم رباني ومثالي،ذو شخصية متزنة ومتحضرة تحمل خصائص الإسلام، فتكون محل القدوة للمجتمعات الأخرى.

الفصل الثاني

آثار الآداب النبوية

على المجتمع

الفصل الثاني:آثار الآداب النبوية على المجتمع

توطئة:

قال تعالى:(**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)**[947].

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الخيرية في هذه الأمة، وربطها بأسس عظيمة،وهي:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد الإيمان به، وهذا الإيمان هو الذي تعهد بترسيخه في النفوس المؤمنة خلال المرحلة المكية للدعوة الإسلامية،حيث اعتنى ببناء الفرد المسلم أيما عناية، وخاصة تحت تلك التمحيصات القاسية التي واجهها في هذه المرحلة، ليتجلد ويستعد لبناء المجتمع الإسلامي في الفترة الموالية لهذه الفترة العصيبة،ومن ثم بناء الدولة الإسلامية التي هي خاتمة الدول على الأرض؛ والتي تحمل التشريع الإلهي السليم من التحريف البشري إلى الإنسانية جمعاء، وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم في بناء المجتمع الجديد بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ووضع وثيقة التعامل الداخلي للمسلمين فيما بينهم.

فقام المجتمع المسلم الأول على الحب الفياض الرائق، والود العذب الجميل،والتكافل الجاد العميق،وبلغت تلك الجماعة المؤمنة في كل ذلك مبلغا عظيما، لم تحقق الأجيال المتوالية على الأرض مثله،فلولا أنه وقع في العصر الذهبي،لعد من أحلام الحالمين! فقصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قصة من عالم الحقيقة،ولكنها في طبيعتها أقرب إلى الرؤى الحالمة!وهي قصة وقعت في هذه الأرض،ولكنها في طبيعتها من عالم الخلد والجنان![948]،بسبب سمو العلاقة الأخوية التي زرعها الإسلام بين أفراد مجتمعه،وجسدوها فيما بينهم أحسن تجسيد.

هذا، وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم نظاما داخليا يضبط التحركات الاجتماعية للطوائف الأخرى في المجتمع المسلم،مما سهل بعد ذلك التفاعل الاجتماعي للأفراد في المدينة المنورة،وساعد على النمو والازدهار،وخاصة عندما جعل المسجد كإدارة عامة تشرف على تسيير المجتمع كله،من خلال اللقاء المتكرر للأفراد من أجل ترسيخ الطابع الروحي الذي تمتاز به الدولة الجديدة إلى جانب الطابع المادي، وعلى أنها تستمد كل تشريعاتها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،وفعلا في فترة وجيزة لا تزيد عن قرن استطاع الإسلام أن يبلغ مشارق الأرض ومغاربها، مما يؤكد ربانية التشريع الإسلامي، الذي جاء بقيم أخلاقية تخدم الفرد والمجتمع؛وتجمع

---

[947]-سورة: آل عمران،الآية:110.

[948]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 445/1.بتصرف

شتات البشر المتناثر، وفي هذا الصدد يحكي سيد قطب عن فضائل الإسلام وإبراز كيفية تكوينه ومعالجته للحياة البشرية قائلا: "وهو يتولى الحياة الإنسانية جميعا، لم يعالج نواحيها المختلفة جزافا، ولم يتناولها أجزاء وتفاريق، أن له تصورا كليا متكاملا عن الألوهية والكون والحياة والإنسان،يرد إليه كافة الفروع والتفصيلات؛ويربط إليه نظرياته جميعا وتشريعاته وحدوده، وعباداته ومعاملاته، فيصدر فيها كلها عن هذا التصور الشامل المتكامل،ولا يرتجل الرأي لكل حالة؛ولا يعالج كل مشكلة وحدها في عزلة عن سائر المشكلات"[949]،مما جعل المجتمع الإسلامي الجديد ينمو ويفرض وجوده كأمة في وسط الأمم من حوله؛ بسبب التكامل العميق لأحكامه التشريعية، التي جاءت بمنهج قويم لكل ما يخص الحياة البشرية.

ومن بين التكاملات التي امتاز بها التشريع الإسلامي هو ارتباط الآداب النبوية بآثار قصد منها إضفاء ربانية المصدر وطبع ذلك في السلوكات الاجتماعية العامة،وقد جاء هذا الفصل ليبين بعض الآثار التي سطرتها الآداب النبوية لتحقيقها في المجتمع،وقد تم تقسيمه إلى مبحثين هما على التوالي:

المبحث الأول: آثار الآداب النبوية في تحقيق الوحدة الاجتماعية.

المبحث الثاني: آثار الآداب النبوية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي.

[949]-سيد قطب،العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص20.

المبحث الأول:آثار الآداب النبوية في تحقيق الوحدة الاجتماعية

توطئة:

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ:" **كَانَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْأَنْصَارِيُّ الْمُهَاجِرِيَّ دُونَ ذَوِي رَحِمِهِ لِلْأُخُوَّةِ الَّتِي آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ فَلَمَّا نَزَلَتْ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ قَالَ نَسَخَتْهَا وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُم**"[950].

سبق وأن أشرنا إلى أن أول ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الدولة الإسلامية الجديدة هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، من أجل تشكيل وحدة اجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد؛ مما جعل ذلك سائرا في أمته من خلال هذا النموذج البشري الذي تعايش مع توجيهاته فترة لا يستهان بها؛وهو ما ساعد على إعادة صياغة الجنس البشري في إطار توجيه رباني محكم، فارتقى بإحساس المسلم إلى أفق عال بعاطفة الأخوة التي يشعرها مع إخوته في النسب،وهذه الأخوة أكدت على ضرورة النصرة والحماية.

فالإسلام جمع بين شتات البشر المتناثر فبُنيت المجتمعات فيه على أساس سليم وقلوب صافية ملؤها "حب الله،وحب الخير، وحب المسلمين بعضهم بعضا، فإذا أحب المرء ربه أخلص له في السر والعلانية،وإذا أحب الخير فعله ووجد فيه متعة روحية تفوق كل جزاء، وإذا أحب غيره زالت الأثرة، وانمحى الحقد،واختفى الحسد" [951]،لأن هذا الحب جعل من المجتمع الكبير أسرة صغيرة؛ بسبب المشاعر الفياضة به والتي زرعها بين نفوس أبنائه، يقول سيد قطب عن أخوة الإيمان: " حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه،فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصي به..وماذا يبقى له في نفسه دونهم، وقد اجتمعوا في الله إخوانا؛ يحبهم ويحبونه،ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه؟" [952] وبذلك توحدت القلوب واجتمعت الأجساد وسطر الهدف الوحيد؛ وهو إعلاء كلمة الله تعالى. ولتبقى هذه الوحدة بين أمة الإسلام،وقد قصد من الآداب النبوية آثارا هامة تعمل على ترسيخ هذه العلاقة بين أفراد مجتمعاته،نذكر منها:

---

[950]- صحيح البخاري، كتاب الفرائض ، باب ذوي الأرحام، رقم الحديث 6747 . ص: 1226. و كتاب الكفالة ، باب قول الله تعالى : (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم، رقم حديث: 2292 . ص: 410، و كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون، رقم حديث:4580.ص: 828.

[951]-التهامي نقرة،الإسلام والتربية الاجتماعية، ص22، من مجلة: رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر—السنة الثالثة العدد الثاني صفر1426هـ مارس/أفريل 2005م-

[952]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 919/2.

المطلب الأول:أثر التكافل الاجتماعي في تحقيق الوحدة الاجتماعية

إن للجود وسخاء النفس دورا هاما في تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم،وهذا التكافل –رغم اختلاف مظاهره– إلا أنه يسعى إلى تحقيق أهداف جمة أهمها تحقيق وحدة اجتماعية داخلية بين الأفراد في المجتمعات التي تدين بالإسلام، فعن أبي موسى–رضي الله عنه– قال:قال النبي صلى الله عليه وسلم :"**إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**" [953]،لقد نوه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف بسلوك أفراد قبيلة الأشعريين،الذين يتبعون هذا السلوك الحضاري في حال شدتهم، فهذا التكافل فيما بينهم رفعهم من مرتبة الناس العاديين؛إلى مرتبة الاتصاف ببعض صفات النبوة وهو ما دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : " **فَهُمْ مِنِّي**"،بل وقد نسب نفسه إليهم فقال:"**وَأَنَا مِنْهُمْ**"، اغتباطا بموقفهم الحضاري، لأنهم لا يستأثر أحدهم عن إخوانه بما لديه من طعام،وإنما يقتسمون كل شيء بالسوية،فلا فرق بين الغني والفقير منهم،ولا بين القوي والضعيف،وبذلك ضربوا مثالا عظيما للبشرية يحتذي به من حمل بين جنبيه مثلما حملوا من قوة العاطفة وحب الخير.

هذا، وللتكافل الاجتماعي أسس عدة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

1. أثر القناعة في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي:

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**"[954]،وقد جاء في معناه عند الإمام ابن حجر :"أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع،فعزت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح،أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه؛ فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله, ويكثر من يذمه من الناس ويصغر قدره عندهم؛ فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل"[955].

وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث الشريف أمرين أساسيين من أجل رفع الأداء النوعي في المجتمعات الإنسانية وهما:

---

[953]– صحيح البخاري ،كتاب الشركة،باب الشركة في الطعام والنهد والعروض ،رقم الحديث:2486 .ص: 350. صحيح مسلم،كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم – حديث:6500.ص: 899،

[954]– صحيح البخاري،كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس، رقم الحديث 6446. ص: 1177. صحيح مسلم،كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض – حديث:1051.ص: 347.

[955]– ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 378/11.

- **إبطال قاعدة التصنيف المادي في البشرية** :ودل عليه قوله صلى الله عليه وسلم :"**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ**"[956] وقد أبطل بهذا قاعدة اجتماعية أساسية في الدساتير البشرية؛والتي تصنف الناس حيال الغنى بوجود القوة المادية من كثرة العرض، ونفاسة الممتلكات المادية، والذي كانت له آثار خطيرة في تحديد مصير الكثير من الشعوب،بل هو ما شكل تصنيفا طبقيا بين المجتمعات المختلفة، وقد بالغت بعض المجتمعات حيث جعلته سائرا في المجتمع الواحد؛ وهو ما مكن فئة من الناس من استعباد الكثير من رقاب الخلق تحت معيار المادة،لكن النبي صلى الله عليه وسلم ألغى هذه القاعدة–المتداولة بين البشر منذ قرون– نهائيا .ووضع بدلها قاعدة أخرى للتصنيف حيال الغنى.
- **وضع قاعدة الغنى الحقيقي في البشرية:** وقد دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم :"**الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**"[957]وبهذا يضع قاعدة جديدة للتصنيف بين البشر في تحديد الهوية الاقتصادية وهو: "**غنى النفس**"[958]؛غنى النفس عن الخلق،وغنى النفس عن حب امتلاك كثرة المتاع،فلا يأخذ الناس منها إلا ما يقضي حاجتهم،ويتركوا غيرهم ليستفيدوا معهم،ولا يستحوذوا على كل شيء، وغيرهم لا يملك شيئا،بل ولا يتنافسون على متاع الدنيا، ويأخذون منها كفايتهم فقط،كما يمنع أن يحقد الواحد على أخيه، ويقنع بما قسم الله له،ولا يستغل غيره –عند حاجته– بأبخس الأثمان، ولا يبتز غيره،همه الوحيد في ذلك هو حفاظه على توازنه النفسي حيال أعراض الدنيا،بغنى نفسه وقناعتها،ولا يكون ذلك سببا إلى شغلها عن أمور هي أهم بالنسبة لها،لأن في الذهول عن حقيقة الغنى يوصل إلى مالا يحمد عقباه؛قال تعالى: (**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(4)كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(6)ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(7)ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**)[959]،إن هذه السورة الكريمة تربط قاعة القناعة بكثرة العرض؛لأن الانهماك في تحصيل أعراض الدنيا –وهو ما عبرت عنه السورة الكريمة بالتكاثر– يلهي الإنسان ولا يستفيق إلا وهو على مشارف القبر زائرا له،منتظرا فيه ساعة الارتحال منه إلى دار القرار، حينها سيعلم الناس يقينا أن هذا التهافت على تحصيل العروض وتنويعها ما هو إلا استدراج؛ لا ينفك

---

[956]–سبق تخريجه ص:284.

[957]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[958]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[959]– سورة التكاثر.

الإنسان من قبضته إلا بتزويد نفسه بالقناعة في كل شيء متفرسا عن ثمن هذا النعيم أنه:(ثم **لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**)[960]،إذن الإنسان مسئول عن كل نعمة يتمتع بها في هذه الدنيا؛ مهما تضاءل قدرها في عين صاحبها، وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم بدقة لصاحبيه الخيرين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:"خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ:"**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ**" قَالاَ الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " **وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قُومُوا**" ،فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلاً. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "**أَيْنَ فُلاَنٌ**". **قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّى – قَالَ– فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: "إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ"،فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ"**[961].إن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر صاحبيه—بعد إصابتهما من نعم الله تعالى بواسطة الصحابي الجليل –بوضعهما قبل زمن قصير:من الجوع الذي اضطرهما ألمه إلى الخروج للبحث عما يسد رمقهما، دون تخيرهما من النعم–كما يحصل مع من كان متخما– ما يأكلان المهم في الأمر أن يذهب ألمه وتسد حاجة الجوع، فكان ما كان من حال الصحابي الذي فرح كثيرا بهذا المقدم لأطهر الخلق على الأرض متضيفين عنده وهو ما يبينه قوله رضي الله عنه:" **الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّى**" ؛مقدما أشهى وأطيب ما يقدم لمثل حال أصحابه،لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك هذا الموقف يمر دون أن يلفت انتباه صاحبيه إليه؛فقال "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**" [962]؛إذن جوع لا يعلم ما يسكن

---

[960]– سورة التكاثر، الآية:8.

[961]–صحيح مسلم ،كتاب الأشربة،باب جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ وَيَتَحَقَّقُهُ تَحَقُّقًا تَامًّا وَاسْتِحْبَابِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَامِ. رقم الحديث:140.(2038).ص:747.

[962]–سبق تخريجه ص:286.

ألمه إلا الله تعالى،ثم يأتي الشبع بأشهى وأطيب الطعام على النفس اللحم والتمر والماء البارد،بالطبع هذه النقلة من حال الضيق إلى حال الفرَج، سيُسأل الإنسان عنها،وعن تقديم شكرها من عدمه،ليكون الجزاء من جنس العمل، فعلى الإنسان الانتباه وهو يجمع المتناثر من النعم، ويضع نصب عينيه أن كل ما يجمعه مسؤول عنه:من أين أتى به،ولما كسبه، وكيف أدى شكره عندما استفاد من نعمته،فإذا تمتع الإنسان بهذا الإحساس الرهيب في نفسه،توخى الحذر فيما يكسب وكيف يستفيد منها.

وبذلك تكون القناعة في الامتلاك والقناعة في الاستفادة، والقناعة في المشاركة من أهم الأسس التي تدفع بالإنسان إلى التشارك مع الغير فيما يمتلكه؛وهي من أسس التكافل الاجتماعي بين الأفراد،لكن هذا الأساس لا يحصل إلا إذا تمتع المرء بأساس آخر؟

2. أثر الإيثار عن النفس في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي:

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" **لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سُوقُ قَيْنُقَاعٍ**"[963] إن التعاطف والتلاحم الموجود في الجسد الواحد،عممه الإسلام ليكون بين جميع أفراد مجتمعه،وهو ما مثله الأنصار مع إخوانهم المهاجرين رضوان الله عليهم جميعا؛ عندما هاجروا وتركوا الأهل والديار والمال من أجل إعلاء كلمة الله،فكان موقفهم يضرب به المثل في التاريخ البشري؛ فموقف سعد بن الربيع رضي الله عنه يندر تكرره في المجتمعات التي لا تدين بالإسلام، فالرجل عرض على أخيه قسمة المال،بل وخيره بين زوجاته لينزل له عنها،فيتزوجها بعد أن تحل من عدتها،وبهذا الأسلوب الحضاري بين أفراد المجتمع المسلم الأول استطاع الصحابة –رضوان الله عليهم– أن يملكوا العالم بعد ذلك، لأنهم تخلوا عن الأنانية التي تخرم النفوس، وعرفوا أن المال مال الله وما هم إلا مستخلفون فيه، فقرروا أن يقدموا حب إخوانهم عليه،إيثارا منهم نظرا لسخاء نفوسهم وقناعتهم

---

[963]– صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب ما جاء في قول الله تعالى فإذا قضيت الصلاة، رقم الحديث 2048. ص: 369. وكتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: فإذا قضيت الصلاة – حديث: 2049.ص: 369 ، وكتاب الكفالة ، باب قول الله تعالى: (والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم، حديث:2293,ص: 410-411، وكتاب المناقب الأنصار ، باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، رقم حديث:3780،ص: 686-687،كتاب المناقب الأنصار،باب: كيف آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، رقم حديث: 3937. ص: 715، وكتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه : انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل ، رقم حديث: 5072.ص: 952 ، كتاب الأدب، باب الإخاء والحلف ، رقم حديث:6082.ص: 1117.

حول الامتلاك، وعن أَنَس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: " **أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْطِعَ مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَتْ الْأَنْصَارُ حَتَّى تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقْطِعُ لَنَا قَالَ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي**"[964]، فهؤلاء الأنصار لا يأخذون من الفيء حتى يأخذ إخوانهم من المهاجرين إيثارا وحبا لهم بحب الله، فهذا التكافل زرع بين المسلمين الحب والوحدة ما استطاعت فتن اليهود والمنافقين أن يمزقوها رغم المحاولات المتكررة في ذلك، حيث قرروا أن يكونوا يدا واحدة على من سواهم،وبذلك سجلوا عجائب في الإيثار وقناعة النفس ليس لعاد أن يحصيها عليهم، فقد ضربوا مثاليات في التكافل الاجتماعي عجزت الأرض أن تأتي بمثلهم؛ إلا ما قل في هذه الأمة التي بقي المنهج الذي دفع الأولين لمثل ما قاموا يحرك به أفرادها لمثل ذلك؛ فقد عمل الإسلام على بناء الفرد بصقله من كل ما يشوبه من أخلاق لا تستقيم والفطرة البشرية التي فطرت على العيش في إطار الجماعة.

إن الإيثار عن النفس أساس من الأسس التي يقوم عليها التكافل الاجتماعي.

إذن للإيثار على النفس دور هام في تفعيل التكافل الاجتماعي بين الأفراد،خاصة إذا صاحبته قناعة النفس حيال أعراض الدنيا،وفي مايلي نموذج حي لتصوير مبدأ التكافل الاجتماعي في العصر النبوي،وتمثل ذلك في التشارك في الخير أثناء الحروب :

فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ :"**بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ**" [965]،لقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ التكافل بين أفراد أمته،وقد بدا ظاهرا هذا السلوك الحضاري، حين ألزم به أصحابه في حالات الغزو،حيث منعهم من الترف أثناء هذه الغزوة، وجعل لهم حق الامتلاك فيما يستخدمون فقط، ومن كان له فضل أي شيء،عاد به

---

[964]– صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب القطائع ، رقم الحديث :2376. ص: 428. وكتاب المساقاة، باب كتابة القطائع ، رقم حديث:2377.ص: 428، وكتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم ، رقم حديث:3147.ص: 578، وكتاب الجزية، باب ما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم من البحرين ، رقم حديث:3163.ص: 581، وكتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار : " اصبروا ، رقم حديث:3794.ص: 688، وكتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : " سترون بعدي ، رقم حديث:7052.ص: 1281، وكتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : "سترون بعدي"، رقم حديث:7057. ص: 1282، وصحيح مسلم،كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، رقم حديث:132.(1059). ص: 350، وكتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم ، رقم حديث:1845.ص: 683.

[965]– صحيح مسلم، كتاب اللقطة ،باب استحباب المواساة بفضول المال ، رقم الحديث: 1728 .ص: 634.

على من ليس له مثله، تحقيقا منه للعدالة في الامتلاك حال الغزو–وهي حال شدة– فيكون هذا التكافل العظيم سببا معينا على إشباع حاجات الجيش أثناء الجهاد؛ فيصرفهم عن الانشغال بأي شيء دونه،مما يجعل القلوب متوحدة فتتوحد الأجساد لقتال العدو فيحصل النصر بإذن الله تعالى.

فالتكافل والتلاحم بين أفراد الأمة المسلمة أسلوب حضاري جاء به الإسلام،من أجل بناء المجتمعات البشرية على قيم عليا تنبئ بعلو هذا الدين وبصلاحيته لبناء الحضارات،لأنه من لدن عليم خبير بما يصلح للفرد المسلم ومن ثم للجماعة المسلمة،ويحقق به توحدها وجمع شملها.

إن قناعة النفس والإيثار عنها من الأسس التي تعمل على تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين الأفراد،والذي يؤدي بداهة إلى تحقيق وحدة اجتماعية متينة.

فالإسلام جاء بآداب نبوية تعمل في مجموعها على تحقيق التكافل الاجتماعي؛ للحفاظ على المجتمع متماسكا مترابطا ماديا ومعنويا، فينهض بأتباعه إلى مستوى الخلافة الحقيقي للأرض؛بعد أن يصقل نفوسهم من كل رعوناتها ووحشيتها التي عادة ما تطغى على بقية الصفات الحميدة فيها؛إذا لم تزود نفسها بالقناعة والإيثار عن النفس.

ويبقى أن للوحدة الاجتماعية وسائل جمة تعمل على تشكيلها في المجتمع المسلم،نخص بالذكر منها:

المطلب الثاني:أثر النفقة في سبيل الله لتحقيق الوحدة الاجتماعية

عن أبي هريرة–رضي الله عنه–قال:قال النبي صلى الله عليه وسلم :"**مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ لَدُنْ ثَدْيَيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ شَيْئًا إِلَّا مَادَّتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُجِنَّ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ يُنْفِقُ إِلَّا لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا فَهُوَ يُوسِعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى حَلْقِهِ**" [966]، لقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف المال بجبة الحديد حيث يلبس كل من البخيل والمنفق واحدة منها،فتضيق على عنقه من شدة ضيقها،وصلابتها،وهو ما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "**مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ لَدُنْ ثَدْيَيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا**"،وقد كان لكل منهما تصرف خاص حيال هذه النعمة المغرية،مما ترك لها أثرا هاما على نفسيتهما:

1. **أثر الإنفاق في سخاء النفس وجودها:**وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله:" **فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ شَيْئًا إِلَّا مَادَّتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُجِنَّ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ**" وهو تمثيل واقعي لحال النفس عندما تروض على النفقة؛لأن كثرة امتداد اليد نحو جبة الحديد يجعلها تمتد وتتسع شيئا فشيئا حتى تصير لينة طائعة،مما يوسع الخناق عن صدره، وهو كناية عن اتساع نفس الإنسان عن حب الدنيا، وانصراف نفسه إلى الجود والعطاء المستمر الذي يخفف من وطأة الشح والبخل على النفس،وهو ما يؤدي بداهة إلى إخلاف الله تعالى لما أنفق وبركة ما بقي عنده، وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم بدعاء الملكين:"**اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا**"[967] كما بينه قوله صلى الله عليه وسلم :"**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**" [968]؛إذن فالنفقة في سبيل الله لا تؤثر على نقصان المال،بل تؤدي إلى زيادته بقدر سخاء النفس وجودها.

---

[966]– صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأمور، رقم حديث:5299.ص: 996 ، و كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل ، رقم حديث:1443.ص: 267، و كتاب اللباس، باب جيب القميص من عند الصدر وغيره ، رقم حديث:5797.ص: 1077، و كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، رقم حديث:2917.ص: 536. وصحيح مسلم،كتاب الزكاة، باب مثل المنفق والبخيل، رقم حديث:1021.ص: 339.

[967]– صحيح البخاري، كتاب الزكاة،باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، رقم الحديث :1332.ص: 267.وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك ، رقم حديث:1010.ص: 336.

[968]– جامع الترمذي،كتاب الزهد عن رسول الله ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر،رقم الحديث 2325 . قَالَ أَبُو عِيسَى:"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ". ص383.قال الإمام الألباني: صحيح. ومسند الإمام أحمد بن حنبل،مسند الشاميين،حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، رقم الحديث:18031. 1292. قال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، مسند الإمام أحمد بن حنبل.562/29.

وبذلك يكون لكثرة الإنفاق في سبيل الله أثر هام في تنمية الجود في النفس وسخائها.

2. **أثر البخل في شح النفس وإقتارها:** وهو ما مثله قوله صلى الله عليه وسلم:" **وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ يُنْفِقُ إِلَّا لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا فَهُوَ يُوسِعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ إِلَى حَلْقِهِ**"[969] وفي هذا تصوير بديع لضيق النفس عن العطاء وشحها؛فيكون البخل سببا لتقلص النفس بالشح والذي يؤدي إلى تقلص المال بالضرورة:فلا المال زاد ولا نفسه روضت على الجود،وهو ما بينه صلى الله عليه وسلم بقول أحد الملكين الداعين كل صباح:" **اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**" [970]، فالتلف يصيب مال الإنسان الممسك عن العطاء والمعرض عن الجود، فحب المال يضغط عليه،وحب كثرة المتاع تضغط عليه،والخوف من نفاد المال يضغط عليه:فيقع تحت وطأة عدة ضغوطات حتى لا يستطيع الانفكاك منها، فيحاول بعد ذلك عبثا أن يحرك ما كان ساكنا، لكنها لا تتحرك حلقات نفسه، وحلقات النفس قد تمثل أعراض الدنيا المختلفة التي تُقتر نفس البخيل عن الجود ببعضها، فتكون هي سبب نهايته،وتكون سببا في إتلاف كل ماله لأنه: "**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**" [971] في حين إذا غابت الصدقة عن المال فإنه ينقص لا محالة.

وبذلك يكون البخل سببا في استشراء الشح في النفس،وهذا الشح يؤدي إلى هلاك المال،وكذا زرع الضغائن بين الناس مما قد يؤدي إلى هلاك الأنفس،فعن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:"**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**" [972] فالشحيح لا ينفق في سبيل الله، ولا يعطي حق المساكين في مال الله،والمسكين يتضور جوعا،فلا سبيل لسكون ثورة جوعه، وسد فاقته إلا قتل الغني والاعتداء على ماله.

---

[969]- سبق تخريجه ص:290.

[970]- صحيح البخاري، كتاب الزكاة،باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، رقم الحديث 1442،ص: 267 .وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك ، رقم حديث:1010.ص: 336.

[971]سبق تخريجه ص:290.

[972]- صحيح مسلم ،كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ، رقم الحديث: 2578 .ص:923.

فالشح له آثار وخيمة على حياة الجماعة،إذا ما حل بها أوردها الهلاك، ولتحقيق التكافل الاجتماعي في صوره المتعددة بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أثر الإنفاق والإقتار في حياة الفرد ليستحثه على الإيثار والمسارعة لإغاثة المعسرين وأصحاب الحاجات.

فالإنفاق في سبيل الله تضامنا مع المعوزين وذوي الحاجات أمر يرفع من مستوى المجتمع المسلم،لأن أفراده متكاتفون متكافلون، متماسكون، قال النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: **"الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"** [973]، فالمسلم يشد أخاه المسلم كما يشد اللبن اللبن الآخر حتى يتكون الجدار الصلب، فيكوّنون فيما بينهم مجتمعا صلبا،يصد الهجمات الخارجية عليه، ويرمم التصدعات الداخلية فيه، يقول الإمام ابن باديس شارحا الحديث:"لقد قرر الحديث الشريف معنى الاتحاد الذي يجب أن يكون بين جميع أفراد المؤمنين على أكمل وجه في التصوير،وأبلغه في التأثير،فقد شبههم بالبنيان، وذلك وحده كاف في إفادة الاتحاد،وزاد عليه التصريح بالشد والتقوية ليبين أن في ذلك الاتحاد القوة للجميع...فاقتضى ذلك أن هذا هو واجب كل مؤمن من حيث أنه مؤمن مع كل مؤمن من حيث أنه مؤمن"[974].

فالنفقة عامل مهما في سل سخيمة الحقد والحسد من النفوس،فتتحقق بذلك الوحدة الاجتماعية،بسبب سخاء النفس وجودها وسعيها لما يحقق مصلحة الفرد والجماعة.

---

[973]-سبق تخريجه، ص:218.

[974]-عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشري النذير، ص100-101.

المطلب الثالث:أثر احتواء أصحاب الحاجات في تحقيق الوحدة الاجتماعية

عن أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: **"أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي فَقَالَ هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ"**[975]، فالزوجان يختلقان جوا معينا من أجل أن يأكل الضيف دون أن يحس بأي حرج،ويؤثرانه على نفسيهما وعلى أولادهما ليأكل ما يملكان ليلتهما، فأي مجتمع هذا؟وأي أناس هؤلاء الذين لا يحسبون لحاجاتهم حسابا أمام حاجات إخوانهم، فهم يذوبون في إطار الجماعة،ما سرَّ الجماعة سرهم،وما آلم الجماعة آلمهم، هذا الواقع المثالي كان في العصر الذهبي الذي ما فتئ أصحابه ينهلون من المعين الصافي، إلا تخرجوا بعد ذلك مدارس تعلم البشرية العلم والحياة الحقيقية التي يعيش فيها الفرد للجماعة، والجماعة للفرد.بل وقد عد الإسلام التضامن والسعي في حاجة المحتاجين كأفضل العبادات، فعن صفوان بن سليم –يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال:**"السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ"**[976]، فالإسلام رفع من الجهد المبذول في سبيل هؤلاء المحتاجين إلى المجاهد في سبيل الله، أو الصائم النهار القائم الليل، هذا من أجل أن لا يحس المُتكفل بثقل العبء، فهو يعمل لله تعالى،ولم تفوت عليه أي فرصة عبادة وهو يسعى من أجل هؤلاء الضعفاء؛ وكأنه صائم نهاره وقائم ليله في المحراب يصلي، أو كأنه ممتطيا جواده حاملا سيفه يضرب به أعناق أعداء الله تعالى،لأنه بادر حبا إلى التكفل بهم وحفظ ماء وجوههم من ذل المسألة،فالإسلام حوَّل المجتمع

---

[975]–صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار،باب قول الله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة،رقم الحديث : 3798 .ص: 689. وكتاب تفسير القرآن، سورة الحشر، باب قوله : ويؤثرون على أنفسهم ، الآية :09 ، رقم حديث:4889.ص: 913، وصحيح مسلم،كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث:2054.ص: 753.

[976]–صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الساعي على الأرملة ، رقم الحديث 6006.ص: 1106.و كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل،رقم حديث: 5353.ص:1005،صحيح مسلم،كتاب الزهد والرقائق،باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم،رقم حديث: 2982. ص: 1052.

الكبير المترامي الأطراف إلى أسرة صغيرة يحس الواحد فيه بإخوانه،الكل يتعاون والكل يتواد، والكل يتكافل والكل يتراحم،وترفع فيه البشرية إلى مستوى شفيق المعطي فيه والآخذ على السواء؛ يقول سيد قطب: "وما من مجتمع قام على التكافل والتعاون...وسادته روح المودة والحب والرضى والسماحة،والتطلع دائما إلى فضل الله وثوابه، والاطمئنان دائما إلى عونه وإخلافه للصدقة بأضعافها..ما من مجتمع قام على هذا الأساس إلا بارك الله لأهله–أفرادا وجماعات– في ما لهم ورزقهم،وفي صحتهم وقوتهم وفي طمأنينة قلوبهم وراحة بالهم"[977].

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :"**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[978].

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف حقيقة هيكل المجتمع المسلم؛ الذي يقوم على احتواء الضعفاء فيه وتبنيهم من طرف مجموع أفراده،والتراحم والتعاطف والتواد يقوم على أساس أخوة الدين وهي قاعدة فيه، لأن هذا الأخير لا يقوم دون التكافل والتراحم والتعاطف بين الأفراد ، كون التكافل يجعل المجتمع الكبير المترامي الأطراف كالجسد الواحد، إذا تألم عضو تتداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهو ما بينه رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. "وهذه الأخوة لها حقها فهي تتضمن بعدا عاطفيا يتمثل في المشاركة الوجدانية،فكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية يشعر بآلام وآمال أمته؛ لأنه جزء منها يحس بإحساسها ويسعد لسعادتها ويتألم لألمها"[979] فهو يعيش أوضاع أمته قلبا وقالبا،بسبب وشيجة الدين الذي يربطه بها.

إن التواد والتراحم يضفي بين أفراد المجتمع المسلم ظلالا وارفة فيحقق الوحدة الاجتماعية للأمة.

فالمبالغة في التكفل بالمحتاجين حققت في المجتمع الأول وحدة اجتماعية فذة؛ عز على التاريخ أن يصبغها على مجموع أمة ما،إلا أمة الإسلام عبر تاريخها.

---

[977]– سيد قطب، في ظلال القرآن، 328/1.

[978]– سبق تخريجه ص:218.

[979]–محمد حمدي زقزوق،مفهوم وحدة الأمة الإسلامية من خلال القرآن والسنة، ملتقى الفكر الإسلامي الثاني والعشرين،بعنوان:مفهوم الأمة ومقومات الوحدة الإسلامية منشورات المركز الثقافي الإسلامي.الجزائر–3– طبع بمطبعة البعث. قسنطينة –الجزائر–

المطلب الرابع:أثر حسن الجوار في تحقيق الوحدة الاجتماعية

إن المجتمع الإسلامي مجتمع متفتح على العالم، وتستطيع كل الطوائف أن تعيش فيه، ومن أجل ضمان الوحدة العامة للمجتمع فإن الإسلام سلك طريق العدل والمساواة في المعاهدين وأهل الذمة، وألزمهم بواجبات كما أعطى لهم حقوقا ليعيشوا بحرية في دينهم غير مرغمين على اعتناق الإسلام، ولا على ترك الديار، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم واقعا تطبيقيا لأقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ فَلَمَّا جَاءَ قَالَ :**"أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"** [980] فكثرة الوصاية بالجار تومئ إلى ضرورة إكرامه والإحسان إليه ماديا ومعنويا؛ من أجل أن تحفظ المودة بين أفراد المجتمع,فالإسلام سعى من خلال بعض الآداب النبوية التي ألزم بها أتباعه إلى تحقيق الوحدة الاجتماعية، وهذه الوحدة تؤدي بالضرورة إلى التماسك والاستقرار الاجتماعي العام.

وسوء الجوار يعمل على زعزعة العلاقة الأخوية بين أفراد المجتمع: فعن أبي شريح –رضي الله عنه– قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"** [981]،لقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان على الذي لا يأمن جاره تقلباته الأخلاقية والسلوكية،مما يجعله يضطرب في معيشته مترقبا الظلم ينزل به بفقدان الأمان من جاره،ولهذا كان جزاء إحداث هذا الاضطراب في حياة الجيران فقدان الإيمان من قلب الظالم المؤذي لجيرانه،لأنه تسبب في اضطراب الوحدة الاجتماعية العامة في المجتمع بهذا التصرف.

إن الأخلاق هي رابطة أفراد النوع الإنساني وعشائره وأممه، وبريد عقله وواسطة تفاهمه، فإذا حسنت قويت روابط الألفة،وتمكنت أسباب المحبة وامتد رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم،وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتلاحمت الأيدي على التعاون والتزاور، وجنى العالم من وراء ذلك الأمن واطراد العمران،وإذا قبح كان الحال على ضد ذلك، فالكلام السيئ قاطع لأواصر الأخوة باعث على البغضاء والنفرة، يبعد بين العقول فتحرم الاسترشاد والاستمداد

---

[980]– صحيح البخاري،كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم حديث:8014.ص: 1107، وصحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ، رقم حديث:2625.ص: 935.

[981]– صحيح البخاري،كتاب الأدب ، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم الحديث: 6016 .ص: 1107-1108. وصحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم حديث:46.ص: 30.

والتعاون بين القلوب؛ فتفقد عواطف المحبة وحنان الرحمة .وهما أشرف ما تتحلى به القلوب وإذا بطلت الرحمة والمحبة بطلت الألفة والتعاون وحلت القساوة والتعاون وتبعهما التخاصم والتقاتل وفي ذلك كل الشر لأبناء البشر [982] في حين أن السماحة في التعاملات تعمل على تحقيق الوحدة الاجتماعية العامة، فعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى**" [983]، وبهذا يمضي الإسلام ليشيد باللياقة السلوكية للفرد وهو يتعامل مع مجتمعه،فالمرء الرحيم بالخلق هو المتصف بصفات الله تعالى،فيكون الله رحيما به،فهو يرحم الناس إذا باع لهم،ويرحمهم إذا اشترى منهم، ويرحمهم إذا اقتضى حقه منهم،فالله يرحمه برحمته لخلقه،وقد شرح الإمام ابن حجر الحديث الشريف بأنه "الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"[984].

وبهذا تكون السماحة في المعاملات من السلوكات الحضارية التي ترقى بالإنسان حيثما حل وحيثما ارتحل،فتشكل بينه وبين إخوانه وحدة لا تتفكك تحت عوارض الأحداث.

ونخلص مما سبق إلى أن الآداب النبوية تعمل في مجموعها وعلى جميع الأصعدة إلى توخي آثار عميقة تعمل على تأصيل هذا الدين في النفس؛وهو ما يشكل وحدة اجتماعية متينة في الوسط الاجتماعي، والذي يقوم أساسه على أحكامه المتكاملة والتي تنظر إلى المجتمع البشري على أنه كتلة واحدة متجانسة الحركة والسكنة.

---

[982]– عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،ص:151. بتصرف

[983]–صحيح البخاري، كتاب البيوع،باب السهول والسماحة في الشراء البيع ومن طلب حقا،رقم الحديث 2076. ص: 374.

[984]– ابن حجر ، فتح الباري ، 437/4.

المبحث الثاني:آثار الآداب النبوية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي

توطئة:

سبق أن ذكرنا في المبحث السابق أن الوحدة الاجتماعية تقوم على أمور كثيرة تعرضنا لبعضها بالتفصيل،والإسلام عمل بتشريعاته لترسيخها في نفوس المسلمين من أجل أن يحقق استقرارا اجتماعيا عاما، من أجل التنمية والازدهار الاجتماعي العام، وفيما يلي نذكر بعض السلوكات الاجتماعية التي جعلها الإسلام كصمامات أمن لحفظ الاستقرار الاجتماعي:

المطلب الأول:أثر الإصلاح بين الناس في تحقيق الاستقرار الاجتماعي

عن أم كلثوم بنت عقبة –رضي الله عنها–قالت:قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**"[985]، إن الإسلام جعل الإصلاح بين الناس من فضليات الأعمال، فإذا حصلت شحناء بين أخوين متخاصمين لسبب من أسباب الدنيا، كان لزاما على بقية الإخوان المسارعة لإطفاء فتيل هذه الشحناء بشتى وسائل الإصلاح؛ من أجل الحفاظ على الوحدة الاجتماعية بين الأفراد مما يعمل على الاستقرار الاجتماعي العام في المجتمع، وقد جعل الإسلام مثل هذه المبادرات الاجتماعية من الصدقات التي يتصدق بها المرء على نفسه في يومه،فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال:قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **كُلُّ سُلَامَى**[986] **مِنْ النَّاس عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ صَدَقَةٌ**"[987]، فالمصلح بين الأخوين المتخاصمين وكأنه تصدق على كل واحد منهما بشيء مادي، لأنه أذهب غيظ هذا وكفى أذى هذا، فكان سببا في وحدتهما بعد فرقة، وحب بعد بغضاء، فقد ناصر كل واحد منهما، هذا ناصره على الظالم، والظالم ناصره بأن أخذ على يده، فهذه الصدقة المعنوية أكبر بكثير من الصدقة المادية بسبب مالها من ظلال وارفة على المجتمع لأنها تحفظه من أي اضطراب تكون الشحناء أهم أسبابها .

فالإسلام عندما تولى إنشاء المجتمع أقامه بلا عوائق،ووضع له قوانين ونظم تحكمه، وفي نفس الوقت تولى ضميره وروحه وسلوكه في جميع الجوانب،فجمع بذلك بين الدنيا والدين في توجيهاته وتشريعاته، وقد قام على أساس توحيد عالم الأرض وعالم السماء في نظام واحد، يعيش في ضمير الفرد،كما يعيش في واقع الجماعة،ولا ينفصل فيه النشاط العملي عن الوازع الديني،ولا يتعدد جوهره الموحد،وإن اختلفت مظاهره ومسالكه [988] فهذا المجتمع إذن هو مجتمع فذ:جاء

---

[985]– صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب بَاب لَيْسَ الْكَاذِبُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، رقم الحديث 2692 . ص: 491.وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه ، رقم حديث:2605.ص: 929.

[986]– **السُّلامى**: جَمْعُ سُلَامِيَة وَهِيَ الأُنْمُلَة مِنْ أَنَامِلِ الْأَصَابِعِ. وَقِيلَ واحدهُ وجمعهُ سَوَاءٌ. ويُجمَع عَلَى سُلَامِيَاتٍ وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ كُلِّ مَفْصِلَين مِنْ أصابِع الإنْسانِ. وهُوَ فِي الأَصْل عظم يكون فِي فرس الْبَعِير، وَهِي عِظَام صغَار يجمعهن عصب.فَكَأَن الْمَعْنى عَلَى كل عظم من عِظَام ابْن آدَم صَدَقَة. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر. 191/2. ابن الجوزي، غريب الحديث: 493/1-494. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 396/2. بتصرف

[987]– صحيح البخاري، كتاب الصلح ، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، رقم الحديث 2707 . ص: 494. و كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، رقم حديث:2989.ص: 548، وصحيح مسلم،كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم حديث: 720.ص:243-244،وكتاب الزكاة،باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم حديث: 1009. ص:336.

[988]–سيد قطب،العدالة الاجتماعية في الإسلام،ص11. بتصرف

مُكَونا كنموذج للبشرية فيحقق بذلك أمة هي خير الأمم التي أخرجت للناس،لأنها تعمل على تحقيق المصلحة العامة لهم من جلب للخير ودفع للشر،وإن من أفضل الخير هو انتهاج أحكام الدين وجعلها هي الحاكم والسيد فيما يقود المجتمع.

فيكون بذلك للإصلاح بين المسلمين أثر فعال في تحقيق الوحدة الاجتماعية ومن ثم تحقيق الاستقرار الاجتماعي.

المطلب الثاني:أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الاستقرار الاجتماعي

لقد جعل الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صماما من صمامات الأمان من أجل حماية المجتمع من أي خطر يتهدده، فعن النعمان بن بشير–رضي الله عنه– قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا؛ فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**" [989] فالمجتمع الإنساني يحوي أصنافا مختلفة من البشر فيهم المؤمن والكافر،وفيهم الشرير والخير،وقد أسديت مهمة إصلاح المجتمعات إلى الخيرين من الناس في كل مجتمع بشري –حتى لو كان لا يدين أفراده بالإسلام– ولولا قيامهم بهذه المهمة نحو المجتمعات لاختل التوازن فيها وطغى الشر، واضطرب المجتمع لغياب الأمان فيه؛ بسبب سيطرة الطغيان على مصالحه العامة؛ فتوحد الجهود في حماية المجتمع من الانحرافات الاجتماعية والأخلاقية، كما يحمي من دخول أي ضر على الجماعة المسلمة فيحفظ عليه توازنه العام.

فهذا الحديث الشريف صور قضية الوحدة الاجتماعية تصويرا بديعا لتشابك المصالح وتوحدها، بإزاء التفكير الفردي الذي يأخذ بظاهر المعاني النظرية،ولا يفكر في آثار الوقائع العملية، ورسم دقيق لواجب الفرد وواجب الجماعة في مثل هذه الأحوال[990].

هذا،وبإجراء مقارنة بين هذا المجتمع الفريد من نوعه،مع مجتمعاتنا المتحضرة الحضارة المادية نجده يعج بالأنانية، بل ويأخذ حق الضعيف واليتيم والأرملة والمسكين دون أي حياء ولا خجل.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعملان على حفظ الاستقرار الاجتماعي العام للمجتمع المسلم.

---

[989]–سبق تخريجه ص:210.

[990]– سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص57. بتصرف

المطلب الثالث:أثر كف التظالم بين المسلمين في تحقيق الاستقرار الاجتماعي

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **"انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ قَالَ تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنْ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"** [991] .إن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أمته بلزوم المناصرة الداخلية بين أفرادها،فلا يترك الظالم على ظلمه حتى يبينوا له ظلمه ويعملوا على كف يده،ولا يترك المظلوم مسلوب الحق،مشحون الصدر حتى يردوا عليه حقه،وإلا تحول هو بدوره إلى ظالم فيفسد في الأرض بعد إصلاحها بسبب الظلم الذي وقع عليه بداية، وبذلك يحافظ المجتمع المسلم على وحدة الأخوة التي عقدها الإسلام بين أتباعه،منذ أن سمعت البشرية بدولته ومن ثم حفظ استقراره الاجتماعي، فالإسلام عندما يعطي أوامره ويسدي نواهيه فإنه يلبسها لباس الحقيقة الشرعية فيما عقده بين أفراده من رابطة الأخوة، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما– قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ"** [992]، فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد في هذا الحديث الشريف سبب منع التظالم بين المسلمون وهو وجود العلاقة الأخوية التي تجمع بين أفراد أمة الإسلام،فهو لا يظلم أخاه المسلم ولا يسلمه لمن يظلمه،بل يحول دون وقوع الظلم عليه، بل وفوق هذا يكون ساعيا في حاجة أخيه –الذي يعجز عن تحصيلها بنفسه–

فالنبي صلى الله عليه وسلم أكد أن المسلم أخو المسلم؛ ومعنى أخوه أي تلزمه معه كل ما يلزم بين الأخوين: من عدم الظلم والنصرة عندما يظلم ، ثم أكد هذه الأخوة فقال:" **من كان في حاجة أخيه**"، فلا يكون أبدا المرء في حاجة أحد إلا إذا أحس برابطة الأخوة بينهما، وجعل كل مبادرة لمساعدة الإخوان ذخرا يوم القيامة، ويأتي حديث يفصل النبي صلى الله عليه وسلم فيه العلاقة الحقيقية بين أفراد أمة الإسلام، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ**

---

[991]–صحيح البخاري، كتاب الإكراه،باب يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه،رقم الحديث: 6952.ص: 1262. وكتاب المظالم، باب: أعن أخاك ظالما أو مظلوما ، رقم حديث:2444.ص: 442، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، رقم حديث:62(2584).ص: 923.

[992]– سبق تخريجه ص:221.

الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" [993]، فقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي حيث قال: **"لا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ"**[994] فالنهي عن التنافس على الدنيا بكل صورها: سواء التحاسد على النعم التي فضل الله بها بين أفراد المجتمع، أو التنافس على السلعة ولا التباغض على نعم الله تعالى، وهذا من شأنه أن يوقع القطيعة بين أفراد المجتمع فيدبر الواحد عن أخيه، وهو ما أكده بقوله: **"وكونوا عباد الله إخوانا"**[995] ثم زاد هذه العلاقة تأكيدا فقال: " **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ"**[996] لغرس معنى العلاقة في نفوس المؤمنين غرسا، فبعد تحديد هذه العلاقة قرر أنه لا ظلم بين الإخوة ولا خذلان،فإذا ما حصل فكأنما الواحد قد خذل نفسه بخذلانه لأخيه فعن أنس–رضي الله عنه–قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"** [997]، وكما سبق المؤمن للمؤمن كالبنيان[998]، فأي خلل يحدثه المرء لأخيه فإنه يهتز هو لهذا الخلل لأنه يشكل مع أخيه وحدة متكاملة تختل لخلل لبنة منها، ثم مضى النبي صلى الله عليه وسلم لتأكيد ذلك بقوله:**"بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ"** [999]، فهو لم يحقر فلان من الناس؛ وإنما احتقر نفسه، ثم بين مستوى العلاقة فقال : **"كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُه"**[1000]،فيحافظ بهذا التحريم لذات المسلم على الوحدة الاجتماعية داخل المجتمع،وهو ما يؤدي بالضرورة إلى استقرار اجتماعي عام، فلا تحاسد ولا تناجش،ولا تباغض، ولا تدابر، ولا عراكا ولا سفكا للدماء، فالكل إخوة متوحدون متكاتفون، وتأكيدا منه صلى الله عليه وسلم على ضرورة الوحدة الاجتماعية المؤدية بالضرورة إلى الاستقرار الاجتماعي جعل أي تعد على المؤمن من كبائر المعاصي،فعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–قال: قَالَ النبي صلى الله عليه

---

[993]– سبق تخريجه ص:221.

[994]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[995]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[996]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

[997]– صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم الحديث 13. ص: 18. صحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، رقم حديث:45.ص: 30.

[998] –ص:212 و ص:285.

[999]–سبق تخريجه ص:221.

[1000]–سبق تخريجه الصفحة نفسها.

وسلم:"**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**" [1001]،إن المؤمنان اللذان التقيا بالسيف موقفهما موقف الكافر، والكافر في النار،وهو المعنى الذي أضافه حديث آخر لمعنى الكفر في هذا الحديث، فعَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ:"**ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيد. قُلْتُ أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ. قَالَ: ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**"[1002]، والعجيب في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خلع اسم الأخوة بين الرجلين فقال: "**كان حريصا على قتل صاحبه**" ولم يقل أخاه، لأنه كان أخاه عندما لم يسع لمنافسته بل وقتله؛لكن عندما دخلت المنافسة على الدنيا وحب الانتقام بينهما فإنه تحول إلى أنه صاحب، ومن شأن علاقة الصحبة المنافسة كما هو معروف في الواقع الاجتماعي، فأنزل العلاقة بين الرجلين من مستوى عال إلى مستوى ينسجم وموقفهما الذي صدر منهما، فقد تسببا في زعزعة النظام العام للمجتمع القائم على الوحدة والاستقرار، فهو يشدد على ضرورة ترك مثل هذه المواقف التي من شأنها زعزعة الاستقرار العام للمجتمع، ويُحمِّل الوزر للبادئ في ذلك فعن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**" [1003]، فالسب والشتم بين الناس من بوادر زعزعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد،ولهذا حمّل وزر المخاصمة للبادئ بها–إذا لم يكن معتديا عليه الظالم– فالتشديد في النهي عن هذا يرجع إلى خطر أثرها على العلاقات الاجتماعية التي ستضطرب، وقد جعل الرمي بأي شائبة للمسلم نوعا من رمي النفس بذلك؛ فيؤكد هذا المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم :"**لَايَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**"[1004]، فارتداد القذف على القاذف ترهيب من أجل أن يتوخى الإنسان الحذر فيما يلفظه تجاه الآخرين،وقد قصد من هذا الترهيب حمل المسلم أن يلتزم رباطة الجأش وحسن المنطق عند الغضب لحفظ الاستقرار الاجتماعي،وقد شدد بترهيبه من هذه

[1001]– صحيح البخاري، كتاب الإيمان،باب بَاب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، رقم الحديث 48.ص: 25. وكتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، رقم حديث:6044.ص: 1111، وكتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا ، رقم حديث:7076.ص: 1284، وصحيح مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم : " سباب ، رقم حديث: 116.(64). ص:36.

[1002]– سبق تخريجه ص:234.

[1003]– صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب النهي عن السباب، رقم الحديث: 2587 . ص: 924.

[1004]– صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب بَاب مَا يُنْهَى مِنْ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ، رقم الحديث 6045 .ص: 1111-1112.

المواقف بالقصاص يوم الحق الذي يُرد فيه كل حق لصاحبه ولو بحسنات المرء فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**" [1005]، فالنبي صلى الله عليه وسلم أرشد إلى ضرورة مبادرة الصلح والتحلل من المظالم في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن القصاص حاصل يوم القيامة لا محالة،قصاص بأغلى الأثمان :فالحسنات التي ضيع الإنسان فيها العمر من أجل تحصيلها،يأخذها غيره مقابل ظلمه له،وإن لم تكن له حسنات، وقع في أمر أدهى وأمر وهو تحميله من سيئات لم يقترف أعمالها،ولكنه أخذ جزاءها لأنه كان ظالما،فصارت عليه ظلمات يوم القيامة: فعن جابر بن عبد الله–رضي الله عنهما–قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**" [1006]،لقد صور النبي صلى الله عليه وسلم هذا الموقف –المظلمة للمؤمن– بأشد تصوير حيث مثلها للظلام الدامس الذي لا يقدر المرء أن يرى فيه أي شيء، فالظلم الذي كان غض الطرف عن نور الحقيقة وأخذ حق الغير –المادي والمعنوي– ظلما وعدوانا جُزي صاحبه بظلمة حقيقية يوم القيامة،وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى نموذج من أنواع الظلم؛ وهو توغل الشح في النفس مما يمنع حق الآخرين في المشاركة المالية للأغنياء،وهو ما أدى بالفقراء إلى استحلال دمائهم بالجرح من أجل سرقتهم، بل وأكثر من ذلك فقد يدفعهم هذا الظلم إلى استحلال محارم إخوانهم من مال وعرض،ولو توخى الغني الحذر بداية ولم يظلم في توزيع ماله فإن الأمر سيختلف،ولهذا كان الظلم ظلمات: ظلام على ظلام، فهذا ظلم بمنع حق الناس في المال فهو ظالم، وذاك أخذ حقه بطريق القوة والعنف فقتل ونهب فهذا ظلم على ظُلم، فيأتي الثاني بظلماته، ويأتي الأول بظلمه وظلمات صاحبه لأنه هو من حمله على ذلك بغمطه حقه، فصور النبي صلى الله عليه وسلم الموقف بالظلمات، وللتخفيف من شدة وطأة الظلمات على الشحيح الذي لا ينفق مخافة النقصان من ماله، ومَن ظُلم بغمط حقه في المال وفي أي شيء آخر أخذ النبي صلى الله عليه وسلم على يد كل منهما حتى لا يقعا في النار كما يقع الفراش فيها،فعن أبي كبشة الأنماري–رضي الله عنه– قال: قال النبي

[1005]– صحيح البخاري، كتاب المظالم ،باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين،رقم الحديث 2449. ص: 443. وصحيح البخاري – كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة – حديث6534.ص: 1190،

[1006]– سبق تخريجه ص:291.

صلى الله عليه وسلم : **"مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا"** [1007]، فالشحيح ضمن له عدم الإنقاص من ماله مهما أنفقه فهو بهذا الإنفاق يزكو وينمو،والآخر—وصاحب كل مظلمة- أرشده إلى الصبر والاحتساب عند الله تعالى بما يخلفه بعد ذلك عزا، وبهذا يحدث التوازن، فإن أخطأ واحد لم تكن ردة فعل من صاحبه؛من أجل أن يحافظ المجتمع الإسلامي على أخوته ووحدته ومن ثم على استقراره الداخلي، وبمثل هذه المواقف: من حب الغير والصبر على المظلمة يحقق المسلم إسلامه الحقيقي الذي أعلنه بداية عند انتمائه إلى هذا الدين، فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الحقيقي للإسلام والهجرة،فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ"** [1008]، فالمسالمة للمسلمين أول شعار يدخل به الإنسان إلى هذا الدين الحنيف، وإن عمل المرء بعكسها لا يتصور أنه يترك لحاله، فعن أبي بكرة -رضي الله عنه-قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:**"مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ"** [1009]، فالبغي وقطع الرحم نوع من نقض عقد المسالمة الذي يعلنه المسلم وهو يعلن الانتماء إلى هذا الدين، ولعل حديث المسالمة يشمل حتى بعض الألفاظ التي يطلقها الناس تجاه بعضهم البعض دون أي حساب،لكن الإسلام نبه عليها وشدد فيها،فعَنْ أَبِي جَبِيرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه قَالَ: **"كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا يَكُونَ لَهُ الِاسْمَانِ وَالثَّلَاثَةُ فَيُدْعَى بِبَعْضِهَا فَعَسَى أَنْ يَكْرَهَ قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ** [1010]"[1011]، شرح سيد قطب الاية بقوله: "المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس، وهي من كرامة المجموع . ولمز أي فرد هو لمز لذات النفس، لأن الجماعة كلها وحدة ، كرامتها واحدة"[1012].

[1007]- سبق بخريجه ص:290.

[1008]- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث: 10.ص: 18. و كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل؟رقم حديث: 11.ص: 18، و كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ، رقم حديث: 6484.ص: 1183، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، رقم حديث:31.ص: 39.

[1009]-جامع الترمذي،كتاب صفة القيامة والرقاق والورع عن رسول الله،باب منه،رقم الحديث 2511.ص408. سنن ابن ماجه،كتاب الزهد، باب البغي،رقم الحديث: 4211.ص454-455. مسند أحمد،أول مسند البصريين،حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة، رقم الحديث 20645.ص1476. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح،مسند الإمام أحمد بن حنبل.16/34.

[1010]-سورة الحجرات،الآية:11.

[1011]- جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب ومن سورة الحجرات، رقم الحديث3268 . قَالَ أَبُو عِيسَى:"هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ" .ص518. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ،مسند الإمام أحمد بن حنبل.202/27.

[1012]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 3344/6.

ولم يقف الإسلام عند هذا الحد من النهي الظاهري، وإنما غاص أبعد من ذلك من أجل العمل على استقرار المجتمع، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما–قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ** [1013]**يَوْمَ الْقِيَامَةِ..**"[1014]، فالتجسس شمة المخادعين المتتبعين لعورات الناس،وهو مرض نفسي يظن المرء فيه أن الكل يحسده،الكل يكيد له،الكل يكرهه فيمضي ليتتبع عوراتهم بالتجسس عليهم،فيزرع في نفوس الناس بذلك زعزعة في النظام الاجتماعي، قال تعالى:(**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)** [1015]، إن أول سبل التفرقة بين المؤمنين هو الظن السيئ، فالإسلام سعى بهذا إلى تطهير "الضمير من داخله أن يتلوث بالظن السيئ، فيقع في الإثم؛ويدعه نقيا بريئا من الهواجس والشكوك أبيض، يُكِنُّ لإخوانه المودة التي لا يخدشها ظن السوء؛والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك،والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع. وما أروح الحياة في مجتمع بريء من الظنون! "[1016]. ثم نهى عن التجسس الذي لا يكون إلا بسبب هاجس الظن السيئ، وكل هذا شعور وهمي يتولد عليه بعد ذلك شعور واقعي وهو التباغض، وربما أدى هذا التباغض إلى درجة الاعتداء على حقوق الآخرين، يقول سيد قطب:"والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن؛وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات،والاطلاع على السوءات، القرآن يقاوم هذا العمل الدنيء من الناحية الأخلاقية، لتطهير القلب من مثل هذا الاتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سوآتهم، وتمشيا مع أهدافه في نظافة الأخلاق والقلوب، ولكن الأمر أبعد من هذا أثرا،فهو مبدأ من مبادئ الإسلام الرئيسية في نظامه الاجتماعي، وفي إجراءاته التشريعية والتنفيذية،إن للناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور، ولا أن تمس بحال من الأحوال،ففي المجتمع الإسلامي الرفيع الكريم يعيش الناس آمنين على أنفسهم، آمنين على بيوتهم، آمنين على أسرارهم، آمنين على عوراتهم" [1017] بالحكم الذي قرره الإسلام

[1013]– **الآنُكُ**: هُوَ الرَّصاص الْأَبْيَضُ. وَقِيلَ الْأَسْوَدُ. وَقِيلَ هو الخالص منه. الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر. 77/1.

[1014]– صحيح البخاري، كتاب التعبير ، باب من كذب في حلمه ، رقم الحديث 7042. ص: 1278-1279.

[1015]–سورة: الحجرات، الآية 12.

[1016]– سيد قطب، في ظلال القرآن، 3345/6.

[1017]– السابق: 3345/6-3346.

فبهذا الأسلوب الرفيع بنى الإسلام دولته على قيم حضارية لم تعرف البشرية لها مثيل قبل ولا بعد، إلا أن يأخذ المرء الإسلام قلبا وقالبا، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

فالإسلام جاء بقيم عليا تحفظ على الأمة وحدتها، متوخيا بهذه الوحدة استقرارا اجتماعيا؛ عبثا حاولت أكبر الدول في التاريخ البشري أن توجده في أممها، لكن دون جدوى والعلة بسيطة فقد سلكت في مساعيها مسلكا بشريا لا مسلكا ربانيا، فباءت جهودها بالفشل، وهو ما شهده التاريخ البشري عبر القرون من تجارب لإصلاح النظام الاجتماعي، لكن دون كبير نتيجة، فهذا النظام الرأسمالي يوشك على الانقراض بسبب النخر الذي يشهده نتيجة التضخم المالي، والأقوام في الأرض يموتون جوعا. وذاك النظام الاشتراكي قد نعي قريبا إلى أهله بسبب سفسطة منظريه، لكن النظام الإسلامي في المجتمع بقي واقفا رغم الأعاصير التي هبت عليه في القرن الماضي، ورغم تميع بعض أفراده لكنه بقي هو الحل الذي سينقذ البشرية من ترديها في غيابات الضلال بإذن الله تعالى، والإسلام في حفاظه على استقراره العام يحافظ على وحدة الجماعة تحت راية واحدة.

ولذلك يكون لكف التظالم بين المسلمين أثر هام في تحقيق الاستقرار الاجتماعي.

فالاستقرار الاجتماعي يقوم على عدة أمور نجمل أهمها فيما يلي:

الإصلاح بين المسلمين ،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كف التظالم بين المسلمين .

نصل في نهاية هذا الفصل إلى أن الاستقرار الاجتماعي ضرورة حضارية من أجل تحقيق النمو والإزهار للدول، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان أفراد المجتمع يشكلون فيما بينهم وحدة اجتماعية متماسكة ومترابطة، ويعملون فيما بينهم ككتلة متكاملة الأجزاء، ومتجانسة الحركة والسكنة.

الخاتمة

الخاتمة:

إن غياب الأخلاق القويمة من المجتمعات البشرية جعلها تتكبد الويلات في حقب زمنية مختلفة، فكانت النبوات التي يختص الله بها بعض عباده وسيلة ناجعة في إعادة التوازن الأخلاقي للمجتمعات التي يظهر فيها الأنبياء، لكن طغيان بعض النفوس البشرية ما تلبث أن تتجاسر على هذه النبوات والتوجيهات الربانية؛ بالحرب في أزمنة الأنبياء أنفسهم أو في أزمنة أتباعهم، وهكذا دواليك بقي الصراع قائما بين الخير والشر، لكن شاءت إرادة الله تعالى أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم؛ بالرسالة الخاتمة التي تحمل في أحكامها تشريعات ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وجعل الله لها حصانة من نفوس أتباعها للحفاظ على الفطرة التي زود الله البشرية بخاصياتها، وقد حمل الدستور الخاتم آدابا كثيرة بكثرة توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم؛ والمصاحبة لكثرة متطلبات الإنسان في هذه الحياة،وذلك من أجل تحصيل آثار هامة على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع؛ لأن موضوع **الآداب النبوية** وثيق الصلة بتنظيم حياة الإنسان من جميع نواحيها.

هذا،ولقد وصلت هذه الدراسة –المعنونة بـــ: **الآداب النبوية أنواعها وأثرها على الفرد والمجتمع**– إلى: أن الآداب النبوية تسعى في مجموعها لتحصين الإنسان في العادات والعبادات؛ وهي تتنوع حسب تنوع المستويات التي يكون مجال تجسيدها؛ وقد جاء البحث ليخص بعضا منها بالدراسة، ومن أهمها: الآداب مع الوحيين المقدسين؛ حيث كانت الآداب فيهما تسعى في مجموعها لتحقيق تعظيمهما وتقديسهما كونهما مصدرا التشريع.

وكذا فإن للعبادات آداب تتلخص في وجوب الحرص على موافقتها للتشريع الإسلامي، مع مراعاة التوكل على الله تعالى، والتزام أسلوب الوسطية للمواظبة عليها.

أما آداب المعاملات الفردية فتنوعت أيضا؛ حيث كان للارتباط الاجتماعي بين الأفراد أهميته العظمى في الاستقرار الاجتماعي.

هذا، والآداب النبوية لها دور فعال على مستوى الفرد؛ حيث تحقق له الارتباط الوجداني بالله تعالى الذي يجعله متكيفا في الإطار الشرعي من ناحية سلوك الأداء الاجتماعي الإيجابي، فإذا تضافرت سلوكات الأفراد في إطار اجتماعي؛ تشكل المجتمع المتماسك والمستقر والآمن بأهله؛ مما يدفع به إلى المواكبة الحضارية الفعلية.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم برواية الإمام حفص:**
- إبراهيم أبو إسحاق بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي:

1. الاعتصام،ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان. مكتبة التوحيد المنامة البحرين ط1. 1421هـ - 2000م.
2. الموافقات في أصول الشريعة. منشورات محمد علي بيضون.دار الكتب العلمية.بيروت. لبنان. ط1: 1424 – 2005 .
3. إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، المعجم الوسيط . دار الدعوة استنبول –تركية- د(ط.ت).
4. احزمي سامعون جزولي،الحياة في القران الكريم.دار طويق للنشر والتوزيع الرياض –الناصرية- ط:1418هـ-1997م.
5. أحمد أبو الحسن بن فارس بن زكريا اللغوي "مجمل اللغة". دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان.مؤسسة الرسالة ط2: 1406هـ- 1986م.
6. أحمد أبو الحسين ابن فارس بن زكريا اللغوي: مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة. ط2: 1406هـ-1986م.
7. أحمد أبو الفضل بن علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي. مكتبة مصر .سعيد جودت السحار وشركائه ط 1: 1421هـ - 2001م.
8. أحمد أبو بكر بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، مؤلف الجوهر النقي:علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني.مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد الدكن.الهند.الطبعة الأولى:1344 هـ.
9. أحمد أبو بكر بن علي الرازي الجصاص،أحكام القرآن، تحقيق:محمد الصادق قمحاوي. دار إحياء التراث العربي.مؤسسة التاريخ العربي.بيروت.لبنان.د.ط: 1412هـ- 1992م.
10. أحمد أبو عبد الله بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس ال ذهلي الشيباني، المسند، بيت الأفكار الدولية. الأدرن عمان، والسعودية. د ط:2004م.

11. أحمد بن عبد العزيز بن محمد الحليبي،المسؤولية الخلقية والجزاء عليها- دراسة مقارنة - شركة الرياض للنشر والتوزيع. الرياض. مكتبة الرشد للنسر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. الرياض. ط1: 1417هـ-1996م.
12. أحمد بن عبد العزيز خلف، منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله تعالى: (رسالة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية تحت إشراف د/ فتح الرحمان عمر)مكتبة أضواء السلف لصاحبها علي الحربي الرياض.ط1: (1419هـ- 1998م).
13. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني . مسند الإمام أحمد بن حنبل،مؤسسة الرسالة،الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995م. حققه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد.
14. أحمد شنتناوي،أحمد زكي خورشيد، عبد الحميد يونس: دائرة المعارف الإسلامية، يراجعها من قبل وزارة المعارف: محمد مهدي علام، د.ط: 1933م.
15. إدريس خضير،التفكير الاجتماعي الخلدوني وأثره في علم الاجتماع الحديث، موفم للنشر و التوزيع. الجزائر. د. ط: 2003م.
16. إسماعيل أبو نصر بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: اميل بديع يعقوب، محمد نبيل طريفي، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1: 1420هـ-1999م .
17. الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي .صحيح بن حبان بترتيب ابن بلبان. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان. ط2 :1414هـ- 1993م.
18. بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني،عمدة القاري بشرح صحيح البخاري. "دار الفكر. د-ط-ت.

- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي:

19. نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة. د ط ت.
20. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. خرج آياته ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- ط1: 1415هـ-1997م.
21. بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. د ط ت.

22. تأليف نخبة من الخبراء،سلسلة المعارف الشاملة.طائلة الملاحقة الجزائية، 2000-2001م.
23. تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبيدة وليد بن محمد بن سلامة المصري السلفي.دار الآثار للنشر والتوزيع. ط 1: 1426هـ-2005م.
24. التهامي نقرة،الإسلام والتربية الاجتماعية،من مجلة:رسالة المسجد،وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. الجزائر—السنة الثالثة العدد الثاني صفر1426هـ مارس/أفريل 2005م-
25. ثائر إبراهيم خضير الشحري،الوسطية في العقيدة الإسلامية، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1: 1426هـ- 2005م .
- جار الله محمود أبو القاسم بن عمر الزمخشري الخوارزمي:
26. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.دار الفكر للطباعة والنشر،ط1: 1397هـ-1977م.
27. أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت —لبنان- للطباعة والنشر د(ط.ت).
28. الفائق في غريب الحديث والأثر.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.د ط: 1993م-1414هـ. تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم.
29. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ومعه حاشية السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد زين الدين أبي الحسن الحسيني الجرجاني. ومعه كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال .لناصر الدين أحمد بن محمد ابن المنير الاسكندري المالكي. وبآخره تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات لمحب الدين أفندي.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. د ط، 1428هـ/1429هـ -2008م.
30. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، غريب الحديث، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان،د ط: 1425 — 2004م.المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي.

- جمال الدين محمد أبو الفضل بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري:

31. لسان العرب.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.ط 1: (1428هـ-1429هـ)-2008م.
32. لسان اللسان تهذيب لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان-ط1: 1413هـ-1993م.
33. جودت سعيد. فقدان التوازن الاجتماعي، المطبعة العربية.ط1(في الجزائر) .د.ت.
34. حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه:عمر بن محمود أبو عمر. دار ابن القيم للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية .الدمام .ط3: 1415هـ - 1995م.
35. الحاكم محمد أبو عبد الله بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع: المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي،إشراف يوسف عبد الرحمان المرعشلي دار المعرفة.بيروت لبنان:د.ط. ت.
36. حسن أيوب،السلوك الاجتماعي في الإسلام،دار السلام للطباعة النشر والتوزيع لصاحبها عبد القادر محمود البكار. ط1: 1422هـ- 2002م.
37. حسن حسن منصور، الموسوعة القضائية في مسائل الأحوال الشخصية. دار الجامعة الجديدة للنشر 38 ش سوتير الأزاريطة. الإسكندرية .مصر .د ط ت.
38. حسين بن عودة العوايشة،شرح صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، خرج أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني،المكتبة الإسلامية بالقاهرة.ط2: 1425هـ- 2004م.
39. خالد بن عبد الكريم اللاحم، مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر، الرياض.ط1: 1425هـ-2004م.
40. خالد فائق العبيدي،القوانين القرآنية للحضارات-دراسة قرآنية لأحداث التاريخ-منشورات محمد علي بيضون.دار الكتب العلمية.بيروت.لبنان.ط1: 2005م-1426م.
41. زكريا بشير إمام،أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم –القضايا والنظريات- (دراسة تحليلية). مكتبة روائع مجدلاوي. عمان. المملكة الأردونية الهاشمية.ط1: 1420هـ-2000م.
42. زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي،طرح التثريب في شرح التقريب، مؤسسة التاريخ العربي. د ط ت.

- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن،السَلامي،البغدادي،ثم الدمشقي، الحنبلي:

43. فتح الباري،تحقيق:محمود بن شعبان بن عبد المقصود. وإبراهيم بن إسماعيل القاضي. ومحمد بن عوض المنقوش. وعلاء بن مصطفى بن همام. ومجدي بن عبد الخالق الشافعي. والسيد بن عزت المرسي. وصلاح بن سالم المصراتي. وصبري بن عبد الخالق الشافعي. نشر مكتبة الغرباء الأثرية. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية. ط1: 1417هـ-1996م.

44. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم. تحقيق وتخريج:عبد الرزاق المهدي.دار الكتاب العربي.بيروت.لبنان.د.ط. 1425هـ - 2005م .

45. سعدون محمود الساموד.وهدى علي جواد الشمري ،أساسيات التربية الإسلامية. مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع عمان، الأردن. د ط: 2003م.

46. سعيد أبو جيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحا.دار الفكر.دمشق.سورية. ط 2: 1408هـ-1988م.

47. سعيد حوى،الأساس في السنة. دار النشر والتوزيع والطباعة والترجمة.ط 1: 1414هـ-1994م.

48. سليمان أبو القاسم بن أحمد الطبراني.المعجم الكبير.حققه وخرج أحاديثه .حمدي عبد المجيد السلفي . مكتبة بن تيمية . القاهرة . د-ط-ت.

49. سليمان أبو الوليد بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا . منشورات: محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية . بيروت لبنان ط1: 1420هـ - 1999م .

50. سليمان أبو داود بن أشعث السجستاني ،السنن، بيت الأفكار الدولية.الأردن. عمان. د ط: 2004م.

- سيد قطب:

51. التصوير الفني في القرآن الكريم. دار الشروق . القاهرة . ط17: 1425هـ - 2004م.

52. العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق،بيروت، الطبعة الشرعية الثالثة عشرة: 1413 هـ- 1993 م.

53. في ظلال القرآن، دار الشروق.القاهرة. مصر. ودار الشروق .بيروت. لبنان. ط 1: 1972م. ط37: 1429هـ-2008م.
54. شهاب الدين أبو الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،تحقيق وتخريج:السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران.دار الحديث. طبع. نشر. وتوزيع. د ت: 1426هـ-2005م.
55. صالح بن غانم السدلان،الضرورة إلى العلم الشرعي،دار بلنسية للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية-الرياض-ط1: 1419هـ-1998م.
56. عباس محمود العقاد،حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت د ط ت.
- عبد الحميد بن باديس:
57. مجالس التذكير من حديث البشير النذير.دار البعث للطباعة والنشر. قسنطينة (الجزائر) ط:1، ت:1403هـ،1983م.
58. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف. ط:1، 1402هـ-1982م.
59. عبد الرحمان العيسوي،جنوح الشباب المعاصر ومشكلاته، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان. ط1: 2004م.
60. عبد الرحمان بن أبي جمرة الأندلسي، بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها، تحقيق د.بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين ط1، سبتمبر1997م.
61. عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون،المقدمة. دار الفكر المعاصر للطباعة النشر والتوزيع. بيروت. لبنان.د ط: 1424هـ-2004م.
62. عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر أبو الفرج، غريب الحديث،منشورات محمد علي بيضون. دار الكتب العلمية.بيروت لبنان.د ت ط .وثق أوصله وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد المعطي أمين قلعجي.
63. عبد الرحمن عيسوي، علم النفس الأسري وفقا للتصور الإسلامي والعلمي،دار النهضة العربية. بيروت. دط:1993م.

64. عبد السلام ياسين،المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا. الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع. بيروت لبنان.ط3: 1414هـ- 1994م.
65. عبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد،العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية-بحث في الأساس التعبدي في التربية الإسلامية- طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. المملكة العربية السعودية.ط1: 1424هـ.
66. عبد الفتاح عاشور،منهج القرآن في تربية المجتمع، مكتبة الخانجي بمصر،ط 1: 1399هـ-1979م.
67. عبد الكريم بكار،مدخل إلى التنمية المتكاملة-رؤية إسلامية-. دار القلم دمشق، الدار الشامية. بيروت. لبنان، ط2: 1422هـ- 2001م.
68. عبد الله أبو عبد الرحمن بن المبارك بن واضح المروزي .المسند ، حققه وعلق عليه: صبحي بدري السامرائي.مكتبة المعارف الرياض. المملكة العربية السعودية.ط1: 1407هـ-1987م.
69. عبد الله أبو بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي شيبة، المصنف ، تحقيق: حمد بن عبد الله الجمعة،ومحمد بن إبراهيم اللحيدان.مكتبة الرشد ناشرون المملكة العربية السعودية.الرياض. ط1: 1425هـ- 2004م.
70. عبد الله بن زيد آل محمود،سنة الرسول شقيقة القرآن،المكتب الإسلامي.ط3: 1407هـ-1986م.
71. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي،دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجا وأسلوبا، دار القلم. دمشق. الدار الشامية. بيروت.ط1: 1410هـ-1990م.
72. عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي السمرقندي، سنن الدارمي، حققه وخرج أحاديثه: سيد إبراهيم، ومحمد علي محمد. ضبط أصوله وفهرسه:مصطفى الذهبي.دار الحديث:طبع ونشر وتوزيع. القاهرة. ط1: 1420هـ-2000م.
73. عبد المنعم صالح العلي العزي،تهذيب مدارج السالكين.ط 1: 1417هـ-1997م. ط2: 1424هـ-2003م.دار التوزيع والنشر الإسلامية.مصر. القاهرة
74. عثمان جمعة ضميرة،منهج الإسلام في الحرب والسلم، مكتبة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع دوار الكرد. الكويت ط1: 1402هـ- 1982م.
75. علي أبو الحسن الحسني الندوي،ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. طبعة شرعية جديدة منقحة ومحققة ومزيدة -مكتبة الإيمان- المنصورة- أمام جامعة الأزهر. د.ط.ت.

76. علي أبو الحسن بن إسماعيل ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان–ط 1: 1421هـ-2000م.
77. علي أبو الحسن بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي.شرح صحيح البخاري، ضبط نصه وعلق عليه: أبو تميم ياسر بن إبراهيم .مكتبة الرشد .الرياض .د.ط.ت.
78. علي أحمد مدكور، منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، مكتبة الفلاح الكويت. ط1: 1407هـ- 1987م.
79. علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح مع شرح مشكاة المصابيح ،لمحمد بن عبد الله القطب التبريزي، تحقيق جمال عيتاني . منشورات محمد علي بيضون .دار الكتب العلمية. بيروت . لبنان . ط 1: 1422هـ – 2001 م.
80. علي بن محمد بن علي الجرجاني:كتاب التعريفات،دار الكتاب العربي بيروت. لبنان. د. ط: 1423هـ- 2002م.

- علي عبد الحليم محمود:

81. سلسة مفردات التربية الإسلامية–التربية الروحية- دار النشر و التوزيع الإسلامية مصر ط1: 1415هـ- 1995م.
82. عالمية الدعوة الإسلامية، مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع الرياض. المملكة العربية السعودية.ط3: 1404هـ- 1984م.
83. علي محمد محمد الصلابي(المصراتي)،الوسطية في القرآن الكريم،مكتبة الصحابة. الإمارات. الشارقة.ومكتبة التابعين. القاهرة. عين شمس. ط1: 1422هـ-2001م.
84. عماد الدين إسماعيل الشهير بلبن كثير،فضائل القرآن .دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان. ط2: 1407هـ- 1987م.
85. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي،المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ط1: 1401هـ-1981م.
86. قطب محمد سانو: معجم المصطلحات أصول الفقه . دار الفكر المعاصر بيروت. لبنان. دار الفكر دمشق –سوريا- ط1: 2000م، إعادة: 1415هـ-2002م.
87. لبيد إبراهيم أحمد، إبراهيم نمير سيف الدين ،عصر النبوة والخلافة الراشدة، مكتبة معارف للنشر والتوزيع. ط3: 1404هـ- 1984م.

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي:

88. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تحقيق: محمد علي النجار . طباعة وتجليد: مؤسسة الأهرام بجمهورية مصر العربية. ط3: 1416هـ - 1996م.

89. القاموس المحيط، قدم له وعلق حواشيه:أبو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية. بيروت –لبنان- ط1: 1425هـ-2004م.

90. مجدي الدين أب السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، مؤسسة التاريخ العربي. د ت ط. تحقيق: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي.

91. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. جمهورية مصر العربية. د. ط. ت.

92. محمد أبو بكر بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري. مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: ماهر سياسي الفحل قدم له: أحمد معبد عبد الكريم. إشراف ومراجعة وضبط وتدقيق الفريق العلمي لمشروع موسوعة جامع السنة.دار الميمان للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية. ط 1: 1430هـ - 2009م .

93. محمد أبو بكر بن الحسين الآجري، أخلاق أهل القرآن،حققه وخرج أحاديثه:محمد عمرو بن عبد اللطيف؛بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث. منشورات محمد علي بيضون: دار الكتب العلمية-بيروت لبنان- ط3: 1424هـ-2003م.

- محمد أبو عبد الله بن أبي بكر أيوب الزرعي ــ الشهير بابن القيم الجوزية_

94. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. المكتبة الثقافية بيروت.د ط: 1403هـ- 1983م.

95. التفسير القيم ، جمعه:محمد أويش الندوي. وحققه:محمد حامد الفقي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. د ط ت.

96. الرسالة التبوكية. تحقيق:محمد عزير شمس، إشراف:بكر بن عبد الله أبو زيد. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.د ط ت.

97. الفوائد. حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه: أبو عبد الرحمان فواز أحمد زمرلي . الشركة الجزائرية اللبنانية .ط1: 1427هـ - 2006م.

98. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية.بيروت . لبنان .د.ط: 1420هـ - 1999م.

99. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة . قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري . راجعه : بكر بن عبد الله أبو زيد.دار بن عفان للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية:ط1: 1446هـ- 1996م.

- محمد أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي:

100. الجامع لأحكام القرآن، حققه وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي وخيرى سعيد.المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر، سيدنا الحسين. د ط ت.

101. الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان- د ط: 1405هـ- 1985م.

102. محمد أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخاري، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية.بيروت. لبنان. ط 5. 1428هـ-2007م.

103. محمد أبو عيسى بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع المختصر من السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل المعروف ب:جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية. العربية السعودية.الأردن. د ط . 2004م.

104. محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي،أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، إشراف مكتب البحوث والدراسات. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان. د ط: 1429هـ - 2009م.

105. محمد السيد محمد الزعبلاوي،تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت.لبنان.ط3: 1417هـ 1997م.

106. محمد الصادق إبراهيم عرجون.القرآن العظيم هدايته و إعجازه في أقوال المفسرين. دار القلم للنشر والتوزيع دمشق الدار؛ الشامية للطباعة والنشر والتوزيع.بيروت. ط 1: (1386هـ- 1966م). ط2: (1410هـ- 1989م).

- محمد الطاهر بن عاشور:

107. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، لشركة التونسية للتوزيع. الدار العربية للكتاب. ت:1979.

108. تفسير التحرير والتنوير.دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. الطباعة: دار مصر للطباعة.د. ط: 1997م.
109. مقاصد الشريعة الإسلامية،دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة–القاهرة–(مصر) (نشر مشترك) د ط: 1427هـ- 2006م.

- محمد الغزالي:

110. الجانب العاطفي من الإسلام بحث في الخلق والسلوك والتصوف. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية. ط3: 1427هـ-2006م.
111. خلق المسلم، دار الجبل: الموسوعة العربية الميسرة . دار الجيل (المحدثة) ط2، 2001م.
112. محمد بن أحمد أبو زهرة ،التكافل الاجتماعي في الإسلام. دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة جديدة: 1991م.
113. محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني،سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام . تحقيق وتخريج وفهرسة: أحمد زهوة . دار الكتاب العربي .بيروت.لبنان .دار الأصالة للنشر والتوزيع . الجزائر د.ط: 1426هـ - 2005م.
114. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن. حقق وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر. راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر. مكتبة ابن تيمية.القاهرة. ط2: د ت.
115. محمد بن صالح العثيمين ،شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ليحيى بن شرف النووي، مشتملة على تعليقات: محمد بن ناصر الدين الألباني ، وعبد العزيز بن باز. دار المستقبل للطباعة والنشر والتوزيع ط1: 1426هـ- 2005م .
116. محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي شرح سنن بن ماجه للبوصيري،حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه: خليل مأمون شيحا .دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .لبنان . ط1: 1416هـ - 1996م .
117. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمن عميرة. وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق والبحث العلمي. بدار الوفاء.د ط ت.

118. محمد بن محمد أبو شهبة،المدخل لدراسة القرآن الكريم ، دار الجيل.لبنان.الطبعة الجديدة: 1412هـ- 1992م.
119. محمد بن محمد الغزالي أبو حامد،إحياء علوم الدين، وبذيله:المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار: زين الدين أبي الفضل العراقي. ضبط وتحقيق:أحمد عناية،وأحمد زهوة. دار الكتاب العربي،بيروت لبنان، ط1: 1425هـ-2005م.
120. محمد بن مطر الزهراني،تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الاول الى نهاية القرن التاسع الهجري . دار ابن القيم للنشر والتوزيع. ط1: 1426هـ-2005م.
121. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي: لسان العرب المحيط.إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دار دراسات العرب –بيروت- د(ط.ت) .
122. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط. دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-ط1: 1413هـ-1993م. دراسة وتحقيق وتعليق:عادل أحمد عبد الموجود، وأحمد النجولي الجمل.
123. محمد حمدي زقزوق،مفهوم وحدة الأمة الإسلامية من خلال القرآن والسنة-ملتقى الفكر الإسلامي الثاني والعشرين بعنوان:مفهوم الأمة ومقومات الوحدة الإسلامية- منشورات المركز الثقافي الإسلامي.الجزائر-3- طبع بمطبعة البعث. قسنطينة –الجزائر- د ط ت.
124. محمد سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن. دار الفكر. دمشق. سورية. ودار الفكر المعاصر. بيروت لبنان. ط 1: 1981. ط 3: 1998م. إعادة: 1421هـ-2000م.
125. محمد سيد طنطاوي،التفسير الوسيط. مؤسسة الرسالة.ط3: 1047هـ- 1987م.
126. محمد شحاته ربيع،التراث النفسي عند العلماء المسلمين . دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة. د ط: 2004م.
127. محمد شمس الحق أبو الطيب العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود. قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه:رائد بن صبري بن أبي علفة. بيت الأفكار الدولية.العربية السعودية. الأردن. د ط ت.

128. محمد عبد الرحمن أبو العلى ابن عبد الرحيم المباركفوري،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه: رائد بن صبري بن أبي علفة. بيت الأفكار الدولية. العربية السعودية.الأردن. د ط ت.

- محمد عبد الرؤوف المناوي:

129. التوقيف على مهمات التعاريف—معجم لغوي ومصطلح-تحقيق:محمد رضوان الداية.دار الفكر المعاصر بيروت.لبنان.ط1: 1410هـ -1990م.

130. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، على كتاب : الجامع الصغير ؛ من أحاديث البشير النذير. للحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي. دار المعرفة للطباعة والنشر .بيروت لبنان.ط2: 1391هـ- 1972م .

131. محمد عبد الله دراز،الدين-بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان- دار القلم، شارع السور- الكويت- د ط: 1400هـ-1980م.

132. محمد علي الهاشمي،شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام، دار البشائر الإسلامية: للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت —لبنان- ط7: 1417هـ-1997م.

133. محمد علي بن محمد التهانوي الحنفي: كشاف اصطلاحات الفنون. وضع حواشيه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت —لبنان- ط 1: 1418هـ-1998م.

134. محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي الأشعري المكي ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. دار الكتاب العربي .بيروت — لبنان . د.ط.ت.

- محمد قطب:

135. الإنسان بين المادية والإسلام.دار الشروق بيروت القاهرة.ط2: 1418هـ- 1997م.

136. كائز الإيمان.دار الشروق القاهرة وبيروت.ط1: 1422هـ- 2001م.

137. محمد متولي الشعراوي، جدد إيمانك. أعده وعلق عليه وقدم له:عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي.المكتبة التوفيقية القاهرة مصر د ط ت .

- محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي:

138. تاج العروس من جواهر القاموس ، دار صادر .بيروت. ط1 ،1306هـ .

139. تاج العروس من جواهر القاموس،التراث العربي،سلسلة تصدرها وزارة الأعلام في الكويت. مطبعة: حكومة الكويت: 1399هـ-1979م. تحقيق:عبد الكريم العزباوي. راجعه:عبد الستار أحمد فراج.

- محمد ناصر الدين أبو عبد الرحمن،بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،الأشقودري الألباني:

140. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م.1995 م.

141. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م

142. محمد هشام بن لعل محمد طاهري،القرآن الكريم ومنزلته بين السلف ومخالفيهم—دراسة عقادية- تقديم:محمد عبد الرحمان الخميسي. دار التوحيد للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية. الرياض. ط1: (1426هـ- 2005م).

143. محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين أبو محمد الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق شركة من العلماء بمساعدة. إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير عبده آغا الدمشقي.

144. محمود حسن، الأسرة ومشكلاتها، دار النهضة.بيروت. لبنان. دط ت.

- محي الدين أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي:

145. التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان.دار النفائس، بيروت،لبنان.ط1: 1404هـ-1984م. ط2: 1407هـ-1987م.

146. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، راجع ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد محمد تامر.الدار الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. د .ط. ت.

147. مختار شاكر كمال،دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، دار البشير. عمان الأردن. ط 1: 1415هـ-1995م.

148. مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري ،الجامع الصحيح،تحقيق وتخريج: أحمد زهوة—أحمد عناية.دار الكتاب العربي.بيروت.لبنان.ط1: 1425هـ- 2004م .

149. مصطفى صادق الرفاعي ،إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة الرحاب-بور سعيد الجزائر-دط ت.

150. المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، دار المعرفة بيروت – لبنان– د(ط.ت).
151. المودودي أبو الأعلى ،مبادئ الإسلام.نشر وتوزيع مكتبة رحاب.الجزائر. 1406هـ-1986م، طبع بمطابع البعث–قسنطينة-(الجزائر).
152. الموسوعة العربية العالمية.الناشرون مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط 1: 1416هـ-1996م. ط2، 1419هـ-1999م.
153. الموسوعة العربية الميسرة. دار الجيل، ط2: 2001م (المحدثة) .
154. موسى بن محمد بن المليانى الأحمدي: معجم الأفعال المتعدية بحرف. دار العلم للملايين. بيروت .لبنان. ط3: مارس 1986م .
155. نديم مزعشلي، أسامة مزعشلي: الصحاح في اللغة والعلوم وتجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والمفنية للمجامع والجامعات العربية. دار الحضارة العربية –بيروت–ط 1: 1974م.
156. هادي حسن حمودى: المعجم الأصمعي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع بيروت. لبنان. ط1: 1418هـ-1998م.
157. وهبة الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان. دار الفكر .بيروت. لبنان.ط1: 1411هـ-1991م.
158. يوسف الخياط:معجم المصطلحات العلمية والفنية، قدم له عبد الله العلايلي. دار الجيل- بيروت.دار لسان العرب –بيروت– د(ط.ت).
- يوسف القرضاوي:
159. الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت شارع سوريا.ط 3: 1405هـ-1985م.
160. في الطريق إلى الله-(1) الحياة الربانية و العلم- مكتبة وهبة الزحيلي: ط 5: 1425هـ-2004م.
161. كيف نتعامل مع السنة النبوية –معالم وضوابط- المطبوعات الجميلة 2 نهج بوطاليس. الجزائر. د ط ت.

الفهرس

فهرست الآيات

القرآنية

فهرست الآيات القرآنية

سورة البقرة **رقم الآية الصفحة**

سورة آل عمران **رقم الآية**

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.....)	30	256
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا.....	31	104
(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ	79	161
(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا.....	83	16
(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ	185	63
(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ	185	170
(وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ.....	191	234
(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ.....	249	227
(وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ.....	280	215

الصفحة

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ	07	73
مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ.....	79	246
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ	85	162
(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ	103	200
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	110	220- 272- 281
(لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ	113- 115	58

سورة النساء **رقم الآية الصفحة**

(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا...	41	92
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	59	19
(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ	82- 83	90- 142
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ	171	161

سورة المائدة **رقم الآية الصفحة**

(وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ.....	46	44
(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا.....	48	88
(مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ.....	117	20

سورة الأنعام **رقم الآية الصفحة**

(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ	122	147- 245
(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.....	162- 163	248

سورة الأعراف **رقم الآية الصفحة**

(وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ.....	20	18
(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا	26	99
(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا.....	31- 32	179
(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ	32	127
(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ.....	204	93

سورة الأنفال **رقم الآية الصفحة**

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.....	02	62
(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ	46	226
(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ	60	256

سورة التوبة **رقم الآية الصفحة**

(إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ..	45-46	155
(فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا	83	156
(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ	97	263
(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ	122	142-145

سورة يوسف **رقم الآية** **الصفحة**

(لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا.....	91	36

سورة إبراهيم **رقم الآية** **الصفحة**

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ.....	07	152

سورة الحجر **رقم الآية** **الصفحة**

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.....	09	161

سورة النحل **رقم الآية** **الصفحة**

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ.....	43-44	109

سورة الإسراء **رقم الآية** **الصفحة**

(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ	53	202
(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ..	82	102
(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ.....	106	100
(وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا.....	109	62

سورة الكهف **رقم الآية** **الصفحة**

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا.....	57	101
(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ	60	17
(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ	109	140

سورة مريم **رقم الآية** **الصفحة**

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا..	58	61_ 81

سورة طه **رقم الآية** **الصفحة**

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي.....	25- 28	151
(أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى.....	45	20

سورة الحج **رقم الآية** **الصفحة**

(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ.....	32	14

سورة المؤمنون **رقم الآية** **الصفحة**

(وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ.....	60	155
(أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ.....	68- 69	90

سورة النور **رقم الآية** **الصفحة**

(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ	2	17
(لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا	12	17
(لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا.....	63	16
(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ	63	113

سورة الفرقان **رقم الآية** **الصفحة**

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.....	01	55

سورة النمل **رقم الآية** **الصفحة**

(إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ....	91- 92	76

سورة القصص **رقم الآية** **الصفحة**

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا.....	77	179

سورة العنكبوت **رقم الآية** **الصفحة**

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ	45	265

سورة الروم	رقم الآية	الصفحة
(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.....	30	49-245

سورة الأحزاب	رقم الآية	الصفحة
(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	21	107
وَمَا كَانَ لِمُومِنٍ وَلا مُومِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا	36	114

سورة يس	رقم الآية	الصفحة
(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ.....	12	43
(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ.....	47	19

سورة ص	رقم الآية	الصفحة
(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ.....	29	95

سورة الزمر	رقم الآية	الصفحة
(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ.....	23	61

سورة الزخرف	رقم الآية	الصفحة
(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ.....	58	72

سورة الأحقاف	رقم الآية	الصفحة
(قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ...	04	41-43
(قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ	40	43

سورة الحجرات	رقم الآية	الصفحة
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ.....	01	106
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ	2-5	14-106-120-122

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا....	11	224
(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ	12	306
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا	13	229

سورة ق	رقم الآية	الصفحة
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ..	37	93

سورة الذاريات	رقم الآية	الصفحة
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.....	56	148-173

سورة النجم	رقم الآية	الصفحة
(وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى.....	04	109

سورة القمر	رقم الآية	الصفحة
(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.....	17	55

سورة الواقعة	رقم الآية	الصفحة
(وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ.....	85	250

سورة الحديد	رقم الآية	الصفحة
ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً	-27 28	130-165

سورة المجادلة	رقم الآية	الصفحة
(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ	11	210
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا....	11	15

سورة الحشر	رقم الآية	الصفحة
(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ	07	107

سورة الجمعة	رقم الآية	الصفحة
(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ.....	05	88

سورة المزمل	رقم الآية	الصفحة
(أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا.....	04	79-

100		
60	06	(إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا.....

الصفحة	رقم الآية	سورة القيامة
43	13	(يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ .....

الصفحة	رقم الآية	سورة الفجر
148	29	(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي.....

الصفحة	رقم الآية	سورة الشمس
185	10-9	(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(9)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا.....

الصفحة	رقم الآية	سورة العلق
75	5-1	(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1)خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ.....

الصفحة	رقم الآية	سورة التكاثر
285	8-1	(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ(1)حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(2)كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ.....

فهرست

الأحاديث النبوية

طرف الحديث **رقم الصفحة**

1. أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ 238
2. أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا:الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ..... 270
3. اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ 291-304
4. احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجَيْرَةً مُخَصَّفَةً.. 123
5. الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ..... 14
6. إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا.....277
7. إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى.... 73
8. إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي.....66
9. إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ.....57-124-175
10. إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ وَلَا..... 174
11. أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْطِعَ مِنْ الْبَحْرَيْنِ 288
12. أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ.....262
13. اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ.....121
14. اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ.. 268
15. اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ"..... 70
16. اقْرَأْ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ نَعَمْ 92
17. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا.....226
18. أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَقَالَ عُمَرُ فَوَاللَّهِ.. 46
19. أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي... 246
20. أَلَا إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَدَمٍ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ.....33
21. أن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافير. 123
22. إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ.... 73
23. إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ.....284
24. أَنَّ الْحَوْلَاءَ بِنْتَ تُوَيْتِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى.....172
25. إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا.....153-169
26. إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ..... 228

27. إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا.....122
28. إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ.... 205
29. إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ.....105
30. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا".....114
31. أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ سُورَةً فِيهَا.....66
32. أن رجلا أتاه فسأله عن شيء فحدثه فقال:الرجل حدثوا عن كتاب الله...108
33. أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ 293
34. أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ 202
35. أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ 206
36. أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أَوْصِنِي..... 267
37. أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُرِحَ فَآذَتْهُ 28
38. أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِي مَرَضِهِ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ 116
39. إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وهو يُحِبُّ 135
40. إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ 104
41. إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِكْرَامَ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ.....67
42. إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم..... 5
43. أَنَّ يَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ 192-267
44. أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ 45
45. انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِصَدْرِهِ.. 61
46. انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ.. 301
47. إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ 188
48. أَنَّهُ سَيَكُونُ مَلِكٌ مِنْ قَحْطَانَ فَغَضِبَ فَقَامَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ 46
49. إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ أَلَا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي 232
50. إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ..... 78
51. إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ..... 134
52. أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ سَمِعْتُ رَسُولَ 295
53. إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا..... 228

54. بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ نُسِّيَ 86
55. بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ وَإِقَامِ 264
56. بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا.... 149
57. بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذْ 288
58. تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعَ مِنْكُمْ".....142
59. تَضْرِبُونَ الْقُرْآن بَعْضه بِبَعْضٍ..... 71
60. تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ الْإِبِلِ..... 85
61. تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ 277
62. ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ عَبْدٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ 25
63. جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ.....126-165
64. الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ 75
65. حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي 128
66. الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ... 211-252-260
67. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ 46
68. خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا..... 134-172
69. خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- عَلَى أَصْحَابِهِ 71
70. خَطَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَطًّا مُرَبَّعًا وَخَطَّ.....250
71. خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"..... 142
72. دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ.....135
73. الدِّينُ النَّصِيحَةُ"قُلْنَا لِمَنْ قَالَ:"لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ..... ...230
74. ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ:أَيْنَ... 233-303
75. رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ 82
76. الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ.....188
77. رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى..... 296
78. السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.... 293
79. سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هذه الآية (والذين يؤتون.....155
80. سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ.... 261

81. سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ"..... 303
82. سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي" 37
83. سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا.....233
84. شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا وَيُدْعَى إِلَيْهَا 105
85. صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ.....64-182
86. الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ 181
87. صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ 90
88. ضَحَّى خَالٌ لِي يُقَالُ لَهُ أَبُو بُرْدَةَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ 164
89. الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ 265
90. عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي 263
91. فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ.....129
92. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ... 95
93. فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ..... 170
94. فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ.. 141
95. فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ..... 138
96. فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا..... 46
97. الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ.....227
98. قَالَ أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ.....28
99. قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِسْمَةً فَقَالَ رَجُلٌ.... 195
100. كَادَ الْخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ 120
101. كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا يَكُونَ لَهُ الِاسْمَانِ وَالثَّلَاثَةُ فَيُدْعَى بِبَعْضِهَا..... 305
102. كَانَ الْمُهَاجِرُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْأَنْصَارِيُّ 283
103. كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدُ 64
104. كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ 67
105. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ..... 248
106. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُصَلِّي فِي رَمَضَانَ 133
107. كَانَ عُمَرُ يَقُولُ: "أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا يَعْنِي بِلَالًا.....204

108. كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ.... 196
109. كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ 68
110. كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ 197
111. كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ.....22-49-276
112. كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب.....125
113. كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَخَصَ..... 87-143
114. كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا..... 252
115. كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ:كَانَتْ 79
116. لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا 110
117. لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ.....221-301
118. لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ..... 238
119. لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ 60
120. لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ.....175
121. لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ..... 302
122. لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ.....201
123. لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ ... .255
124. لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..... 214
125. لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ.....27
126. لَايَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ.....303
127. لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ..... 271
128. لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ،وَتَنْزِلُ..... 99
129. لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ:"كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ 177
130. لَمْ يَفْقَهْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ..... 79 -101
131. لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ.....134
132. لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا 187-270-273
133. لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي.... 287
134. لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ وَكَانَ.....128

135. لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ.قَالُوا:وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ..... 153
136. اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِيَ الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ 150
137. اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا..... 291
138. اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا..... 290
139. اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ..... 138
140. لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا 80
141. لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى..... 141
142. لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ 269
143. لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ..... 284
144. لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا 298
145. لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ..... 80
146. الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ.....157-256
147. الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ 218-292
148. مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ" قَالاَ الْجُوعُ 286
149. مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلَا 72
150. مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي .....258.....
151. مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ 54
152. مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ 182
153. مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا.... 305
154. مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ..... 27
155. مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً.....290-291- 298
156. مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا 195
157. مَا هَذَا،قَالُوا:لِزَيْنَبَ تُصَلِّى فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ..... 173
158. مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ 290
159. مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ 83
160. مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ 210-300
161. مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا.....218-294

162. مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ مَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ... 137
163. الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ..... 72
164. الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ"..... 303
165. الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ.... 305
166. مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ..... 129
167. مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ..... 114
168. مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ 193
169. مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ 303
170. مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ. 264
171. مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ.. 212
172. مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ.....34
173. مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ.....231
174. مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ" قِيلَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ 205
175. مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ.....161
176. مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ..... 59
177. مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ..... 64-181
178. مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ..... 181
179. مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ.....201
180. مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ.....304
181. مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ.... 266
182. مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ.....78
183. مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ.....214
184. مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ..... 138
185. نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلِ..... 141
186. هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَالَ:فَسَمِعَ 70
187. هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ"قَالَهَا ثَلَاثًا"..... 131
188. وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ.....58

189. وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ..... 101
190. وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ.... 96
191. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ... 234
192. وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ..... 100
193. وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ.... 295
194. وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي 148
195. وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْلَا مَخَافَةُ أَنْ يُؤْثَرَ عَلَيَّ الْكَذِبُ لَكَذَبْتُ"..... 45
196. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ... .98
197. وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي.....17
198. يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ أ–95
199. يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ،قَالَ:"قُلْ.. 185
200. يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ. فَقُلْتُ... 169
201. يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ"،فَقَالَ:"أُوصِيكَ.....151
202. يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ.....96
203. يَقْرَأُ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فِي الْعِشَاءِ وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا.....81
204. يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ..... 107
205. يُوشِكَ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ.....232

فهرست

الموضوعات

فهرست
الموضوعات

فهرست الموضوعات الصفحة

مقدمة.....أ
الفصل التمهيدي:مفاهيم أساسية..... 1
المبحث الأول: تعريف الأدب لغة واصطلاحا..... 3
المطلب الأول: تعريف الأدب لغة 4
المطلب الثاني : تعريف الأدب اصطلاحا..... 11
المبحث الثاني : تعريف الأثر لغة واصطلاحا..... 30
المطلب الأول : تعريف الأثر لغة..... 31
المطلب الثاني :تعريف الأثر اصطلاحا..... 40
الباب الأول: أنواع الآداب النبوية..... 49
الفصل الأول:الآداب مع كتاب الله تعالى..... 54
المبحث الأول: تعظيم كتاب الله تعالى..... 57
المطلب الأول:كثرة التفاعل مع كتاب الله تعالى..... 58
المطلب الثاني: تقديس كتاب الله تعالى..... 66
المطلب الثالث:التآلف على القرآن الكريم..... 70
المبحث الثاني:الأخذ بالقرآن الكريم تلاوة..... 75
المطلب الأول: ملازمة قراءة القرآن الكريم..... 78
المطلب الثاني: المواظبة على استذكار القرآن الكريم..... 85
المبحث الثالث:اتخاذ القرآن الكريم سلوكا عمليا..... 87
المطلب الأول:الخشوع والتدبر عند تلاوة القرآن الكريم.....90
المطلب الثاني:الاستماع والإنصات إلى القرآن الكريم إذا قُرِئَ.....92
المطلب الثالث:التخلق بأخلاق القرآن الكريم..... 95
الفصل الثاني: الآداب مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم..... 104
المبحث الأول:تعظيم سنة النبي صلى الله عليه وسلم..... 106
المطلب الأول:تسوية أحكام السنة النبوية الشريفة بأحكام القرآن الكريم..... 107
المطلب الثاني:المبادرة لامتثال أوامر النبي صلى الله عليه وسلم..... 116

المطلب الثالث:توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم..... 120
المبحث الثاني:لزوم السنة النبوية الشريفة وترك التنطع والتكلف والتشدد فيها... 125
المطلب الأول:التوازن بين الأحوال الاجتماعية والتعبدية..... 126
المطلب الثاني:أحوال القيام ووصال الصيام..... 133
المبحث الثالث:فقه سنة النبي صلى الله عليه وسلم..... 137
المطلب الأول:الإنسان المستعد للانتفاع بالهدى والعلم..... 138
المطلب الثاني:الإنسان المستعد لحمل العلم لانتفاع غيره بالهدى والعلم..... 140
المطلب الثالث:الإنسان الفاقد للاستعداد للانتفاع أو لحمل الهدى والعلم..... 144
الفصل الثالث:آداب الطاعات..... 148
المبحث الأول: الاستعانة بالله تعالى في أداء الطاعات..... 150
المطلب الأول:الاستعانة بالله تعالى في أداء المهام الشرعية..... 151
المطلب الثاني:الاستعانة بالله تعالى لتحصيل فضل الله ورحمته..... 153
المطلب الثالث:عدم الغرور عند أداء الطاعات..... 155
المطلب الرابع:دور الاستعانة بالله تعالى في تفعيل آليات قوة المؤمن..... 157
المبحث الثاني: التأدب مع الأحكام الشرعية عند أداء الطاعات..... 161
المطلب الأول:رد الأضحية غير الموافقة للسنة..... 164
المطلب الثاني:رد المبتدعات في العبادات..... 165
المبحث الثالث:الاعتدال والتوسط في الأخذ بالطاعات..... 168
المطلب الأول:ضرورة الأخذ بيسر دين الإسلام..... 169
المطلب الثاني:التوازن في الأخذ بمقومات الحياة مع الطاعات..... 174
المطلب الثالث: محطات لاستدراك ما يفوت الإنسان من الطاعات..... 181
الفصل الرابع:آداب المعاملات الفردية..... .
185
المبحث الأول:التجمل بمكارم الأخلاق..... 187
المطلب الأول:الاختيار الأمثل للجليس..... 188
المطلب الثاني:حسن المعاشرة مع الناس..... 192

المطلب الثالث: الصبر على أذية الناس..... 195
المطلب الرابع:الاتسام بخلق التَّوَاضُعِ..... 196
المطلب الخامس:عدم المجاهرة بعيوب النفس..... 197
المبحث الثاني:القيام بالالتزامات الاجتماعية..... 199
المطلب الأول:العمل على توطيد العلاقات الاجتماعية..... 200
المطلب الثاني:رعاية المصالح العامة للمجتمع..... 210
المطلب الثالث:تقديم الإعانات للمسلمين 214
المبحث الثالث:الحرص على الاستقرار الاجتماعي..... 218
المطلب الأول:السعي إلى الإتحاد و الوفاق الاجتماعي..... 221
المطلب الثاني:إصلاح ذات بين المسلمين..... 226
المطلب الثالث: اجتناب الفتن..... 232
المطلب الرابع:الحرص على حقن دماء المسلمين.....238
الباب الثاني:آثار الآداب النبوية في الفرد والمجتمع..... 242
الفصل الأول: آثار الآداب النبوية في الفرد..... 244
المبحث الأول:آثار الآداب النبوية في إعداد الإنسان الرباني..... 246
المطلب الأول:أثر كثرة الذكر في إعداد الإنسان الرباني..... 248
المطلب الثاني:أثر التكيف مع أعراض الدنيا في إعداد الإنسان الرباني.....250
المطلب الثالث:أثر حفظ الإنسان لله في نفسه لإعداد الإنسان الرباني..... 252
المطلب الرابع:أثر اقتراف المعاصي في نزع نور الربانية من نفس الإنسان..... 255
المبحث الثاني:آثار الآداب النبوية في تحقيق اللياقة السلوكية للفرد..... 258
المطلب الأول:آثار الآداب النبوية في إيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة..... 260
المطلب الثاني:أثر اللياقة السلوكية في حصول الخيرية في المسلم..... 270
الفصل الثاني:آثار الآداب النبوية في المجتمع..... 281
المبحث الأول:آثار الآداب النبوية في تحقيق الوحدة الاجتماعية..... 283
المطلب الأول:أثر التكافل الاجتماعي في تحقيق الوحدة الاجتماعية..... 284
المطلب الثاني:أثر النفقة في سبيل الله لتحقيق الوحدة الاجتماعية.....290

المطلب الثالث: أثر احتواء أصحاب الحاجات في تحقيق الوحدة الاجتماعية.....293
المطلب الرابع:أثر حسن الجوار في تحقيق الوحدة الاجتماعية..... 295
المبحث الثاني:آثار الآداب النبوية في تحقيق الاستقرار الاجتماعي..... 297
المطلب الأول:أثر الإصلاح بين الناس في تحقيق الاستقرار الاجتماعي..... 298
المطلب الثاني:أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الاستقرار الاجتماعي 300
المطلب الثالث:أثر كف التظالم بين المسلمين في تحقيق الاستقرار الاجتماعي..... 301
الخاتمة..... 309
قائمة المصادر والمراجع.....311
الفهارس.....326
فهرست الآيات القرآنية.....328
فهرست الأحاديث النبوية الشريفة.....336
فهرست الموضوعات.....345
ملخصات البحث.....349
ملخص البحث باللغة العربية.....351
ملخص البحث باللغة الفرنسية.... 354
ملخص البحث باللغة الانجليزية.....360

ملخصات

البحث

ملخص البحث

باللغة

العربية

ملخص البحث بالعربية:

إن التيه الذي تعيشه المجتمعات البشرية بين نظمها الوضعية جعلتها تذوق الويلات طيلة تواجدها على الأرض، إلا أن رحمة الله بعباده واسعة، حيث جعل في كل حقبة زمنية أنبياء يوجهون البشرية لما تنحرف عنه،وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم كخاتم لمن مضى من الأنبياء بمنهج وشرعة من أجل أن تسير عليها البشرية في حياتها كلها، ووفقهما لأداء المهمة التي أنيطت بها عند خلقه وهي مهمة الخلافة، للحفاظ على الفطرة التي زود الله البشرية بخاصياتها، وقد حمل الدستور الخاتم آدابا كثيرة بكثرة توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم؛ والمصاحبة لكثرة متطلبات الإنسان في هذه الحياة، وذلك من أجل تحصيل آثار هامة على مستوى الفرد وكذا على مستوى المجتمع؛لأن موضوع الآداب النبوية وثيق الصلة بتنظيم حياة الإنسان من جميع نواحيها،وقد وصل البحث إلى نتائج،نذكر أهمها:

1. إن لفظ الأدب معناه القواعد والضوابط التي تعمل في مجموعها على الحماية من الخطأ في العادات والعبادات.
2. ولفظ الأثر هو نتيجة الشيء الباقية بعد انقضائه وهو صالح للاقتفاء والتتبع، أو هو اللازم المعلل بالشيء حيث يكون وجوده من وجود غيره كنتيجة له.
3. إن الإسلام قد أحاط القرآن الكريم بآداب كثيرة تمثلت في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم كواقع عملي؛يصب مجملها في:تعظيم كتاب الله تعالى بشتى أنواع التعظيم،مع الأخذ به تلاوة،وهذا كله من أجل الوصول بالمؤمن إلى الخشوع والتدبر،والذي يكون نتاجها اتخاذ القرآن الكريم سلوكا عمليا في الحياة الخاصة والعامة،فيكون رحمة للمؤمنين. قال تعالى: (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**)[1018]،فالخاسر هو الظالم لنفسه ممن لم يأخذ بتذكير الله تعالى الذي جاء في القرآن الكريم،حيث حرم الشفاء والرحمة؛المنزلين في القرآن الكريم للمؤمنين الصادقين،الذين لا هم لهم في الحياة الدنيا سوى اتخاذ كتاب الله تعالى ،وسنة النبي صلى الله عليه وسلم شرعة منهاجا.
4. إن من الآداب مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمها؛ وذلك بتسوية أحكامها بأحكام القرآن الكريم،وكذا المبادرة لامتثال أوامره صلى الله عليه وسلم مع توقيره، والتزام أحكامها وترك التنطع والتكلف والتعمق فيها،وبذل الجهد لفقهها وتطبيقها.

[1018]–سورة:الإسراء، الآية: 82.

5. إن للعبادات آدابا كثيرة على المؤمن أن يأخذ منها ما استطاع،ولعلنا نكون قد عالجنا منها بالدراسة والبحث بعض الجوانب وهي:ضرورة الاستعانة بالله والتوكل عليه؛ من أجل أداء الطاعات في أفضل صورها التي يرتضيها لنا المولى تبارك وتعالى، وعدم الغرور بالجهد في أدائها،والاعتقاد الجازم أن لله الفضل في التوفيق لأدائها،مع ضرورة تحري موافقتها لأصول الشرع وفروعه،والحذر من الابتداع في الطاعات ما لم يأمر به الله سبحانه وتعالى فندخل في الدين ما ليس منه، وعلينا أن نلتزام التوسط والاعتدال للأخذ بالطاعات وعدم سلوك سبيلي الإفراط أو التفريط في آدائها.
6. أما على مستوى الآداب مع المجتمع فإن الإسلام ألزمنا بالتجمل بالمكارم الأخلاقية، وأمرنا بترك مساوئها التي تعد من شوائب النفس ورعوناتها،مع القيام بالالتزامات الاجتماعية المختلفة في المجتمع، والحرص على الاستقرار الاجتماعي العام، وقد سعى بها لتحقيق أهدافا وغايات جد عظيمة في المجتمع المسلم ليبقى قائما ظاهرا بين الأمم.
7. والآداب النبوية ترتبط بحياة الإنسان ارتباطا وثيقا،حيث تمكننا من تحصيل إنساني مسلم رباني ومثالي ذو شخصية متزنة ومتحضرة تحمل خصائص الإسلام، فتكون محل القدوة للمجتمعات.
8. إن الحرص على إخلاص الإنسان لدين الله في كل صغيرة وكبيرة، مع فرض الرقابة الذاتية على السلوك، واستئصال خصال النفاق من النفس، والحرص على الصدق في القول والعمل، مع الحفاظ على أداء الشعائر التعبدية بشكل مواظب، وكذا ضبط الإنسان نفسه عند وقوعه تحت الضغوطات الاجتماعية، كلها وسائل تعمل في مجموعها لإيجاد الشخصية المسلمة المتوازنة،والمتحضرة في حلها وترحالها.
9. وإن الآداب النبوية تعمل في مجموعها وعلى جميع الأصعدة إلى توخي آثار عميقة تعمل على تأصيل هذا الدين في النفس؛وهو ما يشكل وحدة اجتماعية متينة في الوسط الاجتماعي، والذي يقوم أساسه على أحكامه المتكاملة والتي تنظر إلى المجتمع البشري ككتلة واحدة متجانسة الحركة والسكنة.
10. إن الاستقرار الاجتماعي ضرورة حضارية من أجل تحقيق النمو والإزهار للدول، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان أفراد المجتمع يشكلون فيما بينهم وحدة اجتماعية متماسكة ومترابطة، ويعملون فيما بينهم ككتلة متكاملة الأجزاء.

وفي الختام أرجو أن تكون هذه الدراسة محل القراءة والتطبيق؛ لتستفيد الأمة منها في حياتها التعبدية والاجتماعية،فتحصل منها الآثار التي توخاها الإسلام.

ملخص البحث

باللغة الفرنسية

Résumé :

L'errance vécue par les communautés humaines entre leurs droits positifs leur ont fait goûter les horreurs au long de leurs présences sur la terre, mais la miséricorde d'Allah envers Ses serviteurs est large ; Il a envoyé à chaque ère des prophètes qui dirigent l'humanité à la bonne voie. Mohammed, le dernier des prophètes, que la paix d'Allah soit sur lui,avait apporté une méthode et une loi gérant la vie de l'humanité afin d'accomplir la mission lui confiée lors de sa création, c'est-à-dire la relève, et de garder l'instinct qu'Allah a fourni ses caractéristiques à l'humanité. La Dernière Constitution porte plusieurs étiquettes suivant les conseils du Prophète, que la paix d'Allah soit sur lui. Elles sont associéesavec le grand nombre d'exigences humaines dans cette vie, afin de collecter des effets significatifs sur le plan individuel et au niveau de la communauté, parce que le sujet de l'étiquette prophétique est étroitement lié à l'organisation de la vie humaine dans tous ses aspects. Les résultats les plus importants de la recherche sont :

1. Le mot « étiquette » signifie les règles et les règlements qui servent, dans leur ensemble,à la protection contre l'erreur dans les coutumes et les actes d'adoration.
2. Le mot « effet » est le résultat restant de la chose après son expiration, et il susceptible d'être tracé et suivi, ou bien il un corollaire justifié par la chose et dont

l'existence dépende de l'existence de l'autre comme sa conséquence.

3. L'Islam avait enclavé le Coran de nombreuses étiquettes représentées en la personne du Prophète Mohammad, que la paix d'Allah soit sur lui, comme une réalité pratiquequi sert dans son ensemble à: ennoblir le Livre d'Allah Tout-Puissant par différents types de glorification, en prenant sa récitation, pour que le croyant puisse accéder à la révérence et la réflexion, qui conduisent à prendre le Coran comme un comportement pratiquedans la vie privée et publique et une miséricorde pour les croyants. Allah Tout-Puissant dit : *«Nous faisons descendre du Coran, ce qui est une guérison et une miséricorde pour les croyants. Cependant, cela ne fait qu'accroître la perdition des injustes »*[1019]. Le perdant est injuste de lui-même, n'a pas pris le rappel d'Allah Tout-Puissant qui est venu dans le Coran, et il est privé de la guérison et la miséricorde descendues dans le Coran aux croyants sincères qui n'ont pas de souci dans cette vie que de prendre le Livre d'Allah et la Sunna du Prophète, que la paix d'Allah soit sur lui, comme une loi et méthode.
4. Une des étiquettes de la Sunna du Prophète, que la paix d'Allah soit sur lui, est de l'ennoblir par égaliser ses dispositions auxcelles du Saint Coran, ainsi que

[1019] Sourate El.Isra, verset : 82

l'initiative de se conformer aux ordres du Prophète, que la paix d'Allah soit sur lui, le respecter, s'engager à ses dispositions, laisser l'exagération, la girie et l'approfondissement dans la Sunna, et faire l'effort dans sa jurisprudence et son application.

5. Les actes d'adorationont de nombreuses étiquettesque le croyant est tenu d'en prendre ce qu'il pourrait. Nousavons étudié certains aspects, à savoir: la nécessité de se livrer et dépendre à Allah , pour l'accomplissement des actes de culte de la meilleure manière qu'Allah Tout-Puissant nous exige, et l'insuffisance d'effort dans leur performance et la ferme conviction que le succès de leur performance est grâce à Allah, avec la nécessité de vérifier leur conformité aux origines de la législation islamique et ses branches, et de méfier de l'innovation dans les actes d'adoration, sauf si ordonnés par Allah Tout-Puissant, tout ce qui étrange de la religion. Nous devons nous engager à la médiation et la modération dans les actes d'adoration et ne pas prendre les cheminsd'excès ou de négligence dans leur performance.
6. Au niveau d'étiquette avec la communauté, l'Islam nous engage à apprêter la bonne morale, et nous ordonne de quitter ses inconvénients qui sont des impuretés et une imprudence de soi, en faisant les diverses obligations sociales dans la communauté, et veillant sur la stabilité sociale générale. L'Islam

cherche à atteindre des buts et objectifs de très grande importance dans la communauté musulmane pour rester intacte et apparente entre les nations.

7. L'étiquette prophétique est étroitement liée à la vie humaine et elle nous permet d'obtenir un homme musulman divin et idéal d'un caractère équilibre et civilisé portant les caractéristiques de l'Islam, et qui est un modèle pour les communautés.
8. Le souci de la dévotion humaine à la religion d'Allah dans tous les aspects, avec l'imposition de l'autocensure sur le comportement, l'éradication de qualités d'hypocrisie de soi, et le souci de l'honnêteté de dire et d'action, tout en préservant studieusement la performance des rituels de culte, ainsi que l'autocontrôlesous pression sociale, sont autant de moyens de travail dans leur ensemble qui servent à trouver une personnalité équilibre et civilisée dans toutes les situations.
9. L'étiquette prophétique sert dans son ensemble et à tous les niveaux à avoir des effets profonds afin de consolider cette religion dans l'âme, ce qui compose une unité sociale solide dans le milieu social, qui est basé sur ses dispositions intégrées, qui considère la société humaine comme un seulbloc dont le mouvement et l'immobilisation sont homogènes.
10. La stabilité sociale est une nécessitécivilisationnelle afin de parvenir à la croissance et à la prospérité des

nations, et ellesne peuvent être atteintes que si les membres de la communauté font entre eux une unité sociale cohérente et interconnectée et travailler comme un bloc intégré.

En conclusion, je souhaite que cette étude soit objet de lecture et d'application pour le bénéfice de la nation dans sa vie dévotionnelle et sociale, et qu'elle soit productive des effets prévus parl'Islam.

ملخص البحث

بالإنجليزية

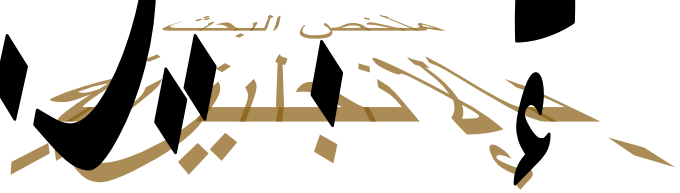

Summary

The disorientation and the turbulence that human societies experience in their established systems cause them to suffer a great deal along their existence on earth. Nonetheless, Allah's mercy is great indeed. In every era, he appoints prophets to guide humanity away from its deviation. The prophet Mohammed-peace be upon him- came as the latest of all prophets. He brought a doctrine and a path for humans to follow in all aspects of life. He advised them to care for the mission of the successive authority which they were appointed because he was very assiduous to preserve the fitrah that Allah granted the humans. The prophetic message bears many forms of decency. They are as many as the instructions of the prophet Mohammed – peace be upon him- that respond to the human requirements in this life. They tightly linked to the organization and the structure of human life in all its aspects. All in all, they were promoted for the sake of having remarkable influences on the individual as well as for the society as a whole. In the light of this topic, this research attains some results, most importantly are the following:

15- The notion of decency in Islam refers to the standards and the rules that prevent faults in both habits and religious practices.

16- The notion of effect means the result of something that stays after that thing fades away. It could be traced or it could be an explicable constancy, so its existence is conditioned by

the existence of something else in which it represents its results.

17- Islam puts forward many decencies. They were embodied and modeled by the prophet Mohammed –peace be upon him- as a practical reality. They are concerned with the glorification of the Scripture of Allah as well as reciting it for attaining reverence and contemplation. Consequently, the Quran would be viewed as a model for behavior in individual and public life. Allah Almighty said: *" And We send the Qu'ran that which is healing and mercy for the believers, but it does not increase the wrong doers except in loss"* [1020]. The losers are the ones who do injustice to themselves. They do not consider Allah's mention in his Scripture; that they would not gain Allah's healing and mercy. These two blessings are for genuine believers whom their sole goal in life is to adopt the Quran and As-Sunna as a path to follow.

18- Being decent with Prophet Mohammed's Sunna entails its glorification. Therefore, it involves regarding its teachings as valuable as the teachings of the Quran. Furthermore, it requires displaying obeisance to the prophet and adhering to his orders. This later is reinforced through studiousness in comprehension of these orders, and diligence in their application with no exaggeration and preciosity.

19- The different forms of worshipping has many decencies to be followed whenever is possible. This research attempts to study and to address some of them. One of these decencies is

[1020] Quran 17:82, KSU Electronic Moshaf project.

recourse and reliance upon Allah in order to perform worshipping in the forms that Allah almighty consents. Another one is not to have a sense of vanity while performing them and to have assertion that it is thanks to Allah one can do them. It is also important to avoid heterodoxy and search in order to make certain to abide to what is one required doing by the Islamic creed. Furthermore, it is crucial to be intermediate and moderate in conducting them, that is to stay away from intemperance and negligence.

20- Decencies in the society have also been attended to by Islam. It obligates its followers to have good manners and morals. It also instructs them to avoid dreadful manners which represent lameness and impurity. Moreover, it requires the conduct of different social duties in addition to participating in making certain of the overall social stability. Islam put these decencies at the centre of its focus concerning making the Muslim society prevail among others.

21- Decencies which were put forward by the prophet Mohammed – peace be upon him- are tightly linked to human life. They enable creating an exemplary devout Muslim whose personality is balanced, civilized and representative of the qualities of Islam. This personality could be eventually a role model for other societies.

22- There are several means to achieve the aspired Muslim personality. These means are: making sure of adherence to Islam in all aspects, putting into practice self-monitoring on one's behavior, eradicating of all qualities of hypocrisy,

observing honesty in words and actions, persisting on performing the worshipping rituals, and poising when being under the social pressures.

23- The prophetic decencies as a whole and in all aspects aim at rooting the Islamic religion in the minds and the souls of the people. Consequently, this would create a form of social unity in the societal medium. This is the result of integrated rules that view the society as consistent unit.

24- Societal stability is a civilizational necessity for achieving development and prosperity. It cannot be accomplished unless the people of the society form a cohesive and coherent unity, and unless they work together as an integral holistic unit.

To conclude, we aspire that this thesis would be read and applied, to benefit the Islamic nation in its ritualistic worshipping as well as in its social life and consequently in achieving the goals that Islam aims at.